

ليف تولستوي
اليوميات
الجزء السادس
١٩٠٨ - ١٩١٠

- ◆ المؤلف: ليف تولستوي
- ◆ العنوان: اليوميات - الجزء السادس
- ◆ ترجمة: يوسف نبيل
- ◆ الطبعة الأولى 2021
- ◆ تصميم الغلاف: عمرو الكفراوي
- ◆ مستشار النشر: سوسن بشير
- ◆ المدير العام: مصطفى الشيخ



رقم الإيداع:

٢٠٢٠ / ١٠٣٤٢

الترقيم الدولي: ISBN

978 - 977-765 - 273 - 5

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن مسبق من الناشر.

All rights are reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form, or by any means without prior permission in writing from the publisher.

Afaq Bookshop & Publishing House

1 Kareem El Dawla st. - From Mahmoud Basiuny st. Talaat Harb
CAIRO – EGYPT - Tel: 00202 25778743 - 00202 25779803 Mobile: +202-01111602787
E-mail: afaqbooks@yahoo.com – www.afaqbooks.com

١ شارع كريم الدولة- من شارع محمود بسيوني - ميدان طلعت حرب- القاهرة - جمهورية مصر العربية
ت: ٠٠٢٠٢ ٢٥٧٧٩٨٠٣ - موبايل: ٠١١١١٦٠٢٧٨٧

ليف تولستوي
اليوميات

ترجمة
يوسف نبيل

الجزء السادس

١٩٠٨ - ١٩١٠

آفاق للنشر والتوزيع

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

تولستوي، ليف.

ليف تولستوي : اليوميات - الجزء السادس - ترجمة: يوسف نبيل

ط ١ القاهرة - دار آفاق للنشر والتوزيع - 2021

٦٤٠ ص، ٢١ سم.

رقم الإيداع 10342 / 2020

الترقيم الدولي 5 - 273 - 765 - 977 - 978

١ - الأدباء

٢ - تولستوي، ليف

١٩٠٨

اليوم بداية العام الجديد: ١ يناير ١٩٠٨ - ياسنايا بوليانا.

أنا على وشك الانتهاء من الكتابة في دفتر ملاحظاتي. لا أزال منهمكًا طوال الوقت في (دورة قراءات)، ويبدو أنني أحرز تقدمًا فيها. أندريه وسيريوجا هنا وكذلك زوجتهما. أناضل مشاعري السيئة صوب... (١).

يتزامن انتهائي من الكتابة في دفتر ملاحظاتي مع حلول عام جديد.

١ - إن ظن إنسان ما بحلول لحظة الموت أنه ليس في حاجة إلى شيء، فهو لا يعرف الحياة جيدًا. عليه أن يفعل كل ما كان عليه فعله طوال حياته؛ أن يحرر روحه.

٢ - يمكنك أن تُعوّد نفسك على تذكر قصائد هزلية أو تذكر أقوال الحكماء والأتقياء التي يدعونها «صلوات». لماذا أكتب ذلك؟ لأن هذا ضروري لي وقد يكون ضروريًا للآخرين كذلك.

(١) الاسم محذوف، ولكن ربما يشير إلى زوجة أندريه، فقد عارض تولستوي هذا الزواج كما ذكرنا في نهاية الجزء السابق.

٣- مع كل نظرة للعالم تجد نفسك قد وصلت إلى معرفة وجود شيء لا يمكنك التعبير عنه بالكلمات. هذا هو الإيمان تحديداً.

٤- الإنسان كل شيء ولا شيء، بينما هو يظن أنه شيء ما. هذا منبع كل الخطأ... هذا منبع الخطية، ومن هذا تظهر خرافة «الشخصية».

٥- يمكن أن يكون أحدهم حرًا ويتحمل العنف، لكن لا يمكن أبداً أن يكون حرًا وفي الآن ذاته يرتكب أفعال العنف.

٦- يُعرّف الماديون المفاهيم بأخرى أكثر غموضاً منها؛ مثلاً: «مقياس الحقيقة هو إمكانية القيام بالعمل المناسب»^(٢).

٧- التأكيدات التي نتوصل إليها بتحديد المادة والعالم والحركة وعلاقاتها المتبادلة أكثر غموضاً بدرجة هائلة من التي نتوصل إليها من مفاهيم النفس والروح والله.

٨- خاص (بدورة قراءات): يستحيل أن نمنع عن أنفسنا تأثير بعض العواطف الاستثنائية، ولكن الخطية لا تقتصر على أن نبرر هذا التأثير وحسب، بل أن نعزو إليه التقدير أيضاً.

٩- إنها المرة الأولى التي أدرك فيها روحانيتي بجلاء جديد غير عادي؛ حالتي الصحية سيئة وأشعر بضعف الجسد حتى أصبحت فكرة التحرر من الجسد تتمثل لي ببساطة ووضوح شديدين. لا أقصد الموت، بل التحرر من الجسد. اتضح لي ذلك حتى أصبحت فكرة وجود الأنا الحقيقية لا ترقى للشك، وأن هذه الأنا هي وحدها الموجودة

(٢) تعريف مقتبس من مقالة للكاتب نيكأ أندريفا.

حقاً، وطالما أنك موجود، فلا يمكن أن تزول أبداً، فالجسد ليس له وجود حقيقي. هكذا شعرت بفرحة راسخة، وانجلت لي طبيعة الجسد الضعيفة والوهمية، والتي تبدو هكذا وحسب لكنها غير موجودة فعلاً.

أصبح أنها حالة روحية جديدة تشكل خطوة للأمام في طريق التحرر؟ أظن أنها كذلك لأنني ناديت إيفان لتوي، وشعرت بقرب وسرور شديدين في تعاملتي معه. هبني ذلك يا رب! هبني ذلك! الأمر كما لو أنني شعرت بتحرر ما هو موجود وحده؛ الحب. آه لو تستمر معي هذا الحالة حتى الموت وتنتقل لأشقائي البشر!

١٠ - الخطية هي الانحراف عن حياة الروح، الأمر الذي يحدث لا محالة في الحياة الإنسانية، والذي يُعتبر تقليله وتصويبه هدف ومغزى وفرحة الحياة الإنسانية.

١١ - تتضح لنا فكرة أن الحياة تتلخص في بذل الجهد الأخلاقي في حقيقة أنك لا يمكنك أن تبذل جهداً أخلاقياً في الحلم، وأنك ترتكب فيه أفضع الأفعال.

١٢ - حياة الناس في غياب الجهد الأخلاقي ليست حياة، بل حلم.

١٣ - كُسِر ذراعي، وأراقب تعافيه التدريجي. ها قد تعافى لكني أشعر أن شيئاً ينقصني. لم يعد لديّ ما أراقبه. إن الحياة بأكملها بمثابة تتبع لهذا النمو، سواء نمو العضلات أو الثروة أو المجد. الحياة الحقيقية هي النمو الأخلاقي، وفرحة الحياة في تتبع هذا النمو. يا له من تصور صبياني عبثي ذلك الذي نتصوره عن الفردوس، حيث يتسم الناس فيه بالكمال ولا ينموا! إن كان الأمر كذلك فهم غير أحياء إذن.

١٤- حدث كثيرًا أن تصور الناس حياة أفضل من الموجودة الآن، لكنهم لم يستطيعوا تصور فردوس أفضل من ذلك الغبي الذي يتصورونه الآن.

١٥- قد يبدو أنه من السهل بالنسبة للأناني أن يفهم أنانية الآخرين، لكننا لا نستطيع فهم ذلك جيدًا، وإن فهمناه ننساه.

١٦- لن يتغير نظام الدولة إلا عندما يُفضل الناس الموت عن المشاركة في العنف الناتج عن دفع الضرائب والخدمة العسكرية والاعتراف بشرعية السلطة.

١٧- تتجلى المسيحية جزئيًا في صورة السعي صوب الحرية والمساواة والحياة المشتركة في الكوميونات والعدالة... إلخ. كل ما سبق محض تجليات جزئية، فالمسيحية تحقق للناس كل ما يمكنهم أن يرغبوا فيه.

١٨- أن تحب الله يعني أن تحب الكمال.

١٣ يناير.

لم أدوّن يومياتي منذ ١٢ يومًا. أنهيت مخطوطة (دورة قراءات) وكتبت عناوين الأقسام. أعيش بشكل لا بأس به. تهمت أول أمس في الغابة وأنهكت بشدة، واليوم أشعر بآلم في قلبي. نمت نومًا سيئًا. كتبت خطابات وراجعتها جميعًا. أنتظر قدوم تشيرتكوف بعد غد. سأنقل بعض الأفكار من دفتر الأفكار. إنه اليوم الثاني الذي أفكر فيه في

المسرحية^(٣)، ولكن ليس لديّ الاهتمام الكافي الذي يجعلني أشرع في العمل عليها.

١- إن كان مغزى الحياة في السعي صوب الكمال، فمن الواضح إذن أنه لا يمكن أن يكون سعيًا صوب كمال الروح؛ لأنها إلهية فعلًا وبالتالي كاملة. لا بد أنه سعي صوب القضاء على ما يحول دون تجليها؛ القضاء على الخطايا.

٢- تحلم أنك ترتكب فعلًا دنيئًا ما، ولا يمكنك أن تتوقف عنه. هكذا هو الأمر في الحياة: تعرف أنك ترتكب فعلًا دنيئًا ولا تستطيع أن تتحرر منه، ورويدًا رويدًا تستيقظ.

٣- وحدها خرافات الكنيسة والدولة والعلم بإمكانها أن تجعل معتنقيها يعيشون حياة بطالة بضمير صافٍ.

٤- كافة ملامح التقدم التقني إما أنها تُرضي المساعي الأنانية صوب المتعة الشخصية وإما أنها تُرضي المساعي الأسرية أو الطبقية أو الشعبية أو المتعلقة بخيلاء القومية (الحرب).

٥- يشبه الحلم الحياة تمامًا. الفارق الوحيد بينهما هو أنه لا مكان للإرادة أو جهود الروح في الأحلام، كما أنه لا وجود للتسلسل في الأحلام - كما يقول باسكال - والأهم من كل ذلك أنك لا ترى في الحلم كل شيء كاملًا في نفس الوقت. أما أوجه التشابه فتتمثل في أنني أدرك في الحلم ما وهبت إمكانية إدراكه بفضل الانطباعات، وهي نفس الإمكانية الموهوبة لي في الواقع.

(٣) مشروع لم يتم، ذكرناه في نهاية الجزء السابق.

٦- لا معنى للصلاة التوسلية «صلاة الطلبة»، حتى وإن كان الله كيانًا شخصيًا؛ وذلك لأننا وهبنا بالفعل كل ما نحن في حاجة إليه.

٧- الحياة هي تحرير الروح. تصبح الحياة شرًا عندما تعيش عن عمد بما يُناقض ما يحدث في الحياة، وتصبح خيرًا إن سعت بوعي صوب أهدافها وسرت بموجب تيارها وقانونها.

٨- مكتوب في الجريدة: «يقولون لي: كُن عفيفًا، وأقول لهم: سأكون عفيفًا إن كان ذلك لا يضر بصحتي». يا لبشاعة الأمر: أولًا: خرق قانون العفة يهدد الصحة بدرجة أكبر كثيرًا من الحفاظ عليه. ثانيًا والأهم: الصحة والقانون الأخلاقي شرطان غير متكافئين للحياة. يماثل خرق القانون الأخلاقي من أجل الصحة تفجير المنزل الذي تعيش فيه كي تُدْفَى نفسك.

٩- إن أردت أن تُكَلِّلَ جهودك بالنجاح، عليك أن تسلك كما لو أن لديك هذه المشاعر التي تمنيت أن تحوزها.

١٠- لا تتبنَّ إجابات الآخرين عن أسئلة لم تراودك بعد.

١١- الموت ليس تحررًا، بل توقف لعملية التحرر.

١٢- مع حلول الموت علينا أن نبذل أقصى جهد من أجل تحرير الروح بتجلي الحب. هذا هو الوقت الأنسب لتحرير الروح بالحب.

١٣- البعد عن اتباع قانون عدم المقاومة المسيحي هو أصل كافة البلايا التي تلحق بالناس في العالم المسيحي. يحدث ذلك بسبب أن المسيحية في غياب قانون عدم المقاومة ليست دينًا،

بل أقصى صور المحاكاة فجاجة للدين، وفي غياب الدين لم ولا يمكن للناس أن يعيشوا. تمثل هذه المحاكاة للدين، بأيقوناتها وقربانها المقدس ومعموديتها وكهنتها، أقصى أشكال الدين فجاجة، وبالإضافة إلى ذلك تحمل بذور دمارها بداخلها ممثلة في الإنجيل الذي تعترف به.

١٤ - الناس جميعاً واقفون أمام حمل ثقيل يتعين عليهم رفعه، وفي يد كل منهم ذراع رافعة موضوعة أسفل هذا الحمل. وبدلاً من أن يلجأ الناس إلى الرافعة لرفع الحمل، يُسقط الناس ذراع العتلة ويقفزون فوق الحمولة، فيزيدون من وزن الحمولة بأوزانهم هم أنفسهم، ممسكين بها بأيديهم محاولين رفعها!

١٥ - هناك قصة في التقليد عن أن يوحنا الرسول لم يكن يقول في شيخوخته سوى أربع كلمات: «يا أبنائي، تحابُّوا جميعاً». لقد ظنوا أنه عاد إلى مرحلة الطفولة، ولكن هذه الكلمات الأربع تفوق في أهميتها كل ما يُقال ويُكتب ويُشر اليوم.

١٦ - قراءة البخت والصلاة التوسلية وجهان لعملة واحدة.

١٧ - لا يوجد ما هو أسوأ من التراجع عن اقترابك من الله. جرَّب أن تمضي وتفكر في المسافة المتبقية لك، وستجد أن الأمر يبدو صعباً الآن، لكنه كذلك أيضاً مع الحركة صوب الكمال.

١٨ - يقولون: وكيف نتعامل إذن مع القتلة والسارقين؟ تعود صعوبة الإجابة تحديداً إلى افتراضهم وجود نوع معين من الناس

ملزمين بمواجهة الجرائم ولديهم الحق في ذلك. كيف نتعامل مع الصقيع والعواصف؟ ليس في يد الإنسان شيء سوى القيام بعمله وألا يشغل باله بالتفكير في أن لديه وسائل لوقف الصقيع والعواصف. قم بعملك وقوم المجرم الموجود بداخلك وحسب.

١٩- يا لغرابة وصدق هذه العبارة: الزوج والزوجة -إن كانا يعيشان بالروح حقًا- ليسا اثنين بل واحد!

٢٠- كل شيء يبدو لا نهائيًا لنا، وهو محض وهم. لا وجود حقيقي إلا لما لا يمكن أن ينطبق عليه مفهوم الأكبر أو الأصغر.

٢١- يؤدي عدم اتباع قانون عدم المقاومة إلى الهلاك؛ لأنه يدمر الديانة الوحيدة التي يؤمن بها الناس في عالمنا المسيحي.

٢٠ يناير.

تشير تكوف هنا وكذلك عدد هائل من الناس، وكل شيء بخير. حمدًا لله أنني في حالة تجعلني أشعر أن كل شيء بخير. آل أبريكوسوف هنا وجوسيف وبليوسنين. بالأمس وصل بوشا. صوفيا (زوجته) بموسكو. جاء أندريه بالأمس. إنه بائس... بائس بثقته المفرطة في ذاته التي لا تقهر! أكتب ذلك، ولا أندم عليه. ربما إن قرأ ذلك بعد موتي يثقب درع رضاه عن نفسه ولو قليلًا. بدأت كتابة مقالة عن الانحلال والإلحاد وعدم المقاومة^(٤). ليست شديدة السوء لكنها ضعيفة. بشكل

(٤) يشير إلى مقالة (قانون العنف وقانون الحب).

عام أشعر بالضعف. لا بد أنني قريب من الموت. أقترّب منه كما أقترّب من محطة وصول رحلتي. المقارنة غير سليمة؛ لأن الأمور في الرحلة تتحسن باقتراب المرء من جهة الوصول. أنهيت كتابة الأقسام^(٥).
أفكار:

١- أساس الحياة هو الوعي بوجودي، لا بحسب ما أجد نفسي عليه، بل بحسب وجودي حقًا؛ بحسب أنني وحدي الموجود. كل شيء آخر يبدو لي كأنه موجود وحسب. لن أحرر أناي من كل ما يحجبها إلا عندما أدرك نفسي في بقية الكائنات، وأدرك بقية الكائنات في نفسي.

٢- ما هو حسن في الشيخوخة أنك تعرف أنك لن تظل حيًا حتى ترى نتائج أعمالك، وإن كان ذلك ينطبق على كل شخص لديه وعي حقيقي بالموت. لذا مثل هذا الشخص - خاصة الشيخ - لا يبالي تمامًا بأحكام الناس.

٣- كل استنتاج عن أصل شيء ما في الزمن هو محض حماقة. هذا قبل ذاك، وهناك شيء آخر قبله... إلخ، حتى تصل إلى بقعة مضيبة^(٦).
ولكن ماذا قبل هذه البقعة المضيبة؟

بالإضافة إلى ذلك إن كانت هناك بقعة مضيبة، فلمن وُجدت؟ كذلك هو الأمر مع الله الخالق، وبالتالي يمكننا فهم سبب تفكير ذلك الأسقف في مسألة: بِمَ انشغل الله قبل الخلق^(٧)؟

(٥) يشير إلى مقدمة (دورة قراءات) حيث عرض فيها أقسام الكتاب.

(٦) يشير إلى فكرة نظرية التطور.

(٧) يشير إلى كتاب للأسقف تشيجيرينسكي بعنوان (سفر التكوين خاصتي).

٤- الاعتراف بتعاليم المسيح وقبول العنف في الآن ذاته يشبه إمكانية الحياة الصالحة مع انتشار السكر.

٥- تتمثل ضلالة الناس الرئيسة في العلم في اعتقادهم أن العالم هو الموجود، لا الأنا أو وعي الإنسان.

٦- أولئك الذين يعتبرون أنفسهم متدينين أو علماء أو صالحين أو مبجلين، ليسوا كذلك.

٧- لا حدود للفرحة التي يمكن أن يشعر بها المرء من جراء تعرضه لإدانة أو اتهام أو وشاية لا يمكنه دحضها. لا شيء يمكنه أن يعيده إلى الحياة الحقيقية من أجل روحه والله -بمعنى الحياة في الحب- أكثر من ذلك.

٨- يرى العلماء أن الإنسان إن ظل جاهلاً بمعنى حياته وغاب عنه الإرشاد بسبب عدم دراسة مسائل العلوم الصعبة والمعقدة والتي تتطلب منه وقت فراغ فإن ذلك سيكون ظلمًا أبشع بدرجة لا تضاهي من حقيقة أن إنساناً لديه ملايين وآخر ليس لديه حذاء!

٩- إن اعترفت بأصل الحياة في نفسك، ستدرس وتُحسِّن نفسك؛ تدرس وتُحسِّن ما هو معروف وملائم لك، أما إن اعترفت بأصل الحياة في العالم، ستدرس وتحسن حياة العالم؛ الأمر المجهول وغير الملائم لك.

١٠- النشاط الديني والعلمي متنافران. الانشغال بأحدهما يؤدي إلى إهمال الآخر.

١١ - البساطة شرط ضروري للحقيقة، وإحدى سماتها.

٣١ يناير.

بدأت مراجعة (دورة قراءات) القديمة^(٨). تبين لي أن قدر ما ينتظرني من عمل أكبر مما توقعت، كما أن العمل لا بأس به. أنهيت ثمانية شهور من الكتاب^(٩)، ولكن ليس تمامًا؛ عليّ نقل بعض المواضع وإضافة أجزاء أخرى، ولكن العمل الرئيس قد تم فعليًا. ساشا في موسكو لفترة طويلة. أحاول ألا أشعر بالخوف عليها. علاقتي بالجميع في خير حال. يوم أمس جاء ميخائيل ستاخوفيتش، وحظيت بحديث جيد معه. لكني لا أستطيع التحدث عن أمور حميمة دون أن أبكي. راجعت اليوم ملخص الأناجيل للأطفال، انصياعًا لرغبة ماريا ألكسندروفنا العزيزة. في تلك الفترة كتبت خطابين طويلين: واحد لستوليين (رئيس الحكومة)، وآخر لأحد البولنديين يُدعى زادوجو. يبدو أن لا بأس بكليهما، على الأقل كتبتهما بإخلاص. عليّ أن أنقل شيئًا ما من دفاتر أفكاري، لكنني سأكتب الآن فكرتين راودتاني هذه الليلة:

١ - بدأت أختبر ما أشار إليه المسيح حينما قال إنكم سوف ترونني أحيانًا، وفي أحيان أخرى لا^(١٠)؛ بدأت أختبر نوعًا من التحرر المبهج والغريب من جسدي وأشعر بحياتي وحسب؛ بكياني الروحي، كما بدأت أشعر بنوع من اللا مبالاة صوب كل ما هو زمني، وبوعي

(٨) يشير إلى الطبعة القديمة التي صدرت ١٩٠٦ - ١٩٠٧.

(٩) ذكرنا في الجزء السابق أن الكتاب مكتوب على شكل تقويم يتضمن قراءة لكل يوم.

(١٠) غالب الظن أنه يشير إلى يوحنا ١٦: ١٣ - ١٦.

هادئ وراسخ بحقيقة وجودي. يستحيل عليّ التعبير عن ذلك بوضوح،
على الأقل الآن.

٢- الأمر ذاته ولكن من جانب آخر: أحياناً لا أشعر بجسدي، بل
أشعر بحياتي وحياة الآخرين.

لا... لا... ليس الأمر كذلك. أفكار:

١- إن منبع ما ندعوه «الوعي» هو تناقض متطلبات الروح والجسد
فيها؛ الوعي بعدم كمالنا. لا يمكن أن يكون هناك وعي لدى كيان كامل.

٢- لو كان هناك جسد واحد يحيا دون متطلبات الروح، لما كان
هناك وعي بالجسد، ولا كان هناك جسد من الأصل، وإن كانت هناك
روح واحدة في غياب متطلبات الجسد، لما كان فيها وعي، ولما كان
لها وجود من الأساس.

٣- أحياناً يظهر سؤال غبي: لماذا كل ذلك؟ إن كنت قد عرفت
لماذا كل ذلك لما كان كل ذلك. (لا... الأمر ليس هكذا) يشبه هذا
السؤال إنساناً يعمل شيئاً ويسأل: لماذا أعمل ما أعمله؟ أعيش ولا
يوجد ما يجعلني أتساءل: لماذا أعيش؟ لو لم أعرف «لماذا» لما عشت.
بما أنك تعيش فأنت تعرف إذن.

٤- نريد نحن البشر - بحسب طبيعتنا الحيوانية - أن نجازي مَنْ
يُسدي لنا خيراً بالخير، وَمَنْ يُسدي لنا شراً بالشر. أما بوصفنا كائنات
عاقلة، فعلينا أن نفعل العكس. علينا أن نسدي الخير لكل مَنْ يفعل لنا
شراً ولكل الأشرار بشكل عام.

٥- كم سيكون حسنًا وضروريًا للحياة ألا ننسى أن منزلة الإنسان في حد ذاتها أعلى من أي منزلة إنسانية أخرى، ولذلك فعلى الإنسان أن يعامل القيصر والمومس على السواء.

٦- ينتظرون دائمًا مكافأة على العمل الصالح في المستقبل؛ في الأبدية، بينما المكافأة في الأبدية ذاتها؛ في الحاضر، في لحظة خارج الزمن.

٧- لم أعرف نعمة الحياة والتعليم الحقيقي الخاص بها إلا في نهاية حياتي، لذا لست قادرًا على الاستفادة من هذه المعرفة. بالتالي أحتاج -ويتوجب عليّ- أن أنقل ما أعرفه للناس. إنها المرة الأولى التي أشعر فيها بضرورة ذلك بهذه القوة.

٨- كنت سأذهب إلى صوفيا لأقول لها شيئًا غير طيب عن أندريه، ثم في طريقي إليها سألت نفسي: ولماذا ذلك؟ عدت وشعرت بسرور جديد. لم أكن أعرف حتى الآن فرحة التواصل الرائعة مع الله وجهًا لوجه في غياب الناس جميعًا. يا لها من فرحة!

٩- إن كان معنى الحياة في السعي صوب الكمال، فلا يمكن لإنسان أن يكون حسنًا أبدًا، لذا التواضع شرط ضروري للحياة.

١٠- لن يمكنك ألا تشعر بالغضب من الناس، والأشعار منهم، وتشفق عليهم وتحبهم حقًا، إلا عندما تحب الله؛ تحب الجميع وتختبر النعمة التي يمنحك إياها هذا الحب.

١١- لا يمنحك الحب فرحة إلا عندما يكون ممتلئًا وإلهيًا؛ أي

عندما تحب الجميع؛ تحب الله، وعندما لا يعرف أحد شيئاً عما تفعله لن تنتظر على ذلك أي مكافأة، لا من الله ولا من الناس. ما إن تراودك مشاعر كراهية صوب شخص واحد، أو تولي عناية خاصة لمن يمتدحونك فتتال فائدة من هذا الحب، حتى لا تجد خيراً يعود عليك من هذا الحب.

١٢ - إن عرفت الخير الذي يمكن للحب أن يمنحك إياه، لن يعود بإمكانك أن تغضب أو أن تدين شخصاً محروماً من الحب، ولن يسعك إلا أن تشفق عليه. حينها فقط سيتضح لك ببساطة أن الأمر لا يمكن أن يكون خلاف ذلك... لن يسعك إلا أن تشفق على نيكولاى وستولييين وبيولوف وروكفيلير^(١١) أكثر من شفقتك على المعدم والمريض.

١٣ - محبة الأعداء وصنع الخير لمن يريدون الشر لنا ليس مآثرة، بل مجرد ميل طبيعي في الإنسان الذي يفهم جوهر الحب. ليس الحب أن تفعل خيراً لمن يحبك وتحبه، ولا يعد ذلك من سمات الحب الذي يهبنا الخير الوحيد والأعظم. ما يمنحنا خيراً فعلاً هو محبتنا لأولئك الذين يفعلون بنا شراً، أو الذين يفعلون شراً بشكل عام.

١٤ - فهمت بوضوح وقوة البلية التي تصيب الناس من الثروة والسلطة، وكيف ينغمسون تدريجياً في تلك الحياة المريعة. طالب الصدقة الجوال أكثر حرية وأقل تعاسة منهم بدرجة لا تضاهى.

١٥ - يجب أن نُكرّس كافة جهودنا لأجل ألا يخرق شيء الحب بداخلنا.

(١١) القيصر - رئيس الوزراء ووزير الداخلية - وزير بروسي وناشط سياسي ألماني - ملياردير أمريكي صاحب شركة النفط العملاقة.

١٦ - طالما الروح في الجسد، ستظهر أسمى وأتفه الأفكار جنباً إلى جنب. يظل الأمر حسناً إن اقتصر أمر الأفكار على أن تكون تافهة، لا دنيئة أو شريرة.

١٧ - قرأت لشو (برنارد شو). تفاهته تدهشني حقاً! لا يقتصر الأمر على أنه يفتقر إلى فكرة واحدة خاصة به تسمو عن تفاهات الحشود القاطنة بالمدن، بل إنه لا يفهم ولو فكرة واحدة عظيمة من أفكار المفكرين السابقين. تنحصر ميزته الوحيدة في قدرته على التعبير عن أكثر التفاهات ابتداءً بطريقة أنيقة جديدة منحرفة تجعل الأمر يبدو كما لو أنه يقول شيئاً جديداً خاصاً به. سمته الرئيسة هي ثقته المفرغة في ذاته، ولا يعادلها شيء سوى جهله الفلسفي المطبق.

١٨ - يُعبرّ الناس عن وعيهم بروحانيتهم بأغرب الطرق وأكثرها فجائية: يُعبرّون عن هذا الوعي بمفهوم الله قبل أي شيء آخر، ثم بمفهوم خلود الروح بعد الموت ثم القيامة، بل وبعد ذلك بمفهوم خلود المادة. هناك سبب واحد خلف كل هذه المحاولات. يدرك الإنسان في نفسه كياناً لا زمني ولا مكاني، ويعزو هذه السمات إلى كيان بخارجه يدعوه «الله»، أو يستنتج من هذا الوعي فكرة وجود حياة أبدية بعد الموت، أو فكرة القيامة أو أبدية المادة.

١٩ - اليوم أزداد نسياناً أكثر فأكثر. نمت طويلاً اليوم، وبعد أن استيقظت، شعرتُ بتحرُّرٍ كاملٍ جديدٍ من الشخصية. كم كان هذا حسناً! آه لو أُنحرر تماماً! الاستيقاظ من النوم والحلم هو نموذج لهذا التحرر.

انشغلت في تلك الفترة بمراجعة (دورة قراءات) الجديدة. أنهيت تعديلاتي على القديمة مع أنه يتوجب عليّ إجراء المزيد من التعديلات. جاء بوتكيفيتش بصحبة معلم شاب، ووصلني كذلك خطاب جيد. حالتي المعنوية تتحسن أكثر فأكثر. يزداد حلول الحياة الروحية الداخلية والعمل الروحي محل الحياة الجسدية، ويزداد تحسن حالة روحي. ما يبدو متناقضاً هو حقيقة لا شك فيها؛ أقصد أن الشيخوخة والاقتراب من الموت، بل والموت نفسه هو أمر حسن وخير. إنني أختبر ذلك الآن. وصلني خطاب من ج. ر. بيتروف يسألني ما إن كان بإمكانه أن يأتي (١٢). سأحاول أن أراه كأخ وابن لله وحسب. حالتي الصحية لا بأس بها.

١ - لا تتمثل المسيحية بأي حال من الأحوال في عصيان الحكومة - كما يظن البعض - بل في الإذعان لله.

٢ - مهما حاول الناس التخلص من العنف، سيظل من المستحيل عليهم أن يتخلصوا منه بالعنف

٣ - كتبت سابقاً: أمر من الاثنين: إما مواصلة.... آه، نسيت! كانت فكرة مهمة لكنني نسيتها. يبدو أنني تذكرتها الآن. إنها ملاحظات من أجل البيان الذي أفكر في كتابته. أمر من الاثنين: إما أن نتوقف عن الإذعان للحكومة بعد أن نبذل جهداً أخلاقياً ونعترف بضرورة الإذعان

(١٢) جريجوري بيتروف كاهن وكاتب ليبرالي شهير. حُرم من الكنيسة في عام ١٩٠٨ بعد أن نشر آراءه في الدين.

لله، وإمّا أن نواصل العيش كما نعيش الآن. لكن إن اخترنا الاختيار الثاني، يستحيل أن ننسى ما تبين لنا سابقاً بخصوص أننا بذلك ماضون لا محالة صوب الهلاك الجسدي والروحي على السواء.

٤- سألت نفسي: لماذا أكتب ذلك؟ أليست هناك رغبة شخصية في فعل شيء لنفسي؟ يمكنني أن أجيب بلا ريب بالنفي، وأني إن كنت أكتب ذلك فلأني لا أستطيع أن أصمت، وأني كنت لأعتبر نفسي شريراً إن صمتُ تماماً مثلما كنت لأعتبر نفسي شريراً إن لم أحاول إيقاف الأطفال عن الطيران من فوق قمة جبل ليستقوا في هاوية سحيقة أو يلقوا بأنفسهم أسفل عجلات قطار.

٥- من أجل البيان أيضاً: كان يمكن أن أشعر بالالا مبالاة تجاه ما أقوله لو كنت تحدثت عن شيء قد يحدث أو لا، ولكن هذا الهلاك الذي أتحدث عنه لا يمكن ألا يحدث، ولا مفر منه. كان بالإمكان أن أستغرق في التفكير بشأن ما إن كان عليّ أن أنفد ما أقوله أم لا إن كان تحقيقه يتطلب شيئاً خطيراً وصعباً، مخزياً ومذلاً، لا يتفق مع الطبيعة الإنسانية، ولكن الأمر هنا على النقيض؛ فما أدعو إليه غير خطير، سهل وخير، يتفق مع وعي المرء بقيمته ومع طبيعة الإنسان.

٦- يُقال: «إن سلكتنا بهذه الحماقة ولم نقاوم الشر، لن نكون مستعدين لصد العدو، وسيأتي اليابانيون والصينيون، وغير المسيحيين بشكل عام، وسيأسروننا ويكسروننا». ولكن قانون المحبة الذي باسمه لن نقاتل أو نسلح، والموجه للجميع ليس محض وهم يراودنا، بل هو قانون الحياة الأسمى، وهو موجود في أرواح الناس جميعاً. هذا القانون

معروف للصينيين واليابانيين، وكل ما في الأمر أنه قد تحرّف لديهم مثلما تحرّف لدينا. الناس في حاجة إلى رؤية إمكانية اتباعه في الحياة، وحينها سيتبنونه، سواء كانوا يابانيين أو صينيين أو حتى زنوجاً غير متحضرين. إن لم يتبعوا هذا القانون واستعبدونا ودحرونا فسيكون ذلك بلا شك أفضل بدرجة لا تضاهي من أن ندحرهم نحن.

٧- (لا أفهم لماذا دوّنت هذه الحقيقة البديهية) لا يمكن للشعوب أن تحيا حياة صالحة إلا عندما يكون بإمكان الناس أن يعيشوا حياة صالحة شكلوها بأنفسهم. بالإضافة إلى العيوب السالفة يستثير الثوار في الناس ثلاثة عيوب لها أكبر أثر كره ومقاوم للحياة الصالحة: الفخر والحسد والضعينة. لا يمكن أن يتحسن وضع الشعب إلا مع العكس؛ عندما لا يتورطون في عمل السلطة .

٨- حسناً أن يتذكر المرء عند تعامله مع الناس أن يتعامل معهم كأبناء لله، القيصر والمتسول على السواء. حسناً أن يتذكر المرء حينها نفسه وموته.

٩- يقولون إننا في حاجة إلى معرفة الكثير عن خلود الروح والحياة الأخرى، وذلك لصالح حياتنا الحاضرة. يا للهراء! لقد وُهِبَت إمكانية زيادة خيرك المستمرة هنا في الآن، فماذا تحتاج غير ذلك؟ لا يستطيع أحد أن ينخرط في الحديث عن الحياة الأخرى إلا ذاك من لا يستطيع ولا يريد نبيل هذا الخير. ماذا نسمى الحياة الأخرى؟ إن مفهوم الحياة الأخرى يرتبط بالزمن، والزمن ليس إلا شرط للوعي في هذه الحياة. الحديث عن حياة أخرى تبدأ بعد انتهاء هذه الحياة يماثل الحديث عن

الشكل الذي ستصبح عليه قطعة ثلج عندما تذوب أو عندما تتحول إلى مياه وتتبخّر جُزيئاتها.

علاوة على ذلك ما حاجتي إلى حياة أخرى عندما تكون حياتي الروحية بأكملها منحصرة في الحاضر وحسب؟ يتمثل مغزى حياتي في أن أحب الناس والله، والموت لا يزيل هذا أو ذاك. ليس الموت سوى إيقاف لحالة وعيي ككيان منفصل.

١٠ - يبدو أنني وجدت جزءاً لم يلحظه أحد من قبل في كتابات باسكال:

«الفضيلة الحقيقية هي أن نكره أنفسنا (فنحن نستحق ذلك فعلاً بما لدينا من شهوات) ونبحث عن الكيان الذي يستحق الحب فعلاً والذي بإمكاننا أن نجه. ونظرًا لعدم قدرتنا على حب ما بخارجنا، علينا أن نحب ذلك الكيان الموجود بداخلنا وفي الآن ذاته لسنا هو. يتوفر ذلك في كيان واحد: الكيان الكلي. «ملكوت الله بداخلكم» (لوقا ١٧ : ٢١). الخير الكلي بداخلنا لكننا لسنا هو.

١١ - الذاكرة رابطتنا بالماضي، والحب رابطتنا بالحاضر. تهون رابطتنا بالماضي «الذاكرة» وتقوى رابطتنا بالحاضر «الحب». يستحيل أن نحوز كليهما، فكلما تقوت إحداهما، وهنت الأخرى. الموت هو زوال الذاكرة والاتحاد بالحاضر كاملاً.

١٢ - يزداد فقداني الآن لذاكرتي أكثر فأكثر، ووعبي بما أكتسبه. كم هذا حسناً!

١٣- الله ليس محبة. نحن نسميه كذلك لسبب واحد؛ لأنه يتجلى لنا بالحب.

١٤- أسأل نفسي: هل يمكن للوعي بالخير الحقيقي الملائم لنا دائماً، والمتنامي أبداً؛ الخير الذي في وجوده لا نعود في حاجة إلى شيء آخر، أن يصبح عامّاً ويتناقل بين البشر بالتربية؟ أجيب: نعم.

١٥- يتمثل العالم لي في ذلك النظام الذي تجد فيه الكائنات نفسها - ومن ضمنها الإنسان - قد وهبت القدرة على العمل التلقائي والتي بدورها تهبهم وعياً بالخير داخل حدود معينة تكون الكائنات بداخلها حرة، ولكن لا يمكن تجاوزها. بهذا يكون لدى الكائنات أن تمتع بنعمة الحرية، وفي الآن ذاته تكون غير قادرة على مخالفة تيار الحياة العام وقوانينها. قد يكون الإنسان على وعي بأحد هذه القوانين: قانون الحب.

١٦- حرية الإرادة هي إمكانية أن تحيا وتتصرف بما يتسق أو لا يتسق مع قانون الكيان الكلي، وذلك بموجب إرادتك، لا بموجب إرادة خارجية. ولكن إمكانية أن تحيا بشكل لا يتسق مع قانون الكيان الكلي محدودة بحدود لا يمكن تجاوزها. وهكذا فإن الإنسان يمكنه أن يسلك بحرية بما يتسق مع قوانين الحب وينال الخير بنفسه؛ الخير الذي يرضيه تماماً ويتزايد أبداً، لكن ليس بإمكانه أن يخالف قانون الحياة العام، فحتى إن تراجع عن تنفيذ هذا القانون وقاومه، سيجد نفسه ينفذه.

١٧- كتبت عن ضرورة أن أضع لنفسي صلاة جديدة تلائم حالتي الروحية، وأتعلّمها كما تعلمت صلاتي الحاضرة.

١٨ - يبدو أنني عاودت التفكير ليلاً في مغزى الحياة، وفي ما يجب ويمكن فعله وما يتطلبه الوعي الروحي من المرء. لا أقصد ما يجب عمله على مرأى من أي شخص. ما من شأنه أن يدعم ذلك التوجه حتمًا هو أن هذا النشاط وحده هو ما يمنح المرء الخير الحقيقي. إن تساءل المرء: لماذا؟ فالإجابة: يمكن لأحمق واحد أن يسأل أكثر مما يمكن لألف حكيم أن يجيب. ليس من شأني أن أجيب عن «لماذا؟» ولست في حاجة إلى معرفة ذلك، ولم أوهب أن أعرف ذلك من الأساس. ليست لديّ الأدوات اللازمة لمعرفة ذلك.

١٩ - حياتنا ودعوتنا تشبه شيئًا حسنًا الناس في حاجة إليه، يتم من قبل قوة لا يفهمونها. فلنتخيل أن هناك شيئًا ما يتم بناؤه. لا يستطيع الناس فهم طبيعته وسبب بنائه، لكنهم يعرفون أن عليهم أن يحملوا وينقلوا مواد من قبيل: حجر - رمل - جير - خشب - حديد. إن فعل الناس ذلك سيصبح الأمر بالنسبة لهم سهلًا وحسنًا. بعضهم يعرف أن ثمة شيء يتم بناؤه، والبعض لا يعرفون حتى ذلك. البعض كسالى، وبساطة لن يقوموا بما هم في حاجة إليه، ومن ثم تسوء أحوالهم. والبعض يعملون بكد، لكنهم يتحلون بثقة مفرطة في الذات، ويعتقدون أنهم يعرفون الهدف من وراء هذا العمل، وإما أنهم يشحنون المواد إلى وجهة مخالفة، أو أنهم ينخرطون بأنفسهم في تشييد ما هم ليسوا في حاجة إليه.

٢٠ - قرأت بالأمس بعض الكتب الصوفية، ووجدت فيها مواضع حسنة، لكنها غير واضحة، وراودني شعور مزعج حينما فكرت في أن الحال قد يكون كذلك مع كتاباتي أنا أيضًا. كم حركتني الكبرياء! ما

الذي يهم في نظرة الناس إلى ما أكتبه؟ افعل ما يتوجب عليك فعله، ولا تبالِ بآراء الناس.

٢١- تتجلى حياتنا بشكليين: تحرير الروح داخل المرء وسعي الشخصية صوب الكمال - تحرير الروح داخل الكيان الكلي وسعي العالم صوب الكمال.

٢٢- يندهش الكلب من صوت الفونوجراف، ولا يندهش من صوت الإنسان أو من تجلّي الحياة فيه وفي الفيل والجواد والذبابة، فهو يعرف أن هناك كائنات أخرى موجودة ومستقلة كما هو الحال معه.

تدرك الذبابة والقملة ذلك في ما يتعلق بالذباب والقمل، لكنهما لا تدركان ذلك في ما يتعلق بالإنسان. لا يدرك الإنسان ذلك في ما يتعلق بالكرة الأرضية، ولا تدرك الكرة الأرضية ذلك في ما يتعلق بـ... إلخ.

٢٣- تندهش من الأحكام القاطعة التي للأغبياء وعديمي التفكير، ولكن هل يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك؟ مَنْ يفكر، يدرك جيدًا مدى صعوبة الوصول إلى استنتاج عقلي، وغالبًا تساوره الشكوك بشأنه.

٢٤- يزداد اختباري لخير النسيان العظيم أكثر فأكثر.

٢٥- تؤدي خطية إرضاء الجسد إلى خطية التبطل والشهوة الجنسية. خطية الفخر هي خطايا اللا مساواة والكبرياء والشره. كل هذه الخطايا مجتمعة تؤدي إلى الضغينة.

٢٦- هناك رؤيتان للعالم فقط، مترابطتان لكن غير منطقيتين: الجسد موجود والروح وهم - الروح موجودة والجسد وهم.

٨ فبراير.

١- الجسد تجلي الروح. الحركة والجسد شرطان ضروريان للوعي، في غيابهما لم يكن للوعي أن يظهر. دون وعي لم يكن من الممكن أن يكون هناك جسد أو حركة أو مكان أو زمان.

٢- الوعي شرط الانفصال وعدم الكمال والمحدودية. ما هو محدود في الإنسان ليس محدودًا في حد ذاته، وليس في حاجة إلى الوعي.

٣- حسنًا أن أبدأ اليوم بصلاة من أجل أن أقضي اليوم، أو الجزء الذي وُهبَت أن أعيشه منه، في تنفيذ إرادة الله؛ تنفيذ وظيفتي، وأن أنهي اليوم بصلاة أتذكر فيها انحرافاتي وأتوب عنها.

١١ فبراير.

يستحيل بأي طريقة كانت أن تُشرب غيرك رؤية دينية ما للعالم أو تنقلها له. لكل رؤيته. لو لم يكن لكل رؤيته الدينية للعالم، لما عاش أي إنسان. كل ما يمكنك فعله هو أن تعطيه المواد التي شكلت رؤيتك للعالم حتى يأخذ منها ما يشاء، وسيفعل ذلك بنفسه.

١٣ فبراير.

١- لا يتضح الحب الإلهي، أي حبك لله، إلا في حبك للأعداء. إن أردت أن تنال خيرات الحب، أكثر ما أنت في حاجة إليه هو حب الأعداء تحديدًا.

٢- إن فكرت في الحياة داخل نطاق الزمان والمكان، يمكنك أن تتصور أن منع وعي البشر يعود إلى الجزئيات التي تشكل جسد

الواعي، وأن الوعي بكائن واحد منفصل أسمى، يتعامل معنا كما نتعامل مع أجزاء جسدنا يعود إلى وعينا بالكائنات المنفصلة. تبدو لنا النجوم كائنات ضخمة، ولكن لا حدود لعظمتها أو عددها.

من وسط كل هذا الهراء هناك أمر واحد مؤكد ومهم؛ الأمر لا يقتصر على أن هذا العالم الذي نعرفه ونتصوره... نعم، الذي نتصوره بملكاتنا الروحية ليس هو العالم بأكمله، بل هو واحد من عوالم أخرى صغيرة لا نهائية موجودة، ويمكن كذلك أن تتمثل في صور لا نهائية. نستنتج من ذلك أمر واحد؛ ليس العالم الجسدي بأكمله سوى نتاج لجوهرنا الروحي، والمعرفة الحقيقية الملائمة لنا روحية وحسب.

٣- استغرقت طوال الصباح في التفكير في الآتي، ولا أزال: لماذا يتمثل لنا العالم في صورة جارية مستمرة؟ لماذا لم أكن ولن أكون، بينما العالم سيكون ويتغير؟ ثمة إجابة واحدة: لا أعرف.

١٩ فبراير.

أريد أن أقول للجميع إن الحياة بهذه الطريقة مستحيلة، وإننا في حاجة إلى إعادة النظر^(١٣) كما يقول يوحنا في إنجيله. علينا أن نعيد النظر ونفهم أن الحياة في غياب الإيمان مستحيلة، وأن ندرك أننا لسنا في حاجة إلى ابتداع معتقدات جديدة أو تعاليم علمية جديدة لا توضح مغزى الحياة ولا تفعل شيئاً سوى وصف جانب الحياة المادي، وبالتالي لا يمكننا أن نجد فيها أي إرشاد. لسنا في حاجة إلى ذلك، بل يلزمنا أمر

(١٣) الكلمة في الروسية одуматься تحمل معنى: إمعان التفكير أو إعادة النظر، لكنه يشير إلى كلمة μετανοείτε باليونانية، والتي تُرجمت في الأنجيل بالندم أو التوبة.

واحد؛ أن نُنَحِّي كل ما يحجب جوهر إيماننا الحقيقي الذي نعيش في ظله فعلاً. فلننحّ الكذب ونعيش بمقتضى تلك الحقيقة المكشوفة لنا، والتي سنجد أنفسنا مضطرين لقبولها بفعل تجربة مريضة ومرة.

يلزمنا أن نفهم ذلك وحسب؛ لن نجد الحل في برامج الديموقراطيين والأناركيين والاشتراكيين... إلخ. يلزمنا أن نفهم أن هذه التجليات الدينية أحادية النظرة التي يتسم بها زماننا الحاضر، ليس بإمكانها أن تخلصنا من الشر، بل إن كل ما تفعله هي أنها تجعلنا لا نعترف بالحقيقة الدينية في كليتها؛ الحقيقة التي انكشفت منذ فترة طويلة لقلب كل إنسان، كما انكشفت لنا بوضوح وبساطة وقدرة على الإقناع في كافة تعاليم الحياة الدينية، وانكشفت بوضوح وسطوع خاصين في تعاليم المسيح. يلزمنا أن نفهم ذلك وحسب، ونقبل هذه الحقيقة التي مفادها أن حياتنا تنحصر في تجلّي الحب المتزايد تدريجياً؛ الحب الذي يتنافر مع العنف، وأن نفهم أن خير كل فرد وخير الإنسانية جمعاء يتمثل في زيادة قدر هذا الحب في النفس، ويُفعّلها كل فرد منا في حياته وفي تعامله مع الناس، وقبل كل ذلك في تربيّتنا للأجيال القادمة، وأن نجعل هذه الحقيقة أساس كل شيء. على كل إنسان أن يفهم إذن أن الأمر لا يقتصر على أنه ليس لديه أي حق في تنظيم حياة الآخرين، لكنه حتى غير قادر على ذلك. عليه أن يفهم أن عمل كل إنسان هو أن يرتب أمور حياته ويراقبها، مستحثاً بداخله روح ابن الله، وأن يزيد بداخله الحب قبل أي شيء آخر. إن فعل كل إنسان ذلك، لن أقول إن كل بلايا حياتنا سوف تتحول إلى ذلك الخير الذي ينشده قلب كل إنسان؛ وذلك لأن ما

دامت الإنسانية، سيظل أمامها مثال يسعى أفرادها صوبه، لكني سأقول إنه سيحطم ذلك التناقض الصارخ والمؤلم بين متطلبات أرواحنا والشر القائم لحياتنا البهيمية التي تزداد سوءاً.

هذا فقط ما أردت أن أقوله لإخوتي قبل أن أموت.

فكر جيداً في ذلك، قيصرًا كنت أم متسولاً، وأشفق على نفسك...
أشفق على روحك.

بغض النظر إذن عما يصيبك من ارتباك وخدر بسبب مملكتك وسلطتك وثروتك، ومهما شعرت بإنهاك وسخط من جراء احتياجك ومذلتك، فأنت مثلنا جميعاً، مالك، أو بالأحرى مُظهر لروح الله الذي يعيش فيّ، وآمل وأظن، بل إنني متيقن من ذلك، أنه يتحدث فيك كما يتحدث بداخلي قائلاً: لماذا تعذب نفسك وتعذب كل من تتعامل معهم في هذا العالم؟ ما الجدوى من هذا العذاب؟ كل ما عليك هو أن تدرك من أنت، وكيف أن ما تدعوها حياتك الجسدية هي أمر شديد التفاهة - من جانب - وأنت تخطئ حينما تسميها نفسك، ومن جانب آخر، كم هو عظيم وغامض ما تدرك أنه كيانك الروحي! كل ما يلزمك هو أن تفهم ذلك، ومهما كنت، ودون أن تغير وضعك الخارجي، سواء كنت قيصرًا أو بوابًا، موظفًا في دكان أم أستاذًا جامعيًا أم مزارعًا، ابدأ أن تحيا كل ساعة من حياتك لا من أجل أهداف خارجية، بل من أجل تحقيق مهمتك الرئيسة في الحياة، والتي لا يمكنك ألا تدركها. ابدأ العيش، مفترضًا أن هدف وخير حياتك يتمثلان في تحرير الروح أكثر فأكثر بمرور كل ساعة من إغواءات الجسد، وفي تصفية الحب المتزايدة

بداخلك، والأمران في الأساس واحد. ابدأ في فعل ذلك، وستشعر من الساعة الأولى بكم يتدفق في روحك من خير جديد لم تختبره قبلاً؛ خير عجيب يتزايد تدفقاً بداخلك أكثر فأكثر. أكثر ما سيذهلك حينها هو أن تلك الظروف التي كانت تبعث فيك القلق والتي كانت بعيدة تماماً عن رغباتك -سواء ظللت في نفس الظرف الخارجي أم تغير- أصبحت توفر لك كل ما أردته من خير لنفسك.

أخي العزيز، لأجل الله، لأجل روحك، لأجل حياتك، لا تقرر سلفاً أن كل ما أكتبه هنا غير سليم بالضرورة لعدم اتفاه مع المعرفة السامية التي تظن أنك تحوزها. أتوسل إليك بحق كل عزيز لديك أن تقرأ بعناية ما هو مكتوب هنا، وأن تحاول فهمه، وهكذا يجب أن تتعامل دائماً مع أفكار وكلمات أي إنسان آخر، بحيث تفهم الكلمات كما فهمها كاتبها. إن كنت تعيشاً -وأنا أعرف أنك كذلك- ففكر في أن ما يُعرض عليك هنا لم أختلقه بنفسي، بل هو ثمرة الجهود الروحية لأفضل وأسمى عقول وقلوب الإنسانية، وأن المعروض هنا ليست مجرد أفكار وكلمات، بل إنه يُعتبر أصح الوسائل وأكثرها عملية لتُخلص نفسك من تعاستك وتمنحها الخير. ففكر في ذلك واختبره.

٢٠ فبراير.

تصلني باستمرار خطابات تعرب عن شكها ورفضها لمبدأ اللا عنف. يا لخطورة الأمر! لا أحديشك في وصية «لا تقتل» -«لا تسرق»- «لا تكذب»... إلخ، بينما كل هذه المواقف الاستثنائية التي يخلقونها ليردوا بها على مبدأ «اللاعنف» تنطبق عليها كافة المحظورات

والتوجيهات الأخرى. لماذا يحدث ذلك إذن؟ يعود ذلك إلى أن وصية اللا عنف هي وصية الوصايا؛ إنها الوصية التي يجيز عدم الاعتراف بها عدم تنفيذ بقية الوصايا. قلت سابقاً: عشت ٨٠ عاماً ولم أمر أبداً بتلك المواقف الاستثنائية التي يكتبون عنها^(١٤)، ولم أقض يوماً أو ساعة واحدة خلال تلك الأعوام لم أر فيها شناعة الشر الناتج عن عدم تنفيذ هذه الوصية.

٢٢ فبراير.

لأنوتشكا^(١٥): فلتدركي أنك لست أنثى بل إنسان. الأهم أن تدركي أن عملك هو السعي صوب كمال روحك، لا الزواج. بالتالي، إن لم ينجح الزواج أو أخطأ أو تعثر، لا تيأسي، ليس ذلك وحسب، ولكن اعلمي أن حياتك وخيرك في إصلاح هذا الخطأ. إن أصبحت أنثى، فلتكوني إذن إنساناً، لن أقول أسمى، بل أكثر إنسانية من الحيوان.

٢٤ فبراير.

١ - إن شكوت من صنوف المعاناة؛ المادية منها والروحية، فإنك تشكو من الحياة. إن صنوف المعاناة هي احتكاك بالحياة، في غيابه لم يكن للحياة أن توجد من الأساس، ولما كان هناك جوهر للحياة؛ الذي هو تحرير الروح من أسر الجسد وأخطائه وصنوف المعاناة الناجمة عنه. قدر قليل من المعاناة هو تحرك بطيء صوب هذا التحرير، أما إن كانت

(١٤) المهاجمون لمبدأ اللا عنف كانوا يرسلون مواقف متخيلة يدحضون بها المبدأ مثل مجرم يوشك على قتل ابنتك.

(١٥) حفيذة تولستوي "آنا".

المعاناة شديدة، جسدية كانت أم روحية، فهي بذلك تكون بمثابة حركة أسرع صوب التحرير. رغم ذلك نشكو من صنوف المعاناة! فلتدرك ذلك وسترى خيراً في صنوف المعاناة، ولن تعود هناك معاناة بالنسبة لك، كما هو الأمر مع العامل الذي اعتاد العمل الشاق.

٢- ماذا أتذكر من الماضي؟ أتذكر كل ما دَعَمَ تحرري، سواء من الأحداث أو الناس. كل شيء آخر نسيته. ما الذي يمكنه أن يكون دليلاً آخر على أن الحياة بمثابة عملية تحرير؟

٣- قانون الله الحقيقي هو ما يُوحّد الناس، أما الزائف فيُفرّق الناس.

١٠ مارس.

لم أدوّن يومياتي منذ شهر تقريباً. انشغلت في تلك الفترة بمقالاتي. لا يتقدم العمل فيها لكنني لا أريد أن أتركها. أما العمل الداخلي، حمداً لله، يمضي دون توقف، ويزداد تحسناً. أريد أن أكتب عما يحدث بداخلي، وكيف يحدث ما لم أحكِ لأحد عنه، وما لا يعرف أحد عنه شيئاً. وصلني الكثير من الخطابات والزوار. لم يحدث شيء ذو أهمية خاصة. يدبرون احتفالاً بعيد ميلادي^(١٦)، وقد شق عليّ ذلك على نحو مضاعف: لأنه إطراء أحمق ومزعج، ولأنني بحكم عادتي القديمة أجدني قد انزلت إلى وضع يبعث اهتمامي ولا يبعث رضائي. هذا أمر منفرد لي. جاء تشير تكوف. كنت في حالة جيدة جداً معه. مرضت منذ أسبوع،

(١٦) بمناسبة بلوغ تولستوي الثمانين.

وأصبت بإغماءة، وقد جعلني ذلك أشعر أنني بخير تمامًا، لكنهم أثاروا ضجيجًا من حولي بسبب ذلك. بالأمس قرأت مقالة فاتنة لأحد الهنود بترجمة ناجيفين^(١٧). إنني لا أُعبر عن أفكارني بالوضوح الكافي.

أعيش على النحو الآتي: أنهض بذهن صافٍ، وتراودني أفكار جيدة، فأجلس على المبولة وأدونها. أرتدي ثيابي، ثم أنظف المبولة بصعوبة، ولكن برضى. أخرج لأتنزه. أثناء التنزه أنتظر وصول البريد الذي لا أحتاجه، لكنني أفعل ذلك بحكم العادة. كثيرًا ما أشغل نفسي بأحجية من قبيل: كم خطوة تلزمني للوصول إلى مكان ما، وأحصي هذه الخطوات، مقسمًا كل منها إلى ٤، ٦، ٨ أنفاس: خطوة ونفس فالثاني فالثالث، ثم خطوة أخرى ونفس فالثاني فالثالث... أحيانًا بدافع من عادتي القديمة أجد نفسي منجذبًا إلى افتراض أنني إن خمنت عدد الخطوات الصحيحة سيكون كل شيء على ما يرام. لكنني أسأل نفسي الآن: ما الحسن؟ وأدرك أن كل شيء حسن جدًّا، وأنه لا يوجد ما أخمنه. أثناء لقائي بعدها بالناس، أحاول تذكر ما أردت تذكره، رغم أنني أنسى معظمه؛ أقصد تذكر أنني ومَن ألتقيه واحد. تزداد صعوبة تذكر ذلك أثناء الحوار. ثم ينبج الكلب بيلكا، ويحول بيني والتفكير؛ فأغضب، ثم أوبخ نفسي على غضبي. أوبخ نفسي على غضبي مَن تعثري بقصة. نسيت أيضًا أن أقول إنني أثناء اغتسالي وارتدائي لثيابي أتذكر فقر القرية، وأنألم من ترفي وثيابي وعادة الحفاظ على نظافتي. حين أعود من نزعتي أبدأ في كتابة الخطابات. تغضبني الخطابات التي تطلب مني

(١٧) مقالة بعنوان (الله والإنسان) لسوامي فيفيكاناندا.

صدقة. صحيح أنني أتذكر بعد ذلك أنهم جميعاً إخوة وأخوات لي، لكنني تأخر في ذلك. يثقلني المديح. أُسر فقط عندما أقرأ تعبيرات عن الوحدة. أقرأ جريدة «روسيا». أشعر بالهلع من قراءة أحكام الإعدام، ومن فرط خزيي أجد عيني تبحث تلقائياً عن: ت - ل. ت^(١٨)، لكنني عندما أجد هذه الحروف أشعر بالانزعاج. أشرب القهوة. كثيراً ما أفرط في شربها، ثم أجلس لكتابة الخطابات.

سأواصل وصف يومي في وقت ما، أما الآن سأتوقف.

٢١ مارس.

كنت مريضاً طوال الوقت... لا، ليس طوال الوقت بل لمدة خمسة أيام، لكنني لا أزال في حالة روحية جيدة جداً. يوم أمس شعرت بضعف شديد. نمت اليوم حتى التاسعة، وبالرغم من اعتلالي انخرطت في كتابة مقالة على نحو جيد جداً. اتضح كل ما كان غامضاً، وفكرت أثناء نزهتي، ويبدو كل شيء واضحاً لي الآن، وسأنهي المقالة. انخرطت في الفترة الأخيرة في العمل على كتابة (دورة قراءات جديدة). جوسيف يساعدني في العمل على نحو رائع من فرط لطفه، كما أعمل أيضاً على أناجيل الأطفال المحببة التي دفعته العزيرة ماريا ألكسندروفنا إلى العمل فيها، وهو الاسم الذي أطلقناه معاً على هذا العمل. سررت بالعمل في هذا وذاك، خاصة في الأخير. بدأت أنشغل بالعمل في أناجيل الأطفال طوال فترات الصباح، لكنني أهمل العمل كثيراً.

(١٨) اختصارات اسمه: ليف تولستوي.

انزعجت في هذه الفترة من التحضيرات للاحتفال بعيد ميلادي... لست أنا مَنْ انشغلت به، فكل ما انشغلت به شخصيًا هو محاولة منع هذا الاحتفال. بخصوص ذلك وصلني الآن خطاب يوبخني. أريد أن أحقق رغبتى ككاتب؛ أن أرسل شيئًا إلى صحيفة وأستغل فرصة أن أعبّر عن آرائى بوضوح وتحدد. هذا هو الأمر وحسب. ساشا تنسخ بعض المقاطع من دفتر أفكارى. سأنسخ أنا أيضًا بعض المقاطع.

١ - ما يهم في المعرفة ليس قدرها ولا حتى مدى دقتها، فلا وجود لمعارف كاملة الدقة، ولن يحدث ذلك أبدًا، ولكن ما يهم هو الرابطة العقلية فيها، بحيث تكون قادرة على إنارة العالم من كافة الجوانب. الأمر ذاته مع المباني. قد يكون البناء شديد الفخامة أو العكس: القصر الشتوي^(١٩) مثلًا وكوخ فقير، ولكن كلاهما يبدو منطقيًا إن صانا سكانهما تمامًا من سوء الطقس، ومنحاطنهما إمكانية العيش فيهما شتاءً وصيفًا. أما إن كان لدينا أفخم ثلاث حوائط دون حائط رابع، أو أربعة حوائط دون سقف أو من دون نوافذ وموقد، سيكون الأمر أسوأ كثيرًا من كوخ فقير يمكن للمرء أن يستتر فيه، دون أن يختنق أو يتجمد. كذلك هو الأمر في المعارف العلمية الحالية إن قورنت بمعارف الفلاح الجاهل. يجب أن تكون هذه الحقيقة أساسًا للتربية. يجب أن يكون توسيع المعارف متعادلًا.

(١٩) قصر يقع بسان بطرسبرج، كان المقر الرسمي لإقامة قيصرية روسيا منذ عام ١٧٣٢ حتى سقوط الحكم القيصري عام ١٩١٧.

٢١ مارس.

١- لا تعود صعوبة تفسير الحياة إلى صعوبة تفسير أصل الجوهر الروحي، بل إلى صعوبة توضيح تشابه التمثلات الجسدية.

٢- يبدو العالم بأكمله بالنسبة لي؛ بالنسبة للإنسان الرائي كالآتي: أرى كل شيء، ولا ألمس وأسمع وأشم إلا عندما لا أصدق عيني. بالنسبة للكلب، يتمثل العالم كله في حاسة الشم، وبفحصه للرائحة يصل إلى ما نصل إليه بالرؤية. ينبج الكلب على شيء مرئي لا يستطيع تشممه، وهذا ما أفعله عندما أبحث بعيني عن مصدر رائحة كريهة لا أراه.

٣- يستحيل أن يتخلى المرء بشكل كامل عن مديح الناس. لا بأس برغبة المرء في نيل الاستحسان باتباعه للمسيح.

٢٣ مارس.

لو كان من المعروف لنا أن الموت يعمل على تدهور وضعنا الشديد، لكانت الحياة في ضوء الموت الحتمي مريعة حقًا. أما إن كنّا متيقنين من أن الموت يُحسن أوضاعنا لما ألقينا بالأل للحياة.

«قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ» (يوحنا ٨: ٥٨) يمكن لكل إنسان أن يقول تلك العبارة. كل يدرك حياته دون بداية لها، وإن لم يكن لها بداية، لن يكون لها نهاية إذن.

شعرت بقوة بخفية وإغواء الكتابة. شعرت بذلك في الآخرين، وطبقت ذلك عن وعي على نفسي.

أنا في حاجة لأمرين: الحب والحقيقة. عرفت الأول، وعليّ أن

أعمل من أجل الثاني. لا... أنا في حاجة لثلاثة أمور: ضبط النفس والحقيقة والحب.

حسنًا أن يسعى المرء بوعي صوب الاتحاد بالله.

كما أن الأباطرة على قناعة بنفع النظام الملكي، والرؤساء بنفع النظام الجمهوري، والرأسماليين بضرورة رأس المال، والأساتذة الجامعيين والصيدلة بضرورة الطب، كذلك هم جميعًا على قناعة بضرورة مقاومة الشر بالعنف.

يمكن تصوير قانون الحياة على نحو رائع بأصابع القفاز: إن فصلتها متخيلاً أنك بذلك ستزيد من دفء كل إصبع على حدة، ستشعر أصابعك جميعًا بالبرودة، وكلما انفصل أصبع من القفاز ازداد شعورك بالبرودة، أما إن حنيت أصابعك جميعًا ووحدتها، ستشعر أنك بخير.

انظر إلى الصبي، كيف يتجول في القرية ويغيب الكلاب عن عمد، فتحيط به وتنبح عليه، فيبعدها عنه بالتلويح بعصاه. إن قلت له: لماذا تغيب الكلاب؟ سيقول لك: إني لا أغيظها بل أبعدها عني.

عندما تقوم بعمل الله، لن تدرك أنك تقوم به.

حسنًا أن أعرف أن كل ما أفعله، أفعله من أجل الله وحسب، وأن شيئًا لا يستطيع أن يحول بيني وفعل ذلك.

١ - الحياة كلها بمثابة تحرر -واعٍ وغير واعٍ- من شهوات الجسد والحياة الجسدية. الموت هو التحرر الكامل. كيف أخشاه إذن ولا أنشدته! يصعب ألا أنشدته!

الخوف منه وعدم نشدانه غير ممكن إلا عندما لا تفهم ولا تدرك أنك الروحية؛ الأننا غير الجسدية الموجودة في العجوز والطفل وحتى في الحيوان على السواء.

٢- يقولون: ”الحياة بأكملها عبارة عن عمليات مادية، وهي تطور الكائنات وارتباطها معاً“. حسناً ولكن ما طبيعة ذلك الكيان المنفصل إذن ووعي كل كيان بانفصاله (استقلاله)؟ إن كانت المادة وحدها موجودة، فلا بد إذن أن تكون واحدة غير منقسمة. ماذا يعني أن نقول إن بعض مركبات المادة تدرك انفصالها (استقلاليتها) عن بقية المواد؟ هل ينشأ هذا الانفصال أم لا؟ وما طبيعة الوعي بهذا الانفصال؟ لكنهم يتجاهلون هذه الظاهرة المدهشة ويعترفون بها دون تفسير بينما يتلخص الأمر كله في ذلك تحديداً، وهم لا يقدمون أي تفسيرات له.

٢٤ مارس.

١- يستحيل ألا نرى وجه التشابه بين النوم واليقظة من جهة، والموت والولادة من جهة أخرى. كما نفقد بالنوم رابطة وعينا الماضي باليقظة ويُستبدل به وعي جديد في الحلم، كذلك يجب أن يكون الأمر مع الموت. كما نكتسب مع اليقظة وعياً جديداً، كذلك يجب أن يكون الأمر مع الولادة.

ثمة فكرة هنا لا أستطيع شرحها.

٢٥ مارس.

يتمثل التشابه الرئيس في العلاقة بالزمن في الآتي: كما أن الزمان

غائب في النوم، كذلك هو في اليقظة، لكننا نتصوره وحسب، ولا يمكننا إلا أن نتصوره. أستعيد إلى ذاكرتي حلمًا طويلًا متماسكًا ينتهي بإطلاق نار وأستيقظ. لقد كان صوت الطلقة عائدًا إلى صوت اصطكاك النافذة إثر الريح. كنت بحاجة إلى الزمن عند تذكري لأحداث الحلم، إذ كان من الضروري ترتيب انطباعات الحلم بعد اليقظة. كذلك هو الأمر مع ذكرياتي عن أحداث حدثت أثناء اليقظة. إن حياتي بأكملها في الحاضر، لكنني عندما أستعيدها إلى ذاكرتي، أو بالأحرى عندما أعيها، لا يمكنني ألا أتصورها داخل نطاق الزمن. أنا كيان واحد يعيش في الحاضر، طفل وزوج وشيخ. كل ما في الأمر أنني غير قادر على إدراك ذلك خارج نطاق الزمن.

أسأل نفسي: لماذا ذلك؟ تراودني الإجابة من تلقاء نفسها: حتى تكون لديّ فرصة نيل خير الحياة. إن كنت خارج نطاق الزمان والمكان، لما كنتُ ولما كان خيري، ولما كانت لديّ إمكانية أن أحيًا وفقًا لإرادتي... إنها وإرادة الله واحد، حيث أن الله يعيش فيّ. أنا أفهم ما أريد قوله.

ما إن أستيقظ إثر صوت اصطكاك النافذة، حتى أعرف أن حلمي كان وهمًا، كما أدرك ذلك عند اقتراب الموت بالنسبة لكافة أحداث العالم التي بدت لي واقعًا.

٢- أدركت للمرة الأولى من سيربوجا، وربما من أمه كذلك، أن هناك أناس محرومين دائمًا - أو إلى حين - من الاهتمام والفهم الديني الميتافيزيقي، وأنت تغضب منهم بسبب ذلك! ما إن تفهم أن هذه إحدى

سمات روحهم حتى تقبل الأمر ببسر.

٢٧ مارس.

حياتي تجلّ لله. كلما زدت من تجلي الله بداخلي اختبرت قدرًا أكبر من الخير (حرية ووعيًا بالفضيلة). الخير الذي أناله ليس هدفًا في حد ذاته، بل هو دلالة على تنفيذ وظيفتي.

١٠ إبريل.

راودتني أحلام. أنا بخير مع الجميع. منهمك طوال الوقت في كتابة المقالة، والعمل يتقدم.

١٢ إبريل.

بالنسبة لصحتي: حالة معدتي شديدة السوء. لا أنام، كما أنني في حالة معنوية سيئة، أنجح في مناضلتها بدرجة أو بأخرى. أريد أن أدوّن بعض الأفكار الآن:

١- لو عرف الرجال كافة النساء معرفتهم لزوجاتهم، لما جادلوهن، ولما قدروا آراءهنَّ أبدًا.

٢- لا يتخلى العامل الجيد عن عمله إن عرف أن أحدًا لن يراه وأنه لن ينال مكافأة عليه. كذلك هو الأمر مع الحياة حتى لحظاتها الأخيرة قبل الموت.

١٩ إبريل.

حالي الصحية أفضل. العمل يتقدم في المقالة، لكنها ضعيفة. عليّ تدوين الكثير. سأدون الآن الأفكار الآتية، وهي جيدة جدًا:

١ - العلامة الأكيدة على أن كل نشاطي محض هراء هو أنني لم أضطهد، بل أمتدح. حسنًا أن أفهم ذلك لأنواضع.

أشعر بضيق شديد من هذا الإحسان الظاهري الغبي المقترن بجنون حياتي المترفة.

جاء سيميونوف^(٢٠). لم يستعد بعد. هناك أمور جيدة كثيرة تحدث في تعاملتي مع الناس لا أريد ذكرها.

٢٨ إبريل.

يحاولون بكذ أن يعالجوني. جاء شوروفسكي^(٢١). يعمل بحمية شديدة، لكنه مثل الآخرين يريد أن يعرف، ويصدق أنه يعرف، لكنه لا يعرف شيئًا. شعرت أنني لست بخير لعدة أيام، أو بالأحرى طوال الفترة الماضية. يبدو أنني أنهيت المقالة بالأمس. بينما أنا مستلقٍ على الفراش صباح اليوم، اختبرت شعورًا لم أختبره منذ فترة طويلة؛ شعورًا بالشك في كل شيء. في نهاية الأمر يبقى أمر واحد: الفضيلة والحب... هذا الخير الذي لا يمكن لأحد أن ينتزعه منك. وصلني بالأمس خطاب مفصل مليء بالتقريع من شاب ماركسي^(٢٢)، وقد شعرت بالضيق... يا للخزي! لا يزال أمامي طريق طويل كي أحيي من أجل الروح (الله)

(٢٠) خريج جامعة بطرسبرج، وهو شاعر شاب سُجن بسبب نشاطه الثوري، وفي السجن قرأ الأناجيل وتأثر بها بشدة. حكى لتولستوي قصة عن أحكام الإعدامات تأثر بها الأخير بشدة. انتهى الأمر به بسبب آرائه الجديدة عن رفض الخدمة العسكرية إلى الحجز في مستشفيات الأمراض العقلية.

(٢١) طبيب يعرف لتولستوي من زمن بعيد، وهو الطبيب الذي سيأتيه عند فراش الموت.

(٢٢) فلاح شاب كان قد زاره مؤخرًا، وامتلاً الخطاب بالتقريع على ما وصفه بحياة الترف التي يحياها تولستوي مما يتناقض مع مبادئه.

وحسب، ولا أزال أنزعج من مديح الناس. نعم... كما قال باسكال^(٢٣) بالأمس: هناك خير واحد حقيقي، لا يمكن لأحد أن ينتزعه منك أو يمنحك إياه. ليتني أناله وأعيش من أجله!

٦ مايو.

مشغول طوال الوقت بالمقالة. كرّست حوالي أربعة أيام لأستعيد ذكرياتي عن الجندي من أجل بوشا^(٢٤). إنها ذكريات ليست بالغة السوء لكنها تحريضية. لم تصلني خطابات اليوم، وتحدثنا مجددًا عن حقوق نشر أعماله بعد موتي. يصعب عليّ احتمال ذلك. دوّنت الكثير من الأفكار في دفاتري، وأريد الآن أن أكتب الآتي:

١- أدركت الآن للمرة الأولى بوضوح كامل أثناء تنزهي مدى نفع ما أنال من إدانات وتوبيخات وخزي من الناس. أدركت كيف يدفعني ذلك إلى داخل نفسي، هذا إن كان بداخلي من الأساس بقعة لا توجه صوبها. إنه أمر حسن ومرغوب فيه.

٢- أن تموت يعني أن تمضي إلى من حيث أتيت. ماذا هناك؟ لا بد أنه حسن، ويمكننا الاستدلال على ذلك من رؤيتنا للأطفال الفاتنين الذين يأتون من هناك.

(٢٣) يقصد مقولة باسكال في كتابه (من أفكار الحكماء) بتاريخ الأمس.

(٢٤) كان بوشا يكتب قصة حياة تولستوي، والحادث المقصود ذُكر في نهاية الجزء الثاني من اليوميات. في عام ١٨٦٦ تولى تولستوي الدفاع في محكمة عسكرية عن الجندي فاسيلي شابونين المتهم بضرب أحد الضباط. حُكِم على الجندي بالإعدام. في عام ١٨٨٩ أرسل أحد شهود الدفاع لتولستوي جزءًا مدوّنًا من الدفاع الذي قام به تولستوي لصالح الجندي، نشره تولستوي بعد ذلك بعد التنقيح.

١٢ مايو.

حدث معي اليوم أمر جديد غير عادي، لا أعرف ما إن كان حسنًا أم سيئًا. لا بد أنه حسن لأن كل ما كان وما يكون وما سيكون هو حسن. حدث أن استيقظت شاعرًا بألم خفيف بالرأس، وشعرت كما لو أنني نسيت كل شيء: كم الساعة؟ ماذا أكتب؟ إلى أين أمضي؟ ولكن أمر عجيب! شعرت مع ذلك بحساسية شديدة صوب الخير؛ رأيت صبيًا نائمًا على الأرض، فشعرت بالأسف. رأيت الفلاحات يعملن فشعرت بخزي شديد. لم أنزعج من المتسولين، بل بالأسف. هكذا يبدو أن الأمر لا يمضي نحو الأسوأ مطلقًا، بل صوب الأفضل.

قرأت بعض المواضع من مقالتي (قانون العنف وقانون الحب) وأعجبني، وأنهيتها. بالأمس عذبتني الضيق من الأخبار التي وصلتني عن شفق عشرين فلاحًا^(٢٥). بدأت أسجل على الفونوجراف^(٢٦) لكنني لم أستطع الاستمرار. يا سيدي... يا جوهر الحياة، أنت المجهول غير المدرك، لكن وجودك فعال ومحسوس. من الغباء أن أقول لك: أشكرك، لكنني لا أستطيع أن أعبر عن فرحتي الرقيقة بالوجود بشكل آخر. لا أستطيع المزيد.

أنشد عندليب أسفل نافذتي فشعرت بسرور حد البكاء. تذكرت

(٢٥) تم شفق عشرين فلاحًا بقرار محكمة عسكرية إثر هجومهم على مقاطعة أحد السادة بهدف السرقة.

(٢٦) الفونوجراف أو جرامافون. هو أول جهاز استخدم لتسجيل واستعادة الصوت اخترعه الأمريكي توماس إديسون في عام ١٨٧٧.

لتوي وحسب أنني نسيت أن أصلي أثناء نزهتي اليوم قبل تناول الشاي.
نسيت كل شيء. أمر مدهش أنني أقرأ الآن خطابي لأناتولي
فيودوروفيتش^(٢٧)، ولا أتذكر حتى من هو!

١٤ مايو.

أصلي هكذا: أشكرك يا سيدي لأنك كشفت لي أنني يمكن أن
أعيش بك. لا أريد - ولا أستطيع - أن أعيش حياة أخرى.

يوم أمس: ١٣ مايو، كتبت بياناً أو كشفًا - لا أعرف ماذا أسميه تحديدًا
- عن أحكام الإعدام، وآخر عن مولوتشنيكوف^(٢٨). يبدو أن ذلك كان
ضروريًا. جاء مورافيوف^(٢٩)، وحكى لي أمورًا مؤلمة كثيرة. بالأمس
جاء ابناي أندريه وميخائيل. يثيران الأسف بشدة، كما أنهما بعيدان عني
جداً. جاءت ساشا. تمشيت وفكرت على نحو جيد. كم هي مدهشة
بساطة مفتاح حل لغز الحياة! إن حياة الشخصية: ليف أو بيوتر أو إيفان
هي محض ضلالة غبية. يعيش الله بداخلي، وأنا عضو في كيانه. يعيش الله
في الجميع، لكن ليس جميعهم يعرفونه. نعم... تعيش روحي حالة رائعة.
٢٧ مارس^(٣٠).

١ - ليتني أتذكر دومًا أن العمل الرئيس - بل والوحيد - في حياتي

(٢٧) كوني، الذي أمد تولستوي بتفاصيل رواية (البعث).

(٢٨) تم القبض عليه بسبب توزيعه لأعمال محظورة لتولستوي.

(٢٩) محام من موسكو، وهو الذي سيساعد تولستوي بعد ذلك في كتابة وصيته، وقد أخبره حينها بتفاصيل عن المحاكمات السياسية التي شارك فيها في الدفاع عن المتهمين.

(٣٠) هناك خطأ في ترتيب تواريخ اليوميات، لذا فهو كذلك في الأصل لا من قبل المترجم.

هو التحرر من أسر الظلمة (الشر) التي تحجب الله عني، وأن العمل الرئيس ليس بأي حال هو سعادتي أو نجاحي أو استحسان الناس لأعمالي.

٢- كم هو حسن أنني فهمت اليوم أن أناً مثل سيريوجا وصوفيا وحشود كثيرة غيرهم لا يتفقون معي، ليس بسبب أنهم يدحضون -أو يظنون أنهم يدحضون- ما وصلت إليه كما ظننت سابقاً، ولكن بسبب أن كل هذا لا يثير اهتمامهم، وهم لا يعرفون -ولا يستطيعون أن يعرفوا- كل ما يتعلق بمسائل الدين. أن أفهم ذلك متأخراً أفضل من ألا أفهمه على الإطلاق

٣- عندما تتجلى إلهية أرواحنا لا يمكننا أن ندرك بأي طريقة شكل هذا التجلي؛ ولا نعرف ما الذي سيكون له أكبر أثر: أهي كلمة طيبة لإنسان غبي أساء إلينا أم نسق فلسفي كامل.

٤- للمقالة: ولكن ما العمل؟ هذا السؤال لا يناسب سوى غير المتدينين. يعرف المتدينون ما العمل؛ أن يؤسسوا بداخلهم ملكوت الله وألا يبالوا بآراء الناس. بلية غير المتدينين هي أنهم يعلمون الآخرين.

٣١ مارس.

اعتقدت سابقاً أن العقل (ملكة الفهم) هو السمة الرئيسة للروح الإنسانية. كنت مخطئاً في ذلك، وقد شعرت بخطئي بصورة غامضة. ليس العقل سوى أداة لتحرير وتجلي جوهر الروح؛ الحب. هذه فكرة شديدة الأهمية.

٢- للمقالة: أعلم أنني لن أرى نتائج بياني، لكنني متيقن - تيقني من الموت - أنه سيحقق بعض النتائج. لن تتعلق النتائج بأن يتحقق نظام ما للحياة توقعته وأرغب فيه، بل بالقضاء على هذا الجنون أو الشر الذي يعيش فيه الآن البشر في عالمنا المسيحي. أنا متيقن أن هذا سيحدث لا محالة يقيني بالموت.

١ إبريل.

١- يشكل الآتي حركة الحياة الجوهرية الحقيقية: لا يمكن أن نتعامل مع التحرير الذي يجلبه إلينا الله (الحب) بوصفه نومًا. عندما تنام، لا تدرك أنك نائم. قد ترغب في النوم، وتذكرك لذلك تعرف أنك نمت، ولكن لا يمكنك أن تدرك تحقق رغبتك كما تدرك تحقق رغباتك الجسدية.

هكذا هو الأمر مع التنوير، بمعنى التحرر من الظلمة التي تحجب عنا الله (الحب)، بمعنى السعي صوب الكمال.

٢- لا يمكنني أن أدرك في داخلي حركة الحياة الحقيقية؛ لأنني لست مُحَدِّثُهَا، بل هو الكيان الكلي الذي يعيش بداخلي.

٢ إبريل.

مرحلة دنيئة هي الحياة من أجل شهوات الجسد وإرضائه. المرحلة التالية هي العيش من أجل نيل استحسان الناس. الثالثة من أجل نيل مكافأة من الله الموجود خارج كيانك. الرابعة والتي لا أعرف أسمى منها هي الحياة لا من أجل أي شيء سوى إرضاء الله الذي بداخلك.

٣ إبريل.

١ - للمقالة: لا أحد يعذبنا، نحن من نعذب أنفسنا. ليس على المستوى الجسدي وحسب، بل على المستوى الروحي كذلك. أمثلة: الفودكا - تدمير الكوميونات - الخرافة - الإلحاد - الثورة.

٢ - كما أنك لا تلاحظ كيف نمت، كذلك لا تلاحظ متى ولدت. وكما هو الأمر في النوم، كذلك في الحياة حيث أبدأ تدريجياً في تصديق وجود كل ما يتمثل لي منفصلاً عن الكيان الكلي. وكما في النوم أيضاً، يقل تصديقك رويداً رويداً، وفي النهاية تستيقظ؛ تفقد هذه الشخصية التي عشتها في الحلم، وتدخل إلى تلك الحالة التي كنت فيها قبل النوم، لا في تلك الحالة، بل في حالة أسمى منها حيث تهرم وتزداد إدراكاً ونضجاً.

٤ إبريل.

تقوم المرأة بعمل مهم؛ تنجب الأطفال، لكنها لا تنجب الأفكار، فهذا ما يفعله الرجل. إنها تتبع ما يقدمه الرجل وما نشره بالفعل، ومن ثم تزيد نشره. أما الرجل فيربي الأطفال وحسب، لكنه لا ينجبهم.

٦ إبريل.

١ - ليست حياة كل منا في نظام أو آخر، ولا في الخير الشخصي، بل في الخير العام. لا يتحقق الخير العام بتطبيق نظام معين بالمجادات والغضب والعنف؛ بل بالحب وحده. ما يهم هو أن الأمر ممكن وفي نطاق سلطتي، بل إنه من سمات طبيعتي، أما ما يتعلق بتطبيق نظام معين فهو أمر خارج نطاق سلطتي ومناقض لطبيعتي.

٢- للمقالة: لن يحدث ذلك أبدًا.

في وقت ما لم تكن هناك دول، بل كانت الشعوب تدير أمورها بنفسها. لماذا نظن إذن أن الدول ستستمر إلى الأبد؟ كل منا رضع من ثدي ذات يوم ثم لعب بدمية وبعدها تعلم ثم تزوج، وعمل وربى أطفاله ثم شاخ وازداد حكمة وترك ما فات... إلخ.

٧ إبريل.

لا يستبعد الإيمان بالحب كأسمى قانون في الحياة أي مسرات منها. يمكن للإنسان أن يلعب ويرقص ويفعل أي شيء طالما لا يخالف الحب.

٩ إبريل.

أدرك في نفسي قوة الحياة، وهي قوة أدركها في الجميع، وتتضح بصورة خاصة في أكثر الكائنات شبيهاً بي. هذه القوة يدعونها «الله». قد يحدث أن أعيش بهذه القوة دون أن أدركها، وقد يحدث أن أدركها وأعيش بها. يتلخص الفارق بين الحياتين في أنني في ظل الأولى أعيش حياة محدودة، محاطاً بكائنات تكن لي العداء، بينما أعيش في ظل الثانية حياة أخرى بالإضافة إلى تلك الحياة المحدودة، تحيط بي فيها كائنات أجدها جميعاً متجانسة وقريبة مني، وأزداد إدراكاً لها بالحب أكثر فأكثر.

٢- للمقالة:

ولكنكم أيها الشعب العامل لا تنتفعون من شيء، فلماذا ذلك؟

يحدث لكم ذلك بسبب غياب الإيمان. لهذا تعذبون أنفسكم، ولهذا تدعون. لن تتحرروا وتحرروا الآخرين إلا إذا سلكتم من أجل الله وحده، لا بهدف الكسب أو بدافع من الحسد أو الضغينة؛ إذا سلكتم بحسب ضمائركم، من أجل الفضيلة، كما سلك أولئك الذين أكتب عنهم.

١٢ إبريل.

١- إن كان العامل جيدًا، ولم يرَ نتيجة عمله ولا استخدامه، وعلم أنه لن ينال مكافأة إن نفذه، ولن يُعاقب إن لم يقم به، سيقوم به في كل الأحوال بالرغم من ذلك. عملي هو حياتي، وهي تكتمل دائمًا باللمسة الأخيرة؛ الموت. اجعلها حسنة إذن.

٢- يقول المسيح: «تعالوا إليّ...»^(٣١) وأنا أعتقد أنه يحسن بالجميع اتباع هذه النصيحة؛ السعداء وغير والتعساء، وخاصة النوع الثاني.

٣- الدين هو معرفة إرادة الله، والاتجاه العام للطريق المنشود.

١٤ إبريل.

الخلاص في استيعاب الدين. أما اختراع الدين فهو أمر مستحيل. كل ما يمكنك فعله هو قبول ما انكشف لك وما دُعيت إليه.

١٧ إبريل.

عونك يا سيدي لأتخلص مني، فتعيش بداخلي، وتخللني فلا أعود سوى تجل لك.

(٣١) «تَعَالُوا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعِبِينَ وَالثَّقِيلِي الْأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ». متى ١١: ٢٨.

١٩ إبريل.

عونك يا أبي. طهرني روحياً لتعيش فيّ وأعيش بك.

٢٠ إبريل.

كتبت ذلك بشكل ما في بداية العام: فكرت طوال الصباح في الآتي: لماذا يتمثل لنا العالم في صورة جارية مستمرة. لديّ الآن إجابة نوعاً ما. الحياة هي نمو الوعي، وفي هذا النمو أيضاً خير الحياة. لا يمكن أن يحدث النمو في هذا العالم إلا داخل نطاق الزمان والمكان. أقول: «في هذا العالم»؛ لأن الحياة من حيث كونها وعياً يمكن أن تنمو إلى لا نهاية في طريق الاقتراب من الله (النيرفانا)، وفي هذا الاقتراب يمكن أن تمر عوالم، أي أوضاع تعتمد الحدود. لذا لا يمكن للنمو أن يتم خارج نطاق الزمان والمكان.

صياغة غير واضحة، ولكن هناك فكرة فعلاً هنا.

٢١ إبريل.

١ - أريد أن أعيش بالله، لا بأناي الجسدية المدعوة ليف تولستوي. ماذا يعني ذلك؟ يعني أنني أريد أن أستبدل بوعي ليف تولستوي ووعي الإنسانية جمعاء، بل وحتى كافة الحيوانات. أطلق على هذا الوعي «الله»، لكن هذا الوعي لا يشكل الكيان الكلي، ليس هو الله بكامله، بل هو أحد تجلياته التي يمكنني بلوغها وحسب. (جيد).

٢ - ينشأ المكان والزمان، الجسد والشكل عن عدم قدرتي على معرفة كل شيء كما هو حقاً. لا يمكنني أن أدرك سوى المتحرك والمنفصل. كما أنني غير قادر على إدراك الكرة إلا عندما تدور متوجهة

صوبي بكاملها، كذلك لا يمكنني أن أدرك الناس والحيوانات والنباتات إلا إن كانت متحركة منفصلة. الحركة منبع الزمن والمكان، أما الانفصال فهو منبع الجسد والشكل.

ثمة فكرة هنا، لكنها غير واضحة.

٢٢ إبريل.

ولكن ماذا سوف يحدث؟ منبع هذا السؤال هو أننا قد تعودنا على خرافة أننا ننظم شؤون حياتنا. هل نجحنا عندما حاولنا فعل ذلك سابقاً؟ مع كل ما نبذله من جهود لا تترتب الحياة كيفما نشاء ونتصور.

٤- ولكن ماذا سوف يصيبني إن امتنعت عن المقاومة وحدي، وسط أولئك المقاومين والأشرار؟ نعود ثانية إلى الخرافة. تارة تتعلق الخرافة بتنظيم حياة الآخرين وتارة بتنظيم كل منا لحياته. لا يمكننا أن نعرف أبداً ماذا سوف يحدث لحياتنا العامة والخارجية. إن إمكانية الموت في كل ساعة تجعل هذا مستحيلاً. أدرك جيداً أن تنظيم شؤون حياتي الخارجية لن يمضي كيفما أشاء. هناك أمر واحد داخل نطاق سلطاني فيما يتعلق بهذا الأمر: التغيير الداخلي؛ الاقتراب المتزايد من الكمال الأخلاقي، وهذا وحده ما أنا في حاجة إليه، وبالتالي فإن التغيير الرئيس في حياتي دائماً داخل نطاق سلطاني.

يا لها من ضلالة تأسر أولئك الذين يذلون كافة قواهم من أجل تغيير الحياة الخارجة عن نطاق سلطانهم؛ تنظيم حياة الناس، ومن أجل هذا التغيير المتوهم يحرمون أنفسهم من هذا التنظيم الموجود دائماً داخل

نطاق سلطانهم، والذي بإمكانه وحده أن يؤثر على حياة الآخرين! إنني لا أعرف، ولا يمكنني أن أعرف ما إن كان ما سيحدث لي من أحداث خارجية حسن أم سيئ، لكنني أعرف بلا ريب أنني إن عشت حياة أخلاقية، لا ريب أن ذلك سيعود عليّ وعلى الآخرين بالنفع. هل يمكنني بعد أن عرفت ذلك أن أضحي بما هو مؤكد من أجل ما هو ليس كذلك؟

السؤال الذي تبدو الإجابة عليه صعبة إذن، والمتعلق بما إن كان من الخطأ للمرء أن يعيش بمفرده - أو بصحبة قلة قليلة من الصالحين الذين لا يقاومون الشر إلا بالخير - وسط كل أولئك الأشرار الذي يحيون بالعنف، يشبه التساؤل عن كيفية أن يكون المرء رزيناً وسط جمع من السكارى، وما إن كان من الأفضل أن يشمل هو الآخر أم لا.

٢٣ إبريل.

هناك وعي بالذات؛ بجوهرك الروحي، وهناك وعي بحدودك التي تظنها في بداية حياتك أنك الحقيقية. هذا النوع الثاني من الوعي يحجب عنك الوعي بكيانك الروحي. يبدو لك أن الوعي بحدودك هو الوعي بذاتك. إن الحياة بأكملها بمثابة وعي متزايد بجوهرك الروحي، وتحرر من خداع ظنك أن هذه الحدود هي أنت. لذا فإن الموت بالنسبة لمن يدرك جوهره الروحي تمامًا هو بمثابة تحرر من حدوده الضيقة.

٢٦ إبريل.

لا شيء يمكنه أن يؤكد عدم قابلية فناء جوهرك ولا زمنيته، ولا شيء يمكنه أن يحفز قبول الموت بأكبر قدر من الهدوء مثل فكرة أن

بموتي لا أنخرط في وضع جديد، بل أعود وحسب إلى تلك الحالة اللا
زمانية واللا مكانية واللا جسدية، التي كنتُ فيها، والتي جئتُ منها إلى
هذه الحياة. (جيد).

يستحيل حتى أن أقول «التي كنتُ فيها»، بل أقول: في الحالة
الملائمة لي، كما أنا في حالة ملائمة لي الآن.

٢- تانيتشكا (حفيدته) لا تزال تحافظ على صفاء علاقتها النابعة
من «جواهر كل شيء»: الحب، لذا تحب الجميع. أما ميكا (حفيدته) فلا
يحب سوى نفسه. سأعود ثانية على أن أحب الجميع كتانيتشكا.

٣- كلام طويل ومعنى قصير (بالألمانية في الأصل). إن خرافة
إمكانية تنظيم المجتمع بالعنف هي منبع كافة البلايا. سبب هذه الخرافة
هو ضعف الإيمان والنشاط الذي لا يعتمد على أساس عقلائي. سبب
ضعف الإيمان هو عدم فهم البشرية لما انكشف لها؛ السمة التي تتميز
بها الإنسانية الآن. إن أردنا أن نتخلص إذن من البلايا علينا بفهم الإيمان
الملائم للبشرية؛ الإيمان بأن الحب هو القانون الأسمى.

٣٠ إبريل.

بالإضافة إلى كافة أخطاء الاشتراكيين، فإنهم يرتكبون خطئين
رئيسيين، يدمران كافة نتائجهم:

الخطأ الأول هو افتراضهم أن تركز الإنتاج الصناعي في نفس
الأيدي يمكن أن يبقى جنباً جنباً إلى جنب مع حرية العمال الاقتصادية.
وقتها سيزول الاحتياج إلى تسعة أعشار المنتجات التي تستخدمها

الدولة للدفاع وتصنعها الآن، كالبنادق والمدافع، وأدوات الترف
والسكك الحديدية... إلخ، فالأمر لن يقتصر على أن الإنتاج الآلي الذي
يصعب على الناس دائماً، والذي لم يظهر إلا مع سلب الحرية الذي
أدت إليه الرأسمالية لن ينمو وحسب، بل سيزول تماماً، ولن يعيش
الناس فوق بعضهم في المدينة معذبين، بل في رقعة واسعة من الأرض،
بشكل طبيعي ومبهج، ولن يكونوا في حاجة لرأس المال. سيتلخص
التقدم التقني في اختراع كل ما من شأنه أن ييسر الإنتاج دون احتياج إلى
عقوبة العمل. بالأمس جاعني عامل اشتراكي مخلص. سألته عما كان
يفعله في المصنع فأجابني: غلايين للتبغ.

الخطأ الثاني هو ضرورة الاحتياج إلى مشرفين على العمل في
ظل الاشتراكية. من أين سيأتون بهؤلاء الناس الذين سيؤسسون نظاماً
اشتراكياً عادلاً بالعنف، وفي الآن ذاته لا يسيئون استخدام سلطاتهم؟

٢ مايو.

١- ألم يتضح بعد الجهل الكامل لهذا البروفيسور المدعو
هيك^(٣٢)؟ من هم تلاميذه؟ لسنا في حاجة لمعارضته، فالإنجيل
يعارضه، لكنهم لا يعرفونه، ولا أمل في تُعرّفهم الإنجيل بعد أن تيقنوا
من أنهم أسمى منه.

وإن كان الناس قد وصلوا إلى هذه الدرجة من الجهل فصاروا يقتلون

(٣٢) إرنست هيك: فيلسوف وعالم أحياء ألماني. اكتشف الآلاف من أنواع الكائنات الحية. قدّم
نظريات تشارلز داروين في ألمانيا وطوّر نظرية حول أصل الإنسان، وسبب حديث تولستوي
عنه هو تبريره لحكم الإعدام من منظور التاريخ الطبيعي.

بموجب القانون، فما طبيعة ذلك القانون إذن؟ حينها سينهار كل شيء.

٢- يستحيل أن يتساءل المرء: هل يجب أن تتغير الحياة؟ لا يجب أن تتغير الحياة إلا حينما يستحيل ألا تتغير. حينها لن يكون هناك مجال للسؤال. إن أردنا أن نصل إلى هذا الوضع، نحتاج أولاً إلى تغيير داخلي روحي.

٩ مايو.

الوعي هو دراسة الكيان الروحي، والإدراك هو دراسة كل ما هو خارجي. لا بد أن تأتي دراسة أي منهما على حساب الآخر. كلما ازدادت دراسة أحدهما قلّت دراسة الآخر.

كذلك هو الأمر في علاقة الذاكرة ببذل الجهد الفكري: كلما ازداد قدر أحدهما قل الآخر. كأننا لدينا وعاء واحد محدود. ينتج عن ذلك الوضع؛ أقصد أن لدينا وعاء واحدًا للثنتين، أنهما يمتزجان دائمًا تقريبًا، ويحل كل منهما محل الآخر، فإن ازدادت قوة الذاكرة، قلّت القدرة على بذل جهد فكري، والعكس صحيح. يَصِفون مَنْ يتمتع بذاكرة قوية بالذكاء، والمفكر الأصيل صاحب الذاكرة الضعيفة بالغباء.

١٠ مايو.

الوعي هو دراسة الكيان الروحي، بينما يتعلق الإدراك بكل ما هو جسدي ومادي. الوعي هو معرفة مثال الكمال وعلاقتك به. ينبع منه الكمال الأخلاقي. أما الإدراك فهو دراسة العالم المادي، ودائمًا ما يتعذر بلوغه بسبب ظروف المكان والزمان ولا نهايتهما، وبالتالي لا ينبع منه شيء.

١١ مايو.

أحزنتني عبارة «العجوز يكذب!»^(٣٣)، لكنني غالبتها، وأردت أن أسدي له خيرًا. عليّ أن أكتب. كم هو جلي خداع الذات في حياة الكوميونات^(٣٤)! أحاديث عن الحب، وفي الآن ذاته تراودك رغبة في الإساءة، أو على الأقل لا تلاحظ أنك تسيء لغيرك على الإطلاق.

١٣ مايو.

جوهر تعاليم المسيح الرئيس هو البنية لله، تليها إمكانية المشاركة في الحياة الإلهية التي وهبنا إياها.

١٤ مايو.

أشكرك يا سيدي على أنك كشفت لي أن بإمكانني أن أحيأ بك. هكذا أريد أن أعيش!
للبيان: ولا تظنوا أنني أعوّل على حصانة أكتسبها بفضل الاحتفال بعيد ميلادي...
للخطبة: تذكروا أنكم لستم جلاّدين، بل أبناء لله.

(٣٣) المقصود بالعجوز: تولستوي، وقد وردت العبارة في خطاب أرسله له أحد الفلاحين متحدثًا عن زيارته له.

(٣٤) في تلك الفترة تأسست كوميونات كثيرة في محاولة لإيجاد صياغة للحياة المشتركة بين الفلاحين بحثًا عن العدالة.

١٥ مايو.

لمقالة: «لا تقتل»^(٣٥)، شئنا أم أبينا، يحدث كل هذا لنا نحن السكان المسالمين؛ أقصد أنهم يُشركوننا في هذه الفظائع. يحدث كل ذلك وسط أولئك الذين يدعون أنهم يعبدون الله الذي قال: «قل لكم... الجميع إخوة... أحبوا الجميع، واغفروا للجميع لا سبع مرات، بل سبعين مرة سبع مرات... يعبدون الله الذي قال: مَنْ كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر»^(٣٦). يقوم بهذا الأمر المريع، بل إنه أفظع الفظائع المحرمة، أكثر مَنْ يتمتعون بالتبجيل وسط الناس، بمشاركة معلمي هذا الإيمان! يجري ذلك حيث يعتبر الشعب أنه من واجب المرء مساعدة البائسين.

يمكنني أن أرى كيف سيقراً الأوروبيون ذلك وابتسامة ازدراء ترتسم على وجوههم. سيقول الإنجليز وآخرون: الأمر ليس كذلك معنا. كل شيء منظمٌ لدينا، حتى إنه يبعث فينا الرضى. كل شيء آلي. إنك لا ترى شيئاً سوى ظاهر الأمور.

١٦ مايو.

أهؤلاء هم المسيحيون؟!

١ - الوعي هو معركة وصراع بين الأنا الجسدية (الشخصية) والأنا الإلهية الروحية الكلية في داخلي. لذا فإن الوعي هو أساس كل أخلاق.

(٣٥) أصبح اسم المقالة بعد ذلك (لم يعد بمقدوري التزام الصمت).

(٣٦) مقتطفات من مواضع مختلفة بالإنجيل من دون التزام تولستوي بصياغتها الحرفية.

هناك أناس محرومون تقريباً من سمة الوعي. كثيراً ما يتجاوز لدى هؤلاء الناس وجود كميات ضخمة من المعارف المصقولة وغياب للمتطلبات الأخلاقية. ينتمي أبنائي (الذكور) وأعداد كبيرة من العلماء إلى هذا الفريق.

أتذكر كيف كنت أندهش في طفولتي من تجلّي هذه السمة، رغم أنها لم تستطع حينها أن تجد مادتها بداخلي. أتذكر دهشتي من قدرتي على إدراك ذاتي المدركة، وأدركت مجدداً -والتساؤل يملؤني- أنني أدرك ذاتي التي تدرك ذاتي المُدركة. بعدها: أدرك أنني أدرك أنني أدرك ذاتي المُدركة.... إلى ما لا نهاية.

نعم، الوعي هو إدراك لله الذي بداخلي وحُكمه لشخصيتي ولكل ما ينكشف لي من وجهة نظر الشخصية.

٢- كتبت في فبراير: لماذا يتمثل لنا العالم في صورة جارية مستمرة؟ لماذا لن أكون، بينما العالم سيظل يتغير؟ وأجبت حينها قائلاً: لا أعرف.

لا، بل أعرف.

يتمثل لي العالم هكذا؛ لأنه ليس بمقدوري أن أحيط به علماً كاملاً، خارج الزمن. يماثل ذلك الوضع عندما أحيط علماً بأي إنسان راحل: لم يعد بالنسبة لي صورة جارية، بل هو موجود كما هو حقاً في صورة كاملة. ليس هناك أي أساس إذن لفرضية أن العالم سيستمر في التغير حتى في غيابي. أقصد أنه يبدو لي أنه سيتمثل لكائنات أخرى.

٢٠ مايو.

انقضت حالة بهجتي الحارة، لكنني لن أقول إنني في حالة سيئة. ما هو حسن أن الأمر لا يقتصر على غياب أي مقاومة للموت، بل إنني أرحب به. ستاخوفيتش هنا. صوفيا بين موسكو وبطرسبرج، وأشعر بسرور شديد في صحبة ساشا. منهمك طوال الوقت في مقالتي عن أحكام الإعدام^(٣٧). تبدو لا بأس بها وضرورية أيضًا. جاءني اثنان من تلامذة دوبرولوبوف من سامارا، ولم يتركاً في انطباعاً جيداً. يفترقان إلى سمة ثمينة بالنسبة لي؛ البساطة. حياتهما الصالحة متكلفة، وأشعر كما لو أن رائحة الغراء والدهان تفوح منها. الوعي مهم وضروري، لكنني أعتقد أن أهميته تنحصر في فحص النفس، لا تشويهها. لا يمكنني أن أعبّر عن مرادي بوضوح، لكنني أفهم ما أقصده (بالفرنسية).
فكرت اليوم في الآتي:

١ - إن حياتي حسنة لأنني أحمل فوق كاهلي كامل وطأة الحياة الثرية التي أكرهها؛ أقصد مرأى الذين يكدحون من أجلي وتوسلات المتسولين وإدانة وحسد وكراهية الآخرين لي، وأنا لا أستمتع بكل ذلك، ولا حتى بحب ما يحدث من أجلي، كمساعدة المتسولين أو ما شابه ذلك.
٢ - نسيت.

٢١ مايو.

منذ فترة طويلة لم أشعر بسوء حالتي الصحية كما شعرت بالأمس؛

(٣٧) لم يعد بمقدوري التزام الصمت.

ضعف وكآبة. ولكن حمدًا لله لا بأس بذلك. جاء ١٢٠ طالبًا من طلبة مدرسة السكك الحديدية، وتحلوا بلطف شديد. كتبت قليلًا في مقالتي عن أحكام الإعدام، وقرأت لفيجنر بنفور^(٣٨). صباح اليوم جاء شيخ متسول يبلغ ٨٢ عامًا. جاء بعده متسول يبلغ ١٨ عامًا، وكان رقيقًا هادئًا، ثم جاءني طالبان؛ واحد منهما أديب والآخر ثوري. طرح الثوري عليّ سؤالًا مباشرًا: إن كنت الجلاد المسؤول عن شق عشرين شخصًا، وإن كنت بشنقي لواحد منهم سأنقذ التسعة عشر المتبقين، فهل يجب عليّ أن أشق هذا الشخص؟ من الواضح مدى أهمية هذا السؤال له، وأن رأيي في الأمر يزعجه. عرض أمثلة أخرى عن ذات الفكرة. عندما قلت له أن عليه أن يفعل ما يظن أنه صائب ولا يرتكب شرًا قال: «ألن ينتهي الأمر بأن يسير هذا الشخص المسرور بأنه لا يرتكب شرًا، مرفوع الرأس، بالرغم من معاناة كل من حوله، ويقول لنفسه: «كم أنا صالح!». قلت له: إن لكل منا خطايا كثيرة جدًا لا يمكن تسويتها، وبالتالي لا يجب عليه أن يظن أنه بار. نعم، إن خدمة الشعب وفعل الخير للآخرين قد ينطويان على شر عظيم. عليّ أن أكتب عن ذلك تحديدًا؛ عن كل شر الحكومة والثوار والتربية والشر الاقتصادي... أود أن أكتب عن كل ذلك.

٢٩ مايو.

ما كتبه عن سوء حالتي الصحية منذ ٢١ مايو مستمر حتى الآن. لم أشعر أبدًا من قبل بمدى هذا الضعف، ولكن لا يخلو ذلك من فائدة،

(٣٨) فيرا فيجنر عضو في منظمة "إرادة الشعب" الثورية، وكان نفور تولستوي يعود لأعمال الإرهاب التي تقوم بها هذه المنظمة.

ففي مثل هذه الأوقات التي أشعر فيها باقترابي من الموت، لا أبتهج بشيء سوى هذا القُرب. وصلني عدد ضخم من الخطابات والزوار إلى درجة استحال فيها عليّ تدوين كل شيء. بدأت لتوي أشعر بمدى شهرتي؛ الأمر الذي يثير فيّ كالعادة مشاعر طيبة وشريرة في الآن ذاته. بالأمس جاء (ك)^(٣٩) المٌضجر. إنه اليوم الثالث أيضًا منذ أن جاءت العزيزة ستامو^(٤٠) وابنها. أنا سعيد جدًا أيضًا بوصول تشيرتكوف^(٤١). هو الآن في بطرسبرج. زارت ساشا تانيا، وعادت اليوم. أخاف عليها. جاء أيضًا آل ستاخوفيتش. سافرت صوفيا إلى بطرسبرج وعادت. أنهيت في تلك الفترة مقالتي عن أحكام الإعدام، وكتبت خطابًا لفلاح عن الأرض، وأثناء الكتابة اقتنعت أنه في ظل عنف الدولة لا توجد أي وسيلة يمكنها أن تُحسّن أي أوضاع قائمة. بالأمس دار حوار جيد عن تلك الفكرة مع نيكولايف وستامو. نسيت أن أكتب عن وصول آل نيكولايف الأعزاء في تلك الفترة، وعن زيارة صوفيا زوجة ابني (السابقة) وأونكوفسكايا (عازفة كمان). المزيد من الصور من قبل بروكودين جورسكي وكولاكوف وأمريكي بصحبة زوجته، وثنائي آخر لطيف. لديّ الكثير لأدونه، ولكن قبل أن أنقل شيئًا من دفتر الأفكار، سأدوّن ما فكرت فيه لتوي:

١ - نريد أن نصل بالناس إلى حياة سعيدة عادلة، ولكن منذ أن عرفنا الناس وعرفنا أنهم ساعون صوب هذا الهدف، أدركنا أنهم لم

(٣٩) ديمتري فوبيتش كوبيكو، عضو مجلس الدولة وأكاديمية العلوم التاريخية والسياسية.

(٤٠) مالكة أراضٍ تشارك تولستوي الكثير من آرائه.

(٤١) يقصد عودته إلى روسيا في مايو ١٩٠٨.

يحققوا هذا الهدف أبدًا. ما يحدث دائمًا هو أنه فور أن نصل إلى درجة من الخير المتحقق لنا تنكشف لنا درجة أخرى أعلى، وتبدو ضرورية للغاية، تمامًا كما بدت الدرجة السابقة التي وصلنا إليها. وهكذا استمر الأمر حتى اللحظة الراهنة، بدءًا من أكل لحوم البشر وصولًا إلى فكرة تعميم ملكية الأرض. من الطبيعي إذن أن نفترض - بل نتيقن - أن الأمر سيستمر هكذا إلى الأبد.

هذا ما سيكون وما لا بد له أن يكون. إن وضع الإنسان الماضي للأمام صوب الخير، لكنه ينحرف طوال الوقت عن وجهته، يشبه ما أخبروني عما يفعلونه مع الجياد العنيدة. يُثَبَّتون قطعة خبز مملحة على عرائش العربات أمام الجياد بحيث يشمها الجواد، لكن لا يستطيع بلوغها. يستمر الجواد في الحركة محاولاً بلوغ القطعة، ولكن هذه الحركة في حد ذاتها هي ما تبعد قطعة الخبز عنه، ويستمر الأمر هكذا... الأمر ذاته مع الناس: لن يحققوا الخير كاملاً أبدًا، وما إن يصلوا إلى خير ما حتى يتمثل لهم آخر جديد. الخير هو الكمال اللانهائي كالله. ما المخرج إذن؟

المخرج الوحيد هو إمكانية - بل ضرورة - أن يعرف الإنسان أن خير حياته لا يتمثل في الوصول إلى الهدف الكائن أمامه، بل إلى هدف أسمى يتعذر بلوغه.

٢- إن أردنا أن نفهم قوانين الحياة، لسنا في حاجة إلى تفسير الجوهر الروحي، بمعنى: الوعي، حيث إنه الأمر الوحيد الواضح وغير المشكوك فيه، غير الزمني، ولا يتطلب أي تفسيرات لشرح مصدره، بل على العكس؛ عليه وحده يمكن أن تتأسس أي معرفة، مهما كانت. إن أردنا

أن نفهم قوانين الحياة، نحن في حاجة إلى فهم الأسباب التي بموجبها يستقبل وعي الناس جميعاً ظواهر العالم المادي بالطريقة ذاتها (حدود الوعي المنفصل)، فهم يرون ويسمعون ويلمسون بنفس الطريقة.

٣ يونيو.

وصلني أول أمس خطاب يوبخني على ثرائي وريائي واضطهادي للفلاحين، والمخزي في الأمر أنني شعرت بالألم من جرائه. اكتنفتني اليوم طوال الوقت شعور بالحزن والخزي. خرجت لتوي للتنزه بالجواد، وبدالي أنني راغب في الرحيل والعيش على الإحسان، وأن أشكر الناس جميعاً وأحبهم، وبدالي أن ذلك سيبهجنني. نعم، أنا ضعيف. لا يمكنني أن أعيش طوال الوقت بأنائي الروحية. ما إن أتوقف عن العيش بها، حتى يؤذيني كل شيء. الأمر الوحيد الجيد الآن هو أنني لا أشعر بالرضى عن نفسي، وأشعر بالخزي. كل ما أرجوه هو ألا أختال بذلك.

أنهيت مقالة (لم يعد بمقدوري التزام الصمت) وأرسلتها لتشيرتكوف. أنهيت تقريباً المقالة الضخمة الأخرى (قانون العنف وقانون الحب). هاجمتني نوبة مرض. حسناً إن الاقتراب من الموت لا يحزنني، بل يبهجنني، أو بالأحرى أرغب فيه. أفكر جيداً وبقوة. أريد أن أكتب (دورة قراءات) جديدة، وعملاً فنياً عن الثورة.

١٠ يونيو.

استمر شعوري بالضعف لعدة أيام، لكنني نمت جيداً اليوم، وكتبت

عن مولوتشنيكوف وسجنه^(٤٢). يبدو أن لا بأس بما كتبته. بدأت كتابة خطاب إلى أحد الهنود، لكنني تعثرت^(٤٣). راجعه تشيرتكوف على نحو رائع. يبدو أنني أنهيته. أرسلت المقالة الضخمة لتعاد كتابتها. السيريو جان هنا (ابنه وحفيده) والكونتيسة زوبوفا (حماة ابنه). وصلتنى خطابات جيدة، وزارني أناس صالحون مثل كارتوشين. أفكار:

١ - تنزهت صباح اليوم في الحديقة، وكما أفعل دائماً، أخذت أفكر في أمي... ماما التي لا أذكرها على الإطلاق، ورغم ذلك ظلت بالنسبة لي مثلاً مقدساً. لم أسمع عنها أبداً شيئاً سيئاً. بينما كنت أسير في الزقاق المحاط بأشجار البتولا، مقترباً من شجرة جوز، رأيت أثراً صغيراً لقدم امرأة على الطين، فأخذت أفكر فيها وفي جسدها. لكن استعصى عليّ أن أتخيل شكل جسدها. كل شيء جسدي كان من شأنه أن يدنس تصوري عنها. يا لروعة شعوري صوبها! كم أردت أن يكون شعوري صوبها هو شعوري صوب الجميع: رجال ونساء! هذا ممكن. ليتني أفكر في الناس وأشعر صوبهم بهذه الطريقة عند التعامل معهم. هذا ممكن! سأحاول.

١٢ يونيو.

حالي الصحية جيدة، لكنني ضعيف الجسد والذهن، وأشعر بالنعاس. بدأت أتعود على التعامل مع الحب على أساس أنه العمل الرئيس في الحياة، بل والوحيد. أقول: الرئيس، على مستوى الأفكار.

(٤٢) راجع حاشية ٢٩.

(٤٣) خطاب إلى كاتب هندي يُدعى تارا كوتا داس، سأل تولستوي عن رأيه في معاملة البريطانيين للهنود.

يستحيل أن نشدد كفاية على فكرة أن مَنْ يريد أن يعيش حياة حقيقية، عليه قبل أي شيء آخر أن يُكرّس كافة جهوده صوب ذلك في مجال أفكاره عندما يكون بمفرده. مدهشة حقاً قلة عدد مَنْ يدركون ذلك! إن وجدت نفسك تفكر بضغينة صوب أي شخص، توقف، وابحث عن خير فيه، واعتبره أعز شخص عليك، مثل أمي بالنسبة لي. هذا ممكن. فكرت اليوم بعد أن تعاملت ببرود مع متسولة في الآتي:

هناك أمر واحد يمكن القيام به في كافة الظروف المادية المختلفة: أن تكون مُحبباً. هذا أمر ممكن لإنسان مريض بالكبد، يحتضر.

١٣ يونيو.

لم أكتب شيئاً تقريباً منذ يومين. حشد هائل من الناس هنا. لا يمكنني التحدث عن أمي إلا والدموع تنهمر من عيني. مولوستفوف (٤٤) هنا وينسخ بعضاً من يومياتها. شعرت بكسل مريع بالأمس. فكرت في أمر ما، ودوّنته في دفاتر أفكاري. عليّ أن أكتب الآتي هنا:

يقولون: هناك ثلاثة أزمنة: ماضٍ - حاضر - مستقبل. كم يكشف ذلك عن خطأ فح مضر! هناك زمانان: ماضٍ ومستقبل، أما الحاضر فهو خارج الزمن. الحياة الحقيقية الحرة خارج نطاق الزمن؛ في الحاضر. من المهم جداً أن ندرك ذلك. يمكن للمرء أن يعيش بحرية في الحاضر وحسب. لا يمكنني الآن أن أكتب ما كنت أفكر فيه. كل ما أعرفه هو أن هذا أمر فائق الأهمية. لقد سلكت في حياتي بما يتسق مع الحياة

(٤٤) قريب لزينايدا؛ المرأة التي كان تولستوي على علاقة بها قبل زواجه (راجع الجزء الأول)، وقد كتب كتاباً عن حياة تولستوي.

الحقيقية بدرجة جيدة، أي بحب وفي الحاضر.

١٧ يونيو.

كتبت في تلك الفترة مقالة صغيرة عن سجن مولوتشنيكوف، وعدت للعمل مجددًا على المقالة الكبيرة. كتبت بالأمس واليوم على نحو جيد جدًا - كما يبدو لي - عن اللا مقاومة، وقمت بمراجعة عامة. أقرأ كتابًا عن جيرتسن، ألفه كاتب اشتراكي ضيق الأفق. حدثت مشاجرة على طاولة الطعام. أشعر بالأسف الشديد. لا أستطيع أن أستثير بداخلي شعورًا طيبًا؛ الأمر الذي يثقلني. ذهبت بالأمس إلى ماريا ألكسندروفنا، وراجعت بروفات الطباعة مع العزيز نيكولايف. وجدت لتوي صوفيا غاضبة بسبب قطع الغابة^(٤٥). ما الجدوى من تعذيبها لنفسها؟ أشعر بالأسف الشديد عليها، ومساعدتها مستحيلة.

يزداد شعوري بالخزي أكثر فأكثر من وضعي ومن جنون العالم كله. أيمكن أن يكون ذلك محض خداع لمشاعري وأفكاري لا يمكن أن يستمر؟ لا، لا يمكن أن يستمر.

١٨ يونيو.

١ - أمر سيئ حينما يصبح الخير الأخلاقي هدفًا، يتطلب الوصول إليه توفر ظروف وأوضاع خارجية معينة. هذا مصدر بلية الناس الرئيسة: الرياء الديني وفكرتا الدولة والثورة الكاذبتان.

(٤٥) سرقات الفلاحين لغابة من أملاك صوفيا.

١٩ يونيو.

قضيت أكثر من نصف ليلتي غير قادر على النوم بسبب الصداع. اشتدت وطأته سريعاً. هل سيصل بي ذلك إلى النهاية؟ سيكون ذلك حسناً. أحاول في أوقات ضعفي مثل الآن أن أفكر في الموت بشكل حسن وهادئ، بل ومبهج، مثلما يكون الحال في أوقات قوتي وانتعاشي. حكى لي بوليجين بالأمس حكاية غريبة ومؤثرة حدثت مع ابنه^(٤٦). أنهيت قراءة الكتاب الذي عن جيرتسن. شعرت فجأة بالآلام وخز شديد في رأسي جعلتني أجفل. ما كتبتة عن العنف سيء.

٢١، ٢٢ يونيو.

تشير تكوف هنا. أنا شديد السعادة. انقضت حالتي الصحية السيئة. حمداً لله، لم أشعر بأدنى مقاومة للموت. كل ما أريده -أنا الخاطيء- هو أن أنهي ما خطتته سابقاً. ثم يحدث أن تتذكر أن كل ذلك تافه وضيئل مقارنة بالتغيرات المنتظرة. قبضت على نفسي متلبساً، لا على مستوى الفكر، بل الوعي، أكتب هذه اليوميات، واضحاً في اعتباري أنهم سيقرونها. سأنسى ذلك وأتحرر. عليّ تدوين الآتي:

فهمت بالأمس بوضوح شديد كم يسهل قول: «العيش من أجل الله» بمعنى ألا تفعل وألاً ترغب إلا ما يتوجب عليك أن تفعله كأداة لله، لا كليف نيكولايفيتش، وفهمت في الآن ذاته مدى صعوبة وعظمة أن أحيأ فعلاً هكذا. سأحاول. لكنني أنسى فعل ذلك تسع مرات من أصل

(٤٦) انهمك الابن في قراءة الإنجيل، وود لو يصبح مثل القديس فرانسيس الأسيزي.

١٠ عند تعاملتي مع الناس، وحتى مع نفسي. حسناً أن أستعيد ذلك إلى ذاكرتي بعدما يحدث وأن أشعر بالأسف. وكيف لا يكون الأمر صعباً إذن؟! إنه خير عظيم... خير واقتراب منه. رغم سوء الأمر لكن يبدو أنني أقترّب من تحقيقه. عونك يا إلهي كي أعيش بك!

حلّ الصباح. نمت نوماً سيئاً، وأشعر بضعف ذهني، لكنني بخير روحياً.

٢٣ يونيو.

تحسنت حالتي قليلاً، بل يبدو أنها تحسنت بشدة. نمت قليلاً، لكنني أشعر في روحي بفرحة رقيقة. آه لو يستمر الأمر هكذا حتى الموت! جاءني الآن متسولون؛ إيليا فاسيليفيتش وفانيا وديمينسكايا العجوز. كل ما كان يغضبني سابقاً أصبح يؤثر فيّ. أعمى بصحبة فتاة؟! أردت أن أجمعهم جميعاً وأغمرهم بالعطف.

دوّنت الآتي: محبة الذات، بمعنى أن تحب نفسك أكثر من الجميع، هي أعظم ضلالة وأعلى درجات الكمال في الآن ذاته. إنها ضلالة إن أحببت شخصيتك أكثر من الجميع، وتمثل أعلى درجات الكمال عندما تحب كيائك الروحي الذي يعيش ويتجلى فيك أكثر من أي شخص آخر.

٢٤ يونيو.

صداع شديد جداً عذبني طوال الليل، وقد وجدت أنه من الصعب جداً تحمله، فأيقظت يوليا إيفانوفنا ودوشان^(٤٧). الأمر الرئيس هنا هو أنني

(٤٧) طبيب عاش في منزل تولستوي منذ ديسمبر ١٩٠٤، وكانت وجهات نظره متقاربة جداً مع تولستوي.

لم أستطع أن أجد خيرًا في حياة تقترن بالمعاناة. قلت لنفسى: عليّ أن أنتهز هذه الفرصة لأتعلم التحمل، وهذا ما يُقَرِّبني من التحرر وإدراك أن هناك خيرًا في كل شيء. لم أستطع بعد التغلب على ثقل هذه المعاناة.

لم أفكر في أن هذا الاحتكاك هو الذي يدفعني صوب التحرر؛ الهدف المبارك، وهذا هو الأمر الرئيس هنا. رأسي لا يزال تؤلمني حتى الآن، ولكن ليس بنفس قوة ألم الليل. سأحاول ألا أضعف. هذا ممكن. بدأت أكتب شيئًا ما لألبوم أورلوف^(٤٨). ربما سيكون ذلك جيدًا.

٢٦ يونيو.

لم أدون يومياتي بالأمس. قضيت الليل على نحو جيد جدًا، وأسفت على أنني لم أتألم، بحيث لم تكن هناك فرصة لإصلاح ضعف الأمس. لم أكتب شيئًا. حاولت أن أكتب لألبوم أورلوف ولكن بلا جدوى. جاءني مراسل أمريكي، وحظيت بحديث جيد معه. ضباب منيع يكتنف حديثي مع كوزمينسكي، لكنني قلت ما قلت وانتهى الأمر.

قضيت فترة الليل على نحو سيئ. تألمت، لكنني تماسكت دون تذمر. كان الألم ضعيفًا. أختبر في الفترة الأخيرة وعيًا مبهجًا جدًا، ما إن يساورني الشك في أي شيء: (أقول أم لا أقول، أذهب أم لا أذهب، هل الجزء الأكبر من دافعي لفعل ذلك هو نيل مديح الناس أم أنني آسف على شيء ما)، حتى أقول لنفسى: ما لك وهذا؟ الحياة من أجل الله وحسب في داخلك وخارجك على السواء. ما إن أقول لنفسى ذلك، حتى يزول الشك، وأشعر

(٤٨) فنان روسي اهتم بتصوير الفلاحين، وكتب تولستوي خصبًا لألبومه.

بالهدوء والسرور وأناي على ما يرام. أكتب صباحاً فور استيقاظي.

فكرت لتوي في الآتي:

إن كان الحجر شديد الصلابة وأردت أن تحطمه، ستجد صلابة الحجر أمراً سيئاً، ولكن إن أردت أن تشحذ به شيئاً، ستجد حينها أنه كلما ازداد صلابة وقوة، تحسنت النتيجة. هكذا هو الأمر مع ما ندعوه: بلايانا. كنت في حالة روحية جيدة جداً، ولا أزال. كل ما في الأمر أن رأسي يؤلمني. «وما لك وهذا؟». أكتب بانتظام عن أورلوف.

شعرت اليوم للمرة الأولى - كما يقول فيفيكاناندا (راجع حاشية ١٨) - بمعنى أن تصوير «أنا» «أنت» تماماً؛ شعرت بإمكانية إنكار الذات، ليس لصالح شيء ما، بل لصالح الحس السليم. الامتناع عن التدخين أمر صعب، كذلك هو ابتعاد السكير عن الخمر، ولكن الأصعب من ذلك والأكثر ضرورة هو هجران تخدير الذات المريع بأناك. مع اقتراب الموت بدأت لتوي أشعر بإمكانية هذا الهجران.

٣٠ يونيو.

أول أمس جاءني أعمى وسبني. ذهب لرويته بالأمس لدى نيكولايف وقلت له أناي أحبه:

١ - لأنه يبحث عن الحقيقة الإلهية.

٢ - لأن من يستحق الحب تحديداً هو من يكرهني ويسيء إليّ.

٣ - لأنه قد يكون في حاجة إليّ.

وتصالحت معه وصافحته. أراد أن يراني قبل الرحيل، فابتهجت.

قال: «لقد صافحت يدك من غير قصد، فأنا لا أستطيع أن أصفح وغداً دينياً مرائياً...»، أرادت صوفياً أن ننصرف، لكنني استطعت أن أقول له إنني أحبه بصدق. ليتني أتمكن من السلوك هكذا مع الجميع!

بالأمس جاءني بعض أتباع الثيوصوفية^(٤٩). أريد تدوين الآتي:

١- يمكن - بل ويجب - أن نحب بإخلاص، وعلى وجه التحديد، أولئك من يكرهوننا.

٢- القطاع الغالب من غير المتدينين لا يستغلون المتطلبات الأخلاقية إلا ليبرروا أهدافهم المتمحورة حول حبهم لذواتهم.

٢ يوليو.

بالأمس دار حوار كئيب. لا أزال في حالة سيئة. الأمر الوحيد الجيد هو أنني أعرف ذلك وأشعر به. لم أستطع بعد أن أفهم وأشعر بنعمة صنوف المعاناة الجسدية التي أمر بها، لكنني أعرف أنها نعمة لا محالة. في الآن ذاته أعرف وأشعر بنفع ما أناله من إهانات وتقريع ووشايات. راجعت اليوم قصة «موروزوف»^(٥٠) كما راجعت مقالتي قليلاً. سأسلمها كاملاً لتشير تكوف. كم أنا سعيد أنني لا أبغي حتى ولو أدنى قدر من النجاح والمديح! حالتي الصحية جيدة، لكن هناك كآبة تكتنفني. عليّ أن أتمالك نفسي.

(٤٩) جماعة دينية صوفية.

(٥٠) طالب درس له تولستوي في مدرسة ياسنايا بوليانا سابقاً.

٤ يوليو.

بدا لي بالأمس أنني أنهيت المقالة. تحسنت حالتي الروحية رغم سوء حالتي الجسدية. قرأت مقالة ممتازة لفيفيكانا ندا عن الله. عليّ بترجمتها. فكرت في الآتي:

١- شوبنهاور محق تمامًا في مقالته عن الإرادة باستثناء أمر واحد؛ أنه يبدأ براهينه عن العالم بطريقة موضوعية. لم نوهب ذلك، وكافة تلك الاستنتاجات الموضوعية - مهما بدت مهمة - ليست إلا هراء. يمكن دائمًا - بل ويجب - أن يبدأ أي استنتاج ممكن لأي شيء من الشخصية «الذات» وحسب. استنتاج شيء عن العالم الخارجي دون ذكر النفس أو الرائي الذي يرصد هذا العالم يشبه أن تبدأ حكاية كالاتي: «لأنه عندما هددني....» وهكذا فإنك تحكي الحكاية دون أن تذكر من المتحدث وأين يتحدث.

هناك أساس واحد لأي استنتاج عن العالم والله: وعي كل إنسان بوحدته بجوهر كل شيء؛ بالوهيته، مع وعيه في الآن ذاته بانفصاله ومدى ضآلته. «أنا قيصر - أنا إله - أنا عبد - أنا دودة». لماذا؟ أنا لا أعرف ولا يمكنني ولا أريد أن أعرف لماذا أنا كذلك، ولست في حاجة لمعرفة ذلك، لكنني أعرف - كما يعرف الجميع - أن الأنا هي كل شيء، ولا شيء في الآن ذاته. في وحدة هذين المفهومين سنجد كل ما نسميه «الحياة». أنا كل شيء، أنا واحد ومنفصل. في ضوء أنني منفصل يمكنني فهم طبيعتي الجسدية ووجودي داخل إطار الحركة، كما أن وجود الطبيعة الجسدية يقتصر على المكان، والحركة على الزمان. أما

بوصفي كائنًا واحدًا وحيدًا، فأنا لا جسدي، لا متحرك، خارج نطاق المكان والزمان. خيري في وعيي بهذه الوحدة في الانفصال! أعتقد أن ذلك صحيح.

٢- تتألف شخصية كل إنسان من سمتين؛ الأولى: سماته العقلية المتمثلة في الذاكرة والحس السليم والقدرة على الانتباه والتركيز، خاصة هذه الأخيرة، والثانية هي حيوية وعيه بمثال الكمال. الأولى تحقق له الرضى عن النفس دائمًا، بينما الثانية العكس. لا... لم أستطع صياغة الفكرة.

النمط الأول مشغول تمامًا بتصوراته عما هو جسدي، والثاني عما هو روحي. ينظر الأول إلى ما هو روحي كما ينظر إلى أداة لعمله على ما هو جسدي، بينما ينظر الثاني إلى ما هو جسدي كأداة لعمله على ما هو روحي.

٣- أو اصل ما بدأته في دفتر أفكاري. من المفهوم أن يظهر للإنسان بالإضافة إلى قدرته على الرؤية والسمع والتفكير عضو جديد، يمكن له به أن يدرك الحياة على النجوم ويطير، وحتى لا نخترع هذا دعنا نقول إن هذه المقدرات قد تتطور لدى الإنسان، ولكن من أين يأتي الوعي بهذه الأعضاء التي أدرك بها؛ أقصد الوعي بأن كافة هذه الأعضاء هي أنا، وأن كل شيء آخر ليس أنا؟

يشبه ذلك أن أسأل: كيف ظهر هذا القصر؟ فيجيبونني قائلين: في البداية صنعوا بعض النوافذ والأبواب والشرفات ثم جصصوا وطلوا، فإذا بالمنزل! مدهش!

٤- لا تعاقب - لا تقاوم الشر بالعنف - لا تثرى... كل ما فات قد يبدو لنا مآثر ضخمة، ومتطلبات لا يمكننا تحقيقها، لكنها في الحقيقة تمثل أبسط الإشارات على ضرورة أن يتوقف الناس عما يضر بهم. هذا ما بدا أيضًا مع: لا تشتم ولا تسكر ولا تتناول اللحوم. إننا نفهم الآن أن هذه نصيحة عملية بسيطة، كأن فحواها: لا تضر نفسك. كذلك هو الأمر مع العقاب والعنف والثراء.

٩ يوليو.

اختبرت مشاعر كئيبة للغاية. حمدًا لله أنها انقضت. هناك عدد هائل من الزوار هنا، وكان من الممكن لكل ذلك أن يبعث البهجة لو لم يتسمم وعيي بجنون وخطية ودناءة الترف وامتلاك الخدم، في ظل وجود كل هذا الفقر والعمل المفرط على كاهل من حولنا. لم تتوقف هذه المعاناة عن تعذيبي عندما انفردت بنفسي. لا يسعني ألا أنشد الموت، ورغم ذلك أود أن أستغل ما تبقى لي. يكفي ذلك الآن.

١١ يوليو.

تصلني طوال الوقت خطابات داعمة لمقالتي (لم يعد بمقدوري التزام الصمت). هذا حسن جدًا. أشعر اليوم أنني في حالة جيدة جدًا. وصلت تانيا. إنها أقل اقترابًا مني مما كنت أظن. أعداد ضخمة من الناس هنا طوال الوقت. فكرت على نحو جيد جدًا.

١- فكرت بالأمس مجددًا في إمكانية أن تسترشد الحياة كاملاً بالحب وحده. بدأت أفهم إمكانية ألا أتوقف للحظة واحدة أثناء تعاملتي

مع الناس عن تذكر ما هم في حاجة إليه، لا ما أحتاج أنا إليه؛ أن ينصب اهتمامي في الحياة على «أنت» أو «هو» لا «أنا». هذا ممكن... ممكن.

٢- عن عدم مقاومة الشر: أولئك الذين يعترفون بنظام أخلاقي ما -أيًا كان- ويجدون أنه من المستحيل في كل الأحوال تطبيق قانون عدم المقاومة، يماثلون تمامًا إنسانًا يعترف بأن مربع وتر المثلث يساوي مربع ضلعي المثلث، أو أي استنتاج رياضي مماثل، وفي الآن ذاته يقولون إن الاعتراف بأن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين هو محض تناقض ومبالغة. سبب التشابه هو أن علم الهندسة بأكمله لا يمكن أن يكون له وجود في غياب افتراض أن الخط المستقيم هو... إلخ، وكذلك لا يمكن لأي نظام أخلاقي أن يوجد دون أساس من الحب الذي يتضمن بداخله (عدم المقاومة). يتأسس كل نظام أخلاقي على الحب.

٢٠ يوليو.

ذكرت في يوم ١١ وصول خطابات تعرب عن دعمها لمقاتلي (لم يعد بمقدوري التزام الصمت). الآن بدأت تصل خطابات السباب، وهي كثيرة جدًا. أمر محزن! فيروتشكا (ابنه أخيه) وماريا ألكسندروفنا هنا، كما أن الأمور بخير تمامًا مع صوفيا وساشا (ابنته). يزداد ألم قلبي سوءًا. أشعر طوال الوقت باقتراب الموت. لدي الكثير لأدونه.

١- أنا وعي الله.

٢- أتنزه بالجواد في منطقة نائية وأرى بعض ثمر التوت الناضج. استغرقت في التفكير. لا أحد يرى هذه الثمار ولا يحتاج إليها أحد ولا

هي تحتاج إلى أحد، وهذه الثمار تلتزم بصرامة، لا بالقيام بما تشاء، بل بما قُدر لها أن تفعله، وتنفيذ إرادة هذه «الأنا» التي تعيش في هذا النبات في صورة كيان منفصل. كذلك هو الأمر مع الإنسان، لكنه يتميز عن النبات في إدراكه لهذه «الأنا» الشاملة في كيانه المنفصل.

نعم، أنا ليف تولستوي، أنا كاتب، أنا فقير، أنا قيصر... كل هذا محض ضلال، ومنه تنبع كافة صنوف المعاناة التي تعذب الناس. هناك كيان واحد، وتجليات لا محدودة له، واحد منها هو الذي أظنه «نفسي». لكن خير لنا ألا نعتز بأن تجليه في النفس في صورة الأنا المنفصلة، بل نشعر دائماً في أنفسنا بتلك الأنا الكلية ونعيش بها. إن عشنا في ضلالة أن الأنا الكلية هي أنانا المنفصلة، سنختبر لا محالة صنوف مختلفة من أقصى درجات المعاناة.

تتمثل الحياة في تنفيذ إرادة الله، أو في السعي صوب إيقاف التعدد، والاتحاد بالكيان الكلي. هذا الاقتراب من تحقيق الاتحاد هو أعظم خير لحياتنا؛ إنه الحب.

٥ أغسطس.

مستلقٍ على الفراش طوال الوقت. حالتي الروحية جيدة، بل جيدة جداً. أعمل على (دورة قراءات) جديدة، ووصلت إلى يوم ٢٦. لا يزال أمامي الكثير من العمل. تأثرت بشدة من عمل تشيرتكوف وأصدقاء آخرين في (المجموعة)^(٥١). يراودني الشك في قيمة

(٥١) عمل تشيرتكوف وآخرون على تأليف كتاب بعنوان (مجموعة أفكار ليف تولستوي).

ذلك العمل، لكنني سعيد... سعيد بجمع شتات أناي الروحية من جديد. يزداد عدد الخطابات التي تسبني بسبب مقالتي. أقرأ في رواية ديكنز (صديقنا المشترك)^(٥٢). إنها سيئة جداً، كما أن فيفيكاناندنا لا يرضيني كفاية رغم أنه شديد الذكاء. أُقيمت حفلتان موسيقيتان لسيبور وجولدنفايزر.

في الفترة الأخيرة فكرت كثيراً أثناء العزف في الآتي تحديداً: حاولت أن أحدد في كل قطعة موسيقية شعوراً وحالة مزاجية معينين، وأن أنقل ذلك إلى مجال فن الكلمة، وتبين لي أن هذه القطع الموسيقية قد تتضمن عاطفة رقيقة أو مرحاً أو خوفاً أو قلقاً أو حُباً رقيقاً أو حُباً روحياً أو إجلالاً أو حزناً... إلخ، لكن هناك شيء واحد غائب عنها؛ لم تتضمن أبداً أي مشاعر شريرة: ضغينة أو إدانة أو سخرية... إلخ. هل يمكن للمرء أن يكتب أعمالاً فنية بهذه المواصفات؟ فكرت في الآتي:

١ - أشعر على نحو جديد وخاص بتلك الحقيقة القديمة التي مفادها أنه من الجنون أن يعيش المرء متناسياً الموت، وأن الوعي بحتمية الموت وإمكانية حلوله في أي دقيقة هو أكثر شروط الحياة ضرورة، وأنه في غياب هذا الوعي لا يمكن للحياة إلا أن تصبح محض جنون في ظل إمكانية اليأس الدائمة عند تذكر الموت.

كان يجب أن نفهم أننا قد جئنا إلى هذه الحياة كعمال أرسلوا لتنفيذ عمل معين، وأننا معرضون في كل دقيقة - ولا نعرف متى - لأن نجد

(٥٢) قرأها بالإنجليزية.

السيد قد جاءنا من حيث أرسلنا (من هناك) ليفحص عملنا. نحن لا ندرك أين هو «هناك» تحديدًا. كان يجب أن يكون الناس قد تبينوا استحالة فهم الحياة على نحو آخر، لكنهم يتعاملون معها كأنها شيء ينتمي إليهم، يمكن أن يصلوا فيها إلى تحقيق مآربهم الخاصة. كيف لا يسيطر عليهم اليأس إذن عند التفكير في الموت في ظل هذه النظرة للحياة؟!

نعم، أنت مجرد عامل في عمل سيده: الله، وحتماً لا تعرف شيئاً سوى أنك مُرسَل إلى هنا لتقوم بالعمل الذي كُلِّفَ به. سواء كان ذلك الوضع حسناً أم سيئاً، الأمر خارج نطاق النقاش، وهو كذلك لا يتغير، أما الأمر الوحيد القابل للنقاش، بل والذي تجب مناقشته، هو الطريقة المثلى التي يمكن أن تقضي بها تلك الحياة. من الواضح أن أفضل طريقة يمكنك بها عيش حياتك هي عندما تقوم بهذا العمل الذي كُلِّفَ به أيّاً كان. عليك أن تعرف هذا العمل؛ لأنه أسهل الأعمال. إنه ليس سهلاً وحسب، بل يبعث فيك السرور أيضاً. بما أننا نعرف حياة البشر لا بد أننا ندرك أن أكثرهم حكمة قد بحثوا عن فحوى هذا العمل تحديداً وأشاروا إليه. لقد أشارت كافة الديانات الحقيقية والتعاليم الأخلاقية إليه، ووصلوا جميعاً إلى نتيجة واحدة بصدده، مفادها أنه الوحدة بالجميع، وتعزيز هذه الوحدة بالحب. يمكن فيما يتعلق بالأمر ذاته أن يخمن المرء ويؤمن أنه سوف يكافأ على تنفيذ عمله الصالح هذا من سيده بعد الموت، ولكن كلما قل الاحتياج إلى مثل هذه التكهّنات، تمكّن الإنسان من تنفيذ عمل سيده على نحو أكبر وأفضل. إن تنفيذ هذا العمل في حد ذاته يمنح صاحبه خيراً؛ خيراً في الحاضر يستبعد أي اهتمام بالمستقبل.

١١ أغسطس.

أشعر بكآبة وألم. لم تتوقف الحمى في الأيام الأخيرة، ولا يمكنني تحملها إلا بصعوبة وعلى نحو سيئ. لا بد أنه الموت. نعم، يصعب العيش في ظل ذلك الترف والجنون الذي دُفعت للعيش فيه، والأصعب من ذلك هو الموت وسط الضجيج والأدوية والعلاج والشفاء المتوهمين، في ظل استحالة هذا وذاك، وعدم ضرورتهما من الأساس، فهما لا يؤديان إلا إلى تدهور الوضع الروحي. لا أشعر بالخوف تجاه الموت إطلاقاً، بل بفضول حاد. سأحاول الكتابة عن ذلك إن استطعت.

أريد أن أتحدث عن أمر - مهما بدا تافهاً - أود أن يحدث بعد موتي. أولاً، سيكون من الحسن لو تنازل ورثتي عن حق الاستفادة بكتاباتتي ومنحوا الجميع حق الانتفاع بها. إن لم يفعلوا ذلك، فعلى الأقل لا بد أن يكون الوضع كذلك مع ما كتبتة للشعب مباشرة مثل «الأبجدية» - «مقتطفات للقراءة»^(٥٣). ثانياً، رغم أن ذلك من أنفه التفاهات، لكنني أود ألا يقيم أحد أي طقوس عند دفن جثمانني. أود أن يكون التابوت خشبياً، وليحمله أي من يريد حمله، أو ينقله إلى الغابة بالقرب من الوهد قبالة موضع العصا الخضراء^(٥٤). على الأقل هناك سبب لاختيار هذا المكان دون غيره.

هذا كل شيء. بحكم عادتي القديمة التي لم أتححر منها، أفكر في أنني قد أفعل شيئاً أو شيئين آخرين. غريب أنني أفكر في كتابة عمل فني

(٥٣) الأول كان يهدف إلى تعليم الأطفال، والثاني كذلك عبارة عن قصص وحكم للأطفال.

(٥٤) رمز اصطلاح عليه تولستوي وشقيقه منذ أيام الطفولة، حيث تخيلا وجود عصا خضراء مدفونة في موضع ما، من يجدها يحقق السعادة والأخوة الشاملين.

قبل أي شيء آخر. هذا هراء بلا ريب، فببساطة ليست لديّ القوة لفعل ذلك على وجه حسن.

«الأمر كله يعتمد عليك، وكل شيء في الحاضر» كما قال سوتايف، وكل شيء خارج نطاق الزمن. لا يمكن أن يحدث شيء لما في داخلي وما هو خارج الزمن سوى الخير.

٢١ أغسطس.

لم أدوّن يومياتي منذ يوم ١٢. حالتي الصحية كما هي. حالة قدمي تتحسن، لكن حالتي الصحية العامة قد ساءت، بمعنى أنني أقترّب من الموت. اختبرت هذه الليلة - دون أي أسباب خارجية - شعورًا قويًا، ولن أقول لطيفًا، لكنه جاد ومبهج بالاختفاء الكامل، لا للخوف من الموت، بل لأي نفور منه. أنا سعيد جدًا بذلك؛ لأنني أعرف أن هذا الشعور ليس عرضيًا عابرًا، بل إنه سيستمر، ومن الممكن أن يظل في أعماق روحي، وهذا حسن جدًا. يشبه هذا الشعور ما يمكن للإنسان أن يختبره عندما يبتعد كثيرًا عن منزله، ثم يدرك فجأة أنه ليس بعيدًا، بل قريب جدًا من المنزل، ورغم ظنه أنه في مكان غريب، يتضح له أنه داخل منزله.

أنا منهمك طوال الوقت في العمل في (دورة قراءات) بصحبة نيكولا ينيكولايفيتش. لن أقول إنني راضٍ تمامًا عن العمل، لكنني في نفس الوقت لا أشعر بالعكس. أشعر باقتراب يوم ٢٨ (يوم ميلاده) من فرط ما يصلني من خطابات. سأسعد عندما ينتهي ذلك، مع أنني سعيد الآن أيضًا بلا مبالاتي الكاملة بالأمر أو بعلاقة الناس بي، وفي الآن ذاته لم أعد كذلك مطلقًا في علاقتي بالله.

كتبت خطابًا لـ (م) ولست نادمًا عليه^(٥٥).

٢٦ أغسطس.

تحسنت حالتي قليلًا، لكنني لا أزال على فراشي. عملت في (دورة قراءات)، وكلما تقدمت في العمل، لاحظت المزيد من العيوب وأصلحتها. وصلت إلى يوم ٨. يثيرون ضجيجًا من أجل الإعداد للاحتفال بعيد ميلادي، وأنا سعيد لشعوري بالهدوء تمامًا. وصلني خطاب قاسٍ، وأجدني أشعر من جراء هذا الخطاب الذي أستحقه بقدر من القلق أعظم من قلقي إزاء كل الضجيج بشأن عيد ميلادي. حالتي الروحية جيدة، وأعتقد أنني أتقدم. سعيد بالعمل على (دورة قراءات). يساعدنني هذا العمل على استجلاء الكثير. ويا لها من فرحة يا أصدقائي! أنهكت، ولا أريد كتابة المزيد.

١٧ أغسطس^(٥٦).

أفكار لعمل فني:

١ - طفل ينشأ في كنف أسرة برجوازية ثرية، وسط أجواء إلحادية ليبرالية علمية، ويكرس نفسه للعقيدة الكنسية. في غضون ١٥ عامًا يتحول إلى أناركي ثوري.

٢ - ابن مخلص عطوف لكاهن، ينال تعليمًا جيدًا في المدرسة

(٥٥) خطاب إلى صحفي يُدعى مينشيكوف ردًا على مقالته التي انتقد فيها موقف تولستوي من المؤسسات الحكومية والملكية الخاصة وانتقاد سلوكه غير المتسق مع أفكاره؛ إذ لم يمنح أراضيه للفلاحين.

(٥٦) هذا الارتباك في ترتيب تواريخ اليوميات موجود بهذه الصورة في الأصل.

ثم في المعهد الديني الكنسي، ثم يُزوّجونه ويُسمّونه كاهنًا. تقدم ابنة أحد سكان إبراشيته كتابًا لأمه التي تتسم بالكبرياء كما أنها تنتمي لطبقة الانتلجيتسيا. يقرأ لتولستوي وتُثار الأسئلة في ذهنه.

٣- صبي يُعد الابن السادس لمتسول أعمى يثير تعاطف زوجة ليرالي ملحد بارز. تتبناه هذه الأسرة ويرسلونه إلى المدرسة، وبفضل قدراته البارعة ينال درجة علمية. يعود إلى موطنه ويلتقي برفاقه، ويشعر بالهلع، ويُعيد التفكير في كل شيء وينكر العلم، ويرى أن الحقيقة والخلاص الوحيدين في الإيمان بالله.

٤- يبدأ أحد الرفاق في العمل بالتجارة ويربح مليونًا، ويدّعي دور الليبرالي، بينما يعيش على حساب عمل الكادحين.

٥- أحد أبناء الأسر الأرستقراطية، يدعو إلى الدعارة، ثم إلى الأعمال الخيرية، ثم ينكر كل شيء.

٦- ابن متكبر لأحد الأسر المتهالكة من أصول نصف أرستقراطية، يتدبر أمره عبر الزواج^(٥٧)، وآخر محافظ يعمل كجلاد^(٥٨). اعتاد الثاني مداينة الأول، والآن يتبجح!

٧- ابن بورجوازي يشبه هذا الكاتب الأرستقراطي، يعيش على ما يتكسبه لقاء كتاباته في الصحف، ويشعر فجأة بدناءة ذلك ولا يستطيع الاستمرار.

(٥٧) في ذلك الوقت في روسيا كانت الزوجة هي التي تقدم مهرًا (بائنة) للزوج، فكان بعض الرجال يثرون إن وجدوا فرصة زواج جيدة.
(٥٨) ندعوه باللهجة المصرية عشماوي.

١٨ أغسطس.

١- يعيش روح الله داخل جسد كل إنسان. لو لم يكن روح الله الواحد في أجساد الناس جميعاً، لما كانت حياة. لو لم تكن هناك أجساد للناس، تفصلهم عن بعضهم، لما كانت حياة أيضاً.

٢- يُوحّد الحب المرء بالآخرين والله، ويمنحه خيره الأسمى. لم يكن لهذا الحب أن يوجد لولا وجود الجسد، لذا فالجسد ضروري لخير الناس.

٣- هذه الحياة هي تحرير للروح من أسر الجسد، وعندما يحدث هذا التحرر داخل إطار الحب تصبح الحياة نعمة.

٤- خير الإنسان في تحرره بالحب، وما يعوق طريق هذا التحرر هي الأخطاء، بمعنى الخطايا.

٥- لو لم تكن الروح موجودة داخل الجسد، لما كانت حياة. ليس لدينا أي حق للتحديث عن الروح والجسد بشكل منفصل. إننا لا نعرف، ولا يمكننا أن نعرف هذا أو ذاك بشكل منفصل، لكننا لا نستطيع أن نفهم حياتنا دون هذا التقسيم، وبالتالي نعرف أن حياتنا بأكملها هي انهيار مستمر للجسد واستجلاء للروح. بحلول الموت يهلك الجسد تماماً، وبالتالي تُستجلى الروح بتلاشي الجسد.

٢٠ أغسطس.

محاولة إرضاء الجسد أمر مضر؛ لأنه لن يَرْضَى أبداً، بل سيرغب في المزيد والمزيد، لذا كلما ازدادت خدمتك له، ازداد ضعف روحك.

٢- يمكن للجسد وحده أن يعاني، أما الروح فلا تعرف المعاناة. كلما ضعفت الحياة الروحية، ازدادت المعاناة. كم هو خطأ أن نعيش من أجل الجسد لا الروح!

٢٢ أغسطس.

١- الله هو مُشرِّع الحياة، وهذا يعني أنني أعترف بقانون المُشرِّع لكوني إنساناً. هناك قانون للحياة، والله هو مُشرِّعه.

٢- أمر مريع أننا انحرفنا عن طريق الحب، ولكن الأسوأ من ذلك هو أننا اعتدنا الكراهية.

٣- لا يحب الله اللقاءات عن بعد. يمكنك أن تلتقيه وجهاً لوجه.

٤- حلمت حلمًا منفردًا من فرط لا أخلاقيته، وازدادت قناعاتي أكثر من أي وقت مضى بأنه لا يمكن أن يكون للأخلاق أي أساس مادي. إنها السمة الرئيسة للحياة الروحية.

٢٣ أغسطس.

أؤمن بأن ما يعيش عليه العالم غير مرئي وغير مدرك، لكنه وحده له وجود حقيقي بداخلي، كما أن له حياة في حد ذاته. أريد أن أتحد به في كافة تجلياته، وأعرف أن هذا ممكن بالحب. يمنحنا الحب خيرنا الأسمى. ما يعيق تحقق هذا الخير هي خطايا الجسد والذهن والإيمان. خطايا الجسد: الإفراط في تناول الطعام - الكسل - الشهوة الجنسية - أن نُكنَّ ضغينة للناس والكائنات الحية. خطايا الذهن: الإغواءات من قبيل الفخر والكبرياء وعدم المساواة والثراء والرغبة في الانتقام. خطايا

الإيمان هي الخرافات التي تتمثل في إمكانية تحقيق خير الناس بتنظيم شؤون حياتهم بالعنف، وخرافة اختلاف الدول والشعوب، وخرافة القانون الزائف المنسوب لله، وخرافة العلم الزائف.

عونك يا رب الموجود في ذاتك وفي داخلي... عونك لأتحرر من هذه الخطايا على مستوى الجهد والأفكار والعمل. ساعدني على ازدياد أناي الجسدية ونسيانها. ساعدني على الامتناع على مستوى الكلمة والفعل عن أي سلوك لا يسترشد بالحب، ويبعدني عن التحرر. ساعدني على إدراك معنى حياتي في التحرر من خطايا الجسد بالروح. أتذكر، وأريد أن أتذكر دومًا، أن معنى حياتي... حياتي الحقيقية يتمثل في التحرر من خطايا الجسد، في الحاضر وحسب، وأن هذه الحياة في الحاضر تقع داخل نطاق سلطتي، وأن تجليها بالحب يمنحني خيرًا ثابتًا لا يمكن لشيء أن يخرقه؛ لا صنوف معاناة ولا الموت ذاته. ساعدني يا الله الموجود في ذاتك وفي داخلي أن أتذكر دومًا أن ما نسميه «حياة» ليس إلا تحررًا تدريجيًا للروح من أسر الجسد، وأنه لو لم يوجد هذا الجسد وذلك التحرر التدريجي منه، لما وُجدت ما نسميها «حياة» ولما نعمنا بهذا الخير الذي يمنحنا هذا التحرر التدريجي. عونك... عونك... عونك كي لا أنحرف عن طريق التحرر، متذكرًا دائمًا أن فيه وحده الخير والحياة.

٢٤ أغسطس.

يحوز كل كائن حي وعيًا بنفسه ككائن منفصل ووعيًا بالحياة. كل كائن حي يعي نفسه خاضعًا لقانون عام وقانونه الخاص؛ الحجر مثلاً:

الجاذبية وعدم القدرة على اختراقه - النبات: الجاذبية والنمو والتكاثر -
الحيوان: الجاذبية والنمو والتكاثر والتعامل مع أشباهه - الإنسان: الجاذبية
والنمو والتكاثر والتعامل مع أشباهه والسلوك الأخلاقي العقلاني.

٢٦ أغسطس.

كانت الخطايا والإغواءات والخرافات موجودة دائماً، وهي
موجودة الآن وستظل موجودة. تتمثل الحياة وخيرها في التحرر منها.

٢٨ أغسطس.

١ - صلاة قصيرة: لا تتركني. ساعدني كي أخدمك في عملك، وأن
أكون معك وفيك وبك.

٢ - يحقق تناول الطعام عند الجوع، والشرب عند العطش لذة
كبيرة للجسد، ولكن رفض الطعام والشراب وكل ما يريده الجسد
ويتمتع به الروح. لا يدرك ذلك سوى من اختبره.

١ سبتمبر.

لا تتركني وساعدني يا سيدي لأتمكن من تحقيق إرادتك، وأكون
معك دائماً وأحب كل ما هو حي. لا تتركني وساعدني.

٢ سبتمبر.

أشكرك يا سيدي على الحياة وخيرها. ساعدني على عيشها بالحب.
لا تتركني. أريد أن أتذكر دائماً أنك بداخلي وأني لا أعيش إلا بك.

١ - تكمن الحقيقة في التفاصيل.

٢- عوّد نفسك على التصريح بما تود إخفاءه تحديدًا.

أؤمن أنك وحدك الموجود، وأنتك بداخلي وبداخل كل حي. أشعر أنني منفصل عنك، ولكن حياتي فيك، لذا أسعى بالحب صوب الاتحاد بك وبكل حي نَبَع منك. إني أنشد هذه الوحدة، لذا أناضل كل ما يفصلني عنك؛ أناضل شهوات الجسد كالكسل والشهوة الجنسية، والضغينة قبل كل شيء. كما أناضل إغواءات الفخر والكبرياء والأنانية والانتقام. أناضل خرافات حب السلطة والدولة واللاهوت والعلم. أناضل ببذل الجهد في الفكر والعمل وإنكار الذات والتواضع ونشدان الحقيقة وضبط النفس في الفعل والكلمة على السواء. أعرف أن الحياة تنحصر في الحب في اللحظة الحاضرة، وأنه ليس هناك معاناة أو موت بالنسبة للحياة الروحية، بل ما تنشده الروح وحسب؛ الخير. أشكرك.

٣ سبتمبر.

أتعافى. من الممل أن أقول إن حالتي الروحية تزداد تحسنًا. أريد أن أكتب عملاً إبداعياً وأخطط له، لكنني أخشى ألا تعينني قواي على ذلك. نسيت كل شيء، ولا أزال أنسى، فالماضي يتلاشى من أمامي. كذلك يتلاشى المستقبل. كم هذا حسن! تنتقل قوة الحياة بأكملها -وقد تضاعفت بصورة مرعبة- إلى الحاضر. أعني هذا. كم يبعث ذلك سرورًا بداخلي!

١٤ سبتمبر.

أتعافى تدريجيًا. الاحتفالات بأعياد الميلاد تُسعد النفوس الدنيئة

وحسب، لكنها تشق على السامية. لكن لا يسعني أن أشكو كثيرًا، فأنا أتغلب على المشكلة تدريجيًا. تناولت اليوم دفترتي لأدون تحديدًا ما شعرت به لأول مرة هذا الصباح والليلة الماضية. لقد شعرت تحديدًا أن مركز ثقل حياتي قد خرج فعلاً من إطار الجسد وانتقل إلى الحياة الروحية، حتى إنني شعرت بلا مبالاتي الكاملة صوب كل ما هو جسدي، وباهتمامي الذي لا يتوقف بنموي الروحي، أي حياتي الروحية.

أريد أن أدوّن الآتي، فهو ضروري:

١ - فكرت في كتابة الذكاء وقحة ضد شخص نشر عني كلمة سيئة، وأردت أن أكتبها، ثم تذكرت أن هذا ليس حسنًا وقررت ألا أكتب هذه الكلمة. شعرت حينها أنني في حالة روحية جيدة. إن راودك الشك في ما إن كانت تلبية متطلبات الحياة الروحية تمنحك خيرًا مثلما هو الأمر مع إرضاء متطلبات الحياة الجسدية أم لا، حاول أن تقوم بهذا العمل الصالح، حتى وإن انطوى على درجة من الغيرية، ولا تجعل أحدًا يعرف شيئًا عنه. افعل ذلك وسترى أن قدر ما ستناله من سرور إثر إرضاء المتطلبات الروحية ليس أقل مما تناله من إرضاء المتطلبات الجسدية.

آه من السعي لنيل مديح الناس! كم يشوشنا! كم هي أهمية أن نتحرر منه! هناك تعاقب: من أجل النفس - من أجل الناس - من أجل النفس والله. المسافة بين الأول والثاني قليلة، لكنها ضخمة بين الثاني والثالث. جاءني اليوم شاب كئيب. ترك فيّ انطباعًا كئيبًا. سيصلني الآن بعض الثوار من تولا.

تحسنت حالة قدمي، ولكن حالة جسدي العامة، خاصة معدتي، سيئة. حالتي الروحية جيدة. العمل يتقدم. لم أخطر في عمل حقيقي إلا الآن... في الثمانين تبدأ الحياة. من يدرك أن الحياة لا تقاس بالزمن سيفهم أن هذه ليست مزحة. أعمل طوال الوقت في (دورة قراءات). ليست جيدة بما يكفي، ولكن ربما تكون نافعة. أود بشدة أن أكتب عملاً إبداعياً مهماً. تصلني خطابات كثيرة جيدة. كم من الحسن ألا ترى النتائج! هذه هي الحياة: أن تعمل من أجل حدوث نتائج حسنة لن تراها، أو على الأقل تأمل أن تكون كذلك.

في هذه الليلة فكرت في أمرين، دوّنت أحدهما، ونسيت الآخر.

١- إن أردت أن تتحد بالناس، لا تتحد بهما، بل عِش من أجل نفسك وحسب؛ بمعنى روحك، ولا تفكر في الاتحاد، وستجد نفسك تتحد بالصيني والهندي وبإنسان عاش منذ ٢٥ قرناً.

٢- لماذا علينا أن نحب من نبغضهم؟ لماذا علينا أن نتناول الدواء؟ لأن هذا سيسرنا ويجلب لنا خيراً.

٣- الله يحب أن يكون اللقاء وجهاً لوجه، هو وأنت ولا ثالث لكما.

٤- صلاة قصيرة: أريد أن أعيش هنا بك.

٥- هناك هدف واحد لحياتنا: الخير، وهو هدف يمكن تحقيقه. لكن تطلب تحقيق الأمر أن تكون حياتنا داخل إطار الزمان والمكان.

تطلب الأمر أيضًا ألا يكون هذا الخير دائمًا، لكن يمكن تحقيقه، وهذا لصالح الإنسان.

٢٦ أكتوبر.

لم أدون يومياتي منذ شهر تقريبًا. انشغلت طوال تلك الفترة بـ(دورة قراءات). أريد أن أسميها: (تعليم الحياة). حالتي الروحية جيدة جدًا، ازداد اقترابًا من الموت الذي أتعامل معه بوصفه خيرًا، مثل كل شيء سيأتي في المستقبل. بدأت عملاً إبداعيًا^(٥٩). ولكن يصعب أن أكمل هذا العمل أو حتى أستمّر فيه. بدأت كذلك في كتابة خطاب لامرأة صربية^(٦٠). أريد طوال الوقت أن أعبر بمزيد من الوضوح والاختصار عن خطأ حياة الشعوب المسيحية. وصلني بالأمس كتاب من صيني^(٦١)، والكتاب يدفعني إلى التفكير. أفكر كثيرًا. أريد أن أدون بعض الأمور التافهة:

١- تصلني خطابات من شباب يحاولون تحطيم رؤيتي للحياة تحطيمًا تامًا. كنت سابقًا أشعر بالحزن مما تتسم به هذه الخطابات من طيش وثقة مفرطة في الذات ومحدودية في الرؤية، ثم كنت أرغب في أن أكشف لكاتب الخطاب كافة حماقته، أما الآن لم أعد أهتم تقريبًا؛ أقصد أنني لا أهتم بها إلا بقدر ما أجد فيها من توبيخ عادل لي، لكنني

(٥٩) لم يتضح أي عمل بدأ فيه ولم يتمه.

(٦٠) أنذا بتروفيك، وقد سألت تولستوي عن رأيه في إدماج البوسنة والهرسك داخل إطار الإمبراطورية الروسية.

(٦١) وصله كتابان من أستاذ جامعي صيني بالإنجليزية. الكتاب المشار إليه هو:

The Universal Order or Conduct of Life: A Confucian Catechism.

أتركها بعد ذلك. يكفي أن أفكر فيما يتعلق بأسرتي كيف أن كافة الاستنتاجات المنطقية ومختلف أنواع القرب والحب غير قادرة على أن تجعل أحدًا يكف عن افتراضه أن $2+2=5$. إن كان هذا الحال في أسرتي، فكيف أود أن أفعل ذلك مع أناس آخرين غرباء مثل الاشتراكي الذي أتاني بالأمس، أو خطاب ذلك الفلاح المسيحي المليء بالضغينة؟ نعم، كانت عبارة عظيمة تلك التي قالها فرانسيس الأسيزي عن الفرحة الكاملة^(٦٢). نعم، الكثير ممن يتبعونني لا يأخذون من المسيحية إلا الجانب السلبي منها المتعلق بإنكار الشر، ولكن المسيحية الحقيقية ليست في الغضب من سلوكيات غير المسيحيين، بل في محاولة ألا تسلك أنت شخصيًا بطريقة غير مسيحية، أي عليك ألا تغضب.

٢- قتل الناس لخيرهم! يا له من جنون مذهل!

٣- يا لروعة نسياني للماضي بأكمله وتحرري من فكرة المستقبل. نعم، بدأت أخرج من إطار هذه الحياة وأنا لا أزال فيها، بمعنى بدء خروجي من شرطها الرئيس: الزمان.

سأكتب كثيرًا ما حييت. ساءت حالتي الصحية كثيرًا منذ أيام؛ حمى وضعف ورجفة، ولكن حمدًا لله لا يحول هذا بيني وبين العيش.

٢٨ أكتوبر.

مرضت بشدة بالأمس. ضعف ونوم. كان من الواضح لي حينها تمامًا أنه الموت: تلاشي الوعي بهذه الحياة، أو بتجليها. كم كان هذا حسنًا!

(٦٢) راجع حاشية ٢٤٦ في الجزء الخامس من اليوميات.

١- عندما ولدت، متُّ عن حياة معينة وفقدت الوعي بها. لا يمكنني تصور الفكرة الآتية أو تصورها خارج إطار الزمن؛ أقصد أنني بولادتي فقدت الوعي (أستخدم هنا أفعال بصيغة الماضي، فكل شيء في الماضي وبالتالي متعاقب زمنيًا). لكنني لا يمكنني التفكير في هذه الحياة خارج إطار الزمن، وفي الآن ذاته لا يكشف ذلك عن أن تلك الحياة كانت داخل إطار الزمن، وكذلك هو الأمر مع الحياة بعد الموت، حيث ستكون زمنية، بمعنى أنني لا أستطيع التفكير فيها خارج إطار الزمن.

كنت بحالة جيدة جدًا بالأمس، وكذلك أنا اليوم. أشعر اليوم بوضوح وقوة شديدين بالحياة الحقيقية الموجودة خارج نطاق الزمن.

٢- يا لها من فرحة مذهلة لا تُضاهى، تلك التي أختبرها الآن، حينما تحب الناس والأشياء جميعًا، وتشعر بهذا الحب في نفسك، أو بالأحرى تشعر بنفسك في هذا الحب. كيف يزول كل ما نعتبره شرًا بسبب تشوّه نظرنا، ويصبح كل شيء... كل شيء قريبًا منك و...

لا ضرورة لمواصلة الكتابة، فلن أنال سوى إفساد شعوري هذا.

نعم، إنها فرحة عظيمة، من أختبرها لن يقارنها بأي فرحة أخرى، ولن يرغب في غيرها، ولن يأسف على شيء، وسيبذل كافة قواه كي ينالها. إن أراد أن ينالها، يلزمه أمر واحد صغير، لكنه صعب وسط عالمنا المشوه هذا؛ أن يقطع نفسه عن الكراهية والازدراء وعدم الاحترام واللامبالاة بالجميع. هذا ممكن. لقد قطعت شوطًا قصيرًا في هذا الطريق، وأشعر كما لو أنني نلت مكافأة لا أستحقها.

أشعر الآن بقوة شديدة، أو بالأحرى شعرت لتوي في أثناء نزھتي
بھذه الفرحة العظيمة الناتجة عن حب الجميع.

آه لو تلازمني دائماً، أو حتى أختبرھا بين الحين والآخر! يكفي ذلك!

٣٠ أكتوبر.

نمت قليلاً بالأمس، وكتبت بكدّ منذ الصباح عن الصرب، ولكن
يبدو سيئاً. بعدها شعرت بضعف شديد. أفكار:

١ - قُلْ لنفسك إنك بالإضافة إلى معموديتك، تريد أن تحيا حياة
مسيحية فعلاً. يستلزم ذلك تعلم الكثير وبذل الجهد؛ أن تتعلم عيش
حياة مسيحية، وتتعلم كيف تلقى الناس جميعاً بحب واحترام. التقيت
اليوم باثنين بائسين من تولا، وبالأمس التقيت زوجة أندريه (٦٣). عليك
أن تلاحظ علاقتك بالملكية والطعام واللھو والحديث. نعم، لم أبدأ
حياتي حقاً إلا في الثمانين حيث بدأت أتعلم وأفهم ما يجب عليّ تعلمه
فعلاً. أبدأ الآن في التعلم حقاً.

٢ - نسيت للأسف، لكنني أذكر أمراً واحداً: إن شعرت بشيء ما
كرهه، أو بالخوف من أمر ما وأردت أن تخفيه، ابحث في نفسك: أين
انحرفت عن الحب؟ ابحث وستجد الإجابة.

٣١ أكتوبر.

قرأت وراجعت بالأمس خطابي عن الصرب. يبدو أنه مقبول.
راجعته اليوم أيضاً. وصلني خطاب من هندي، وعليّ أن أجيب عنه.

(٦٣) يكاترينا فاسيليفنا جارينوفا: الزوجة الثانية لأندريه ابنه.

مشغول بعض الشيء بـ (دورة قراءات). أمر مهم جدًّا:

١ - أفكر منذ الأمس، واتضح لي تمامًا أن واحدًا من أهم صنوف الوعي - إن لم يكن أهمها - هو الوعي الذي تنبع منه الشروط الأخلاقية؛ الوعي بروحانيتك، بألوهيتك؛ الوعي الذي يستحيل عليك في حضوره أن تراوغ أو تخفي شيئًا أو تخشاه، والأهم من كل ذلك ألا تحب أي شخص مهما كان. أحاول تطبيق هذا الوعي في حياتي كقاعدة عملية كالآتي: ما إن تشعر بالهلع أو الانزعاج من شيء ما وتريد شيئًا ما ولا تحب شخصًا ما، والأهم من ذلك، ما إن تخاف شيئًا ما، تذكر من أنت، وأدرك أنك كيان كلي حر، وحينها سينقضي كل شيء. يتضح إذن أنك إن خشيت شيئًا ما، وأردت شيئًا ما ولم تنله، فالعائق بداخلك. ما إن تدرك ذلك حتى تشعر بالحرية والقدرة الكلية. كل نوع من الاستياء ليس إلا انحرافًا عن الطريق الحقيقي، كأنك تضرب الحائط أو تمضي إلى حيث لا يجب أن تمضي. عُد إلى رشدك وتبع الطريق مجددًا، وستجد نفسك ثانية مع الجميع والكيان الكلي؛ مع الله. حسنًا...

٢ نوفمبر.

فوت يومًا. عملت بالأمس على المقالة الصربية. قاربت على الانتهاء منها. ليست حسنة ولا سيئة... متوسطة. بالأمس شعرت بكآبة في روحي، أو بالأحرى في جسدي، وذلك لأنني لم أستسلم لحالتي. حل الصباح وأريد أن أكتب الآتي:

١ - أتنزه وأجلس على دكة صغيرة، وأنظر إلى الأجمات والأشجار، وأظن أنني أرى وشاحين كبيرين يرتقاليين ساطعين معلقين على شجرة،

وعندما أقرب يتضح لي أنهما ورقتنا شجر. أعزو ذلك إلى بُعد الأشجار عني، وقد ظننتهما برتقاليتي اللون؛ لأنني أعزو اللون إلى جسم بعيد. ثم فكرت: العالم الذي نعرفه بأكمله ليس إلا نتاجًا لحواسنا الخارجية: البصر واللمس وأفكارنا. كيف يمكننا أن نثق في الواقع؛ الواقع الوحيد للعالم بحسب ما نتصوره؟ كيف يبدو هذا العالم للبرغوث؟ كيف يبدو العالم بالنسبة للشعري اليمانية أو لكائن لا أعرفه وهب حواس أخرى أجهلها؟ حتى المكان والزمان، أنا الذي شيدتهما. الكائنات التي أسميها «متناهية الصغر» ليست أصغر مني، وما أطلق عليها «دقيقة» ليست أصغر مما أطلق عليها «الأبدية». الذي يعي هو وحده الموجود، لا الذي يعيه ولا الطريقة التي يعي بها.

١٠ نوفمبر.

لا بأس بحالتي الصحية، باستثناء حرقه المعدة. أشعر بالكآبة منذ الصباح. شعرت بالخزي ولا أزال. أحب ذلك. بدأت العمل على (دورة قراءات)، لكنني عملت قليلًا. جلست ووزعت أوراق اللعب^(٦٤)، ولم يحدث ما فكرت فيه، بل كنت أنتظر مرورًا ما بنفسي. لا يمكنني أن أعبر عن الأمر بطريقة أخرى... كنت أنتظر مرور الله. وماذا إذن؟ يبدو أنني انتظرت طويلًا. لا أعرف ما إن كنت سأستطيع التعبير عما انتظرته أم لا، ولكن بالنسبة لي، بالنسبة لروحي، كان لذلك أهمية ضخمة باعثة على السرور.

انشغلت بقراءة اليوميات وتدوين الأفكار الخاصة بـ(دورة قراءات)، ولم أنس الفكرة ذاتها، لكنني فقدت القوة اللازمة لفهمها، لكنني سأكتبها على أي حال:

(٦٤) كان يلعب لعبة كروت ذات لاعب واحد تشبه السوليتير الآن، لكنها تحاول قراءة الطالع.

لقد تحددت كافة مسارات الإنسان عدا مسار واحد؛ السعي صوب الكمال وزيادة القوة الروحية والتحرر من الجسد والاقتراب من الله. هذا هو العمل الوحيد العقلاني في الحياة، ولا يتم إلا في الحاضر. الماضي لا وجود له، وهو مثل كافة العلاقات الأخرى الخاصة بالعالم، ليس إلا مادة لطريق سلوكنا صوب الكمال. لا تتخذ المستقبل أبدًا هدفًا لنشاطك، وهذا هو الأمر الرئيس الذي أدركته اليوم بحيوية شديدة. المستقبل من حيث كونه تصورًا لما سيحدث، لا يجب أن يكون حاضرًا لإنسان حي عاقل. لا وجود سوى للحاضر الذي يمكنني أن أقوم فيه بالعمل الملائم لي في هذه الحياة. ينتج عن ذلك أيضًا أنني لم أوهب أن أعرف ماذا سيحدث في العالم، لكن الناس يظنون أن بإمكانهم معرفة ذلك وبالتالي يسترشدون به، وهذا هو منبع الشر الرئيس في العالم، ولم نوهب أيضًا معرفة ما سيحدث لأرواحنا. هذا يعني أننا إن أردنا أن نفعل الأفضل ونعيش حياة صالحة فلسنا في حاجة إلى فعل ذلك لشيء خاص في منظورنا. كم هذا حسن! إننا لا ننال فرحة حقيقية بالخير إلا عندما لا ننال شيئًا في المقابل.

راودتني فكرة أن الروح تعد نفسها بالحياة الصالحة لحياة أخرى أفضل بعد الموت، لكنني أدركت أن الأمر ليس كذلك. لن يحدث شيء في المستقبل... كل شيء كائن فعلاً. إن عشت بصلاح، ستجد الخير الذي يمكنك أن ترغب فيه في اللحظة الآتية. يا لها من حرية وقوة عندما تصبح الحياة كلها في الحاضر!

كتبت فعلاً، ولكن بدرجة لا تتخطى ٠,٠٠١ من القوة والسرور
الذين انكشفوا لي.

٢- يزداد وعيي وإدراكي أكثر فأكثر لعدم إمكانية الحياة في ضوء
المستقبل. يستحيل أن تنظم شؤون الدولة أو أسرتك أو حتى نفسك!
اترك أمر ما سيحدث لله، وعش أنت في ما يحدث في الآن، محاولاً أن
تفعل ما أراد الناس دوماً فعله، وما علموه، والأمر الوحيد الذي بإمكانك
فعله دون أن يوقفك عائق، وما تريده حقاً، الشيء الوحيد الذي يمكن أن
يمنحك سعادتك الحقيقية؛ أن تصبح أفضل وأكثر محبة.

١٥ نوفمبر.

١- استمررت في لعب الورق بالأمس حتى منتصف الليل^(٦٥). أمر
مخزٍ ودنيء. قلت في نفسي: سيقولون: ها هو المعلم الصالح! يلعب
الورق لمدة ثلاث ساعات! ثم فكرت لتوي قائلاً: «هذا ما أحججه حقاً،
فحياتي الصالحة تحتاج إلى التواضع». ولكن قد يُقال إن الجنرال لا بد
أن يظل جنرالاً، والرسول رسولاً والمعلم معلماً. هذا غير صحيح. لا
بد أن يظل الإنسان إنساناً، وهو مفطور قبل أي شيء آخر على التواضع،
والرغبة في أن يكون متواضعاً. لا يعني ذلك أن عليّ أن ألعب الورق بينما
بإمكانني أن أفعل شيئاً آخر مفيداً للناس، لكنه يعني أن عليّ ألا أخشى
أحكام الناس، بل على العكس؛ أتحمّلها دون أن يطرف لي جفن.

٢- صليت حسناً اليوم. يا لجمال عبارة: لتكون إرادتك لا إرادتي،

(٦٥) يلعب بمفرده.

وبالطريقة التي تريدها لا التي أريدها! كم يحسن أن يفهم المرء ذلك بوضوح وعمق! كل شيء هنا. لا يسير كل ما هو خارجي بحسب إرادتي بل بحسب إرادتك، وهذا يعني أن كل شيء يجري حسناً، كما لا بد له أن يكون. أما ما يجري بداخلي؛ فأريده أن يتم وفقاً لإرادتك، أي أود لو يجري بداخلي حب لا يتوقف.

٣- أعرف بالتجربة مدى نفع وسرور ألا تدين أحداً بالكلمات، خاصة على مستوى الفكر.

٤- بالأمس استشطت غضباً على الجواد. يا للدناءة!

٢٨ نوفمبر.

لم أتصور أبداً أنني لم أكتب طوال هذه المدة! لم أفق إلا منذ ثلاثة أيام فقط وبقدر، وكنت نائماً طوال تلك الفترة، ولم أكن في حالة روحية جيدة. أكتب طوال الوقت في خطابي إلى هندي. أكرر كل شيء. حالتي الصحية سيئة، أما المعنوية فأشعر أنها حسنة طالما أنا نائم، وفي أوقات اليقظة أشعر دائماً بعاطفة رقيقة وبهجة.

بالأمس وصل ميشا وزوجته والشاب فيازيمسكي^(٦٦). استدعيتهم وقرأت لهم بعض مقاطع (دورة قراءات) وتحدثت، وسعدت بذلك. يزداد شعوري بلطف ميشا وزوجته. كتبت لتوي في خطابي إلى هندي. لا أعرف ماذا سأكتب بعد هذا الخطاب. لا أظن أنني سأكتب عملاً فنياً. رغبت في ذلك لكن انقضت الرغبة.

(٦٦) دعا ميشا (ابن تولستوي) الأمير الشاب فيازيمسكي لزيارة والده.

كنت سأقول إني في حالة سيئة جسديًا، ولكن هذا غير صحيح. صحيح أنه ضعف، لكنه ليس سيئًا. عملت بالأمس على خطابي إلى هندي، واستغرقت طوال فترة المساء في قراءة كتاب ساندرا لاند لأتمكن من الرد على الخطاب^(٦٧). حلمت ليلاً أنني تارة أكتب وأؤلف مسرحية عن المسيح، وتارة أخرى أعيش فيها فعلاً؛ أنا والمسيح وجندي. أذكر كيف علّق سيفه بوضوح شديد. رحلت صوفيا إلى موسكو. خطرت على ذهني فكرة عمل فني راقية جدًا، لكنني نسيتها ولا أستطيع تذكرها. عليّ أن أدوّن الأفكار حتى لا أنساها. أريد كذلك أن أعرف ما إن كنت سأتمكن من الأساس من كتابة عمل فني أم لا. إن لم يكن ذلك في مقدوري، عليّ ألا أحزن. عليّ أن أجرب ذلك في جزء صغير. سأنقل ذلك من دفتر أفكاري:

١- اعترف أنك مذنّب، وسينجلي لك كل شيء. اعترف بأنك مذنّب أمام الله وأمام نفسك، وستجد كل شيء يسيرًا. دعهم يظنون أنني مذنّب أمامهم... نعم لا بد أنني مذنّب أمامهم.

٢- يزداد شعوري بالخزي من الثراء أكثر فأكثر، وكذلك حزني من الفقر.

٣- كتبت سابقًا: الموت توقف لقوى الحياة داخل نطاق المكان

(٦٧) كتاب بعنوان (الإنجيل: أصله وتطوره وشخصيته)، وقد نشرت ترجمته الروسية، وقد أرسل تولستوي مقاطع منه ردًا على خطاب يسأله عن رأيه في المعجزات.

والزمان. نعم، إنه توقف، لا للحياة نفسها، لكن لتجليها داخل الزمان والمكان.

٤- حركة الجسد في المكان والزمان شرط رئيس للحياة، رغم ذلك، هذه الحركة في حد ذاتها محض عبث للعقل والوعي على السواء. الأمر الوحيد العقلاني والمتسق مع الوعي بمغزى الحياة هو تحرر الروح من هذه الشروط. الحياة هي تحرر تدريجي، والموت هو التحرر النهائي.

٥- الأنانية الروحية هي أسمى حالة روحية، بمعنى أن يصبح كل شيء من أجل النفس الحقيقية التي يسكن فيها الله.

٦- السرقة؟ لا وجود للسرقة إلا في ظل حياة غير مسيحية. لا وجود لها إلا بين اللصوص. أين يمكن أن نجد مكاناً للسرقة حينما تمنح رداءك أيضاً لمن يأخذ ثوبك^(٦٨)؟

٧- إن كافة مظاهر تقدم عالمنا المسيحي مشروط بغياب المتطلبات الأخلاقية الدينية في معظم أفراده. يؤدي هذا الغياب إلى استعباد الأقلية للأغلبية، وبذل الجهد في طريق زيادة مسرات الحياة.

٨- أكثر العلوم حاجة لنا هي الدينية. تؤدي مقارنة كافة الأديان ببعضها إلى الكشف عن الحقيقة الدينية العامة للجميع، ومظاهر النمو العرضية.

أردت أن أكتب أيضاً عن فقداني لذاكرتي، وعمّا قلته لبوشا العزيز

(٦٨) «مَنْ أَرَادَ أَنْ يُحَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا». متى ٥: ٤٠.

الذي رحل بالأمس؛ أقصد عما يتعلق بأنني خلية صغيرة ضرورية وسط جسد لا نهائي، لكن يجب أن أمضي لشرب القهوة والعمل.

٣ ديسمبر.

أنا في حالة روحية جيدة جدًا. نمت كثيرًا. بدأت بما رأيته في نفسي؛ بدأت بكل دناءتي وهيمنة الرغبة في نيل مديح الناس على متطلبات الحياة الحقيقية. أدركت ذلك أيضًا - وهو أمر لاحظته منذ زمن بعيد - في شعوري الكئيب الذي امتلكني إثر خطاب امرأة يوبخني على خطاي، لذا بدأت أبحث باهتمام شديد أثناء قراءتي للصحف عن اسم «تولستوي». كم لا أزال بعيدًا عن أن أكون حتى في حالة معتدلة! كم أنا سيئ! أكتب ذلك الآن وأسأل نفسي: ألا أكتب ذلك لأجل أولئك الذين سيقراون اليوميات؟ ربما جزئيًا. نعم، لا بد أن أعمل على نفسي، وأن أفعل - وقد بلغت الثمانين - ما فعلته بحيوية شديدة عندما كنت في الرابعة عشرة أو الخامسة عشرة من العمر؛ السعي صوب الكمال، مع وجود فارق واحد؛ أن تُثل الكمال وقتها كانت مختلفة عن مُثلي الآن، فقد انحصرت وقتها في العضلات، وكل ما كنت بحاجة إليه بشكل عام لتحقيق النجاح بين الناس. ليتني أدرب نفسي على توجيه كافة طاقتي صوب خدمة الله والاقتراب منه. لا يمكن لهذا الاقتراب أن يتحقق دون خدمة الناس. إن عشت حتى في صحراء ومث، لا يعرفني أحد، سأعرف ذلك أن سعبي صوب الكمال واقترابي من الله أمر ضروري. ساعدني... ساعدني على العيش بك! أكتب هذا والدموع تتساقط من عيني. هذا حسن.

أعدت الآن قراءة ما كتبته هنا في دفتر يومياتي هذا العام، وشعرت
براحة روحية شديدة. عليّ تدوين الآتي:

١ - إن الجهد الموجه صوب هيمنة أناي الروحية على الجسدية
والنصف جسدية؛ صوب السعي إلى الكمال والاقتراب من الله وتطهير
الذات، يجلب فائدة من نواح كثيرة جدًا، خاصة لكونه يحررني من كل
ما يتسلط عليّ من الاهتمام بنيل مديح الناس. إن توجيه كافة الجهود في
الحياة صوب الاقتراب من الله، من شأنه وحده أن يحرر صاحبه من هذا
الإغواء المريع.

احتفظ لبرهة بقطعة حلوة من الطعام في حلقك لتكتشف مذاقها،
ثم ابصقها، ولا تحك لأحد عن ذلك.

٢ - لقد فقدت الذاكرة، والمدهش في الأمر أنني لم آسف على ذلك
أبدًا. يمكنني أن آسف على فقدانني لشعري، لا ذاكرتي. من الواضح أن
فقداني لها نتيجة لاكتسابي ما لا يتسق مع الذاكرة. كما يستبعدون البقايا
الصغيرة عندما يأخذون اللحم، كذلك هو الأمر مع الذاكرة. إنها ليست
سوى مادة لا بد منها لفهم معنى الحياة.

٣ - أنا في حاجة إلى الله كما هو في حاجة إليّ. لا أقصد أنه بحاجة
لي أنا «ليف تولستوي» بل في حاجة إليّ كتجلٍّ له، كواحد من وسط
عدد لا نهائي من الأعضاء الصغيرة التي تشكل جسده اللانهائي، وأقول
ذلك لأنني لا أستطيع فهم شيء خارج نطاق الزمان، وما هو غير زمني
يتمثل لي في صورة اللانهائية. ضرورتي بالنسبة كضرورة أصغر خلية
في جسدي لي، ولكن الأمر لا يقتصر على هذه الخلية تحديدًا.

عبرت عن الفكرة بغباوة لكنني أفهم ما أريد قوله (بالفرنسية).

٤ ديسمبر.

انشغلت بشدة يوم أمس؛ كتبت في اليوميات، وكتبت عن إرتيل^(٦٩)، كما راجعت مقدمة جزء جديد من (دورة قراءات). دار حوار ثقيل الوطأة مع صوفيا. أثناء الحوار شعرت بالأسف عليها، وبعده بعاطفة رقيقة صوبها. دوّنت أفكارًا مهمة جدًا:

١ - عندما تفكر في أفعالك القادمة، وعند قيامك بأي فعل، فلتسأل نفسك إن استطعت: لمن سأقوم بذلك؟ لنفسي أم لله أم لضميري أم للناس ونيل استحسانهم؟ اسأل نفسك: هل كنت لأقوم بنفس الفعل لو لم يعرف أحد عنه شيئًا، واستمر جهل الناس به للأبد، ليس ذلك وحسب، بل إن أداني الناس أيضًا على هذا الفعل الذي قمت به اتباعًا لصوت ضميري؟

عليّ أن أتعود على ذلك. هذا هو العمل الوحيد المهم في الحياة؛ لصبي في الرابعة عشرة وشيخ في الثمانين على السواء.

أحيانًا لا أستطيع ألا أرى نفع أعمال الصالحة، ولا يمكنني ألا أتأثر وأبتهج بذلك. ولكن تذكر دائمًا أنك لن ترى العواقب الرئيسة لأفعالك رغم حدوثها.

٢ - لا شيء في العالم عظيم، بل هناك ما هو حقيقي وما هو غير حقيقي

(٦٩) طلبت أرملة الكاتب الروسي ألكسندر إرتيل من تولستوي أن يكتب مقدمة لطبعة جديدة من أعمال إرتيل.

وحسب. الأشياء جميعاً لها نفس درجة العظمة والضآلة على السواء.

٦ ديسمبر.

كتبت برهاناً طويلاً عن المادة والحركة والمكان والزمان. سأنسخه هنا فيما بعد. بالأمس شعرت ببعض الضعف، ولكن حالتي الروحية تتحسن أكثر فأكثر. أرى بوضوح وأشعر وكلي سرور بإمكانية أن أنقل كافة اهتمامي ومغزى حياتي وكافة أمنيائي إلى ما هو داخل نطاق سلطاني وما يمنحني خيراً دائماً؛ لن أقول صوب الكمال الروحي، بل صوب الاقتراب المتزايد من تحقيق الإرادة الكلية، لا إرادتي. في العقد التاسع من عمري وحسب، بدأت أعود نفسي وأروضاها. ساعدني يا رب في كل دقيقة، وفي كل عمل، ومع كل فكرة، أن أتذكر ما إن كنت أفعل ما أفعله لتنفيذ إرادتي أم إرادتك. هل أفعل ما أفعله من أجل الناس أم من أجل أناي الروحية؟ أتذكر، وآمل أني سأصل إلى حيث لا يعود من الضروري أن أتذكر. ساعدني يا رب.

لا أزال متعثراً في خطابي إلى هندي. يبدو أن كل ما كتبته هراء وتكرار. يجب أن أنهيه وأتحرر منه. أريد أن أكتب عملاً إبداعياً، لكني لا أستطيع البدء لغياب تلك الرغبة الملحة التي تجعلك لا تستطيع إلا أن تكتب، كما تتزوج حينما لا تستطيع إلا أن تتزوج. أريد أن أعد شيئاً حقيقياً قريباً إلى قلبي لتسجيله على الفونوجراف^(٧٠).

(٧٠) أرسل إديسون رجلين إلى ياستايا بوليانا ليسجلا لتولستوي، وقد سجل فعلاً بعض الأفكار بالروسية والإنجليزية والفرنسية.

١- ما نسميها «حياة» هي جزء، أو بالأحرى تجلٌ للحياة التي ندركها في الجسد.

٢- كم أنا سعيد! إن كان الكثيرون يكرهوني دون حتى أن يعرفوني، فكم يحبونني حبًا لا أستحقه! كان لا بد لأولئك الذين رأوا أنني أهشم نظرتهم الدينية المتخيلة، أن يكرهوني، ويحبوني بسبب مثل هذه التفاهات التي قمت بها «كالحرب والسلام» وغيرها والتي تبدو لهم شديدة الأهمية.

صدر خطابي المتعلق بالمسألة الصربية في (صوت موسكو) وقد سررت جدًا بذلك.

مساء ١٤ ديسمبر.

لم أدوّن يومياتي طوال ستة أيام. أنهيت خطابي إلى هندي، لكنه ضعيف ومكرر. كتبت بضعة خطابات. صوفيا في موسكو. في الأربعة أو الخمسة أيام الأخيرة شعرت بالضعف. لم تكن حالتي الروحية بالغة السوء، لكن إعدام الناس وتعذيبهم قد أثار بداخلي اليوم غضبًا وشعورًا سيئًا شرييرًا صوب الجلادين. أفكر في عمل فني، ويبدو كما لو أن الفكرة ستظهر. دوّنت فكرة مهمة جدًا عن الله الحب، سأدوّن هنا لاحقًا. فكرت في أفكار أخرى مهمة:

١- يذهب الأطفال صوب الله مباشرة... لا أتذكر السياق، لكنني نقلتها هنا كما دونتها سابقًا.

٢- عن فقدان الذاكرة: إنها نعمة عظيمة أن تنسى نفسك وشخصيتك.

أشعر بضعف شديد لم أشعر به منذ فترة طويلة. عادت صوفيا اليوم. لم أكتب شيئاً طوال الصباح، ولم أفعل شيئاً سوى لعب الورق بمفردي. أريد أن أدوّن بعض الأفكار التي لم أدوّنّها في دفتر أفكارى.

١ - الحياة الحقيقية المباركة هي الحياة الواعية، والتي تصبح بأكملها محض تنفيذ لإرادة الله. الحياة الحقيقية هي أن تصنع اتساقاً بين إرادتك وإرادة الكيان الكلي، وتُخضع الأولى للثانية.

٢ - يتأسس تصور الإنسان عن المادة والحركة والمكان والزمان في انفصاله عن العالم والكيان الكلي. على الإنسان أن يتصور المادة متحركة كي يعي نفسه منفصلاً. أقول يتصور «المادة»؛ لأن الانفصال والاندماج يفترضان وجود شيء في الأساس. هذا الشيء هو المادة، وهي متحركة لأن بالحركة وحدها يمكن أن ينفصل جزء من المادة عن الآخر. لا يمكن تصور المادة المنفصلة بطريقة أخرى إلا بشغلها حيزاً في المكان. الحركة، بمعنى تغير الموضع في إطار المكان، تتضمن بداخلها تصوراً عن أن المادة كانت في موضع وأصبحت في موضع آخر؛ هذا هو مفهوم الزمن.

ليس هناك معنى حقيقي للمادة والحركة، أو المكان والزمان، بل هم بمثابة شرط ضروري لوعينا بالانفصال، وما يثبت ذلك هو أن هذه المفاهيم لا يمكن أن تتمثل إلا في صورة لانهائية، أي أنها لا تحوز في ذاتها أي معنى حقيقي. ما هو حقيقي وواقعي هو أمر واحد وحسب؛

انفصال الإنسان عن الكيان الكلي، أما المادة والحركة، والمكان والزمان فهم مجرد أفكار شرطية ضرورية لوعي الإنسان بانفصاله.

٢- لا يتحقق أي خير هكذا بسهولة. لا نصل إلى الموت إلا بالمعاناة. إنهم يلففونه لأجل أولئك الذين لا يرون فيه خيرًا.

٤- هناك نوعان وحسب من الناس: المتدينون الذين يعيشون من أجل تحقيق الإرادة العامة، وغير المتدينين وهم الذين يعيشون من أجل أنفسهم. الفارق بينهما أكبر من الفارق بين الذئب والأرنب.

٥- العلم من حيث علاقته بقانون الحب (اللا مقاومة) يقوم بما قام به الدين، فهو لا ينكر قانون الحب مباشرة، لكنه يضع قوانين معينة أسمى منه، وهذه القوانين تدمره. في الدين كان القانون هو الامتثال لسلطة معينة من الله، وفي العلم كان الامتثال لقوانين تاريخية واقتصادية وطبيعية.

٦- تنفي رسائل يوحنا أي تصور عن الله عدا الحب أو أنه مصدر الحب الذي يدركه كل إنسان بداخله. السؤال ليس عن شيء أو شخص، بل عن إمكانية العيش بالحب أم لا.

إن لم يكن هناك إله آخر سوى الحب، فإما أنك تريد أن تخدم الحب وإما لا، وإن شعرت بعدم كفاية الحياة لأجل نفسك فأنت في حاجة إلى التواصل مع كيان أسمى؛ الكيان الكلي... العالم.

هنا تنبع أهمية الإيمان؛ لأنه غير ممكن إلا في العمل. تعود قوته إلى أنه قد صُفّي من كل ما هو زائد، ولم يعد فيه سوى ما يعرفه كل إنسان بالعقل والقلب.

الصلاة في ظل هذا الإيمان ليست هي الصلاة التي نتوجه فيها بالطلبة لشخص ما قائلين: ساعدني... أشفق عليّ، بل هي الصلاة التي نقول فيها: «أعرف أنك الحب، وأريد أن أعيش بك».

صياغة سيئة.

٧- الحب هو الوعي بحياتك الحقيقية الواحدة في الكيان الكلي. يأتينا الأطفال من هناك، ويكون شعورهم في البداية بهذه الحياة وبتجليها الوحيد الملائم لنا، أي الحب، لا يزال واضحًا. الوعي بحياتك الشخصية هو خداع للذات. مع التقدم في الشيخوخة تتحرر من هذا الوهم، وبالموت تتحرر منه كاملاً.

١٨ ديسمبر.

لم أدوّن يومياتي لثلاثة أيام. عادت صوفيا. وصل ريبين (الرسام) ونوردمان (رفيقه). لا أزال أشعر بالضعف. أفكر في فكرة عمل إبداعي. بدا لي أنني قادر على كتابتها. كتبت تمهيدًا ساخطًا جدًا ومقدمة بلا قيمة^(٧١). ضعيف روحياً. وصلني مساء الأمس خطاب شرير عن أنني أجمع ثروة من كتاباتي، وكنت أشعر بالضعف إلى حد أن أحزنني ذلك وكتبت ردًا عليه، لكنني تخلصت من الرد ولم أرسله.

تصفحت اليوم يومياتي، لكنني غير قادر على كتابة شيء. ودّعت ريبين لتوي. صوفيا مريضة. سأنقل ما دوّنته في دفتر أفكاري:

١- تذكّر الماضي ومحاولة التكهّن بالمستقبل يؤسسان ما نسميها

(٧١) تمهيد ومقدمة لقصة بعنوان (القتلة) عن الثوار، لكنها لم تكتمل.

«الشخصية» ونعيمها أنها كذلك. اجعل إنساناً يتوقف عن تذكر الماضي والتكهن بالمستقبل، وسيزول الزمن بالنسبة له، وبدلاً من الشخصية لن يبقى له شيء سوى الحب الذي سيوجهه صوب كل المحيطين به في هذا العالم؛ كل مَنْ هو منفصل عنه وعن الآخر. سيشعر الإنسان بنفسه ويدركها في صورة غير متحركة وسط العالم المتحرك المحيط به؛ فشخصيته تشكل جزءاً من العالم المتحرك. سيشعر الإنسان أن العالم يتحرك أمامه، كما تتحرك الأرض أمام الشمس، بينما هو ثابت، كنبوت الشمس أمام الأرض، متحدًا بضوء الله الذي يضيء العالم بأكمله الموجود قبالته وحول. حرّر إنساناً من تذكره للماضي وتكهنه بالمستقبل، حرّره من الزمن وسيتحرر من الخداع الذي مفاده أنه هو، لا العالم، من يتحرك.

نفس الفكرة بطريقة أخرى:

ليست الشخصية سوى ذكرى مسترجعة عن الماضي ورغبة في المستقبل. ما إن يزول هذا وذاك، ويزول الزمن، بمعنى أن تحيا في لحظة لا زمنية؛ في الحاضر، حتى تزول الشخصية، ولا يتبقى سوى أساس الحياة؛ الحب (الله). هذا ما يمكن أن يحدث إن هجر الإنسان ذكرياته وأمانيه تمامًا. الأمر الوحيد الممكن في الحياة هو الاقتراب، وكلما قلت ذكرياتك وأمانيك، أي كلما زال أكبر قدر منها، ضعفت الشخصية وازداد تجلي الحب (الله) في حياتك، وازداد عيشك لحياتك خارج نطاق الزمن، ووعيت أن المتحرك ليس أنت، بل العالم، وذلك حتى تتمكن من إدراكه.

٢- نرتكب خطأً كبيراً إن اعتقدنا أن المكتشفات التي تزيد سلطان الناس على الطبيعة في الزراعة وفي تكوين المركبات الكيميائية من

المواد المختلفة وإمكانية زيادة تأثير الناس على بعضهم عبر الطرق ووسائل الاتصالات والطباعة والتلغراف والتليفون والفونوجراف هي نعمة. لا يمكن للسلطان على الطبيعة وزيادة إمكانية تأثير الناس على بعضهم أن يجلبا خيراً إلا إن استرشد نشاط البشر بالحب والرغبة في عمل الخير للآخرين، ولن يجلبا سوى الشر إن استرشد الناس في نشاطهم بالأناية والرغبة في خير كل فرد لنفسه وحسب. يمكن مثلاً للتنقيب عن المعادن أن يؤدي إلى تحسين حياة الناس، أو يمكن توجيهه إلى صنع المدافع، ويمكن أن تؤدي زيادة إنتاجية الأرض إلى توفير الطعام للناس، ويمكنها كذلك أن تصبح سبباً لزيادة تعاطي الأفيون وشرب الفودكا. يمكن لوسائل الاتصالات ونشر الأفكار أن تنشر تأثيرات طيبة أو شريرة. في مجتمع لا أخلاقي إذن - كمجتمعنا المتهومة مسيحيته - لا يقتصر الأمر على أن زيادة سلطان الإنسان على الطبيعة ووسائل الاتصالات لا تحققان الخير، بل إنهما ستؤديان لا محالة إلى شر واضح.

٤ - شعرت بالأمس بالنفع الكبير لحالة الروح الكئيبة، حيث لا تقاربني فيها المسائل الدينية، وأشعر فيها أنني لا أود أن أحب، بل أدين وأكره. حسناً أن تجبر نفسك في مثل هذه الظروف على الوعي بها ومنازلتها، والأهم أنك عندما تدرك نفسك في هذه الحال، تستطيع أن تفهم جنون الناس عندما يكونون كذلك، وبالتالي يمكنك ألا تغضب منهم، بل تشفق عليهم.

٢٧ ديسمبر.

فوتُ أياماً عديدة. جاء زوار كثيرون، ووصلتني خطابات جيدة.

انخرطت طوال الوقت في العمل على مقالتني عن مقالة ستوليين^(٧٢)، ولكن يبدو بلا جدوى. اتضح في ذهني فكرة العمل الإبداعي، ولكن ليست لديَّ رغبة في كتابتها. مرضت. كتبت بضعة خطابات: لكاهن وعن الكتاب المقدس وعن المكان والزمان.

سجلت فكرتين وحسب:

١ - صلاة: أريد أن أعيش الآن فيك وبك حتى لا تكون إرادتي، بل إرادتك، وبالطريقة التي تريدها أنت لا أنا.

٢ - صلاة أيضًا عند التعامل مع أي إنسان: تذكر أن الواقف أمامك ليس قاتلاً أو فاسقاً أو شرطياً أو ملكاً أو جاسوساً، بل تجلّ لله. تذكر من الذي تقف أمامه، وعامله كما تتعامل مع أقدم ما في هذا العالم.

٣ - بينما تستمع إلى حديث عن أناس أشرار، أو تقرأ كتباً غبية سيئة، حسناً أن تتذكر أن من فعلوا أو كتبوا ذلك هم بشر، أي أنهم كائنات تكشف - أو يمكنها أن تكشف - في نفسها عن تجلّ لله. هذا ممكن. يمكنك أن تُعوّد نفسك على ذلك. يا لعظم سعادتك إن فعلت ذلك! أشعر كثيراً بالخزي عندما أُحدّث البعض عن كيف يجب أن نعيش، وعن منع خطئهم. هذا خطأ كبير. عليّ أن أفعل ذلك في أعوامي المتبقية، وهذا هو واجبي المباشر.

أثناء تنزهني بالأمس التقاني شاب بالدموع، لكنه تحدث بشكل غير مترابط وغير مفهوم عن مراده، حتى أنني ابتعدت عنه، وراودني شعور

(٧٢) كتب ستوليين (رئيس الحكومة) مقالاً حاول فيه أن يبرر عقوبة الإعدام بليّ عنق بعض نصوص الأناجيل، فرد عليه تولستوي بمقالة بعنوان (عقوبة الإعدام والمسيحية).

غير طيب، بل وقلت أيضًا كلمات غير طيبة. ولكن حمدًا لله، تعذبت فعدت للبحث عنه، ولحظي الحسن لم يكن قد بارح مكانه، فتحدثت معه على نحو رائع.

وصلت طلبه من بطرسبرج ومعهم رسالة^(٧٣). أمر صعب، ولكن عليّ أن أتذكر دائمًا أمرًا واحدًا؛ الحب الآن.

٢٨ ديسمبر.

أرسلت المقالة لتشير تكوف، وأردت أن أكتب (الضالون)^(٧٤)، ولكن بلا جدوى. لديّ ما أقوله. أنا بخير روحياً. أتعلم تدريجياً ألا أفكر بضغينة. كل شيء يتلخص في ذلك، ويمكنني أن أعود على ذلك. عونك يا رب الكائن بداخلي. جاء الطلبة، وكان الأمر صعباً. نسيت أنه يتوجب عليّ أن أتعامل بورع، لكنني أتقدم على أي حال. البلية في تفكيري المتشدد، لكنني أتقدم.

٢٩ ديسمبر.

أشعر أنني بخير تمامًا. للمرة الأولى أكتب بهذه الحماسة حتى وإن كانت كتابة سيئة. لا أعرف ماذا أسميها. ربما (ما من مذنبين). يمكنني تصورها، ورؤية إمكانية إتمامها، وهذا يرضيني. كنت أفكر بوضوح صباحًا ومساءً في مدى تعاسة الأثرياء. إنهم تعساء؛ لأن الخير الحقيقي الوحيد في الحياة هو حب النفس للنفس، والثري محروم دائماً من ذلك. كلما ازداد ما يوزعه، طالبه الناس بالمزيد، وقل حبه لهم، وهو لا

(٧٣) قرأوا عليه خطبة هاجمته بشدة ووصفته بالرياء والكذب.

(٧٤) عنوان بديل لقصة (القتلة) التي لم يتمها.

يستطيع أن يحب أولئك الذين لا يرون فيه سوى حافظة نقود. يظل الأمر كذلك حتى يوزع كل ما لديه. حينها فقط تظهر إمكانية التعامل بحب مع الجميع، ولا يكون الحب كاملاً إلا عندما يكون صوب الجميع.

أشعر وأعي أنني في حالة رائعة. في هذه الحالة يسهل حب الجميع. ساعدني على الاتحاد بك وبكامل تجلياتك، وعلى العيش بك. عونك، فلست أريد سوى شيء واحد.

مضيت بعيداً بالجواد بصحبة ماريا نيكولايفنا وسيريوجا الصغير ومعلمه. سأمضي لتناول الغداء.

٣٠ ديسمبر.

وصل نيكولاي نيكولايفيتش. وصلني خطاب مؤثر من بتروفا (٧٥) وهي في السجن. أجبته عن خطابها. جاءني اليوم فلاح متسول وطالب أخبرني عن طلب مذهل لامرأة حتى توافق على زواجه بها. ثم جاءني أندريه وشؤونه المالية، ثم جاء رجل مجنون، وبعدها وصلني خطاب من طالب يقول فيه إن الحياة يجب أن تكون شريرة. شعرت أن روحي في حالة جيدة جداً بالأمس، وشعرت بالبهجة والحب. اليوم أنا في حالة أسوأ، ولكن حمداً لله أشعر طوال الوقت بالبهجة والامتنان. كنت على وشك أن أبدأ الكتابة في القصة، ولكني لم أستطع. يعدون حفلة تنكرية وأشعر بالأسف.

(٧٥) سُجنت بتهمة إثارة القلاقل بين الفلاحين، وأرسلت خطاباً لتولستوي تصف فيه أحوال السجن. نصحتها تولستوي في خطابه أن تحاول تربية مشاعر طيبة بداخلها صوب المسجونين والسجّانين على السواء.

١- الحياة هي الوعي بالانفصال، ويستلزم ذلك أن يتصور المرء نفسه داخل إطار المادة، وبالتالي يتصورها متحركة. لا يمكن تصور المادة الثابتة منفصلة، فلا بد لها أن تتحد بكل شيء، بينما لا يمكن تصور النفس متحركة إلا في صورة المادة التي تشغل حيزاً في الفراغ. في غياب مادة تشغل حيزاً في الفراغ، لا يمكن تصور الحركة، ودون حركة لا يمكن تصور الانفصال. لا يمكن الوعي بحركة النفس إلا بالوعي بالانتقال الدائم من الحاضر إلى المستقبل، وما كان حاضراً إلى الماضي، أي الوعي بالزمن. الوعي بالانفصال إذن غير ممكن إلا عندما نعي النفس متحركة داخل إطار الزمن، ومادية داخل إطار المكان. كل هذا غير واضح.



دفتر يوميات سري لعام ١٩٠٨ (٧٦)

٢ يوليو.

أبدأ الآن في كتابة يوميات لأجل نفسي؛ يوميات سرية.
كان من الممكن لموقفي أن يكون مصدرًا للعذاب، لو لم أكن على وعي أن كل هذا لنفع روحي، إن افترضنا وجود الحياة في الروح.
إن سمعت أحدهم يتحدث عني، ويقول إنني إنسان يعيش في ثراء، ولديه حراسه، ينتزع كل ما يستطيع انتزاعه من الفلاحين، ويرسلهم إلى السجن، وفي الآن ذاته يعترف ويعظ بالمسيحية، ويتصدق بخمسة كويكات على المتسولين، ويستتر خلف زوجته اللطيفة من كافة دناءاته، لما تورعت عن تسمية هذا الإنسان الذي يتحدث عنه بالوغد. هذا أكثر ما أنا في حاجة إليه، لأتحرر من سعبي إلى نيل مديح الناس وأعيش من أجل الروح.

راجعت قصة فاسيلي موروزوف (راجع حاشية ٥١).

أشعر بكآبة تعذب روحي. أعرف أن ذلك لخير روحي، لكنها ثقيلة

(٧٦) أرسل تولستوي هذا الدفتر خفية إلى تشيرتكوف، وطلب منه أن ينقل منه ما يظنه ضروريًا وحسب ثم يحرق المخطوطة، ولكن تشيرتكوف نسخه كاملاً.

الوطأة. عندما أسأل نفسي: ما الذي أحتاجه؟ أن أهجر الجميع. ولكن إلى أين؟ إلى الله... إلى الموت. أرتكب ذنبًا عندما أرغب في الموت. بعد أن كتبت ذلك، حدث مشهد فج بدرجة غير مفهومة، وقاس، وذلك لرغبة تشيرتكوف أن يلتقط لي صورًا. راودني الشك: هل حسن ما أفعله بصمتي؟ ألم يكن من الأفضل حتى إن كنت قد اختفيت تمامًا كما فعل بولانجي؟ إنني لم أفعل ذلك في الأساس بسبب أن هذا لأجلي؛ لأخلص نفسي من هذه الحياة المسمومة التي تحيط بي كاملاً. أو من أنني في حاجة إلى تحمل هذه الحياة.

عونك يا سيدي... عونك... عونك!

لن يكون الرحيل بسلام حسنًا إلا إلى الموت.

٣ يوليو.

لا أزال أناضل مُعذَّبًا، ولكن على نحو سيئ. الحياة هنا في ياسنايا بوليانا مسممة تمامًا. أينما ذهبت وجدت الخزي والمعاناة، من فلاحي قرية جرومانت المسجونين^(٧٧)، إلى الحراس إلى الشيخ ف. سوفوروف الذي يقول: «إنها خطية أيها الكونت... خطية أن تهينني الكونيسة»، وصولًا إلى هذا الطريق^(٧٨) الذي يشيدونه بدناءة وجشع وظلم. أمر صعب، لكنني أعرف أن حالتي السيئة وانخفاض معنوياتي تعودان إلى كل تلك الفظائع. آه... عونك... عونك يا مَنْ بداخلي!

(٧٧) سُجنوا بسبب شكوى صوفيا زوجها من سرقاتهم من غابتها.

(٧٨) طريق يُعبدونه إلى ياسنايا بوليانا بشكل يضر بمصالح الفلاحين.

٤ يوليو.

تحسنت حالتي قليلاً، لكنني لا أزال أشعر بالكآبة. تحدثت على نحو جيد مع ساشا. يا لغرابة الوراثة؛ يرث الرجال ذكاء الأب وشخصية الأم، والعكس.

٦ يوليو.

تجربة أليمة ثقيلة الوطأة أو ثمن فادح يدفعه المرء لشهوته الجنسية. قصاص مفرع. حكى لي تشير تكوف لتوه عن حديث دار بينه وبينها: «يعيش مستفيداً من هذا الترف ويقول كذا وكذا... كل هذا رياء... إلخ، وأنا أضحي بنفسي»^(٧٩).

عونك يا سيدي. أرغب مجدداً في الرحيل، لكنني لم أحسم أمري بعد، وفي الآن ذاته لم أنحّ عني الفكرة. المهم هنا: إن رحلت، هل سيكون ذلك من أجلي؟ ما أعرفه هو أنني إن بقيت، فإني لا أفعل ذلك من أجل نفسي.

عليّ أن أفكر في حضور الله، وهذا ما سأفعله.

٧ يوليو.

تعذبت جداً بالأمس. فكرت في مسألة المال، وتصورت كيف سأرحل. لا يسعني أن أراها (يقصد صوفيا) دون أن يراودني شعور غير طيب. اليوم أنا أفضل.

(٧٩) المرأة المقصودة هي صوفيا زوجة تولستوي.

كم يمكنني أن أرى فيها مدى فظاعة الحب الجسدي وحب الذات
الذين يصلان بالأمر إلى فقدان شعوره بواجبه الروحي! الأمر مريع
للآخرين ولها على السواء. عليّ أن أشفق عليها. سأحاول أن أشعر
بذلك. سأحاول كتابة ذلك، فالتحدث عنه مستحيل.

هذا عنها، لكنني أنسى نفسي. أنا سيء... سيء جدًا. لم أستطع
بالأمس ألا أفكر في نفسي... نفسي القميئة.

نعم، أنا جسد، والجسد مرحاض مقرز. كل ما عليك هو أن تزيل أو
ترفع غطاء ما هو روحي قليلًا، وستجد قذارة ونتاجة.

سأحاول من الآن أن أعيش من أجل الروح.

إنها محقة في ما يتعلق بالهليون^(٨٠). سأتعلم العيش.

٩ يوليو.

أفكر في كتابة خطاب إليها. حمدًا لله، لم يعد يراودني شعور شرير
صوبها. أمر واحد يزيد عذابي أكثر فأكثر: ظلم العيش في هذا الترف
المجنون وسط هذا الفقر غير المبرر الذي يحيط بي. الأمر يزداد سوءًا
وثقلًا. لا يمكنني أن أتجاهل الأمر أو أتعامى عنه.

إنهم جميعًا يكتبون سيرتي، ومثل جميع السير، لن تتضمن شيئًا عن
علاقتي بالوصية السابعة^(٨١). لن تذكر هذه السير شيئًا عن كافة الدناءة

(٨٠) نبات كان يتناوله تولستوي، ويبدو أن صوفيا اتهمت تولستوي مرارًا بأنه يتناول طعامًا مكلفًا،
بينما يدعو الناس إلى البساطة، وبالتالي فهو مُراءٍ.

(٨١) الوصية السابعة من الوصايا العشر: لا تَزْنِ.

المريعة المتعلقة بالاستمناء، والأسوأ أنها لن تذكر شيئاً عما فعلته بين عمر ١٣، ١٤ حتى ١٥، ١٦ - لا أذكر تحديداً - عندما بدأ انحلالى بزيارة بيوت الدعارة. ستغيب عن سيرتي كذلك علاقتي بأكسينيا الفلاحة. إنها لا تزال حية! كذلك هو الأمر مع الزواج، ورغم أني لم أُنْجِزُ زوجتي أبداً، لكن شهوتي تجاهها كانت دنيئة وإجرامية. لن يكتبوا أبداً عن ذلك، وهذا أمر مهم جداً، وتعود أهمية ذلك إلى أني أدرك هذه الرذائل جيداً، وهي التي تجعلني أستيقظ من غفلاتي أكثر من أي شيء آخر.

١٤ يوليو.

تَحْمُلُ شخصية صوفيا البائسة أمر شديد الوطأة والصعوبة. من فرط أنايتها تستبعد كل شيء سواها، ويصل الأمر إلى درجة هزلية من الكبرياء والرضى المفرط عن الذات وادعاء معرفة كل شيء وإدانة الآخرين جميعاً والسخط. لا بد أن أكتب؛ فأنا أشعر بالأسف عليها. لا أحد يقول لها شيئاً، بينما تظن أنها قد تخطت مرحلة الكمال.

١٨ يوليو.

انقضى شعوري الشرير. انشغلت بأفكار أخرى. بالأمس جاء بحاران هاربان. أعطيتهما بعض المال، ثم ندمت على ذلك. عادت ساشا من حفل الزفاف^(٨٢). كم هي لطيفة وصالحة! لست صالحاً لأنني أحبها حباً استثنائياً. قدمي تؤلمني، وأنا لا أبالي بذلك على الإطلاق.

(٨٢) حفل زفاف ابنة أخيها إيليا.

١ يناير.

في حالة جيدة جدًا جدًا. لا يتوقف تزايد وعيي باتحادي به بالحب. فهمت بالأمس أيضًا خطئي الفج بعد أن وصفت وجهًا غير محبوب إليّ. أردت قول الكثير، ولكن حالت كثرة الزوار والرسائل دون ذلك. عليّ تدوين الآتي:

١- أسمى شيء أردت قوله هو أن الخير الروحي المصقول هو أن أحب من يكرهني ومن يريد أن يسدي إليّ شرًا. أمر مذهل: كلما ازداد الأمر شرًا للحياة الجسدية، ازداد خيره للحياة الروحية القائمة على الحب؛ فكيف إذن لا أعيش حياة قائمة على الحب وأحاول تهذيبها بداخلي؟! هذا أمر ممكن، وأرى ذلك بوضوح مدهش في داخلي.

٢- خير حياة الناس يتناسب مباشرة مع حبه لبعضهم. كيف يجب أن يكون وضعهم الآن، وكم يبعدون عن الخير الآن في روسيا؟! جميعهم: الحكومة والمحافظون والثوار وأصحاب الأراضي والفلاحون، يكرهون بعضهم.

تزداد وطأة الأحاديث على نفسي أكثر فأكثر. ما أهنأ بالوحدة! المدهش أنني بدأت الآن وحسب - في العقد التاسع - أفهم قليلاً معنى ومغزى الحياة المتمثل في تحقيق إرادة الله؛ الحب، لا من أجل نفسي ولا من أجل الناس، وشعرت اليوم للمرة الأولى مع حلول عام ١٩٠٩ بحرية وقوة وبهجة تحقيق هذه الإرادة. ساعدني أن أعيش فيك ومعك وبك.

٣ يناير.

مرضت منذ يومين، لكن أشعر في روعي بالهدوء والقوة. يزداد تفكيري أكثر فأكثر في القصة (الراهب إيليدور)، لكننا الآن في الصباح، وها أنا جالس على الطاولة أحاول بدء العمل، وأشعر أنني سأبدأ فعلاً. كم أحتاج بشدة إلى الكتابة! حمداً لله أنني أدرك أن احتياجي هذا ليس من أجل نفسي. في هذه الفترة راجعت نهاية خطابي الخاص بستوليبيين. يبدو جيداً.

نعم، حالتي الصحية ليست حسنة، أما حالتي الروحية فكأنها تشكلت مع بداية العام الجديد.

أفكار:

١ - من الممكن جداً في فترة الشيوخة، بل ومن الواجب - لكنه في الشباب ممكن فقط وليس واجباً - أن تكون في حالة لا تقتصر على كونك فيها كالمحكوم عليه بالإعدام، بل كمن يسوقونه فعلاً إلى مكان تنفيذ الإعدام. كم يحسن أن يقول المرء: «أنا موجود، ولا وجود

للموت. إن أتى الموت، لن أكون موجودًا! علاوة على ذلك، عليّ ألاّ أندesh من الموت، وألاّ أحاول التكهن بشيء إن أردت أن أستعد. حسنًا أن تصبح الحياة بأكملها مهية وجادة. نعم، الحياة أمر خطير.

٣- يسهل قول: أحيأ أمام وجه الله... أمامه وحده. يومياتي تزعجني من حيث إدراكي لما سيقرأونه فيها. سأطلب منهم عدم قراءتها. كم يصعب ويحسن ذلك في الآن ذاته! أبدأ الآن في فهم هذه الإمكانيّة - ولو قليلًا - بل وبدأت أعيش بها وإن كان ذلك نادرًا. كم يبعث هذا سرورًا في قلبي! غريب أن يختبر المرء في شيخوخته مسرات جديدة تمامًا. إن أراد المرء أن يحيا أمام وجه الله وحسب عليه بالآتي:

أن يتوجه إليه ويتعامل معه ككيان شخصي، رغم إدراكه أنه ليس كذلك. عليه أن يتوجه له كما لو أنه محكوم عليه بالإعدام... هذا ضروري لي وللجميع.

الحياة أمام وجه الله تعني أن تجعل كافة أفعالك من أجل تحقيق إرادته، وإرادته تتمثل في أمر واحد؛ الحب؛ الحب الذي أراه فيه.

٤- الاعتراف بأن الله محبة أمر حسن ونافع، فهذا الاعتراف - الذي لا بد وأن ترغب فيه - لا يمكن أن يتمثل إلا في صورة واحدة: حب الناس. تلخص أفضلية هذه الصورة للتعامل مع الله على أي تعامل آخر مع الناس في أنك عندما تتعامل معه تشعر أنه موجود ويجيبك بداخل روحك؛ فبقدر ما تمنح نفسك كاملاً لحب الناس، يملأ قلبك بالمزيد من الهدوء والبهجة.

يبدو أنني كتبت كل شيء. وصلني خطاب من كويل (٨٣) ولا أعرف كيف أتصرف. أصعب أنواع التعامل هي أن تتعامل مع مجنون تمامًا، والأقل صعوبة أن تتعامل مع مجنون بعض الشيء. لست في حاجة، بل ومن المستحيل أن تحرر نفسك من التعامل بحب في ظل الاعتراف بالجنون. على العكس، أنت تدرك هنا قوة سيف الحب. لا أحب استخدام هذه الصور البلاغية، لكن هذه الصورة تروق لي بشدة. بإمكان السيف تحديدًا أن يمزق كل شيء. لا وجود لمثل هذا الموقف ثقيل الوطأة والمربك والعسير الذي لن يستطيع تجلي الحب في الحاضر أن يحسمه دون أي تصورات عن الماضي والمستقبل. أختبر ذلك الآن في ما يتعلق بكويل.

٦ يناير.

بدا لي بالأمس أنني قادر على كتابة عمل إبداعي، لكن الأمر ليس كذلك، ليست لدي رغبة. اليوم أنا غير قادر بتاتا على ذلك، وليس الأمر حتى ضروريًا. ليتني أستطيع العمل على نفسي وأتعود على العيش لا من أجل الجسد ولا مديح الناس، بل من أجل نفسي؛ نفسي الحقيقية، التي لم تُولد ولن تموت؛ من أجل الله. كل ما عليك هو أن تتحرر من الحياة الزائفة، وستجد الحقيقية. لقد اختبرت ذلك منذ أربعة أيام، وأريد أن أختبره اليوم.

جاءني أول أمس الأديب والمثقف جيرشونز (٨٤) بدعوى طرح بعض الأسئلة عن مبادئ الميتافيزيقية، ولكن السبب الحقيقي لمجيئه

(٨٣) فلاح كان يتبادل الخطابات مع تولستوي.

(٨٤) مؤرخ وفيلسوف.

هي تلك النية المتوارية - والواضحة في الآن ذاته - أن يكشف لي عن عدم وجود أي أساس لإيماني بالحب. حاول أن يناور كثيرًا، لكنه في النهاية قال بوضوح: «لماذا تعتقد أن هذا الجوهر الذي أنشأ الحياة والعالم وينظم شؤونه قد جعل الحب أساسًا للأخلاق؟»، وقد قال ذلك بعد أن قلت له بوضوح إنني أعني بالله «الحب»، وإنني غير قادر على فهم الله إلا باعتبار أنه الحب. بدا أنه من المحسوم بالنسبة له أن هناك من خلق هذا العالم ويديره، وأنه من الضروري أن نجيب عن سؤال: من أين أتى هذا العالم؟ لقد افترض عدم وجود أي أساس لرؤيتي للعالم القائمة على أن الحب هو قانون الحياة الرئيس، وافترض أنه يخرجني من ضلالي برؤيته العقلانية الصارمة. كان عليّ حينها أن أكشف له بوضوح أن رؤيته المؤسسة على قناعة بوجود جوهر أو أصل قد خلق هذا العالم ولا يزال يديره، هي أكثر الرؤى صيبانية، وأكثر الخرافات فجاجة، وأن الحب الذي افترض أني اعتبره كمجرد وصية لهذا الجوهر الخالق والمدير للعالم، هو الشكل الوحيد الذي يمكنني أن أفهم به هذا الجوهر الذي انكشف لي. كان يجب أن أكشف له أنه بحديثه عن جوهر العالم، فإنه يتحدث عن شيء زمني، في حين أننا لا نستطيع أن نفهم جوهر كل شيء إلا خارج نطاق الزمان والمكان، فكلاهما ليس إلا نتاجًا لمحدوديتنا، وهما إطار لا مفر منه نستوعب من خلاله ظواهر العالم. وضّحت له كل ذلك، لكنه لم يفهم شيئًا بالطبع. حتى لو كان قد فهم ذلك، كان سيحاول استخدام تفسير ذلك ليحافظ على منظوره الراسخ للعالم والضروري لأغراض دنيوية، لا لروحه.

قرأت بالأمس مراسلات تشيرتكوف مع إرتيل. ها هي مجدداً الثقة المفرطة في الذات والثروة الثقافية غير الجادة من جانب إرتيل، ومن جانب آخر يبدو مدى وضوح وصلابة فهم تشيرتكوف للأمور.

الشيء الوحيد الذي خرجت به من هذين الانطباعين هو الوعي بعبثية الجدالات. آه لو أتمكن من أن أجيب فقط حينما يسألونني، وأصمت في كل ظرف آخر... أصمت! لو لم تكن هناك مفارقة في الكتابة عن ضرورة الصمت، لكتبت الآتي: «يمكنني أن أصمت. لا يسعني إلا أن أصمت». آه لو أعيش أمام وجه الله بالحب وحسب! ها قد كتبت لتوي عن جيرشينزون من دون حب... دناءة مني! عونك... عونك يا مَنْ لا يمكنني تسميته!

٨ يناير.

حالي الصحية معتدلة. إنه اليوم الثاني الذي لا أعمل فيه. كتبت بالأمس بضعة خطابات، وحاولت أن أوصل العمل على قصة (بافلوشا)^(٨٥)، ولكن بلا جدوى. الساعة الآن الثانية عشرة، ولم أفعل شيئاً طوال الصباح. الطقس فاتن. تمشيت صباحاً، والتقيت بضابط بلغاري، وكنت شديد الانفعال. كان الأمر كئيماً. وصلني خطاب من ليف ريجي^(٨٦) وكتبت ردّاً لكني لم أرسله. يصير تشيرتكوف على أهميتي الشديدة. لا يمكنني أن أصدق ذلك إطلاقاً، ولا أرغب حتى في تصديقه. شكراً لله. دوّنت فكرتين:

(٨٥) (بافل كودرياش) أو (القتلة) عنوان القصة.

(٨٦) كان عضواً في مجموعات تولستوية عديدة، وعاش مع تشيرتكوف.

١- عن الذاكرة: لقد فقدت ذاكرتي تمامًا. تلاشى الماضي. لا أرغب في شيء في المستقبل تقريبًا، ولن أنتظر شيئًا. ما الذي يمكن أن يكون أفضل من هذا الوضع؟ إنني أختبر هذه النعمة العظيمة؛ فكيف لا أشكر الله على هذه الحياة الفاتنة الحرة والمبهجة؟

٢- إبان الليل فكرت في مدى أهمية أن أحدد هذه الوظائف الخسيسة، التي لا يجب على أي إنسان معتدل غير خسيس، أو لا يريد أن يشعر أنه كذلك، وليس المسيحي فقط، أن يعمل بها. أعرف أن التاجر وصاحب المصنع ومالك الأرض وصاحب البنك والرأسمالي وأي موظف آخر لا يضر أحدًا كالمعلم أو أستاذ الرسم وصاحب المكتبة... إلخ، يعيش على عوائد السرقة، ولكن علينا أن نُفَرِّق بين اللصوص أنفسهم ومَن يعيشون على عوائد السرقة، ونميز هؤلاء السارقين عن الآخرين، ونكشف بوضوح خطية وقساوة ودناءة نشاطهم.

يشكل هؤلاء الناس حشودًا كاملة: الملوك ووزراء الشؤون الداخلية بما لديهم من قوات شرطة وجلادين وقوات قمعية، كما تضم القائمة رجال المالية وجامعي الضرائب ورجال القضاء والمحاكم وأفراد الجيش، والكهنة الذين يخدعون الشعب، وكل موظف عسكري، وكافة رجال الإكليروس... ملايين الناس. ليتني أوضح لهم فقط حقيقة ما يفعلونه!

بالأمس فكرت في التحدث مع كاتيا^(٨٧) عن أن حياتها رهيبة، ولكن الماضي هو الماضي، أما الآن يتحتم عليها أن تفعل أمرًا جيدًا

(٨٧) الزوجة الثانية لابنه أندريه.

في الحاضر؛ إنقاذ روحها وروح أندريه الذي يحبها. لقد فهمت وقبلت القليل. ربما أكون مخطئًا.

١٠ يناير.

بالأمس كتبت بحماسة تقريبًا، ولكن على نحو سيئ. الأمر لا يستحق بذل الجهد. ليست لديّ رغبة تمامًا اليوم، ويبدو ما كتبت بالأمس ضعيفًا، أو ببساطة سيئًا. أول أمس تحدثت مع أندريه، وبدأ لي الحوار مفيدًا. بدأ الحوار بقوله إن إخوته جميعًا في حاجة إلى المال.

- كيف ذلك؟

- كل شيء أصبح غاليًا، ونحن نعيش في مستوى معين.

- علينا أن نعيش بشكل أفضل؛ بمزيد من الاعتدال.

- هل يمكنني أن أعترض؟

- تفضل.

- تقول إن علينا أن نعيش هكذا: لا نأكل اللحم ونرفض أداء

الخدمة العسكرية، ولكن كيف ننظر إلى الملايين الذين يعيشون كما يعيش الجميع؟

لا تفكر فيهم إطلاقًا، بل فكر في نفسك وحسب.

ثم تبين لي أنه لا يسترشد في حياته بشيء عدا: «أعيش كما يعيش الجميع». تبين أن وجود استثناءات قليلة جدًا لـ «كما يفعل الجميع» لا يمكنها أن ترشده؛ لأنه ليس لديه ما يسترشد به سوى «كما يفعل الجميع». لذا فإن توبيخ كل من يشبهه ونصحه بشيء آخر لا يجدي نفعًا،

بل يضره بما يثيره من مشاعر شريرة بداخله. تتقدم الإنسانية عبر آلاف ومئات الأعوام، وأنت تريد أن ترى هذه الحركة خلال أعوام! يحدث التقدم لأن المتقدمين فكرياً من الناس يُغيّرون الوسط من حولهم رويداً رويداً، مشيرين إلى الكمال البعيد تماماً، كاشفين عن الطريق، وهذا ما فعله المسيح وبوذا وكايط وإميرسون وآخرون، وبالتالي يتغير الوسط من حولهم تدريجياً، ويعيش الناس كما يعيش الجميع، ولكن طريقة عيش الجمع هي التي تختلف.

أفراد طبقة الإنجليجيتسيا هم أولئك الذين يفعلون ما يفعله جميع أعضاء هذه الطبقة.

لم أفعل شيئاً اليوم، ولا أريد. أكتب الآتي في السادسة مساءً. استيقظت، واتضح لي أمران على وجه الخصوص:

١- أنني إنسان دنيء جداً، وأقول ذلك بإخلاص شديد.

٢- أنه يحسن بي أن أموت، وأنا أرغب في ذلك فعلاً.

حالتي شديدة السوء اليوم. ربما سأعيش المزيد من الوقت لتقل درجة دناءتي. أنا متيقن من ذلك، وسأحاول تحقيق ذلك. عونك يا سيدي!

١١ يناير.

غريب أن أبدأ بذلك اليوم بعد ما انتهيت إليه بالأمس. انتهيت بالأمس من طلب العون من الله، وقد تحقق ذلك جزئياً اليوم. أشعر بحركة في داخلي صوب الأفضل. نمت مطولاً، وأشعر شعوراً غير عادي؛ شعوراً بالوضوح

والتروي والانتباه. وصلتني كتب كثيرة جدًا وخطابات جيدة ومهمة عن الزواج وتشريح الحيوانات، وخطاب من جليوفا عن بتروفا وآخر من فارنافسكي، كما وصلني بياني (عن المسألة الصربية) وحوار مع طفل^(٨٨).
إما أن أكتب اليوم كثيرًا ، وإما ألا أكتب على الإطلاق. نفذوا عددًا هائلًا من الإعدامات. هؤلاء ليسوا وحوشًا، هذه التسمية تهين الوحوش. هم أسوأ كثيرًا منهم.

أشعر بالحاجة إلى فعل شيء ما. إنها حاجة ملحة جدًا، لكنني لا أعرف بعد ماذا أفعل. هذا هو الوقت الذي أقول فيه من قلبي: عونك يا سيدي! لا أريد شيئًا من أجلي. أنا مستعد للمعاناة والإذلال، لكنني في حاجة إلى أن أعرف ماذا أفعل وما يتوجب عليّ. كم تبدو سهلة أو صعبة بدرجة هائلة كلمة «يتوجب»! يبدو أنني لست في حاجة، ولا أريد أن أكتب شيئًا آخر.

تعهدت بالذهاب إلى منزل تشيرتكوف في الثانية.

١٢ يناير.

أشعر اليوم أنني في حالة جيدة جدًا، لكنني لم أفعل شيئًا حتى الثانية عشرة سوى لعب الورق بمفردي. أثارتني بشدة موسيقى الأمس^(٨٩). كنت في منزل تشيرتكوف، وكنت مسرورًا جدًا... لا، لا يتوقف الأمر على السرور، بل يتجاوزه، شعرت كيف يعاملون الجميع على السواء.

(٨٨) ترجمت هذا الحوار في كتاب (في الدين والعقل والفلسفة)، صدر عن آفاق للنشر.

(٨٩) استمع إلى جولدنفايزر يعزف لشوبين.

إنهم لا يحققون ذلك بالطبع بصورة كاملة، ولكن على الأقل هناك غياب لهذا الحضور المُعذَّب للخدم الذين يقدمون الأطعمة الشهية، وهم أنفسهم لا يلمسونها. تزداد الحياة كآبة في مثل هذه الظروف، لكنني لا أعرف كيف أشكر الله على أنه مع زيادة الكآبة تزداد القوة على تحملها. تزداد القوة مع الأعباء على السواء. يبعث الوعي بهذه القوة فرحة أكبر بدرجة لا تُضاهى من الكآبة التي تتسبب فيها الأعباء. نعم، نيره هين وحمله خفيف.

فكرت لتوي كثيرًا في العمل، كما فكرت في عمل إبداعى أكتب فيه: «كان مساءً صافيًا، وفاحت رائحة...» لا... لا أستطيع. لكن العمل ضروري؛ لأنه واجب عليّ. وُهبّت مكبر صوت بين يديّ، وعليّ أن أحوزه وأستغله. هناك رغبة بداخلي تحاول الظهور، ولا أعرف ما إن كانت ستنتجح أم لا. هذه الرغبة هي أن أكتب خارج أي شكل معروف؛ لا مقالة ولا تأملات ولا أي عمل فني، بل أعبر بقدر ما أستطيع عما أشعر به بقوة. تعذبني قوة شعوري بفضاعة وفساد أوضاعنا الآن. أريد أن أكتب عما أود فعله، وكيف أتصور نفسي أفعل ذلك. عونك يا رب. لم يعد بمقدوري أن أصمت. آسف على أن صمتي لا يستمر طويلاً. بالأمس لم أتعامل بشكل جيد مع صوفيا، واليوم تكرر الأمر مع المتسولين. عونك... عونك!

١٤ يناير.

بدأت الكتابة بالأمس (الراهب إيليدور). لا أعرف العنوان. أرغب بشدة في الكتابة، لكنني كتبت بضعف، ورغم ذلك الأمر ممكن. ستصل

لاندوفسكا^(٩٠) قريبًا، وأنا شخصيًا لا أعرف هل هذا حسن أم لا. أريد جمع بعض الأفكار للأطفال لمجلة إيفان إيفانوفيتش.

١- بعد الموت: النوم يشبه الموت، مع فارق واحد؛ أنك تنام وتستيقظ على نفس الحياة، لكنك عندما تُولد لا تعرف من أي حياة جئت، وعندما تموت لا تعرف إلى أي حياة تذهب.

٢- يا له من مزيج دنيء: الإيمان والأمل والحب! ربما لأنها ثلاثة كالثالوث، يتسمون بالزيف، وكذلك هو ثالوث: الجمال والحقيقة والخير. هذا مزيج كريه. الإيمان يكاد يكون دائمًا محض زيف، حتى إن لم يكن اعترافًا بطبيعة العقل الزمنية. الأمل بمعنى الحياة في المستقبل، كذب هو أيضًا. الحب هو الأسمى والأصدق والأنفع من وسط كل ما يُكشف لنا. كذلك هو الأمر مع زيف الجمال الذي تزداد الشهوة تحت غطاءه. ليست الحقيقة سوى نفي الكذب، وليست لها أي معنى إيجابي في حد ذاتها. الخير هو كل شيء.

٣- ما الدين؟ لماذا تعيش؟ لا أعرف. إن لم تكن تعرف ذلك، لن تعرف أبدًا ماذا عليك أن تفعل وما الذي عليك ألا تفعله. مَنْ لا يعرف ذلك، يَعِشْ حياة سيئة. لذا منذ أن وجد الناس أنفسهم في هذه الحياة، استغرقوا في التفكير في الهدف من حياتهم، وَمَنْ أدرك منهم ذلك، علّم الناس ما الذي عليهم فعله وما الذي يجب أن يتعدوا عنه. ندعو هذا التعليم «الإيمان».

(٩٠) عازفة بيانو بولندية.

٤- فكرة للأطفال: يقول الهنود إن الحقيقة تتمثل في إيمانهم البراهمي وحسب، ويقول الصينيون ذلك عن إيمانهم البوذي، ويقول التتر والأتراك والفرس ذلك عن الإسلام، ويقول اليهود ذلك عن إيمانهم، ويقول المسيحيون إن كل ما فات غير صحيح، وإن المسيحية وحدها الصحيحة، لكنهم هم أنفسهم قد تشتتوا بين صيغ إيمان مختلفة: الكاثوليكية والروسية اليونانية واللوثرية ومختلف شيع البروتستانتية. الإيمان الحقيقي الوحيد هو الواحد بالنسبة للجميع، وهذا الإيمان الوحيد الذي يحتاج إليه الناس جميعًا موجود داخل كافة الصيغ الإيمانية. هذا وحده الصحيح وهو ما يجب التمسك به.

٥- فكرة للأطفال: إن سألت الناس سيقولون لك في أي عام ولدت وكم تبلغ من العمر. لكنك لا تستطيع أن تعرف ذلك بنفسك، فما تعرفه عن نفسك هو أنك كنت موجودًا دائمًا، فإن لم تكن موجودًا، لما كان شيء. كذلك هو الأمر بالنسبة للموت: يقول الناس إنك ستموت، لكنك تعرف أنه يستحيل أن تموت. بدأ جسدك وهو ينمو الآن وسيهرم ويموت، ولكن ما هو غير جسدي ويعيش في جسدك؛ الروح الإلهية، لا يمكن أن تموت.

٦- فكرة للأطفال: أنت تعرف أنك حي؛ لأن روحًا إلهية تحيا بداخلك، وإن كان آخرون أحياء، فلا بد أن روحًا إلهية تحيا بداخلهم أيضًا، لذا فإن روحًا إلهية تحيا داخل الجميع.

٧- فكرة للأطفال: لماذا تبتهج عندما تجد شخصًا آخر مبتهجًا، وتحزن عندما تجده حزينًا؟ ذلك لأن من يبتهج ويحزن في الآخر هي نفس الروح التي تحيا بداخلك.

أردت أن أكتب المزيد من الأفكار للأطفال لكنني غير قادر. سأنهي ذلك عني الآن.

١٥ يناير.

بالأمس وصلت لاندوفسكا، وقد تركت في انطباعًا ضعيفًا. أنهكت بشدة. حظيت بتمشية جيدة. لم أكتب شيئًا. أشعر نوعًا ما بالخزي، بل إنني أشعر بالخزي طوال الوقت. نمت نومًا سيئًا. وصلني خطاب من جماعة الله^(٩١).

لايفان إيفانوفيتش (للأطفال): يمكننا أن ننظر إلى الولادة نظرنا إلى النوم، وحينها تصبح الحياة حلمًا والموت يقظة. يمكننا كذلك أن ننظر إلى الولادة كيقظة من النوم، وإلى الموت كنوم. يمكننا كذلك أن ننظر إلى الولادة بوصفها نومًا من حيث علاقتها بحياتنا الجسدية، ويقظة من نوم سابق، وأن ننظر إلى الموت بوصفه يقظة من هذه الحياة ونومًا في حياة جديدة.

كافة ما سبق صحيح. اليقظة والنوم، والنوم واليقظة هما أصدق تصوراتنا الزمنية عن الحياة.

١٦ يناير.

أشعر بالخزي، بشكل ما، فيما يتعلق بعلاقتي بلاندوفسكا^(٩٢) والموسيقى. لا أشعر بالرضى بشكل عام عن حالتي الروحية، لكنني لا

(٩١) جماعة إسلامية، أرسل زعيمها خطابًا لتولستوي وقد أراد زيارته.

(٩٢) كانت لاندوفسكا تبجل تولستوي ككاتب مشهور، وقد بعث هذا السرور في قلب الأخير، وفي الوقت ذاته شعر بالخزي من هذا السرور.

أشعر بالكآبة، بل على العكس... إنني أفعل ما يجب فعله (بالفرنسية). وصلني خطاب مهم من جماعة الله. جاءني اليوم زائر عاملته بسوء، لكنني أفقت لنفسي. لا أكتب، ولا أريد أن أفكر. تراودني رغبة شديدة جدًا في قول شيء ما، حتى إن الرغبة تخنقني، ولكن لا أريد التحدث من منطلق «أنا» بل من منطلق «أنت». لا أعرف ما إن كان ذلك حسنًا أم سيئًا؛ أقصد أنني بعد اتصالي بالناس أشعر دائمًا بالخزي، وأني لم أفعل ما توجب عليّ فعله. هذا ما حدث مع فلاسوف (فلاح)، وربما من الحسن أن أتحدث معه. يعود عدم رضاي إلى أنني لا أشعر أن ما أفعله مع الناس حسن. عليّ بالتعلم. الأمر سهل بلا ريب عندما أكون بمفردي، ولكنني في حاجة لتعلم السلوك مع الناس.

١٧ يناير.

نمت نومًا شديد السوء. أشعر بالضعف ولم أفعل شيئًا طوال الصباح. فكرت وربما انتفعت بذلك. أنا شديد الدناءة، أسعى طوال الوقت لنيل مديح الناس، مشغول بالعواقب. قرأت تقريرًا عن التقويم^(٩٣)، وأدركت مدى تفاهته من حيث مشغوليتي الشديدة بحكم الناس. الحمد والشكر لله على أنني أفقت لنفسي. بمناسبة ذلك، هذا تحديدًا هو موضوع (دورة قراءات) التي أكتبها الآن. أتحدث فيها عن أن المشكلة ليست صعوبة أن نحيا دائمًا أمام وجه الله، ولكن عن مدى سهولة الانحراف عن طريقه. حسنًا أنا الآن في حالة كئيبة بعد عنايتي

(٩٣) صدر في موسكو كتاب بعنوان (تقويم تولستوي العالمي)، وهو يضم أفكاره، وجمعه سيرجينكو.

الدينئة بآراء الناس... ولكن أي آراء؟ جميعها تؤلمني حينما تُذكَرني بذلك. نعم... نعم، فلا تُذكر دائماً أن لا حياة إلا عندما تعيش وفقاً لإرادته ومن أجله وفيه. كم ستنعم حينها بحرية وسرور ووعي سام، أو بالأحرى ووعي بسمو قيمتك ومكانتك الإنسانية! تفكيري في مَنْ سيقراً هذه اليوميّات يفسد توجهي صوبها.

في اللحظة التي تألمت فيها من وعيي بضعف ودناءة اهتمامي بمديح الناس، شعرت اليوم بقوة بأهمية العمل السابق ذكره في اللحظات الجيدة. بأن ما يجب أن أعود إليه. نعم، هذه صلاة حقيقية؛ أقصد تمهيد الطريق واختراق مسار أفضل الأفكار وأسمائها وأنفعها لي في أفضل لحظات فهمي للحياة، ثم الاحتماء بهذا الفهم في لحظات الضعف. هذا ما حدث اليوم؛ انحدرت بشدة، وسُررت بشدة من تمكيني من الحفاظ على حالتي السابقة من الحرية والسرور في وجوده وحده، بإدراكي أنني عضو في كيانه. آه، عونك... عونك لأحفظ دائماً هذه الحالة!

العمل الثاني الذي فكرت فيه (الراهب إيليدور) قد يكون ذا قوة رهيبية. لا يعني ذلك أنني أنتظر تأثيره على الناس تأثيراً مرئياً، ولكن قوته الرهيبية تتعلق بالقانون الذي يكشف عنه. أرغب جداً في الكتابة، لكنني لن أبدأ اليوم لأنني أشعر بالضعف.

جاء بالأمس شيرمان العزيز إلى قلبي والقوي، وحظينا بحديث رائع. تحدثت عن أن الموت هو بمثابة التحرر الذي يمضي المرء إليه، ومن ثم فهو خير. ماذا عن الانتحار إذن؟ طرحت هذا السؤال على نفسي

ليلاً. ربما يمكن أن أجيب عنه هكذا: الموت خير لمن جعل هدف حياته أن يتحرر. لا... الفكرة غير واضحة. سأفكر فيها مجدداً.

١٨ يناير.

يمكنني أن أصلح ما قلته سابقاً هكذا: لا يكون الموت خيراً إلا حينما تحقق إرادة من أرسلك، وإرادته تتلخص في تحريرك من الحياة الشخصية.

فَوْتُ يوماً. بالأمس أصابني ضعف شديد طوال اليوم، ولم أكتب شيئاً أمس واليوم. في الحقيقة لم أكتب اليوم سوى إضافة صغيرة لمقالتي (يقصد: المسيحية والإعدام) تتعلق بالقيصر، وهدفي الخفي منها أن أجعلهم يضطهدوني. الهدف ليس حسناً بصورة كاملة، بل هو سيئ تماماً لما يتضمنه من علاقة غير طيبة به. عليّ أن أصلح المقالة. حمداً لله، أصلحتها قليلاً وحسنتها، ويبدو أنني انتصرت على سعيي لنيل مديح الناس.

مرضت بشدة ليلة أمس، لكنني اختبرت شعوراً جيداً جداً بانتظار الموت، صحيح أنني لم أرغب فيه، لكنني لم أقاومه، وكان سلوكي صوبه ينم عن سلوكي صوب كل فعل أو حدث طبيعي عاقل. يبدو لي في كل الأحوال أن الموت سيأتيني سريعاً؛ في غضون عدة أسابيع أو شهور. لعبت الورق بمفردي طوال الصباح ولم أقبل على العمل لشعوري بالضعف. لديّ أفكار موضوعات جيدة جداً، لكنني لا أريد أن أفسدها. خطرت على ذهني فكرة موضوع جديد، تتعلق بالجريدة وما نُشر فيها عن أن الإنسان الحر هو المتدين الحقيقي. سأعرض مدى ما وصل إليه

الناس من تشوه وضعف وغياب للقيمة الإنسانية في حياتهم. فكرت على نحو رائع. لا أعرف كيف سأتمكن من الكتابة. ربما سأبدأ غداً. حل المساء. أنا في انتظار تشير تكوف، ولن أعمل شيئاً.

٢٠ يناير.

لا أزال حيّاً، لكنني أشعر بضعف شديد. منذ فترة طويلة لم أمر بحالة ضعف بدنية وذهنية كحالي الآن. لن أقول إن حالتي الروحية مماثلة. أتمنى ألا يصيبها الضعف كذلك. في فترات الضعف يصبح ضبط النفس هو العمل الرئيس في الحياة الروحية. كل ما عليك فعله هو ألا تفعل شيئاً يتنافر مع إرادته وإرادة أنك الحقيقية، وستجد أنك تفعل أفضل وأهم ما يمكنك فعله. كل ما نعتبره مهماً، حتى وإن كان يحث الناس على السير في طريق الحياة الحقيقية؛ الحب والخير، هو في الحقيقة ضئيل الأهمية مهما بدت أهميته، وذلك للأسباب الآتية: أولاً: إنه ضئيل إن قورن بمجمل الحياة التي نراها بشكل غائم، فنحن نشكل أجزاء لا متناهية الضالة من الحياة، لكننا أجزاء منها في كل الأحوال، ونخدم استمرار حركتها بحياتنا. ثانياً: لا يمكننا أن نرى حقيقة خدمتنا بسبب قصور نظرنا.

نعم، لا تكون خدمتنا فعالة إلا عندما لا نعرف فحواها تحديداً، بل نعرف ما الذي علينا ألا نفعله وحسب. شئنا أم أبينا سننفذ المطلوب منا. تنحصر جهودنا في عدم فعل شيء يتنافر مع إرادته، أي ألا نحيد عن الطريق.

بدا لي أن أكثر الأعمال خيراً ووضوحاً ومنطقية وإثارية وسعيًا

صوب خير الناس، ولا أقصد النشاط الثوري وحسب، بل وحتى نشر هذه الحقيقة الدينية التي نعتبرها غير عرضة للشك إطلاقاً، قد لا تُرجى منه أي فائدة. ليس ذلك وحسب، بل قد يكون مضرّاً أيضاً، وقد يصل الأمر إلى أن يكون غير متسق مع إرادته. «مَا أَبْعَدَ طُرْقَهُ عَنِ الْفَحْصِ!» (رومية ١١: ٣٣). الامتناع عن بعض التصرفات، حتى أكثرها ضالة، في أصغر الدوائر، قد يكون أهم ما يريده الله منك، وأكثر الأفعال إثماراً من منطلق ما يريده الله منك وما تريده أنت في أعماق روحك.

أشعر بهذا الآن على نحو خاص مع حالة ضعفي. كم تنتفع أرواحنا من كل ما يحدث معنا، خاصة مما نعتبره ونُسميه شرّاً! في هذه الأيام التي يتتابني فيها الضعف لا أشعر برغبة غامضة لفعل شيء ما، بل أشعر بزيف الحياة بقوة شديدة. أشعر بخزي دائم، خاصة بعد أن أتجاوز مع أحد. لا بدّ أن أزداد ضبطاً لنفسي.

سيكون من الجيد جداً أن أُعَبِّرَ عن فكرة كم من المضر وغير المجدي محاولة تنظيم شؤون حياة الآخرين، بل وحياتك أنت أيضاً؛ أقصد هذا التدخل وإقحام النفس في عمل الله! تعود ٩٩٪ تقريباً من شرور العالم إلى ذلك.

بالأمس جاء زوار كثيرون، وتحتم عليّ التحدث، وبالطبع لم يكن كل ما قلته ضرورياً. سأحاول ضبط نفسي. نتيجة هذا الضعف والثرثرة وعدم ضبط النفس بالأمس شعرت بقوة بعدم مراعاتي كفاية لأن أحياء في الحاضر وحسب. التكهّنات والافتراضات والرغبة في رؤية أفكارك تنتشر وزيادة عدد مناصري أفكارك والرغبة في أن يكتب الآخرون

داعمين ومادحين إياك... كل هذا يدمر الحياة. لست في حاجة لشيء سوى أن تتذكر أن تعيش في الحاضر وأنت عضو في كيان الله.

بينما كنت أقرأ الجريدة بالأمس، تصورت بقوة موقف إنسان متدين وحر يعرف دوره جيداً، من وصول كل هذه الأخبار إليه، وتصورتني بوضوح أكتب مقالة عن ذلك. أردت أن أكتب اليوم، ولكن قواي خائرة. أمامي ثلاثة أعمال، وبالكاد أرغب في العمل على واحد منها^(٩٤). علاوة على أن ذلك يتعلق بالمستقبل. ربما حديثي مع براسكوفي (فلاح) الأهلل يكون أهم من كل ما سبق. يكفي أن يتذكر المرء مدى تعقد الأحداث الدنيوية التي يشارك فيها الناس، حتى يدرك ويشعر بوضوح بمدى طيش وعبثية وضرر افتراضاتنا عن خدمة الصالح العام.

عرفت بالأمس أن الأسقف أراد العروج عليّ. مررت في الصباح على المدرسة وقلت للمُدْرَسَة أن تبلغه أن يأتي.

أشعر دوماً بالأسف على هؤلاء الناس، وأنا سعيد بشعوري هذا. أنهى دفتري وقد ظننت أنني سأموت قبل أن أكمله، وقد مر نصف عام وأنهيته.

لا أتذكر ما إن كنت قد كتبت سابقاً ما حدث منذ ثلاثة أيام ليلاً أم لا: لقد شعرت باقتراب الموت بشدة... شعرت أنه سيأتيني حالاً، وكنت في حالة هادئة وجيدة، لم أشعر بالسرور ولا بالحزن ولا بالهلع.

(٩٤) قصة من القنلة؟ (قصة بافل كودرياش) - قصة الكاهن إيلودور - مقالة: عدد من جريدة.

٢٢ يناير.

أبدأ الآن دفترًا جديدًا، وأنا شديد الضعف جسديًا، لكنني لست بهذا السوء روحياً، فأنا أتذكر من أنا وما هو عملي، صحيح أنني لا أقوم بذلك طوال الوقت، ولكن معظمه.

جاء الأسقف^(٩٥) بالأمس، وتحدثت معه بإخلاص، ولكن بحذر شديد، ولم أبين له كامل خطيئة ما يفعله، ولكن كان عليّ أن أبين له. ما أفسد كل شيء هو ما روته لي صوفيا عن حديثه معها^(٩٦). من الواضح أنه ود أن يُوجّه مساري صوب الكنيسة، وإن لم يستطع ذلك فليُزل تأثيري الشرير كلية أو يُقلّله على إيمان الكنيسة. أكثر ما ضايقني هو أنه طلب أن نعلمه إن اشتدت وطأة المرض عليّ. أخشى أن يخلقوا شيئاً يؤكدون به للناس أنني عدت إلى الكنيسة قبل موتي. لذا أعلم، بل أظنني أكرر، أن العودة إلى الكنيسة وتناول الأسرار المقدسة قبل الموت هو أمر مستحيل بالنسبة لي، استحالة أن أنطق بكلمات داعرة أو أنظر إلى صور فاحشة قبل الموت، لذا كل ما سيقولونه عن توبتي قبل الموت وتناولي للأسرار المقدسة سيكون محض كذب. أقول ذلك لأنه إن كان هناك من يرون أن تناول الخبز والخمر طبقاً لمنظورهم الديني هو فعل ديني، أي أنه يظهر السعي صوب الله، فإن أي فعل خارجي كتناول الخبز والخمر، بالنسبة لي، سيكون محض تعبير عن إنكار الروح والخير وتعاليم المسيح والله.

(٩٥) أسقف تولا. حاول إقناع تولستوي بالرجوع إلى الكنيسة.

(٩٦) أخبرها الأسقف أن تولستوي لم يوافق على دفنه كنسياً، كما طلب من صوفيا أن تخبره إذا مرض تولستوي مرضاً شديداً.

بهذه المناسبة أكرر أيضًا أنني أريد أن أُدْفَن دون إقامة أي صلوات،
وأن يدفنوا جسدي في الأرض حتى لا تفوح نثانته.

بالأمس قرأت باهتمام شديد مقالة لوكاشيفيتش عن الحياة في
جريدة (العالم المعاصر). لم أنهيها، ولكن الغريب هو توجه المقالة
صوب إيجاد تعريف للحياة خارج الوعي، يتركز على ملاحظة ودراسة
العالم الخارجي. حتى إن أثبت أن هناك قوى أخرى -وليسمّوها كما
يشاءون- بالإضافة إلى القوى الميكانيكية والفيزيائية والكيميائية،
ستبقى حقيقة انفصال أجساد الكائنات الحية وموتها وإنجاب كل كائن
حي آخر شبيهًا له لغزًا.

إن استطعنا اختصار الحياة في قانون عام، فما الهدف إذن من
انفصال الوعي؟

يتلخص الأمر كله في أن الإنسان يعرف نفسه قبل أي شيء آخر؛
يعرف أنه، ويجدها مرتبطة بحدود الزمان والمكان، وعندما يلاحظ
ويدرس ظواهر زمانية ومكانية، يصل إلى الاعتراف بجوهر كائنات
أخرى منفصلة وأجساد منفصلة، ثم إلى الاعتراف بوجود كائنات
غير منفصلة متحدة في كيان واحد: كريستالات أو جزيئات أو ذرات.
بالتالي يرى فيها تلقائيًا هذا الحد المكاني والزمني الذي يحده، ويتخبط
في اللانهاية باعترافه بالعالم بهذه الطريقة حيث لا وجود لمركز أو
حدود؛ أي أن بخروج الإنسان العاقل من إطار ما يعرفه؛ نفسه ووعيه،
يصل تلقائيًا إلى الاعتراف بجوهر قريب إليه، ثم آخر أكثر بعدًا، حتى
يصل في النهاية إلى الوعي بتعذر الوصول إليه. ينطلق الماديون إذن

من الملاحظة، مرورًا بالذرات، وصولًا إلى لا نهائية العوالم، لكنهم لا يتوقفون عند ذلك الحد، فهم ينطلقون من الذرات ولا نهائية العوالم (ما لا يُدرك) إلى الوعي بما يُدرك، أي الذات.

قرأت بعضًا من كتاب لوزينسكي، ووجدته رائعًا بشكل لا يصدق^(٩٧). الأمر الوحيد المؤسف فيه هو صخبه الشديد وأسلوبه الصحفي. الموضوع شديد الأهمية، وبالتالي يتطلب أكثر درجات الجدية والصرامة في تناوله.

٢٤ يناير.

لم أدوّن يومياتي منذ يومين، بسبب مرضي، وفيما يتعلق بحالتي الآن، لا يسعني التباهي. رحلتُ صوفيا إلى موسكو. بالأمس مررت بحالة غضب كئيبة. حمدًا لله أنني ناضلتها. وصلنتني خطابات جيدة. كنت أقرأ لتوي في *Fellowship*^(٩٨) ووجدت فيها مواضع جيدة كثيرة. البابية^(٩٩) مثيرة للاهتمام حقًا. أثناء نزهتي اليوم فكرت في أمرين: حكمة طفولية عن التربية: كما مارسوا عليّ تأثيرًا في الطفولة لتوجيه كافة طاقتي في فترة الشباب صوب الصيد والحرب، يمكن أيضًا أن نمارس تأثيرًا على الأطفال ليوصلهم كافة طاقتهم في فترة الشباب لنضال أنفسهم وزيادة الحب.

(٩٧) عنوان الكتاب (نتائج وآفاق حركة الطبقة العاملة في الغرب وروسيا).

(٩٨) مجلة دينية أمريكية.

(٩٩) الدعوة البابية هي دعوة ظهرت على يد علي محمد بن محمد رضا الشيرازي الملقب بـ«الباب»، ولقب الباب يعني في المعتقدات الشيعية الوسيط بين الله.

فكرت في الآتي: يلبي الحب كافة متطلبات الصلاح. ربما تبدو لك الطهارة الجسدية (الجنسية) غريبة تمامًا على الحب، ولكن فكّر وحسب في ما تفعله حينما تضاجع امرأة بدافع الشهوة وحسب، وستجد الحب يمنعك من الاستسلام لشعور سيئ. كذلك قد يبدو الثراء وعدم المساواة الاقتصادية لك أمرًا بعيدًا، أما النضال ضد الثراء، مثلما تفعل الاشتراكية، ليس إلا تجليًا للحب.

قرأت منذ يومين للودزينسكي (كاتب روسي) ووافقته بشدة. كتبت له خطابًا.

رميت لتوي كتابًا على الرف، وانزلت وسقط على الأرض؛ فغضبت على الكتاب. هكذا يجب أن يكون واضحًا ومخزيًا غضبنا الذي نصبه على إنسان لا يفعل ما نشاء.

٢ فبراير.

لم أدوّن يومياتي منذ ستة أيام. انشغلت قليلًا بكتابة خطابين، ويبدو أنني أنهيتهما. مرضت. اليوم أنا في حالة شديدة السوء، وظللت مستلقيًا طوال الوقت. الساعة الآن الحادية عشرة، وقد نهضت لتوي وها أنا أكتب، لكنني أشعر بضعف شديد. كم يحسن المرض! أثناء مرضي وضعفي اليوم فكرت في أربعة أمور، أذكر منها ثلاثة رغم سوءها، وقد نسيت الرابعة. ها هي الأفكار:

آه، نسيت أن أقول: في خلال الأيام الماضية ذهبت إلى القرية لزيارة بعض الفقراء، وترك ذلك فيّ انطباعًا قويًا ومفيدًا.

الأفكار هي: عن الحياة «الأنا» - عن العقل - عن علاقتي بالجميع.
لا ليست هكذا.

١ - الحياة التي أعيها ليست حياة أناي بأي حال من الأحوال. الأنا محض وهم لازم لهذه الحياة، كما تُعتبر الغابات والألواح الخشبية أدوات لازمة للعمل، لكنها ليست العمل في حد ذاته. على العكس؛ تحويل الاهتمام كله إلى «الأنا» يفسد العمل ويوقفه. ليس العمل ضرورياً وجيداً وحسب، لكنه يجلب البهجة أيضاً. وما العمل؟ لم نوهب أن نعرف ذلك كاملاً، لكننا ندرك بعضاً منه، بقدر ما نحتاج. هذا العمل الحقيقي هو الذي تقوم فيه بما هو لازم، ولكن لا لنفسك.
كانت الفكرة تبدو جيدة جداً في ذهني في الصباح، لكنها لم تصبح كذلك عندما كتبتها.

٢ - لا يقتصر الأمر على أن العقل الذي نعزو إليه هذه الأهمية الحاسمة والسامية ليست له هذه الأهمية للحياة الحقيقية، بل إنه - في ما يتعلق بها - غير مهم على الإطلاق. تنحصر أهميته في حياة «الأنا» وحسب. إنه مهم وواجب في هذا النطاق، وسط الناس وحسب، ولكن إن تخيلت حياة بعد الموت، لن يقتصر الأمر على أن بإمكانك تخيل وجودها في غياب إرشاد العقل، بل سيتوجب عليك ذلك. هناك سوف يشغل نوع آخر من الإرشاد المكان الذي يشغله العقل الآن.

٣ - أتذكر الآن... كانت الفكرة عن الزمن. عندما نتجادل عما سيحدث بعد الموت، فإننا نتجادل عما لا يمكننا الجدال بشأنه، لأننا نتحدث زمنياً؛ أعني داخل نطاق الزمن، عن تلك الحالة التي ستكون

خارج الزمن. ليس الزمان والمكان سوى إطار لحياتنا، وستترك هذا الإطار.

٤- حتى في هذه الحياة، هناك شيء في نشاطنا لا زمني ولا مكاني، وهو الأكثر ضرورةً وأهميةً ونفعًا. لقد تعودنا على الزمان والمكان، حتى أننا ننقلهما إلى تصوراتنا عن الحياة الأخرى.

لا وجود للزمن. هناك وجود لحياتي، لكنها لا تُكتب إلا بخط الزمن. هناك عمل فني، ولكن بلا سطور أو حروف، وهو لا يُكتب إلا في صورة سطور وحروف. أما حقيقة أن العمل الفني الجيد يُكتب بسطور وحروف، لا تثبت بأي طريقة أن الكتب المكتوبة في صورة سطور وحروف سوف تستمر، أو أن كتبًا شبيهة سوف تُكتب بنفس الطريقة.

٥- الزمان والمكان والمادة محض خداع، وكذلك أناي... لا، ليست خداعًا، بل خيال وحلم. الحياة موجودة، ومشاركتي في الحياة - لن أقول الأبدية - اللا زمنية واللا مكانية ليست خداعًا. حقيقة أنني لن أعيش في الجسد بعد الموت، وأنه لن يكون هناك وجود لأناي لا يقلل من إيماني بالحياة الأخرى، بل يوطده ويرسخه. ما أسميها «أناي» غير زمنية، وهي الكيان الوحيد الذي له وجود حقيقي، ولا أستطيع أن أعتبرها جزءًا من الحياة؛ لأن مفهوم الجزء ينطوي على فكرة الزمان والمكان، لكنها الحياة ذاتها.

عليّ أن أعبر عن الفكرة بمزيد من الوضوح.

بالأمس كنت في حالة صحية شديدة السوء. لم أفعل شيئاً، وناضلت مشاعري السيئة بداخلي. قرأت لأرتسيباشيف^(١٠٠). إنه موهوب حقاً، لكنه يتسم بذلك الإهمال الأدبي المعتاد، خاصة في مواضع وصف الطبيعة. منذ زمن بوشكين وجوجل وأصحاب المواهب الكبيرة والصغيرة على السواء يعملون قائلين لأنفسهم: «آه، ليس حسناً... كيف يمكنني أن أكتب بصورة أفضل؟»، أما المعاصرون فيقولون: «لا تشغل بالك، فالأمر هكذا على ما يرام».

لا يقتصر الأمر على أن أرتسيباشيف يحوز موهبة حقيقية، بل إن لديه كذلك أفكاراً. لسوء الحظ، في الوقت الذي يعرف فيه كل هؤلاء الكتاب - ومنهم أرتسيباشيف - كافة تلك الأفكار غير الدقيقة والطائشة بشأن مسائل الحياة المختلفة، يتضح جهلهم المدهش بكل ما قطعه المفكرون العظام في الماضي في طريق حل تلك المسائل. كثيراً ما يسمحون لأنفسهم، وقد وعوا مدى جرأتهم وحكمتهم، أن يُعربوا بطريقتهم الواهنة عن شكوكهم حول ما أقرّ به كل من حولهم، غير مدركين أن الأقدمين قد أمعنوا التفكير واستجلوا كل هذه الشكوك منذ زمن بعيد، بل وكل ما ينبع منها أيضاً، وبالتالي لم تعد هناك أمريكا جديدة

(١٠٠) ميخائيل أرتسيباشيف (١٨٧٨م-١٩٢٧م): روائي وكاتب مسرحي روسي كبير، من أنصار المدرسة «الطبيعية» في الأدب. كتب أول أعماله الهامة (باشاتومانوف) في عام ١٩٠١، ولكنها مُنعت من النشر حتى عام ١٩٠٥. كان يعتبر روايته (موت إيفان لاندي) أفضل أعماله، غير أن أكبر نجاحاته تمثل بالفعل في رواية (سانين) التي كتبها عام ١٩٠٣م، ولم تنشر إلا في عام ١٩٠٧م بسبب الرقابة.

تنتظر أن يكتشفها أحد. ولكن تظل أعمال أرتسيياشيف تنطوي على أفكار، وهي أفكار أصيلة؛ الأمر الذي يغيب لدى جوركي وأندرييف، وكذلك عن كوبرين الذي تتسم أعماله بموهبة دون مضمون، بينما نجد في أعمال أرتسيياشيف موهبة ومضمونًا على السواء. على أي حال، كوبرين وأرتسيياشيف؛ خاصة الأخير، أفضل بدرجة لا تُقارن من جوركي وأندرييف. إن قصة «دم» رائعة حقًا، وكذلك قصة جولولوبوف، أما قصة كوبريان فتعاني من الإهمال الناتج عن وصف ما لا يعرفه الكاتب. يكفي ذلك.

جاءني بالأمس مراسل صحيفة (الكلمة الروسية) ليسألني عن زيارة الأسقف، وقد أملت ردي وراجعته اليوم، وها قد أرسلته. كتبت خطابًا لواحد من أصحاب الإيمان القديم^(١٠١).

١ - بفضل شعوري بمدى صعوبة احتمال ذلك، فهمت الآتي، وهو أمر مضحك حقًا: في الثمانين لا يجب أن تتحدث مع الآخرين عما يشغلك، بل حاول أن تلتقط ما يشغلهم، وتحدث عن ذلك إن وجدت شيئًا.

٢ - بمرور الوقت يتضح لي أكثر فأكثر أن حياتنا ليست إلا وعي بانفصالنا، وأنا ما نسميه «الأنا» ليست إلا وعيًا بحياة الجميع. تطلب هذا الانفصال أن يوجد ما يجعلنا كذلك فعلًا، ونحن غير قادرين على فهم ما يجعلنا منفصلين إلا من خلال مفهوم غير المحدود بالمعنى

(١٠١) طائفة مسيحية روسية (المشققون)، حافظت على ممارسات الكنيسة الروسية القديمة قبل إصلاحات البطريرك نيكولاي في موسكو بين ١٦٥٢ و ١٦٦٦.

المادي، وغير القابل للانقسام بالمعنى الروحي.

غير المتجزئ في كياني هو ما نسميه «الله». إن سمحنا لأنفسنا بحكم العادة المتأصلة أن نعزو مفهوم النية إلى الله، سنقول إنه يمنحنا هذا الانفصال والوعي بجوهرنا الروحي غير المتجزئ واتحادنا بالجميع، وفي هذا نجد الحياة والخير. الموت هو توقف الوعي بالانفصال. بما يُستبدل؟ أيزول هذا الوعي وحسب؟ هناك أمر واحد يقيني؛ الوعي بالذات لا يمكن أن يزول لأنه موجود، ولا وجود لشيء عداه.

صياغة غير واضحة.

حلّ المساء. أفكر طوال الوقت في ما كتبت صباح اليوم. نعم، إن كنا نعي أنفسنا منفصلين، فمرد ذلك إلى أننا كنا (وكلمة كنا غير صحيحة لأنها تعبر عن الزمن، بينما الأمر غير زمني) غير قابلين للانقسام، أو أن بالأحرى وعينا بالانفصال ليس إلا وهماً أو مجرد وعي مؤقت، بينما في حقيقة الأمر لا نتوقف عن اتحادنا بالجميع، وبالمعنى الديني يعني ذلك أن الله يعيش فينا. هذا التزامن بين الانقسام واللا انقسام يمنحنا سلطة وحرية وقدرة؛ يمنحنا الحياة وخيرها. وهكذا فإن الموت ليس سوى تدمير للوهم ووعي زمني بالانفصال. أما بخصوص ما إن كان سيُستبدل به وعي آخر أم لا، هذا ما لا نعرفه، ولا يمكننا أن نعرفه، ولا يجب من الأساس أن نعرفه؛ لأن مثل هذه المعرفة بإمكانها أن تدمر حرية حياتنا. كل هذا غير واضح.

أردت أن أكتب أيضاً أن النشاط الذي يجري باسم الوعي بعدم

القابلية للانقسام هو أسمى نشاط، وهو حر دائماً كما يمنح صاحبه خيراً. أما النشاط الذي يجري باسم الوعي بالانفصال دائماً ما يجلب لصاحبه صنوف المعاناة والمخاوف كما أنه لا يليبي رغباته.

٣- أردت أن أكتب أيضاً أنني -شئت أم أبيت- مضطر لأن أصدق أن الناس نسبوا إليّ سمعة لا تلائمني؛ سمعة كاتب وإنسان عظيم، وهذا يُلزميني بواجبات معينة. أشعر أنني وُهبّت مكبر صوت كان يمكن أن يكون أكثر فائدة ونفعاً في يد آخرين، لكنه -شئت أم أبيت- أصبح بين يديّ، وسأكون مذنباً إن لم أستغله استغلالاً حسناً. في الفترة الأخيرة يبدو أنني أستخدمه من أجل الثروة الفارغة وتكرار ما قلته سابقاً. سأحاول مجدداً.

٤- لا أزال أسمع شكاوي وتصلني خطابات توبخني على أنني لم أمنح الأرض للفلاحين^(١٠٢). لا يسعني ألا أعترف بأنه كان من الأفضل لو لم أخش توبيخات أسرتي، ومنحت الأرض للفلاحين. صحيح أنني أتساءل أي أرض كنت سأمنحها، ولكن كان بالإمكان تدبر ذلك، ولكن سواء كان ذلك أفضل أم أسوأ، لكن سبب عدم فعلي لذلك لا يعود إلى أي تقدير أكنه لأملاكي. منذ عشرين عاماً وأكثر وأنا أكره أملاكي، ولا أحتاج إليها، ولا يمكنني حتى أن أحتاج إليها، وذلك بفضل كتابتي، وإن لم يكن بفضل كتابتي، فبفضل أصدقائي. الفائدة الوحيدة لعدم تنازلي عن الأرض للفلاحين هو أنني أتعرض بسبب ذلك للسباب والإدانة بشكل دائم. أما الآن أطلب من ورثتي أن يمنحوا الأرض للفلاحين بعد

(١٠٢) تنازل تولستوي عن أملاكه كاملاً لأسرته.

موتي، كما يتنازلوا عن حق الانتفاع بأعمالي، ولست أقصد الأعمال التي تنازلت بالفعل عن حق الانتفاع بها، ولكن كافة أعمالي. إن قرروا عدم فعل ذلك، فلينفذوا على الأقل الأولى، ولكن الأفضل لهم ولغيرهم أن ينفذوا الرغبتين.

٥ فبراير.

فكرت ليلاً ونمت قليلاً. نعم، العالم كرة، مركزها في كل مكان، وليس هناك حدود واضحة لها (بالفرنسية في الأصل). أضيف إلى ذلك أن هذا المركز هو أنا وكل كائن حي. أن تحيا يعني أن تشعر وتدرك نفسك مركزاً كونياً للكيان الكلي.

من الواضح أن ما له وجود حقيقي هو ما يتمثل لي في مجال اللا نهائية وحسب، لأنني -مثل كل إنسان آخر- لا أحيأ في الفترة المعاصرة وحسب، لكنني عشت أيضاً مئات الآلاف من الأعوام، وأعي نفسي مركزاً تخرج منه أنصاف أقطار لا نهائية. يتمثل لي ذلك في مجال اللا نهائية وحسب، ولا يستطيع أن يتخذ أي شكل آخر، لكن له وجود حقيقي. نحن وأي دودة متخيلة، والعالم المادي بأكمله لسنا إلا شيئاً متخيلاً، وذلك لأنه ليس هناك حدود للمادة، بل هناك جنون وتناقض في المفاهيم. ليس لشيء وجود حقيقي سوى ما هو روحي، والذي أشعر بسببه أنني كيان منفصل.

٢- لا بد أن أقول لديموتشكا (ابن تشيرتكوف) إن الزواج لن يعطيه كمال الحياة، بل في أفضل الأحوال سيحرمه منه، وفي أسوأ الأحوال سيشكل عقبة إضافية في طريق وصول المرء لخيره.

٦ فبراير.

لا أذكر ما إن كنت قد كتبت ذلك سابقاً أم لا:

١- الجميل في الاعتراف بأن الله هو الحب هو أنه يجعل التعامل معه يتمثل في أمر واحد؛ حبنا للناس. في ظل هذا التعامل تشعر أنه يلبي احتياجاتك.

٢- سهل قول: عِشْ من أجل الله وحسب، ولكن كم يصعب ويحسن ذلك في الوقت ذاته!

٣- أربع مراحل في الحياة: الحيوانية (الطفولة المبكرة) - مرحلة المحاكاة والخضوع للإيحاء أو التأثير (مثلما يفعل الناس كذا، كذلك أنا أيضاً) وهذه هي مرحلة الطفولة - مرحلة السعي صوب نيل مديح الناس (مرحلة الشباب) - الرابعة: مرحلة العيش من أجل الروح (الله) وهذه هي الحياة الحقيقية. تستمر هذه المراحل الأربع في كل حياة. تشكل الثانية: التقاليد وقوة القصور الذاتي والتنويم، كما يفعل الناس كذلك أفعل، ٩٩٪ من نشاط الناس في الأسر والأعراف الاجتماعية والدولة والدين.

صلاة: أريد طلب العون من الله، لكن أحداً لم يرَ الله في أي مكان، ولا يمكننا أن نفهمه، لكن يمكننا أن نتصل به بالحب. إن أحببنا، فلأننا فيه وهو فينا. هكذا سنحب الجميع؛ الأقرباء والبعيد، مَنْ يحبوننا ومَنْ يكرهوننا، وهكذا سنحب الجميع بالفكر والكلمة والفعل. في هذا وحده ننال عوناً من الله، وفي هذا ننال خيرنا الأعظم الذي يمنحنا إياه.

٧ فبراير.

بالأمس كنت في حالة جيدة جدًا، جسديًا وروحيًا. اليوم أنا أسوأ حالًا، لكنني متماسك. يزداد شعوري بضرورة تأليف صلاة قصيرة، وها هي:

تريد عون الله... حسنًا، لا يمكنك الاتصال بالله إلا بالحب. إن أحببتُ، فهو فيَّ وأنا فيه، لذا سأحب الجميع دائمًا، في أفكاري وكلماتي وأفعالي. في مثل هذا الحب وحسب سأجد عون الله.

فكرت في أن الوعي بالانفصال يمنح صاحبه على مستوى الشعور مفهومًا عن عدم إمكانية النفاذ، وهذا المفهوم يمنحنا بدوره مفهوم المادة. أريد أن أوضح ذلك لنفسِي، لكن الأمر غير واضح حتى هذه اللحظة.

٨ فبراير.

لم أفعل شيئًا أمسًا واليوم. مشغول بالتفكير في صلاة. فكرت في ذلك هذه الليلة. نعم، أنا في حاجة إلى ثلاث صلوات؛ ثلاث تذكرات لنفسِي بشأن مَنْ أنا، وما الذي فُطِرَ على فعله، وما يجب أن أفعله. التذكرة الأولى هي الرئيسة:

١- أعرف أنني إن أحببت، فأنت فيَّ وأنا فيك. لذا أريد أن أحب الجميع دائمًا، على مستوى الأفكار والأقوال والأعمال.

٢- أريد ألا أفكر في حكم الناس، بل أنشغل وحسب بفعل ما يمكن وما يتوجب عليَّ فعله أمام وجه مَنْ يحيا بداخلي.

٣- أحداث المستقبل الخارجية محجوبة عني، لكنني أعرف أنها تتم بحسب إرادتك، لذا لا أريد أن أتمنى أن تحدث في المستقبل هذه الأحداث أو تلك، عالمًا أن ما يحدث وفقًا لإرادتك لا بد أن يكون خيرًا دائمًا.

٩ فبراير.

فلتكن إرادتك لا إرادتي في كل شيء، ولتتم كما تشاء، لا كما أشاء. لا أريد أن أرغب أو أنتظر شيئًا في المستقبل، ولا أنشد نجاحًا في عمل أو مديحًا من الناس، ولا قوى جسدية ولا الحياة ذاتها. أريد شيئًا واحدًا؛ أن أكون فيك وتكون فيّ، وأن أحب الجميع دائمًا، على مستوى الأفكار والأقوال والأفعال.

طوال الوقت لا أشعر بالرضى عن شكل الصلاة. الساعة الآن التاسعة مساءً. أريد أن أعبر عن الفكرة بصورة أخرى:

لا أنشد شيئًا في المستقبل، عالمًا أن كل ما سيحدث سيكون خيرًا. لا أنشد مديح الناس، عالمًا أن عملي ليس أن أنال حب الناس، بل أن أحبهم، على مستوى الأفعال والأقوال والأفكار.

١١ فبراير.

لم أكتب شيئًا منذ عدة أيام، ولكن حالتي الروحية جيدة، خاصة اليوم. لم تصل صوفيا بعد. فكرت في أن صلاتي لا تلائم اللحظات الأخيرة من حياتي عند حلول الموت. وإن كانت كذلك، فهذا يعني أنها غير مناسبة بشكل عام؛ لأن أي لحظة يمكن أن تكون لحظة الموت. فكرت

في البداية أنه من غير الملائم، خاصة بالنسبة للحظة الموت، أن أفكر في التخلص من السعي صوب نيل مديح الناس، لكنني أمعنت التفكير بعد ذلك ورأيت أن هذا غير صحيح، فوهم مديح الناس لن يفارق الإنسان، حتى في لحظات الموت، بل على العكس؛ في هذه اللحظات تحديداً تشتد وطأته، كما نرى في كافة المآثر البطولية المشبعة بالكبرياء. بل قد تكون الكبرياء هي الباعث لكافة أفعالهم. نعم، إن الكبرياء والاهتمام بمديح الناس هو واحد من العقبات الرئيسة في طريق تكريس حياتك لخدمة الجوهر الروحي، خارج نفسك وبداخلك على السواء. في ما يتعلق بخارج نفسك، يزداد فهمك بوضوح لمتطلباته، وبداخلك يتزايد إخضاع حياتك لمتطلباته. لذا سأترك صلاتي كما كتبتها، وربما أكتفي بإضافة ما يعبر عن الوعي بتذكر حتمية واقتراب وألفة وخير الموت.

أعرف أنني أحتضر، وفي حضور الموت لا يسعني أن أرغب في أي شيء مادي في هذه الحياة التي سوف أغادرها، ولا يمكنني كذلك أن أرغب في نيل مديح الناس؛ لأنه لا يلزم المحتضر في شيء. لكن في الوقت نفسه لا يسعني ألا أرغب في شيء على الإطلاق. أرغب في أمر واحد؛ أن أحب الجميع دائماً بنفس القدر، بالفعل والقول والعمل، في كل دقيقة، وحتى اللحظة الأخيرة.

١٢ فبراير.

لا أعمل على شيء محدد طوال الوقت. راجعت اليوم بعض الخطابات؛ واحد منها مرسل لأحد الماديين، يبدو لا بأس به. نعم، فكرت بالأمس في مدى فعالية كلمات المحتضر. ما السبب؟ السبب

هو أن المحتضر لا يفكر في ما هو دنيوي. إننا جميعًا محتضرون، بشكل أو بآخر، لذا كل ما عليك هو ألا تفكر في ما هو دنيوي، وستجد كلماتك فعالة، هذا إن شعر المستمعون بمدى بُعدك عما هو دنيوي.

بينما كنت أتنزه اليوم، فكّرت في الآتي:

يا لها من دائرة لا تنفصم! حياة صالحة - أعمال تدعم الإيمان، وإيمان ينتج الأعمال. يتضح من ذلك كيف لا يمكن أن يكون هناك إيمان لدى الحكّام والمحاربين والسُّراق والقضاة والمعلمين الكذبة، بل لديهم ما يشبهه وحسب، ويكشف ذلك عن كذبة مريعة.

١٤ فبراير.

مرضت بالأمس، لكنني سعيد، ولا يسعني إلا أن أشعر بالامتنان. لم أكتب شيئًا. جاء العزيز نيكولايف. كافة الخطابات التي وصلتني جيدة. لم أخرج قبل الغداء، بل استلقيت.

أشعر اليوم بالضعف، خاصة في ما يتعلق بالكتابة. لا أبغي شيئًا. في الوقت نفسه فكرت اليوم في أمور أظن أنها شديدة الأهمية:

١ - يُقال: «ولكن هل يمكن أن نعيش بمقتضى قانون الحب دون ردع الأشرار بالعنف؟». يكشف هذا القول عن إيمان أصحابه بقانون العنف؛ يؤمنون بأن العنف يُنظّم الحياة. يؤمنون بذلك، والحقيقة أن قانون العنف يفعل ذلك حقًا جزئيًا، أو على الأقل يبدو لنا ذلك. ماذا سيحدث لو آمنّا بقانون الحب كما نؤمن بقانون العنف؟ يعتمد كل شيء على الإيمان بهذا أو بذاك. أعتقد أن الإيمان بقانون الحب سيتحقق

وسيصبح عامًّا مثلما هو الإيمان بقانون العنف. أقول «سيحدث»؛ لأنه قد ظهر الآن بالفعل شك في فاعلية قانون العنف. ما إن يصبح الإيمان بقانون الحب عامًّا، حتى يزول جزء كبير من هذا الشر الذي تعاني منه الإنسانية الآن.

٢- كثيرًا ما تستسلم للكآبة والسخط بسبب ما يحدث في العالم. كم يكشف ذلك عن خطأ لا يغتفر! العمل والتقدم وزيادة الحب في الناس والوعي بإمكانية الحب والتعامل معه بوصفه قانونًا للحياة، يُنمِّي في الإنسانية بطريقة إيجابية الاعتراف بمدى نفعه، وبطريقة سلبية: الاعتراف بتدهور أوضاع الناس المستمر بسبب اعترافهم بقانون العنف. نعم، لا بد من هذا النمو المزدوج، وعدم اليأس.

٣- تعود أهمية أحكام الإعدام في زماننا إلى أنها تكشف عن شر الحكّام وضلالهم، وبالتالي فإن طاعتهم أمر مضر ومُخزٍ، تمامًا كطاعة المرء لزعيم عصابة.

١٥ فبراير.

تحدثت على نحو سيئ ليلة أمس مع زوسيا. حالتي الصحية جيدة. تحدثت مع فانيا. لا أستطيع التحدث دون أن أذرف الدموع. صباح اليوم فكرت في فكرة تبدو جديدة؛ فكرت بسرور في الآتي:

١- إدانة الناس من وراء ظهورهم، وفي حضورهم أمر سيئ وخطير، يثير الضغينة في قلوبهم. لذا هناك أمر واحد عقلاني وممكن؛ أن تكون علاقتنا جيدة بأولئك الذين يسلكون على نحو شرير. كان الأمر

كذلك بالنسبة لي مع ستوليين. يجب في هذه الأحوال أن نشفق عليهم ونحاول أن نوضح لهم مكمّن أخطائهم وضلالاتهم.

٢- جاءني حاليًا متسول، فلاح وجندي سابق، يستخدم كلمات أجنبية غير ضرورية في حديثه، لكن موضوع كلامه واحد: كراهية الحكام والأثرياء، وحسد وتبرير للذات في كل شيء. يا له من كائن مريع! من المسؤول عن ذلك؟ الثوار أم الحكومة؟ كلاهما.

٣- حالة الشعب الأخلاقية الدينية مريعة، وكأن لا مخرج لهذه الأزمة. هناك مخرج، لكنه سيظهر في الوقت المناسب. فلنقل مثلاً أنك تناولت طعامًا سيئًا مضرًا، أو شربت حتى سكرت، وها أنت تتعذب ويبدو لك أنه لا مخرج من هذا الوضع، وذلك لأنه لا مخرج فعليًا في تلك اللحظة. ستهضم المعدة الطعام، وسيعيد الجسد النظام إلى نفسه، وهكذا ستحل الأزمة.

٤- يا للشّر المريع الذي جلبه الأدب الثوري! يشير في البداية إلى الشر اللا واعي الذي تم التسامح معه سابقًا بهدوء، ويقدمه لنا كأنه الوسيلة الوحيدة للخلاص من الشر، بينما هذه هي الوسيلة الوحيدة لزيادته لا للخلاص منه، ويكشف ذلك عن قساوة مريعة! هذا تحديدًا ما فعله الثوار بالشعب.

١٨ فبراير.

لم أكتب بالأمس. كنت واهنًا طوال اليوم، والأسوأ أنني كنت حزينًا، وشريرًا بعض الشيء. أستعيد شيئًا ما إلى ذاكرتي ويبدو لي سيئًا، ولكن

ما هو سيئ هنا ليس الشيء نفسه، بل هي طريقة تفكيري حياله، أي أن الفكر يطلي الشيء بظلاله. راجعت مقالتي (عدد من جريدة)، وكل شيء ليس على ما يرام. في المساء جاء بوليجين، وحكى لي حكاية مدهشة عن موت زوجته. لم أفكر منذ الصباح ولم أعمل. حسنًا... وماذا أيضًا؟

١ - فكرت لتوي في فكرة شديدة الأهمية بالنسبة لي: لا أعرف ما إن كان ذلك بحكم عادتي القديمة أم أنه يناسب الروح الإنسانية، لكنني أريد طوال الوقت أن أصلي، وأتوجه إليه؛ إلى الله. أثناء محاولتي في الفترة الأخيرة لتحديد مفهوم الله بوضوح لنفسي - كما يجب أن يكون - أدركت استحالة إقامة علاقة معه، ونفي العقل له، لكن الحاجة لا تزال كما هي. يا رب... أنت... أنت كل ما أمثل تجليًا غامضًا له في الجسد، بمعزل عن الجسد الكلي. أنت الكل، بكل كماله... عونك! أقول ذلك وأشعر أنني بخير روحياً. لا أعرف مَنْ هو، ذاك الذي أطلب عونه، ولكن علاوة على أنني أعرف أنه موجود، أدرك أيضًا أنني كلما توجهت له بإخلاص وحرارة لطلب عونه، ازداد شعوري بهذا العون. نعم... عونك لأتحرر من الجسد وأتحدث بك، وأشعر أنك تساعدني فعلاً. أردت أن أقول إنني أحبك، ولكن كلمة «أحب» ليست مناسبة. لا يتسم شعوري صوبك بحرارة الحب، ولا بضيق الشعور الجسدي. إنه ليس حبًا. في الحب هناك رغبة في نيل الخير، أما معك هناك رغبة في الاتحاد بك وحسب. هراء!

٢ - ظلت أولف صلاة قصيرة، بينما أصلي صلاتي الطويلة. هذا غير حسن. لا يجب أن يقتصر الأمر على صلاة واحدة لكل الأيام وكل

الأوقات. أنا في حاجة اليوم إلى صلاة «عونك!»، وأحياناً أحتاج إلى صلاة «أشكرك»، وأحياناً لا أحتاج إلا إلى بعض التأمل، وأحياناً أحتاج إلى التفكير فيه أو في نفسي.

لم أعرف ولا أعرف امرأة واحدة أسمى روحياً من ماريا ألكسندروفنا. إنها شديدة السمو لدرجة يصعب معها تقديرها كما يجب. يبدو أن الأمر يجب أن يكون كذلك، وأنه لا يمكن أن يكون خلاف ذلك.

١٩ فبراير.

نمت نومًا جيدًا. راجعت مقالتي (عدد من جريدة)، وبدأت في (حكمة الأطفال). راجعت (الشيطان)^(١٠٣). أشعر بالكآبة والضيق. فكرت على نحو جيد أثناء نزهتي بالجواد. في البداية فكرت في الآتي:
١ - لا يمكن للإنسان العاقل أن يأمل أو ينتظر سوى شيء واحد؛ الموت.

٢ - علينا ألا ننتظر المستقبل، بل نتجهز للحياة في الحاضر. أشعر وأختبر بوضوح شديد فرحة وسلون وحرية الحياة من أجل الله وحسب.

٢٠ فبراير.

لا أزال في حالة جسدية ثقيلة الوطأة كما كان الحال بالأمس. ربما هو الكبد. لا أستطيع العمل. حاولت أن أعيد قراءة بافل (قصة: من

(١٠٣) قصة كتبها في عام ١٨٨٩، ولم تكن قد نُشرت بعد.

القتلة؟). كان يمكن أن تبدو جيدة ولكن ليست لديَّ رغبة، كما فارقتني الرغبة كذلك في العمل في (حكمة الأطفال). ميشا هنا وبصحبتة زوجته وشقيقتها. جميعهم يتسمون باللطف. ليس لديَّ ما أدوَّنه، ولست في حالة تسمح لي بكتابة عمل إبداعي. راجعت (عدد من جريدة). ليست جيدة. تحدثت أمس وأول أمس على نحو جيد مع تشيرتكوف، ولكنني شعرت بضعف مريع قبالة المساء.

٢١ فبراير.

بالأمس حظيت بتمشية جيدة، ووسط حالة من عدم التفكير راودتني فجأة فكرة جيدة... جيدة جدًا. سأدوَّنها. حاولت العمل على قصة بافل. ثمة إمكانية لأن تصبح جيدة. حظيت بحديث جيد مع تشيرتكوف، لكن دار حوار مستفز بيني وبين زوسيا عن الفن.

أفكار:

١ - نحن؛ تلك الكائنات المنفصلة بالغة الصغر، بحواسنا المادية العرضية التي قد تكون هناك ملايين الأنواع المختلفة منها، ونحن نراها في الحيوانات مختلفة عنا فعلاً، نخلق العالم بهذه الحواس؛ بكل ما ندركه فيه من حيوانات ميكروسكوبية وأجرام سماوية، ونكون في تمام الثقة من أن العالم هكذا فعلاً، وهو موجود على هذه الصورة وحسب. يا للحماقة! هذا بالإضافة إلى هراء فكرة وجود هذا العالم العبثي منذ فترة لا نهائية واستمراره إلى ما لا نهاية زمنيًا، ووجوده وسط لا نهائية المكان، بما يتضمنه من أجزاء مادية لا نهائية الضخامة، وتلك الأجزاء المادية لا متناهية الصغر... وكذلك فكرة أنه من الواضح أن ما نسميه

«العالم الموجود» هو نتاج حواس كائن واحد، وُهب عرضًا حواس استثنائية؛ إنه الإنسان. العالم الذي نتصور أنه وحده الموجود ليس إلا واحدًا من عدد لا نهائي من الصدف الممكنة. نعرف أنه كذلك لأننا نعرف بمشاركتنا فيه أن هناك عالمًا آخر لا يعتمد على هذه الحواس أو تلك؛ عالم روحي واحد... واحد وحسب. لا يمكننا أن نقول إننا نعرف هذا العالم الآخر، ولكن بإمكاننا -بل ويتوجب علينا- أن نقول إنه موجود. معرفة أنه موجود هي خير عظيم.

نسيت أن أكتب الآتي: الاهتمام بنيل مديح الناس وآرائهم ليس أحد ضعفات البشر وضلالاتهم وحسب كما يظن الكثيرون، بل هو ضلالة الضلالات، وعليه تتأسس كافة خطايا البشر تقريبًا: الثراء - الرغبة في المعرفة المفرطة - حب السلطة - الغضب - الكراهية - اليأس. إن أردت أن تشعر بمدى كارثية هذا الإغواء المريع، فلتتخيل حياة تخلو منه، مكرسة كلية لتنفيذ إرادة الله، لا تبالي إطلاقًا بآراء الناس. كل ما عليك هو أن تتخيل ذلك بقوة في جميع مناحي الحياة، وستنعم حينها بحرية ووعي مذهلين، لم تختبرهما قبلاً، لعملك الإنساني الإلهي.

لم أستطع أن أعبر بوضوح عما شعرت به.

٢٢ فبراير.

بالأمس حظيت بنزهة جيدة على الجواد حيث مضيت بعيدًا، وفكرت على نحو جيد. شعرت بضعف شديد في المساء بالمنزل. جاءني تشير تكوف، ودار بيننا حوار جيد كالمعتاد. كان صباح اليوم فاتنًا مجددًا، لكنني أشعر بضعف شديد. كتبت على نحو شديد السوء في (حكمة

الأطفال)، ولا يمكنني فعل شيء. أريد فعل الكثير. كان عليّ تدوين فكرة مهمة، لكنني نسيتها. أذكر أمراً واحداً عن (حرية الإرادة). كم نخطئ حينما نقول (حرية الإرادة)! كأن شخصاً ما يتحرر من شيء ما. حرية النور، حرية الجاذبية. ما يسمونها (حرية الإرادة) هي الحياة ذاتها، لكن لا يمكننا أن نطلق عليها شيئاً آخر. يطلق الموتى تسمية (حرية الإرادة) على تلك الحياة التي فقدوها، والتي يتذكرونها على نحو ضبابي.

٢٥ فبراير.

لا أتذكر أول أمس، ٢٣ فبراير على الإطلاق. يبدو أنني لم أكتب شيئاً سوى بضعة خطابات عن اللا مقاومة وعن المدرسة. أشعر ببرودة شديدة. يبدو أنني تمشيت يوم ٢٣، ولحقت بي زوسيا بالجواد. كتبت يوم ٢٤ جيداً في (قصة بافل). ربما أنجح في كتابتها. هناك الكثير من الأمور الجيدة والمفيدة يمكن أن تُقال. جاءني زائر أفسدته فكرة الثورة وخدّرتة تماماً. يكره ويدين الجميع، وكل شيء ممكن بالنسبة له. قرأت ليفيكتور هوجو. نشره رائع حقاً، لكنني غير قادر على قراءة شعره.

منذ صباح اليوم وأنا منخرط في الرد على بعض الخطابات القديمة، وعملت بحيوية ورغبة شديتين، وكتبت ربما أكثر من ١٥ خطاباً. تمشيت وصولاً إلى مكان الهاتف. أشعر بالضعف، لكنني بخير. أشعر بسرور التحرر من الاهتمام بمديح الناس.

١- تذكرت سخرية سولوفيوف من قلبي إن الأرض لا تدور بل الشمس هي التي تمضي، وفكرت في أنه من الأكثر منطقية بلا شك أن نفترض ونفكر ونقول إن الشمس هي التي تمضي من أن نقول إن

الأرض تدور. الافتراض الأول يقيني ومشارك للجميع، وهو المحتوى النهائي لحواسنا، أما الثاني فهو استنتاج عقلي، لا يلائم الجميع كما أنه استنتاج غير نهائي، بل وأقل في درجة ملائمته للجميع من الافتراض الأول، وهو ليس نهائيًا، بل يُعتبر واحدًا من قلب عدد لا نهائي من الاستنتاجات الناقصة الغامضة.

٢٧ فبراير.

بالأمس شعرت بالمرض الشديد، ولم أتناول شيئًا. كان ضعفي الجسدي شديدًا، لكن حالتي الروحية كانت على النقيض. أملت قليلاً^(١٠٤) وعلى نحو لا بأس به. لم أخرج. في المساء حظيت بحديث جيد كالعادة مع آل تشير تكوف. جاء أيضًا فيلتين وآل ستر اخوف.

أشعر باقتراب الموت، وإن كان الموت على الأبواب فعلاً، فبحسب ما شعرت به بالأمس، واليوم جزئيًا، هذه واحدة من أفضل الحالات التي يمكن للمرء أن يختبرها في هذه الحياة

أفقد ساشا، رغم أننا لا نتحدث كثيرًا. ليتني أحب الجميع!

١ مارس.

لم أكتب شيئًا بالأمس، لكنني كنت بصحة جيدة. في الصباح قرأت وكتبت في (حكمة الأطفال). سرت طويلاً بلا شك، وآلمتني قدمي. في المساء شاهدت بعض الصور عن الهند عند تشير تكوف. جيد جدًا. استيقظت اليوم شاعرًا بحيوية، رغم أنني نمت قليلاً واستغرقت في التفكير.

(١٠٤) مقالة قصيرة عن الدولة.

٢ مارس.

بالأمس ظللت جالسًا بلا حراك بسبب آلام قدمي، وكذلك هو الأمر اليوم. لم أفعل شيئًا بالأمس عدا القراءة. جاءوني ومعهم الصور الهندية. راجعت الترجمة الإنجليزية من خطابي إلى هندي. جاءني مساءً رجل متدين قوي رائع من تولا، وكالعادة كان ثوريًا سابقًا؛ إنه ميخائيل بيريليكين. قرأت بعضًا من كتاب جرابوفسكي (الحب الروحي) (بالألمانية في الأصل)، ووجدت فيه الكثير من المواضع العميقة والجيدة. عليّ أن أتعلم فيها.

١٣ فبراير (١٠٥).

قرأت في كتاب كروفت هيلر^(١٠٦). السماح بالعنف من أجل تحقيق قانون الله أمر زائف وغير صحيح. نحن في حاجة إلى الحب وحده... حب دون عنف. الأمر الرئيس إذن -وهنا مكمّن خطئي أيضًا- هو أن الحب يؤدي عمله الآن في روسيا، حتى مع الإعدام والمشائق وغيرها.

٢٨ فبراير.

١ - الحياة سعي صوب الاتحاد بجوهر كل شيء؛ الله، وهكذا لا يمكن أن يكون الموت مريمًا لمن يفهم مغزى الحياة الحقيقي. كيف

(١٠٥) الاضطراب في ترتيب التواريخ موجود في الأصل.

(١٠٦) Meta-Christianity. Spiritism established, Religion reestablished, Science dis-established (London, 1903).

يمكنه أن يخشى ما يكمل مساعيه بالنجاح؟

٢- بالموت تختبر ما يختبره طفل مهجور عائد إلى أمه التي يحبها وتجنه.

٣- كيف يمكن أن نقول إن العمال هم أنفسهم مذنبون؟ لا يجب أن يكون التحرر في حد ذاته هو الهدف، بل الوصول إلى أفضل حياة روحية ممكنة؛ الهدف ديني وعام، وحينها فقط يمكن تحقيق الهدف السياسي الخاص بصورة تلقائية.

١ مارس.

١- الله محبة. أن تحب الله يعني أن تحب الحب.

٢- اختبرت للمرة الأولى شعورًا يمكنني أن أقول إنه يشبه الشعور بالحب لله. لا يمكنني استدعاء هذا الشعور ثانية الآن عن عمد، لكن يمكنني أن أستعيد ذكراه.

٣- الموت هو توقف الحياة داخل إطار الزمان والمكان، أما بالنسبة لمن لا يعرف حياة خارج إطار الزمان والمكان، فالموت هو توقف كل شيء.

٤- الضرائب هي أكثر وسائل العبودية فاعلية، لذا التحرر غير ممكن إلا عندما يتحرر المرء من المشاركة في جمع الضرائب، ومن المرعب -والمبهج أيضًا- أن أقول إن التحرر غير ممكن أيضًا إلا بتحرر المرء من السعي صوب مصلحته الذاتية وباستعداده للفقر ورفضه خدمة الأغنياء.

لا أتصور أبدًا أنني لم أدون يومياتي منذ أربعة أيام. في هذه الفترة أقعدتني آلام قدمي وجعلتني أعتمد على عون الآخرين. لا يمكنني التباهي بحالتي الروحية، خاصة في أوقات المساء. لكنني لا أضعف، وأعرف أنني سيئ. لا أشعر بالرضى بسبب غياب حالة الحب المبهجة. طوال الأمس لم أكتب سوى قسمين من (حكمة الأطفال)، وانخرطت طوال الوقت في قراءة جوجول. كتبت عن جوجول^(١٠٧) في دفتر أفكار، وسوف تنقلها ساشا هنا:

١- تمتع جوجول بموهبة هائلة وقلب رائع، وعقل ضعيف، أي فاطر وخجول. أفضل إنتاجات موهبته: قصة: (العربة)، وأفضل إنتاجات قلبه: بعض من خطباته. البلية الرئيسة في مجمل نشاطه هي إذعانه لتلك التعاليم المرائية التي تبثها الكنيسة والدولة، أيًا كانت. ليته اعترف ببساطة بكل ما هو موجود، لكنه حاول أن يبرره، وإن لم يفعل ذلك بنفسه، كان يلجأ لعون السفستائيين من أنصار النزعة السلافية، وكان هو نفسه سفستائيًا، بل إنه نموذج شديد السوء للسفستائيين بتعاليمه الإيمانية الطفولية. وما زاد من إفساد وتعقيد جزء لا بأس به من أفكاره، رغبته في إضفاء أهمية دينية على أعماله الأدبية. يتضح ذلك في خطابه بشأن (الرقيب)، والجزء الثاني من (أنفس ميتة).. إلخ^(١٠٨).

(١٠٧) أعاد تولستوي قراءة أعمال جوجول وخطاب بيلينسكي الشهير له بطلب من ف. أ. بوسي لكتابة مقال عنه بمناسبة مرور ١٠٠ عام على ذكرى مولده.

(١٠٨) للمزيد حول هذا الموضوع يمكن العودة إلى كتاب هنري ترويا (جوجول: سيرة نفس ممزقة) ترجمة د. حياة شرارة.

عندما كان يترك نفسه لموهبته كان يخرج لنا أعمالاً فنيةً رائعةً فعلاً، وعندما كان يترك نفسه لما هو أخلاقي وديني، كانت النتيجة تبدو جيدةً ومفيدةً أيضاً، ولكن ما إن يعزو إلى أعماله الفنية الإبداعية أهمية دينية، كانت النتيجة تكشف عن هراء مقزز مريع. هكذا كان الأمر مع الجزء الثاني من (أنفس ميتة)... إلخ.

يجب أن أضيف إلى ما سبق أن السبب الرئيس لكل ذلك هو أنه كان يعزو إلى الفن ما لا يلائمه.

٦ مارس.

أردت أن أقول إنني في حالة سيئة جداً، لكنني لست كذلك، حالتي جيدة، لكنني أشعر بالضعف؛ قلبي منقبض ولا يمكنني التفكير في شيء بتسلسل. ساءت حالة قدمي ولا أعرف ما العمل. سألت نفسي: ماذا يجب أن أفعل أمام وجه الله سيدي؟ اتضح لي أنني على الأقل لست في حاجة لفعل شيء الآن.

١ - قرأت عن أحكام الإعدام في جريدة، وعن الأفعال الخسيسة التي أدت إلى هذه الأحكام، واتضح لي مدى الفساد الذي ترتكبه الكنيسة بإخفاء المسيحية وتحريف الضمير، كما اتضح لي فساد الدولة الذي ترتكبه بتسريع الطموح، والجشع، وإذلال الناس، وقبل كل ذلك كافة أعمال العنف والقتل في الحروب وتنفيذ أحكام الإعدام، وهي لا تفعل ذلك بتبرير كل ما سبق وحسب، بل بزيادة الفخر أيضاً بارتكاب هذه الأفعال. قد نظن أن الأمر بدا شديد الوضوح، ولكن لا أحد يرى، ولا أحد يريد أن يرى. وبرغم أن الكنيسة والدولة يريان الشر المتزايد،

لكنهما يواصلان فعله. ما يحدث يشبه ما يمكن أن يحدث إن قام أولئك الذين لا يعرفون عملاً سوى الحرث وليست لديهم أدوات سوى الخاصة بالحرث، ووجودهم قائم على هذا العمل، بحرثة الأراضي التي نبتت عليها سنابل القمح بالفعل.

إن كانت أعمال الكنيسة والدولة ضرورية في زمن ما، من الواضح أنها الآن مهلكة، ورغم ذلك لا تزال تتم.

٧ مارس.

وصلني خبر محزن بالأمس: سينفون تشيرتكوف ثانية. جاءني مريضاً ضعيفاً مهتاجاً. لا أشعر بالألم لفقدانه، بل أشعر بالأسف عليه بسبب تداعي كافة خططه غير الشخصية. لكن لا بد أن تجربته هذه للخير؛ للخير الحقيقي. بالأمس شعرت بضعف شديد جداً. لم أكتب شيئاً، وهو أمر نادر الحدوث. كتبت صوفياً خطاباً وهي ساخطة^(١٠٩). ليتها تستطيع أن تسمو عن حالتها! حاولت بالأمس أن أكتب مسرحية كوميدية. ليست جيدة، وليست لديّ رغبة.

فكرت كثيراً في جوجول وبيلينسكي. المقارنة بينهما مثيرة جداً للاهتمام، فهي تكشف كيف يبدو جوجول محققاً رغم تشوّهه الشديد، وكيف أن بيلينسكي على خطأ تام رغم تألقه، وإشاراته المحمّلة بالازدراء إلى (إله ما)^(١١٠). يبحث جوجول عن الله في الإيمان الكنسي، حيث قد تشوّه مفهوم الله تماماً، لكنه يبحث عنه على أي حال. لكن بيلينسكي،

(١٠٩) كتبت خطاباً إلى الصحافة تعترض فيه على نفي تشيرتكوف.

(١١٠) الجملة بين الأقواس مقتبسة من خطاب بيلينسكي إلى جوجول.

بفضل إيمانه بالعلم، الذي إن لم يكن أكثر حماقة من الإيمان الكنسي، فهو بلا شك أشد ضررًا، لا يشعر بالحاجة إلى وجود أي إله، ويلزم هنا أن نشير إلى فكرة هيجل التي مفادها أن كل ما هو موجود معقول (بالألمانية في الأصل). يا لها من فكرة تصلح لمقالة ضرورية! عليّ تدوين الآتي:

١- سيكون من الجيد لو كتبت عن كيف أن حياتنا -نحن الأثرياء- هي سرقة ونهب مستمران، قد يبدو أثرهما مخفّفًا جزئيًا لأولئك الذين ولدوا وترعرعوا وسط السرقة، ولكن بالنسبة لأولئك الذين يزدون من قدر هذه السرقة بشغل أماكن جديدة وسط طبقة الرأسماليين والحكومة، هي محض خسة، وهي محض رياء للجميع.

٢- ناهيكم عن ذكر الكثير والكثير من الخيرات المرتبطة بفترة الشيخوخة وحسب مثل: الخبرة الطويلة- التحرر من الشهوة الجنسية (وهذا خير ضخم)- النسيان- اللامبالاة- الهدوء، فإن أعظم هذه الخيرات، أو على الأقل واحد من أعظم هذه الخيرات هو أن كل ما تفعله لا يكون من أجل شخصيتك الجسدية، عالمًا أن أمرها سينتهي سريعًا. من المهم بشكل خاص بالنسبة لي أنني لن أسمع مديحًا، ولن أعرف الانطباع الذي ستركه كتابتي في القُرّاء. بذلك يمكنني أن أكتب أمام وجه الله وحسب، وفكرة واحدة في ذهني؛ أن نشاطي صالح ومُرضٍ لمن أرسلني إلى هذا العالم.

٣- بمرور الوقت تزداد رغبتني وضوحًا وقوة وإلحاحًا في عرض فكرة أن أحد الأسباب الرئيسة لكافة البلايا التي تعاني منها الإنسانية هو

ذلك القصور الذاتي الذي يجعلنا نعتز بصالح أشكال الحياة التي عفا عليها الزمن: الكنيسة- الدولة- العلم، كأننا نحرث الأرض التي نبتت فيها زرعنا بالفعل، أو نرتدي -نحن البالغين- ثياب أطفال، فنمزقها ونعيد خياطتها لتلائم أجسادنا، دون أن نفهم أننا لم نعد في حاجة إليها، وأن علينا أن نلقي بها ونجلب لأنفسنا ثياباً جديدة.

كم فكرت بقوة في تلك الفكرة على فراشي! وها قد نسيت الفكرة وأفسدتها. الساعة الآن التاسعة. استيقظت منذ ساعة ونصف، وشعرت بالضعف. حسن ذلك، بل حسن جداً، دون حتى أن أظهار بشعوري بالامتنان للحياة والفرحة بها.

٩ مارس.

لم أكتب يومياتي بالأمس، ولم أكتب شيئاً بشكل عام. أملت خطاباً لا بأس به موجَّهاً لكاهن وحسب. أرجأوا نفي تشيرتكويف نتيجة لالتماس قدَّمته أمه للقيصر. إنه ضعيف بدنياً، كما أنه ضعيف روحياً بعض الشيء. يشعر بالأسف على أسرته وعمله، لكنه يعرف ذاته، وهذا هو المهم. اقتبست من اليوميات ما يهم، وقد قامت ساشا بذلك. جاءني في المساء ميخائيل نوفيكوف. كتب مقالة جيدة جداً عن (إيمان جديد) لكنها طويلة ونمطية بعض الشيء. حالتي الروحية جيدة، كما تحسنت حالتي الصحية. فكرت اليوم، والألم يعذبني، في الخطاب الذي كتبه لأندريه تيميريازيف^(١١١). عليَّ أن أكشف للناس في حياتي عن

(١١١) وزير التجارة والصناعة، وشكره تولستوي في خطابه على منحه أندريه (ابنه) منصب بالوزارة.

طريقة تقييمي للأمور؛ عن شعوري بالاشمئزاز الممزوج بالشفقة تجاه ستوليين (رئيس الحكومة) وكل من على شاكلة جير شيلمان^(١١٢) وكافة الوزراء، وعن شعوري بالاحترام للفلاح، واحترامي الممزوج بالشفقة للعامل الفقير. منذ الأمس والأفكار تفيض في ذهني بقوة ووضوح كبيرين، لكنني غير قادر على تأملها مليًا. حاولت أن أكتب في المسرحية الكوميدية وفي (حكمة الأطفال)، لكنني لم أفلح في كليهما. سأنتظر. ثرثرت كثيرًا. ليست لدي أفكار لأدونها.

١٠ مارس.

١- إن منبع كافة بلايانا هي التقاليد، بمعنى قوة القصور الذاتي التي للعصور القديمة. إنها سترة قد تمزقت تمامًا، وكبرت أحجامنا على هذا المقاس الضيق، وفي الآن ذاته لا نجرؤ على خلعها أو استبدال أخرى مناسبة لنا بها؛ ففسير عرايا تقريبًا من جراء حبنا للسترة القديمة!

٢- لا يمكنني أن أعزو أهمية كبيرة إلى نفسي، إلا إن نسيت الله وعلاقتي به. لا يهم كم أنت مفيد ونافع للناس، فمن أنت أمام الله؟ ما الفارق بينك وبين إنسان يبدو لك أتفه البشر جميعًا؟

٣- لم نوهب معرفة أهمية وخطورة النتائج المترتبة على أفعالنا. قد تكون للكلمة الطيبة التي تقولها لمتسول سكير نتائج أهم وأصلح من عمل فني رائع يعرض قوانين الحياة بشكل صحيح. لذا يستحيل على المرء أن يسترشد في أفعاله بالنتائج المتوقعة، بل عليه أن يسترشد

(١١٢) حاكم موسكو، لعب دورًا ضخمًا في قمع الثوار.

بالقيمة الأخلاقية للسلوك وحسب.

١٢ مارس.

١ - نسيت تقريبًا كل ما حدث، خاصة ما حدث مؤخرًا، ولكن هل تلك الأنا التي ضعفت قوة ذاكرتها أقل وعيًا بالحياة بسبب ما نسيته؟ على العكس: لقد ازداد وعي أناي بالحياة.

أليس ذلك هو ما حدث معي عندما ولدت؟ لم أحضر شيئًا معي، بل وُجدت وحسب.

هذا ما سيحدث أيضًا عند حلول الموت.

٢ - اليقظة والنوم شرطان رئيسان للحياة، وليس سوى إشارتين إلى أن حياتنا محض يقظة من النوم، ثم إنهاك ونوم.

حقيقة أننا غير قادرين على فهم كامل حياتنا قبل الولادة وبعد الموت إلا داخل إطار الزمن لا تثبت أن حياتنا بأكملها زمنية، بل تثبت أننا غير قادرين الآن وحسب على فهم الحياة إلا داخل إطار الزمن.

٣ - سيكون من الحسن لو وصفت نظام حياتنا على حقيقته: القلة تتسلط على الكثرة بواسطة خداع الفكر عبر الدين والعلم والإيحاء والتخدير والعنف والتهديد. آآه ... أمر مريع!

طوال اليوم أشعر بالضعف والمرض والحمى، ولا يمكنني فعل شيء. فكرت في الآتي:

١ - لا يتوقف وعي الناس الديني عن التقدم، بمعنى مزيد من التوضيح والاستجلاء وإمكانية الوصول، وفي الوقت نفسه يُقدَّر

الناس بعضهم ويعتبرون الأشكال الخارجية التي لا يمكن استجلاؤها وتوضيحها عمومًا غير قابلة للتغيير، ويعتبرون تلك الأشكال السالف ذكرها أسسًا لا يجب -ولا يمكنهم- أن يغيروها.

١٦ مارس.

بغض النظر عن مدى شعوري بالخزي، لكنني انتظرت بالأمس، يوم ١٥، شيئًا ما؛ أكثر الأمور احتمالًا، ألا وهو الموت. لم يأتي الموت، لكن حالتي الصحية شديدة السوء؛ محموم طوال الوقت. تحسنت اليوم وحسب قليلًا. لا أكتب شيئًا. أريد بشدة أن أكتب في: الحارس - بافل - الشيخ (الراهب إلidor) - حكمة الأطفال.

عليّ تدوين الآتي:

١ - تكفي مباركة الكنيسة لشيء واحد، كزواج أندريه، للكشف عن مدى دناءتها وريائها^(١١٣).

٢ - لقصة الحارس: يعمل عدد كبير من العمال على إنتاج أدوات الترف: المراحيض - الأثاث - الأعمال الفنية، ولا تكفي الأيدي العاملة بأكملها للقيام بكل ذلك. إن حققت حشود الشعوب بعض الاكتفاء وحسب، لن يكفي عدد العمال لإرضاء احتياجاتهم من السكن والثياب والطعام واللهو!

٣ - كان بالإمكان أن يصبح نضال الشهوة الجنسية أيسر مرة لو لم يتم تصوير أكثر العلاقات والمشاعر جنسية بهذا التصوير الشعري

(١١٣) ترك أندريه (ابن تولستوي) زوجته الأولى وطفلين، وتزوج ثانية زواجًا كنسيًا.

الذي يجذبنا إليها، ولم لو يتم تصوير الزواج كشيء رائع يجلب لنا خيرًا، رغم أن الزواج في الحقيقة يفسد الحياة بأكملها دائمًا، أو ربما يشذ عن ذلك ٠,٠٠١ من حالات الزواج. كان بالإمكان أن يصبح نضال الشهوة الجنسية أسير مائة مرة أيضًا لو غرسنا في الأطفال وعند سن النضج أيضًا فكرة أن الفعل الجنسي أمر منفرد، وفي هذا الصدد يكفي أن تتخيل أنك تمارس هذا الفعل مع شخص تحبه وستدرك مدى ما يبعثه فيك من تقزز، وأنه فعل حيواني منفرد، لا يكتسب معناه الإنساني إلا عندما يعي المرء نتائجه وما يفرضه من واجبات معقدة تتعلق بتوفير أفضل تربية ممكنة للأطفال.

٤- يفكر الفلاح في ما يحتاج إلى التفكير بشأنه، بينما يفكر المثقف بعقل غريب في ما لا يحتاج إطلاقًا إلى التفكير فيه. لكن الفلاح يفكر بهذه الطريقة حينما يكون في منزله ووسط مجتمعه، وما إن يتعامل مع طبقة الإنجليزيتسيا حتى يبدأ التفكير بعقل مختلف تمامًا عن عقله، ويتحدث بلغة مختلفة تمامًا عن لغته.

صوفيا في موسكو. كتبت بضعة الأفكار أمس وأول أمس عن الإسلام وأمور أخرى.

٢٠ مارس.

لم أدون يومياتي لعدة أيام، وقد شعرت بسوء حالتي الجسدية الشديد، وبحالة ضاغطة روحيًا، لكنني حمدًا لله لم أكن في حالة شريرة. كتبت بضعة خطابات تافهة، وقرأت. وصل الأعداء بوشا وإيفان إيفانوفيتش ونيكولايف. أشعر اليوم أنني في حالة جيدة لم أمر بها منذ

فترة طويلة. تشير تكوف مضغوط، وأشعر بالألم عليه وعلى نفسي. يزداد شعوري حيوية أكثر فأكثر بحاجتي للكتابة عن العالم الكبير^(١١٤) (بالفرنسية في الأصل) لأجلي وحسب. ما يحفزني في هذه الرغبة على نحو خاص هو إيفان إيفانوفيتش ومنشوراته الصغيرة^(١١٥). استغرقت طوال صباح اليوم في قراءة أسطورة كريشنا^(١١٦)، ووجدت أن نفس الشيء الذي كنت أرفضه لطبقتنا، ممتاز جدًا للعامة: أقصد أسطورة تشبه المسيحية، ولكن وسط شعب آخر. قررنا الآتي:

١ - مقالة عن الهند وتاريخها ووضعها التاريخي والحاضر.

٢ - أسطورة كريشنا.

٣ - حكم كريشنا.

ربما كذلك:

٤ - أقوال المحدثين مثل راما كريشنا وفيفيكاناندا.

٥ - نشرة عن الصين والأديان الثلاثة: البوذية والكونفوشيوسية والطاوية.

٦ - حكم إسلامية.

٧ - البائية.

(١١٤) هكذا كان تولستوي يُسمي طبقة العمال.

(١١٥) حكى إيفان إيفانوفيتش لتولتوس عن خطة جريدة "الوسيط" في نشر ١٥ كتيبًا صغيرًا، وطباعة كل منها ٢٠ ألف نسخة بسعر ١٦ كوبيكًا فقط.

(١١٦) كتاب لبابا باراتي، وكان تولستوي يقرؤه ليكتب مادة عن أديان الشرق في كتيبات إيفان إيفانوفيتش الصغيرة.

أنا سعيد لأن ساشا ستعود غداً، وبصحبتها ٥ من آل سوخوتين.
بالأمس جاءني زائران؛ مثقف كالميكى^(١١٧) أديب عائد إلى العمل
بالأرض، وثورية دفعت ألف روبل لتحرير أخيها البالغ ١٥ عاماً من
حُكم بالأشغال الشاقة لمدة ١٢ عاماً.

٢١ مارس.

أشعر اليوم بالضعف وضيق في التنفس، وغياب الطيبة والامتنان
العفويين. وصلت تانيا وجماعتها. سعيد جداً بوصولهم. لا يمكنني
مغالبة شعوري غير الطيب. عندما أستعيد إلى ذاكرتي فكرة أن هذه مادة
تصلح للعمل، يتحسن حالتي. سعيد بوجود ساشا. بالأمس بدا لي أنه
من السهل جداً أن أكتب عملاً فنياً لأجل الدفاتر الشعبية (راجع حاشية
١١٦)، أما اليوم ليست لديَّ رغبة، وبالتالي تغيب عني القوة. فلتكن
إرادتك لا إرادتي. نعم، لا وجود لحرية إرادة. أقصد أن هناك حرية
لفعل الشر، ولكننا غير أحرار في فعل الخير. الشر من شأني، أما الخير
الذي أفعله ليس مني، بل من الله، وهو شأنه. ماذا يمكنني أن أفعل إذن؟
يمكنني ألا أفعل الشر، وألا أحطم هذا الخير الموجود بداخلي.

هناك فكرة فعلاً لكن الصياغة غير واضحة.

أنا في هذه الحالة التي لا يمكنني فيها فعل شيء، وهذا يزعجني،
لكنه محض خداع الزمن. أريد أن أفعل شيئاً ما زمنياً، وهذا غير ضروري.
يمائل ذلك رغبتك في فعل شيء أثناء الحلم.

(١١٧) الكالميك: أحد الإثنيات العرقية بروسيا بمنطقة شمال القوقاز.

هراء مجدداً رغم وجود فكرة فعلاً.

جلست لتوي، ألعب الورق بمفردي بقنوط، واتضح لي فجأةً ماذا عليّ أن أفعل... اتضح ذلك بقوة إلى حد أن شعرت ببهجة وعاطفة رقيقة؛ اتضح لي أن وسط هذا الشر القائم يستحيل اتهام أحد، ليس ذلك وحسب، بل يستحيل اتهام أولئك الذين يفعلون الشر تحديداً. استعدت إلى ذاكرتي ماركوس أوريليوس أو ابىكتيتوس (لا أتذكر أيهما تحديداً) حينما قال إنه لا يجب - بل ويستحيل علينا - أن نغضب من فاعل الشر، ليس ذلك وحسب، بل علينا أيضاً أن نشفق عليه. أما هنا، يغضبون من الناس الذين تربوا على أن الاقتصاد فضيلة - على حد تعبير تاراس (فلاح من ياسنايا)-، وعلى من يعتبرون أنه من الأفضل ألا تُبذّر إرث أبيك وجدك... يغضبون من ذلك ويكونون على أتم استعداد لقتلهم، بسبب أنهم يفعلون ما يرونه مناسباً. علاوة على ذلك يحاولون السيطرة عليهم، ويقدمون من أجل تحقيق ذلك كافة التنازلات ويحرمون أنفسهم. يعتبرونهم أعداء، ويقتلون أولئك الذين لا يفكرون في فعل ذلك. يقتلون أولئك الذين تربوا على أنه من المخزي ألا يشغل المرء في المجتمع نفس مكانة آبائه وأجداده، والذين يحاولون شغل تلك الأماكن، لتخفيف حدة سلطتها. يقتلون أولئك الذين يرغبون في السلطة بدرجة لا تقل عن ذلك، دون حتى أن تكون لديهم نية التورث. باختصار، أرغب وأريد أن أقول إن علينا أن نتصور أنفسنا في نفس موقف الناس، ولا ندينهم على موقفهم الذي لم يُشكّلوه بأنفسهم، بل تشكّل نتيجة آلاف من الأسباب المعقدة، ونحاول أن نغرس فيهم ما نعرفه جميعاً؛ أننا نحن البشر جميعاً

إخوة، وبالتالي علينا أن ندين أنفسنا لا الآخرين. لا يمكننا أن نُحسِّن أي وضع بفرض العقوبات؛ بالانتقام أو إثارة مشاعر أو أفعال شريرة، بل بالخير وحسب. أريد قول الآتي: لا داعي لتكرار أننا نعيش حياة شريرة، فقد قيل ذلك وأُعيد قوله، ولا أتوقف عن إعادة قوله. يجب التفكير إذن في كيفية إصلاح ذلك. هناك وسيلة واحدة لإصلاح ذلك؛ فعل الخير للجميع، والحكم بصرامة على النفس. نحن في حاجة إلى دين الخير؛ الحب... الحب. ليس هناك طريق آخر.

٢٢ مارس.

مساء أمس كنت واهناً جداً. ولا يمكنني التباهي أيضاً اليوم. جاءني مراسل من جريدة (الكلمة الروسية). كتبت مقالة عن جوجول وأرسلتها له. قد يكون ذلك قد شتتني عن العمل. لم أستطع كتابة شيء سوى بضعة خطابات. جاء تشيرتكوف. كنت في حالة روحية جيدة جداً صباحاً، وذلك أثناء قراءتي للخطابات والرد عليها... كنت كذلك طوال الوقت عدا الفترة التي تحدثت فيها مع المراسل، وهو أمر يدعو للأسف. كم يكون الأمر مبهجاً عندما تعيش أمام وجه الله وحسب! لدي الكثير لأكتبه. سأفعل ذلك لاحقاً.

٢٣ مارس.

استيقظت مبكراً. نمت قليلاً وأشعر بالضعف. أفكار:

أي خطية كالسرقة أو العهر أو القتل أو غيرها، لا يمكنها أن تحقق ٠,٠٠٠٠٠١ من الشر الذي يؤدي إليه تبرير أقل قدر من الضعف.

تأسس كافة الفئات التي ترتكبها الحكومة، وصنوف الجنون التي تنشرها الكنائس، على هذه التبريرات الدينية والوطنية والاشتراكية.

١٩ مارس.

كم تبدو مسألة الأرض بسيطة من منظور مالكيها! أطوِّق أرضي بأكملها، ولا أجعل أحدًا يستفيد منها إلا إن خدمني.

في نظام عبودية الأشخاص يُجبر المالك مجموعة من الناس على خدمته تحت تهديد الضرب والقتل، أما في العبودية الزراعية يُجبر المالك شخصًا أو مجموعة من الناس يجهلها على خدمته تحت تهديد الجوع، بل والموت. يا لبساطة الأمر! المدهش في الأمر هو الآتي: بشكل عام، كم انقضى من قرون وعقود بعد زوال العبودية الشخصية حتى بدأ الناس يدركون وضعهم الحقيقي! وفي ظل قانون العبودية الشامل الذي يسمونه (حق الملكية الخاصة) أراد الناس تنظيم نوع من الدولة الاشتراكية المزدهرة! مدهش حقًا عدد الذين يستخدمون عقولهم من البشر!

٢- يعتبر الزواج من أحد الجوانب سرًّا^(١١٨)، ومن جانب آخر فإن النظر إليه كأسمى خير في الحياة الإنسانية هو ضلالة فجّة، يشبه ارتكابها ما يمكن أن يكون عليه الأمر إن رفعنا تناول الطعام إلى مصاف عمل سري أو واحد من أسامي الخيرات.

(١١٨) تشير كلمة سر هنا إلى مفهوم مسيحي حول عمل إلهي سري يجري في فعل معين.

٢١ مارس.

بادئ ذي بدء علينا أن نفهم أنه لا توجد -ولا يمكن أن توجد- أي
مأثرة أو عمل بطولي أو أي شيء عظيم. هناك تنفيذ للواجب وعدم تنفيذ
له وحسب. الأمر يماثل أن يتحدث سائس الخيول ينظف الاسطبل أو
حارث أو حاصد عن قيامهم بمأثرة وعمل بطولي وعظيم بالأمس،
حينما قام كل منهم بعمله.

٢٤ مارس.

كتبت بالأمس تصريحًا طويلًا^(١١٩). أظن أن لا بأس به. أريد أن
أواصل العمل عليه. لا أستطيع كتابة عمل فني، والأمر غير ضروري.
جاء نيكولايف وستراخوف. كلاهما شديد اللطف. حالتي الروحية
جيدة، يسودها الهدوء. أما حالة قدمي فليست جيدة.

٢٦ مارس.

لم أكتب يومياتي بالأمس. حالتي الصحية جيدة، وكذلك الروحية.
قرأت بعضًا من كتاب كانط (الدين في حدود مجرد العقل)^(١٢٠). إنه
شديد القرب مني. قرأت فيه اليوم أيضًا. كم أنا سعيد أنني فعلت ذلك! كم
أشعر بالسعادة والامتنان! قبل أن أنام الآن، شعرت بالمرض، وراودتني
رغبة في الصلاة لله وطلب عونه والشعور بالوعي به وبعونه... شعرت
بالاعتلال والسرور حد البكاء! صليت وطلبت عونه؛ أن يقيم بداخلي،

(١١٩) كان العنوان النهائي له (الثورة الحتمية).

(١٢٠) هكذا كان عنوان الترجمة العربية لفتحي المسكيني.

وهو قد أقام -ولا يزال- بداخلي. أكتب ذلك الآن ودموع الفرح تفيض من عيني.

مَن هو؟ إنه ذاك مَن أعرفه بالحب، وأتصل به، ولا يسعني ألا أرغب في الاتصال به بالصلاة، وألاً أعبّر عن هذا الاتصال.

بالأمس كتبت على نحو سيئ في (حكمة الأطفال). كتبت اليوم في (الوعي بالثورة)^(١٢١). لا بأس بها. في هذا الصباح تعاملت بشكل جيد جدًّا مع صوفيا. كم يبهجني ذلك! أفكاري ليست جيدة حيال ليف. عليّ بأي شكل أن أتغلب على ذلك. عونك يا سيدي!

٢٧ مارس.

استيقظت مبكرًا جدًّا. في الصباح انتهى تشيرتكوف من الصور^(١٢٢). لم يُعطني ذلك عن الكتابة. راجعت مقالة (الثورة). لا أعرف بماذا أسميها. اخترت منها اقتباسات رائعة:

١ - العيش داخل نطاق الزمن يعني العيش في الماضي والمستقبل، ومن ماضٍ معين يمكن تأسيس مستقبل مُفترض. يا لها من سعادة حينما يتلاشى الماضي نهائيًّا! هذا ما أشعر به الآن، وحينها سيتلاشى - بدرجة أقل - المستقبل، وحتى إن قلّت الدرجة، سيتلاشى على أي حال. بقدر ما يتلاشى الاهتمام بالماضي، يتلاشى الاهتمام بالمستقبل، ويزيد الاهتمام بالحاضر؛ بالحياة الحقيقية.

(١٢١) عنوان آخر لمقالة (الثورة الحتمية).

(١٢٢) أتى تشيرتكوف وبصحبه مصور إنجليزي التقط عدة صور لتولستوي.

٢- إني لا أعي بشكل مباشر سوى جزء واحد من العالم؛ جسدي، لكنني أعيه متحدًا بالكل، أي أنه يعيش حقًا بإدراكه لنفسه. بالتالي يمكنني عبر مشاعري وعقلي أن أدرك العالم كله.

٣- الدافع الرئيس للشوار تقريبًا هو فورة الشباب، ثم يأتي دور الكبرياء، وخداع الذات بحب الشعب.

٢٨ مارس.

كتبت على نحو لا بأس به في (القديم والجديد) (عنوان آخر للثورة الحتمية). عليّ تدوين فكرة واحدة:

كلما هرمت، قصر الماضي والمستقبل، وازداد تركيز العيش في الحاضر. في الموت تركيز كامل في لحظة لا زمنية. هناك تناقض هنا بين اللفظتين.

تصلني طوال الوقت خطابات جيدة. الساعة الآن الخامسة. سأنام.

٢٩، ٣٠ مارس.

أول أمس، بعد الغداء، راجعت المقاطع التي اختارها ستراخوف^(١٢٣). بدت جيدة جدًا. لكنني قرأتها ثانية صباح أمس وبدت لي شديدة السوء. بالأمس كتبت بكدّ في (القديم والجديد)، وكذلك فعلت صباح اليوم. فكرت في الآتي:

١- حتى هذه اللحظة لم أكن قد فهمت مدى أهمية العمل على أفكار. مثل هذا العمل يتم في الحاضر وحسب. فكّرت اليوم على

(١٢٣) مقاطع جمعها من كتابات تولستوي الفلسفية.

نحو سيء، والآن أصبحت في حال أفضل، ولم يُعقني شيء. يا لأهمية ذلك! أفكر في ليوفا وجوسيف وفي نفسي وما سأفعله، وبتحسن حالي، وأرى كيف أتقدم بهذا العمل تحديداً أكثر من أي عمل آخر.

جاء صبي شديد اللطف، نباتي وثورى سابق.

الساعة الآن الحادية عشرة، وأريد أن أنتهي من النسخة الأولى من (القديم والجديد). عونك يا... لا أقصد المسيح، بل الله غير المرئي وغير المدرك.

التفكير في مَنْ يقرأون ويقتبسون من هذه اليوميات يفسد توجهي صوبها. أريد أن أتحدث بشكل أفضل وأوضح، ولكن لا حاجة لذلك. لن أفعل ذلك. سأستمر في الكتابة بنفس الطريقة، دون أن ألقى بالآخرين، وكما يتراءى لي.

١ إبريل.

رحل تشيرتكوف بالأمس. أردت أن أذهب معه لأودعه، لكنني شعرت بضعف شديد، ولم أستطع أن أكتب شيئاً. بدأت في الكتابة ثم نَحَيْتُها. كانت حالتي المعنوية شديدة السوء، ولا يسعني التباهي بها الآن. تُعَذِّبُني هذه الحياة المجنونة، وهي أكثر من مجنونة، خاصة في اقترانها بالفقر في القرية؛ تلك الحياة المقدر لي أن أعيش فيها أيامي الأخيرة. لا أعرف كيف استطعت أن أحرز تقدماً وسط هذا الوعي بالكذب! يعذبني شعوري بالخزي من الترف، ويُسمِّم كل شيء حولي، كما يُكَبِّني أبنائي بغربتهم عني، وأسرّتي بأكملها بثقتهم المفرطة في

أنفسهم، والأمر كذلك مع بناتي. أريد أن أتحدث مع ساشا عن ذلك حتى تدرك كيف تعيش بصلاح، وكى تدرك أن الأفضل من ذلك، وما يمكن أن يُفرح الإنسان حقًا هو أن يشعر أنه مذنب أمام نفسه، والأفضل أيضًا من ذلك عندما يشك في حقيقة كونه مذنبًا، ورغم ذلك يعترف أنه مذنب.

كتبت كثيرًا أول أمس، على نحو سيئ، لكنني أتقدم على أي حال. جاء الصبية^(١٢٤). أشعر بالراحة في حضورهم أكثر من معية أي شخص آخر.

فكرت أيضًا في الأثر المهلك والمفسد لمدارس الجيمنازيا^(١٢٥) (فولودينكا مليونتين - لا وجود لله)^(١٢٦). كم يستحيل تدريس التاريخ والرياضيات وقانون الله جنبًا إلى جنب! إنها مدرسة الإلحاد. ليتنا نُدرّس التعاليم الأخلاقية!

قرأت بالأمس فاسيلي كورنيف^(١٢٧)، وتأثرت بها.

٣ إبريل.

وصلتني بالأمس خطابات جيدة، أحدها من كراسنوف. أجبت عن خطابه وخطابات أخرى. كتبت قليلًا. كتبت كل ذلك على نحو سيئ.

(١٢٤) تلاميذه من أبناء الفلاحين الذين كان يعلمهم بمدريته في ياسنايا.

(١٢٥) نوع من المدارس يهتم بتدريس اللاتينية واليونانية.

(١٢٦) حادثة تمت أثناء طفولة تولستوي يسترجمها في كتابه (اعتراف) حينما أعلن المعلم الشاب مليونتين اكتشافه بأن لا وجود لله.

(١٢٧) قصة كتبها في عام ١٩٠٥ ونُشرت في الجزء الأول من (دورة قراءات).

عنوان (الحياة الجديدة)^(١٢٨) ضعيف. شعرت بالأمس بنوع من الخزي بسبب لعبي الورق^(١٢٩). ترف الحياة ورفاهية الطعام يعذباني طوال الوقت. اليوم وصلتي خطابات جيدة مجددًا وأجبت عنها. كتبت قليلًا في (الحياة الجديدة). أشعر بالضعف. رحلت صوفيا إلى موسكو. أريد أن أكتب عن الميراث في (حكمة الأطفال). وصلني كتيبان من إيفان إيفانوفيتش وبافل^(١٣٠).

٨ إبريل.

تساقط الثلج إبان الليل. لم أتصور أبدًا أنني لم أكتب يومياتي منذ فترة طويلة. مرضت خلال تلك الفترة، أظن في يوم ٥، ولم أتناول شيئًا ليوم ونصف، وكنت في حالة جيدة جدًا. وصلتي كذلك خطابات جيدة. إنها تدعي كثيرًا أنني إنسان شديد الأهمية، لدرجة قد تجعلني أصدق ذلك! لا... لن أدعها تخدعني. ستظل تحاول خداعي طالما بقيت في هذه الحياة. كتبت بكد في (الحياة الجديدة) أمس وأول أمس. كل ذلك قديم... قديم، وكل ما في الأمر أن الناس نسوه، وكذلك أنا. انخرطت بالأمس أيضًا في دراسة كونفوشيوس. يبدو أنني سأكتب.

مررت بوقت جيد أمس، أو أول أمس، حينما فكرت في مدى سعادتني، وقلت ذلك لصوفيا التي جاءت لتحسيني وأخبرتها أنها سبب ذلك. يبدو أنني في حاجة إلى كتابة أمر واحد رئيس؛ ذلك الذي أشير إليه.

(١٢٨) عنوان مقترح لمقالة (الثورة الحتمية).

(١٢٩) كما أشرنا سابقًا كان يلعب بمفرده لعبة تشبه سوليتير، يطالع بها بخته.

(١٣٠) عن كونفوشيوس ولاو تسو.

١- نعم، نحن أنفاس الله؛ نحن الذين نمثل كافة الكائنات المنفصلة. ماذا يفعل فينا؟ نحن لا نعرف، ولا نستطيع أن نعرف. نعلم أمرًا واحدًا أن حياتنا تتلخص في ذلك، وعندما نعرف ذلك، تنصلح أمورنا وتسير أمورنا بيسر، كالسكين في الزبد؛ أمورنا وأموره.

٣- لا اختيار آخر أمام معاصرنا: إما الهلاك الحتمي إن واصلوا نمط الحياة الحاضر وإما أن يُغيروه كاملاً.

٤- كل شيء ينمو ويتغير. ألا يتغير حقًا ذلك الشيء الوحيد الذي يشكل القاعدة التي تعيش عليها الإنسانية؟

٥- عود نفسك على أن تفكر في نفسك كشخص غريب، وأن تشفق على الآخرين شفقتك على نفسك.

٦- نعم، يمكن، بل ويجب أن يخضع الإنسان لقانون واحد، ويجعله فوق الجميع؛ إنه القانون الملائم لجميع البشر، والذي يحققون خيرهم بتنفيذه.

٧- يولد الإنسان ويعيش ويموت وحيدًا، وكذلك ينال مكافأته وحده على صلاحه، لا في أي عالم آخر غير معروف، بل في هذا العالم، وينال فيه أيضًا عقابه على حياته الشريرة (من قوانين مانو) (١٣١).

٨- الآن أكتب عن أغلى وأهم وأبهج شيء بالنسبة لي؛ إنه تحديدًا الآتي:

كم يبدو جيدًا وضروريًا ومفيدًا أن يسأل المرء نفسه حينما تظهر

(١٣١) مجموعة من المؤلفات الهندية تتضمن عرضًا للمعتقدات الإيمانية الشعبية الهندية.

لديه أي رغبة: لمن هذه الرغبة؟ أهي لتولستوي أم لي؟ يود تولستوي أن يدين ويفكر تفكيراً شريفاً عن فلان، أما الأنا لا تريد ذلك. ليتني أستعيد ذلك إلى ذاكرتي دائماً؛ أتذكر أن تولستوي ليس أنا، وحينها ستُحسم المسألة تماماً. تولستوي يخشى المرض والإدانة ومئات وآلاف التفاهات الأخرى التي تؤثر عليه بشكل أو بآخر. يلزم أن يسأل المرء نفسه وحسب: وما الأنا؟ وحينها يُحسم كل شيء ويصمت تولستوي. أنت يا تولستوي تريد هذا ولا تريد ذاك... حسناً، هذا شأنك. أما تنفيذ ما تريده والاعتراف بعدالة وشرعية رغباتك؛ فهو شأني أنا. أنت تعرف أنه يتوجب عليك أن تستمع لي، ولا يمكنك سوى أن تفعل ذلك، وتعرف أن خيرك في طاعتي.

لا أعرف كيف يبدو لك للآخرين، ولكن التمييز بين الأنا وتولستوي مدهش ومفرح ومثمر كفاية ليحثني على السلوك الصالح. لم أكتب شيئاً اليوم، واكتفيت بإعادة تصفح كونفوشيوس.

١١ إبريل.

لم أدوّن يومياتي ليومين. حالتي الصحية سيئة. حالتي الروحية أيضاً ليست جيدة كما كانت قبلاً. تولستوي يمارس قوته عليّ. نعم، إنه يكذب. الأنا وحدها موجودة، أما هو -تولستوي- محض حلم دنيء غبي. الطقس بارد والثلوج تتساقط. وصلتني خطابات جيدة بالأمس. كم أنا مسرور! أجبت عن بعضها. أشعر طوال الوقت أنني لا أستطيع

تلبية طلب بولجاكوف^(١٣٢) بصورة ترضيني. سأحاول أن أكتب اليوم. أموري بخير مع بناتي. صَحَّحت مقالة كريشنا مع نيكولايف. أردت اليوم -ولا أزال- أن أنشغل بالصينيين وكونفوشيوس. كتبت فكرة واحدة:

الوعي بالوهمية الروح هو الأساس العقلاني الميتافيزيقي للحياة. الحب هو تجلّي هذا الوعي بالوهمية الروح في الحياة؛ الأساس الديني للحياة. الحياة الصالحة (الأساس الأخلاقي) هي ضبط النفس عن الشهوات والخطايا والإغواءات التي تحول دون تجلي الحب.

١٢، ١٣ إبريل.

أشعر طوال الوقت أنني في حالة سيئة جسديًا، ولكن لا يمكنني أن أشكو روحيًا. بالأمس، وبغض النظر عن سوء حالتي المعنوية، كنت في حالة أفضل من أول أمس. شعرت بالانقسام^(١٣٣). استيقظت اليوم في الخامسة، ولم أستطع النوم. انشغلت بالمقالة، ويبدو أن لا بأس بها. عليّ تدوين ما أظن أنني دونته سابقًا:

١ - إن نشاطي هو أساس كل شيء؛ أقصد الوعي بانفصالي وبما أنا منفصل عنه. ينبع تصوري عن المادة التي تشكلني من انفصالي، وينبع منه كذلك تصوري عما أنا منفصل عنه، وبالتالي تصوري عن المكان الذي أوجد فيه. ينبع عن ذلك الوعي كذلك تصوري عن الحركة؛ بمعنى التغير في العلاقات بين كياني المنفصل وما هو منفصل عنه،

(١٣٢) طلب ف. بولجاكوف من تولستوي أن يكتب له عن آرائه في التعليم.

(١٣٣) يقصد بين الأنا الحقيقية وتولستوي (الكيان الشخصي).

وبالتالي تصوري عن تعاقب هذه التغيرات وتصوري عن الزمن.
تبدو الصياغة جيدة.

١٥ إبريل.

أشعر طوال الوقت بالضعف والانفعال والغضب. لا يمكنني العمل، لكنني أفكر على نحو جيد، والقطاع الأكبر يتعلق بوعبي بانفصالي. أشعر بعاطفة رقيقة، وأبكي، وأشعر بالامتنان، وأضبط نفسي بصعوبة بالنسبة للغضب. ألعب الورق طوال الوقت. حسناً... لماذا أكتب؟ كتبت فعلاً الكثير مما لا قيمة له. قرأت بالأمس عن المسألة الجنسية. لقد قيل كل شيء فعلاً. أشعر بالضيق من تشير تكوف، ويسوءني حقاً ما يكتبه لستوليبيين^(١٣٤).

١- هناك ثلاثة أنواع من الناس: لصوص ومتسولون وكادحون. أنتمي إلى الفئة الأولى، فنحن لصوص، ووضعنا مزعج، ولكن الأسوأ حالاً هم المتسولون الذي يلتمسون المال والنصيحة والمأوي والإنقاذ. نعم، فلتعش وتترك للآخرين أيضاً فرصة ليعيشوا. الأناثية هي أسوأ عاطفة، وفي الآن ذاته هي الأفضل عندما لا يكون لديك ما هو أسمى من أناك الإلهية، ولا تكون في حاجة لأن تلتمس شيئاً من أحد.

٢- كلما ساء الأمر، أصبح أفضل؛ أقصد بالنسبة لمن يعيش من أجل الروح. يا لجمال وبساطة ووضوح هذا التعبير! ما يسوء يتعلق بالمادة وحسب، وذلك يعمل على حث المرء على العمل من أجل

(١٣٤) التمس تشير تكوف من ستوليبيين أن يعيد النظر في مسألة نفية.

الروح، وهذا العمل هو أسمى خير للمرء.

١٧ إبريل.

لم أكتب بالأمس، كما كنت شديد الضعف، لكنني تماسكت بشكل ما. عليّ أن أفكر في الأمر. جاء نيكولايف العزيز، وهو يتحلى دائماً بالطيبة والجدية. وصلني بالأمس خطاب رائع من أحد رافضي أداء الخدمة العسكرية. حدثتُ ميشا عن العسكرية، ولكن بلا جدوى. ذهبت بالجواد إلى جاليا (زوجة تشير تكوف)، وبكت. إنها طيبة وذكية. لم أعمل شيئاً سوى كتابة فصل واحد قصير في المقالة. يبدو أن لا جدوى من المقالة بأكملها. ساشا تحزنني بغضبها الشديد. لأول مرة أنال اليوم قسطاً وافياً ومنعشاً من النوم.

١- يجب أن نضيف إلى الوصايا الآتية: لا تقتل - لا تسرق - لا تزني، وصية: لا تلمس صدقة من أحد.

٢- كلما ازدادت حماقة الإيمان، ازداد تصلباً وعناداً، مثلما هو الأمر في الإيمان بالفداء وزهرة الخلود والماليفانية^(١٣٥)، وكلما ازدادت عقلانيته، ازدادت مرونته وقل تعنته، وقدرته على فحص الأمور واستجلائها.

٣- كل ما هو حي، ينمو فعلاً بدرجة قد لا تلاحظ، وكذلك هو الإيمان الحقيقي، في روح إنسان واحد والإنسانية كلها على السواء.

(١٣٥) نسبة إلى ماليفاني صانع عجل غير متعلم، أرسلوه إلى مستشفى المجانين بسبب نشره لتعاليم عدم مقاومة الشر بالعنف والعصيان المدني ورفض الخدمة العسكرية.

استيقظت صباحًا شاعرًا بالحيوية. كتبت بعض الخطابات كما كتبت في المقالة ولكن بضعف. يبدو أنني سأنحّيها عني. حالتي العامة سيئة. قلبي ضعيف، كما أنني في حالة مزاجية كئيبة غير طيبة. وصلني خطاب من بيتراجيتسك^(١٣٦) عن (الحق). أريد أن أكتب. بشكل عام لا يسعني الشعور بالخزي من اعترافي برغبتني في الموت.

١٨ إبريل.

اليوم أشعر أنني أفضل حالًا. كتبت خطابًا بشأن مسألة بيتراجيتسك وبشأن التعليم، ولم أفعل شيئًا آخر. أشعر بالانقسام.

١ - نعم، يود تولستوي أن يكون محققًا، بينما أريد العكس؛ أن أَدان وأن أعرف في قرارة نفسي أنني على حق.

١٩ إبريل.

نهضت لتوي، شاعرًا بالحيوية كالأمس. حلمت أن أحدهم أرسل إليّ خطابًا أو صلاة من أحد شيوخ دير أوبيتنا وهو شيخ معلم (نسيت اسمه). قرأت الصلاة وأعجبت بها، ووجدت فيها الكثير من المواضع الجيدة والهادئة المتضمنة لحكمة الشيوخ والحب، لكنني نسيت كل شيء عدا شيء واحد أثر فيّ على نحو خاص؛ أنك لا يمكنك أن تُعلّم أحدًا أو تنصحه أن يسلك بهذه الطريقة أو غيرها. لا يمكنك تعليم أحد لعدة أسباب؛ أولاً: حتى لا تعتبر نفسك أرفع أو أذكى من أي شخص كان. ثانيًا: لأن كل ما يحتاج الإنسان إلى معرفته قد قيل في

(١٣٦) طالب بجامعة بطرسبرج كان يتراسل مع تولستوي بشأن مفهوم "الحق"

الأسفار المقدسة - كما يقول الشيخ - ومحفور في قلب كل إنسان. لا يمكنك نصيح أحد بأن يسلك بهذه الطريقة أو تلك لأن أحدًا لا يعرف - ولا يستطيع أن يعرف - أي المواقف والتصرفات تؤدي إلى أكبر خير خارجي جسدي. كل موقف، وكل تصرف هو في حد ذاته محايد في علاقته بالخير الخارجي وإمكانية نيل الإنسان لخيره الداخلي الحقيقي. ليتني أسلك دائمًا بحسب إرادة الله! عرضت الفكرة هنا بشكل شديد السوء، لكن في الحلم كانت الفكرة مكتوبة بشكل مذهل في ثلاثة أرباع صفحة وحسب. ما أثر فيَّ بشكل خاص هو الإيمان بأن كل ما يحدث في العالم الخارجي هو في حد ذاته محايد بالنسبة لنا، فهو جيد لنا قطعًا من حيث كونه خيرًا للجميع، وبالتالي علينا ألا نشغل بالنا بذلك فهو من عمل الله، ونؤجّه كافة قوانا صوب أمر واحد في تناول سلطاننا؛ تنفيذ إرادة الله المتمثلة في السعي صوب كمال الحب. لكن الأمر يتطلب إضافة أخرى: كلما بذلت هذه القوة في اتجاه خارجي، تبقى منها القليل لما هو داخلي، والعكس صحيح. يماثل ذلك موقف العامل في مصنع ضخم، حيث يخصصون للعامل عملاً صغيراً جداً يلائم قوته، مثل أن يدير أو يهز أو يُعلّق شيئاً، وهو يعرف أنه كلما نفذ العمل المعين له بدقة، تحسنت أموره وسير العمل بالكامل بالمصنع رغم أنه لا يفهم تفاصيله. سيُهْلِك العامل نفسه إن ابتعد عن العمل المعين له، أو تركه تمامًا وانشغل بشؤون المصنع العامة غير المعيّنة له، أو انشغل بتعليم الآخرين وتصحيح عملهم، واضعاً في اعتباره الوصول إلى أفضل مسار للعمل بالمصنع؛ الأمر الذي لا يعرفه ولا يمكن له أن يعرفه، وكذلك

سيهلك الإنسان نفسه إن تصرف مثل هذا العامل، تاركًا عمله الداخلي المعين له الخاص بكمال الروح واستجلائه في الحب، مُوجِّهًا قواه صوب دعم عمل خارج نطاق سلطانه، ولا يعرف مساره ولا يمكنه أن يعرفه. الفارق الوحيد بين العامل والإنسان أن في حالة العامل سيضر نفسه وحسب، لأن لدى صاحب العمل عددًا لا نهائيًا من العمال، وبالتالي سيُستبدل بهذا العامل آخر جديد، ويُؤمن سير العمل بالمصنع. كان عليّ أن أدوّن فكرة ما بدت لي حينها جيدة، لكنني نسيتها. ما أتذكره وحسب هو الآتي:

إن أدرك الإنسان بوضوح ما هو عمله، وما هو ليس كذلك، ستصبح قيمة الأفعال لديه سواء؛ فعل ينقذ ألف إنسانٍ من الموت، وآخر ينحصر في ضبط النفس عن قول كلمة تنضح بالشر والإدانة والاتهام في حق إنسان قد أساء إليك. إننا غير قادرين على فهم وإدراك نتائج أي فعل، والفعل الصالح، إن كان صالحًا تمامًا فعلاً، لا يكون هناك أي دافع له سوى الصلاح وحسب، ولا يمكن أن يكون الأمر أكبر أو أصغر من ذلك، فالأفعال كلها سواء في حد ذاتها.

هناك فعّالان في حياتي يعذباني: رفض مساعدة جاروفا^(١٣٧) بتقديم البذور لها، وظهور كبرياء بداخلي عندما يصلني مظروف خطاب ملصقة عليه صورتي.

(١٣٧) أرملة فلاحه تعيش بصحبة أطفالها السنة.

خرجت لتوي إلى الشرفة الخارجية، فأحاط بي المتسولون، ولم أستطع أن أشعر صوبهم شعورًا طيبًا. بالأمس قال سيرجي كلمات مذهلة: «أقول وأشعر وأعرف أنني أتمتع الآن بقوة عقلية تُمكنني من التفكير في أمر ما وحسمه بطريقة صائبة تمامًا... ليتني أُطبّق هذه القوة في حياتي». قال ذلك بسداجة مذهلة. يتحلى أفراد أسرتي جميعًا -خاصة الذكور- بثقة لا حد لها في الذات، لكن يبدو أنه أكثرهم في ذلك. يؤدي ذلك إلى محدودية لا فكاك منها. أكتب ذلك عن عمد، حتى يقرأه بعد موتي، أما قول ذلك له الآن أمر مستحيل. وصلني بالأمس عدد جريدة (الأنباء الروسية) الذي نشرها فيه (خطاب إلى هندي). قرأته باضطراب، وعاشت الأفكار المكتوبة فيه، وقرأت بعده مباشرة مذكرات الممثل لينسكي (ممثل مسرحي روسي). لم أستطع أن أمنع نفسي من الانخراط في الضحك، فقد كشف عن تفاوت حاد. خرجت بالجواد. جاني زائر فرنسي لطيف. خطاب تشيرتكوف^(١٣٨) ذكي وجيد، ولكن ليته لم يكتبه. كتبت صباح الأمس عن (المعالم الرئيسة) وعن خطاب الفلاح^(١٣٩). بدأت أكتب في (حكمة الأطفال).

(١٣٨) خطاب إلى ستوليين، طالبه فيه تشيرتكوف بوقف أعمال القمع والنفي، وكان تولستوي معارضًا لتقديم أي التماس أو طلب للحكومة.

(١٣٩) عنوان إصدار لمجموعة من الإنتليجينتسيا البورجوازية المحافظة يتحدثون فيه عن جذور الحركة الثورية الروسية، وقد ضمّن تولستوي رده على هذا الإصدار خطابًا وصله من أحد الفلاحين الروس.

٢٣ إبريل.

لم أدون يومياتي ليومين. مساء أمس جاء نيكولايف، وقرأ مقالتي عن كريشنا. ذهبت بالجواد بصحبة ميخائيل سيرجيفيتش وتانيا إلى جاليا (زوجة تشيرتكوف) العزيزة. قرأت في الصباح لميخائيل سيرجيفيتش ما كتبته عن التربية وراجعته. مساء أول أمس جاء ستراخوف، وحكى عن أورلوف، ولعب مع البنات. راجعت في الصباح مقالتي عن (المعالم الرئيسة). يبدو أن لا داعيَ منها، فهي ليست طيبة. تأثرت بشدة بما كتبته في (دورة قراءات) عن استحالة التعامل مع الناس بطريقة غير الحب. لم أنس ذلك حتى الآن، وعند اتصالي بأي شخص أستعيده إلى ذاكرتي، فيكون كل شيء بخير تمامًا. يزداد ضعف شعوري بالانقسام، لكنني أشعر به أحيانًا. تصلني طوال الوقت خطابات مبهجة. اليوم حالتي الصحية شديدة السوء. لم أفعل شيئًا طوال الصباح. قرأت مقالة (المعالم الرئيسة) لغة مدهشة. عليّ أن أخشى ذلك. هناك كلمات مختلقة غير روسية، تُضفي ظلالًا جديدةً متضمنةً على الفكر؛ غير واضحة ومصطنعة وشرطية ولا ضرورة لها. ربما لا تكون مثل هذه الكلمات نافعة إلا عندما يدور الحديث عن أمر غير ضروري. لا تُستخدم هذه الكلمات ولا يكون لها معنى إلا عندما تراود القارئ رغبة شديدة في الاستغراق في التأمل، ولا بد أن تقترن تلك الكلمات بهذه الإضافة: «لا بد أنك تفهم المقصود... كلانا يفهم المقصود».

من الغريب أن أثارت قصص ستراخوف بداخلي الرغبة في كتابة عمل فني، ولكن رغبتى الحقيقية لا تهدف إلى أمر محدد كما كانت

قبلاً، بل إنها لا تهدف إلى شيء بتاتاً، أو بالأحرى تهدف إلى أمر غير مرئي لي ولا يمكنني بلوغه؛ التعمق في الروح البشرية. أريد أن أفعل ذلك بشدة لكنني أشعر بالضعف.

٢٦ إبريل.

بدأت أكتب أول أمس عملاً فنيّاً، وكتبت كثيراً^(١٤٠)، ولكن على نحو سيئ ولم أعد نسخته. رغم ذلك لم يخب أُملي، وأريد أن أصلح العمل وأعرف كيف أفعل ذلك. بالأمس راجعت مقالة (الحق). ظننت أنني أنهيتها، لكنني اليوم صححت فيها كثيراً جداً. الأمر ذاته مع مقالتي عن التعليم. إنها الآن أفضل كثيراً. قرأت بالأمس مقالة لوزينسكي. الإنكار فيها جيد جداً لكنه متكلف، والخاتمة شديدة السوء. يمكنني - بل ويجب عليّ - أن أكتب أمراً واحداً:

١- يكتب جوكري عن الفردانية^(١٤١). هكذا يسمون حياة الكيان الشخصي برطانة طبقة الإنجليجيتسيا. يبدو لهم أنهم قد اكتشفوا أمراً جديداً بقولهم إن النزعة الفردانية سيئة، وإن الاشتراكية والكوميونة والشعب هي مفاهيم جيدة، بكل ما لها من بريق وضجيج (بالفرنسية في الأصل). لا يخطر على أذهانهم أن في المقارنة بين الشخصية بمعنى الأنا المنفصلة عن الكيان الكلي، والوعي بهذا الكيان الكلي، أي الله يكمن جوهر وسر الحياة؛ السر الذي توصل إليه الناس منذ آلاف الأعوام، مع اختلاف واحد؛ أنهم عارضوا الشخصية بمجموعة من الناس، بينما في

(١٤٠) قصة بعنوان (لا مذنبين في هذا العالم).

(١٤١) مقالة بعنوان (تهدم الشخصية)، من ضمن كتاب (عن فلسفة النزعة الجمعية).

الحقيقة ما يعارض الشخصية هو الكيان الكلي؛ الله، والإنسانية جمعاء، وكل كائن حي، وكل شيء.

اكتشف دوشان غرغرينا في كعبي^(١٤٢). هذا حسن... حسن جدًا. وصلني خطاب من تشيرتكوف، وكتبت إليه خطابًا صغيرًا. سأذهب الآن إلى جاليا.

٢٧ إبريل.

أشعر بضعف شديد. نمت عشر ساعات رائعة، لكنني أشعر باقتراب، لا الموت، فهذه كلمة سيئة فاسدة، تقترب بشيء مريع، بينما لا شيء مريع هنا، بل أشعر باقتراب الانتقال؛ انتقال وتغيير مهم وحسن. أردت أن أقول: الانتقال إلى الله، ولكن هذا غير صحيح. إن لم يكن الله بداخلي، لقلت: الانتقال إلى الله، ولكن كيف أنتقل إلى ما هو بداخلي فعلاً؟ يتطلب مني التعبير الدقيق عن الفكرة أن أقول إنني سأصبح إنسانًا، ولا يوجد في ذلك ما هو سيئ أو حسن؛ بل يتضح لك حينها ما عليك فعله وحسب، مثلما لا يوجد ما هو حسن أو سيئ في أنني كنت ليفوتشكا (تصغير ليف) وقد أصبحت شيخًا على وشك الرحيل.. نعم، هذا تعبير أفضل. أجرؤ على وصف هذه الحالة؛ اقتراب التغيير، بأنها مبهجة. في هذه الحالة ترى بوضوح ما عليك فعله والعكس. مقالتي (المعالم الرئيسة) تافهة تمامًا، ولم أكتب شيئًا عن (الحق)، ويمكنني أن أكتب عن (التعليم). بالنسبة لكتابة عمل فني، نعم ولا، ومن الضروري جدًا جدًا أن أكتب عن الثورة.

(١٤٢) تبين بعد ذلك أنه تشخيص خاطئ.

لم أتناول طعامًا طوال الأمس، وشعرت بضعف شديد، لكنني في حالة جيدة جدًا روحياً. صحت مقالتي عن الحق، وكتبت شيئاً ما. نعمت اليوم بنوم جيد أيضاً، ومع استيقاظي فكرت على نحو جيد. وصلنتي خطابات جيدة. سآدون هنا ما يبدو لي منها مهماً:

١ - يحتاج الإنسان إلى سمتين حتى ينال خيره الحقيقي وينفذ دوره في العالم: الرضى عن كافة الظروف الخارجية التي يعيش فيها - عدم الرضى الدائم عن حالته الروحية. عليه ألا يشغل باله بتغيير ظروفه الخارجية، وأن يوجّه كافة قواه ويُركّزها على تحسين روحه. يفعل معظم البشر العكس؛ يشعرون دائماً بالرضى عن حالة أرواحهم وأنفسهم، وهم دائماً ما لا يشعرون بالرضى عن وضعهم الخارجي، ويحاولون تحسينه؛ الأمر الذي يجلب أكبر ضرر ممكن لأرواحهم. هذا أمر شديد الأهمية، خاصة لـ..... نسييت. آه، تذكرت... هذا أمر شديد الأهمية في ما يتعلق بتحقيق كل إنسان لخيره؛ لأنني عندما أشعر بالرضى عن الوضع الخارجي، ولا أشعر بالرضى عن وضعي الداخلي، سأوجّه قواي صوب ما هو داخل نطاق سلطاني، أما إن فعلت العكس سأوجّه قواي صوب ما هو خارج نطاق سلطاني.

جاءني أمريكي، غير مثير للاهتمام تقريباً، ورحل ميخائيل سيرجيفيتش. سافرت صوفيا لموسكو وعادت لتوها.

٢ - الاهتمام بآراء الناس والسعي لنيل مديحهم يحجب عنا، لا...

بل يُقلل ويُضعف البهجة بتحقيق ما هو حسن وخير لإرضاء متطلبات
الأنَا الروحية وحسب، أي إرادة الله.

الساعة الآن السادسة، وأشعر بتحسن.

٢٩ إبريل.

نعمت مجددًا بنوم حسن، وأشعر أنني بصحة جيدة جدًا بالنسبة
لشيخ قد بلغ الثمانين. حالتي الروحية جيدة. حظيت بالأمس بحوار
جيد مع ماريا ألكسندروفنا. كم يدور داخل أرواح الناس من نشاط غير
مرئي لنا! استدعى تشيرتكوف تانيا إلى بطرسبرج^(١٤٣). أنا سعيد من
أجل تانيا، ولا أفكر في العواقب. وصلتني خطابات طيبة.

١- من الغريب ألا يرغب المرء في رؤية تداعي الجسد: تساقط
الشعر- طنين الأذن- تجعدات- حبوب. لماذا نُسر بنمو الجسد
وزيادة قوته، وتبتهج الأم حينما تضعف بسبب الحمل، وتصرخ عند
الولادة من فرط الألم والسرور، بينما لا أُسر أنا الشيخ بعلامات
الاقتراب من حياة جديدة؟ إنها عادة رديئة. كان عليّ أن أنحيها عني
منذ زمن، وأبتهج بعلامات الاقتراب من... لا أريد أن أقول «الموت»،
بل من حياة جديدة.

٣٠ إبريل.

نمت قليلًا، لكنني بصحة جيدة. ظننت بالأمس أنني أنهيت مقالتي
عن (التعليم) تمامًا. ها أنا صباح اليوم أستمّر في إجراء تصحيحات

(١٤٣) لتطلب عدم تنفيذ قرار نفي تشيرتكوف.

عليها اتباعًا لنصيحة جوسيف. في منتصف يوم أمس انتابني شعور رقيق حد البكاء بفرحة الوعي بالحياة من حيث كوني جزءًا من الألوهية وتجليًا لها، وشعور بالامتنان لشخص أو شيء ما عظيم، غير مدرك، خير، لكن يمكنني أن أعيه. قالت لي صوفيا بالأمس، وهي حزينة، إنها ترى في يومياتي شعورًا بعدم الرضى عنها. يُشعرنى ذلك بالأسف، وهي محقة في حزنها، فقد كنت سعيدًا معها على المدى الطويل. إن استثنينا ذلك، كل شيء على ما يرام. حسنًا أني أشعر بالأسف على أنني أحزنتها. طلبتُ مني أن أشير في اليوميات، أن كل ما هو مشطوب، قد فعلته بنفسى، ولم يشطبه أحد سواي. يسرنى جدًا أن أكتب ذلك.

لم يعد لديّ ما أكتبه. هناك شيء في روحي جيد ومبهج جدًا.

١ مايو.

وصل بالأمس باسترناك وزوجته وموجيليفسكي^(١٤٤). عزف موجيليفسكي على نحو رائع، حتى إني أخذت أبكي دون توقف. وضعت لمساتي الأخيرة على المقالة (يقصد: الثورة الحتمية) في الصباح. تبدو لا بأس بها. ذهبت إلى جاليا. كل أمورها بخير. استيقظت وعرفت أن أندريه وزوجته التقيا بأولجا (زوجة أندريه الأولى). اتسمت المرأتان باللطف والطيبة والود، أما أندريه فهو مريع. يُحلّق في سمائه السابعة، ولا شيء قادر على اختراق جدار رضاه عن نفسه. المدهش أن امرأتين جميلتين لا تستطيعان أن تشاركا في ال... أعرف أن من السيئ أن أكتب

(١٤٤) ليونيد باسترناك: رسام روسي، وكانت زوجته عازفة بيانو. وموجيليفسكي: عازف كمان. وقد عزفا لباخ وبيتهوفن وموتسارت.

وأفكر في ذلك، لكنني غير قادر على منع نفسي. ربما يقرأ ذلك في وقت ما ويشم رائحته التتنة.

طقس فاتن. نمت قليلاً. نعم، نسيت أن أذكر أن مولوتشنيكوف قد أتى بالأمس. سعدت جداً بقدومه. لم أدون أهم ما يتعلق بالأمس؛ رحلت تانيا العزيزة. ودّعتها بتأثر شديد وحب مبهج، وأخذت أفكر فيها برقة.

٢ مايو.

لم أعمل تقريباً بالأمس. انتهيت من المقالة. شعرت أنني بخير لكنني لم أستطع العمل. ذهبت إلى آل تشيرتكوف، كما زرت الأعرزاء آل نيكولايف. وصل سيريوجا مساءً بصحبة مولوتشنيكوف. حسناً. ساشا ليست بخير، وأنا كذلك. لا أتحدث معها بجدية. نمت قليلاً. أريد أن أعمل. كان عليّ أن أكتب فكرة ما جيدة، لكنني نسيتها.

٣ مايو.

عملت كثيراً على المقالة، وتقدمت الأمور فيها بشدة. يبدو أن لا بأس بها. كتبت حواراً في «حكمة الأطفال». أشعر بكآبة؛ أقصد أنني أسلك بسوء مع صوفيا وساشا اللتين لا تحبان بعضهما، وذلك تحديداً لشدة التشابه بينهما. كلما ازدادتا قساوة، توجب عليّ أن أزداد ليناً. وصل كل من مولوتشنيكوف وسترخوف، وسعدت بقدومهما، لكنني كنت منهكاً من فرط العمل، وعبثاً لم أقل لهما ذلك. حظيت بنزهة مبهجة بالجواد. ماريا ألكسندروفنا وأولجا وأطفالها هنا. قرأت

في المساء وتحديث. شعرت بالكآبة مجدداً. تحدثت مع ساشا في الشرفة. أخشى أنها منغلقة، لا منفذ لها. كتبت الآتي كإجابة عن سؤال مولوتشنيكوف:

١ - لا يمكننا أن ندرك حياتنا هنا إلا داخل إطار الزمان والمكان. لكن لا يمكننا أن ندرك حياتنا الحقيقية إلا خارج إطار الزمان والمكان؛ دائماً وأبداً في اللحظة الحاضرة. بالتالي عند الحديث عن الحياة بمعزل عن شروط هذه الحياة؛ الحياة قبل الميلاد، وبعد الموت، لا يمكننا، ولا يجب أن نعزو إليها شروط الزمان والمكان ونقول: أين ستكون الحياة؟ إننا لا نعرف سوى أن حياتنا قبل الميلاد وحياتنا بعد الموت، كانت وستكون، خارج إطار الزمان والمكان. كيف كانت وستكون إذن؟ لا نعرف ولا يمكننا أن نعرف.

٤ مايو.

بالأمس عملت بكد على المقالة وعلى (المعالم الرئيسة). لا بأس بهما. أفرطت في تناول الطعام، وأشعر بالخزي. لم تفارقني حرقه المعدة طوال المساء. وصلت تانيا العزيزة. الأمر شديد السوء (١٤٥). أنا بخير روحياً. لا يوجد شيء مهم في الخطابات التي وصلتني. جاءني الآن فلاح من خاركوف خصيصاً للقاءني. هناك بعث كامل. يا للسرور! لا يسعني أن أستمع إلى ذلك دون بكاء. أشعر بالضعف الشديد. نمت قليلاً. ليست لدي أفكار لأدونها. أشعر بالأسف الشديد

(١٤٥) التقت تانيا فعلاً بستوليبيين من أجل تشيرتكوف، وأخبرها ستوليبيين أنه يعتبر تشيرتكوف أخطر على الحكومة من الثوار، لكنه وعدها على أي حال أن يعيد النظر في مسألة نفيه.

على تشيرتكوف. رحل مولوتشنيكوف. أرى أنه يترك على الأقرباء مني أثرًا لا يُمحى. أفهم ذلك لكني لا أشعر بالانقسام. أخشى أمرًا واحدًا، أن يحدث تقدم سريع ثم يتقهقر ثانية. إنه شديد الذكاء.

٥ مايو.

عملت على نحو سيئ بالأمس، بل تقريبًا لم أعمل شيئًا. انتهيت من إعداد كونفوشيوس ولاو تسو من أجل إيفان إيفانوفيتش (راجع حاشية ١١٦). غير واضحة كفاية بعد. حظيت بنزهة جيدة بالجواد بصحبة دوشان وصولًا إلى ماريا ألكسندروفنا. وصل صربي شديد اللطف. طوال اليوم كنت في حالة مزاجية سيئة، لكني ناضلتها. لا أزال أجهل كيف أكون ودودًا حقًا مع الآخرين، لا أن أبدو كذلك وحسب. وصلتي خطابات جيدة. تكتنفي كآبة من شعوري بعدم الرضى، ومن الواضح أنها حالة داخلية؛ لأنني كنت في نفس الحال في حلمي، حيث لم تكن الأمور تسير على ما يرام في الحلم. عنت لي قراءة لاو تسو الكثير، حتى أن شعورًا دنيئًا يراودني، يناقض لاو تسو مباشرة؛ شعورًا بالكبرياء والرغبة في أن أكون لاو تسو آخر. حسنًا قال: تقترن أسمى حالة روحية دائمًا بأقصى درجات التواضع.

خرجت لتوي إلى الشرفة. جاءني تسعة من المتسولين وطالبي الصدقة وأكثر البشر بؤسًا، كما جاءت كورنوسينكوفا (أرملة فلاح من ياسنايا). لم أستطع استثارة مشاعر طيبة بداخلي صوبهم. ظن أنك فهمت الدرس فعلاً، ثم تدرك أنك تحرز تقدمًا ببطء شديد. عندما استلقيت على الفراش، أردت أن أكتب، أما الآن لا أريد شيئًا سوى

لعب الورق بمفردي. لا بد أن ذلك حسن. حسنًا، ليست لديّ أفكار.

اختبرت اليوم (٥ مايو) لأول مرة حالة جديدة مبهجة. فكرت تحديدًا في الآتي: ما العواقب التي ستحدث إن عشت حياة حسنة محبة؟ اتضح لي فجأة حماقة هذا السؤال، كأني أتساءل: ما المكافأة التي سأنالها إن اتحدت بالله وعشت به؟ ما المكافأة التي سأنالها إن أكلت حين أشعر بالجوع؟ ما النتائج التي ستترتب على أن أكون في حالة سامية؟ النتيجة هي أنني سأجد نفسي. أشعر بالنعاس لذا لا أعبر عن الفكرة بسوء بالرغم من أنني أعيشها بقوة. أكتب في المساء؛ في الساعة الثانية عشرة. سأدون من الأفكار ما بدا لي مهمًا:

١- الأسوأ والأفضل: حب الذات والأنانية. السؤال: مَنْ هو الذي سأحبه أكثر من أي شيء؟ إن كانت الأنا الجسدية، فالأمر إذن سيء، وإن كانت الأنا الروحية، فهذا أفضل ما يمكن أن يحدث. شعرت لأول مرة اليوم بهذه الأنانية الروحية، وبكل ما تجلبه من خير. بدأ الأمر بشعور غير طيب صوب المتسولين. قلت في نفسي: «هذا عملك... هذه هي المادة المتاحة لتقوم بعملك؛ أن تحب مَنْ لا تحبهم وَمَنْ تشعر بالضيق منهم». وقد زال الآن كل شعور بالضيق. بفضل ذلك تحديدًا استطعت تطبيق الأمر عدة مرات اليوم بنجاح عند تعاملتي مع الناس. أنا في حالة جيدة جدًا جدًا. ليتها تستمر!

٦ مايو.

صحّحت بالأمس (المعالم الرئيسة) ونصف المقالة. وجدها متوسطة. شعرت بعدها فجأةً بشعور مبهج كتبت عنه بالأمس.

الأمر الرئيس أنه سرور بالوعي بخبرة إمكانية العيش بالله وحده. أكتب: «وحده»؛ لأن الله لا يسمح بإقامة علاقات عن بعد، بل وجهًا لوجه وحسب (بالفرنسية). اثنان يُشكلان صحبة جيدة، أما ثلاثة فلا (بالإنجليزية). ما إن تشعر بحكمه حتى لا تفكر إطلاقًا في أحكام الناس. طقس ممطر. لم أخرج. قضيت المساء كله على نحو جيد. أغلب الخطابات التي تصلني من نساء، ويجب أن أجيب عن خطاب بالاشوف. ودّعت تانيتشكا (تانيا) الآن. إنها عزيزة جدًا عليّ وعلى شقيقاتها الأصغر منها.

٧ مايو.

راجعت المقالة، ونحيتها بعيدًا. إنها سيئة. وصل ضابط من وحدة سيميونوف وادعى أنه خالف أوامر وحدته^(١٤٦). أتمنى أن يكون هذا حقيقياً. تحدثت معه على نحو جيد. ذهبت إلى جاليا وأوليا. الأمر بخير كالمعتاد، وجاليا تتحمل قسمتها بشكل جيد.

جاء أوسبينسكي، وفي المساء وصلتنى خطابات وكتيب سيئ من فوستورجوف^(١٤٧). ها قد فقدت علاقتي بالله وأحزنتني أحكام الناس. يلزمني وحسب أن أتذكر من يهمني حكمه، وحينها يتيسر كل شيء، بل تتلاشى المشكلة تمامًا. فهمت ذلك صباح اليوم. عونك... عونك... عون من؟ أيّا كان من هناك، لكنني أعرف أن هناك من يمكنه أن يساعدني.

(١٤٦) شاركت هذه الوحدة في قمع تظاهرات ١٩٠٥، وادعى الضابط أنه أنقذ ١١ شخصاً من الإعدام بالرصاص.

(١٤٧) أحد الأساقفة، والكتيب مليء بالشهير.

سأطلب منه، وهو سيعينني... سيعينني. قضيت فترة المساء على نحو سيئ مع نيكولايف وأوسبينسكي. شغلت بالي كثيرًا بهما وبأحكامهما، بدلاً من الله. عبثًا قرأت عليهما (المعالم الرئيسة) وخطابًا. لم أتحدث مع صوفيا. نمت جيدًا ولكن لمدة قصيرة. لا أعرف ماذا سوف أفعل. نعم، لقد قرأت يوميات جاجينا^(١٤٨) اللطيفة. أفكار:

١- يتجلى الله بداخلي وبداخل كل إنسان. هذه ليست مجرد جملة، بل حقيقة لا شك فيها، وعلينا أن نعيش وفقًا لها. ماذا يعني العيش وفقًا لهذه الحقيقة؟ إنها تعني أنه يجب أن نتذكر عند لقاء إنسان وتعاملك معه أن عملك يتعلق بتجلي الله، أي أن عند كل لقاء لك بأي إنسان عليك أن تكون في حالة صلاة مهيبة نقية. الصلاة هي أن تستحث بداخلك أسمى حالاتك الروحية وتذكر روحانيتك. التواصل مع إنسان هو تواصل سري مع الله. ليتني أتذكر هذا دومًا! هذا ممكن. سأحاول.

وصل إيفان إيفانوفيتش. سأحدث معه الآن.

لم يحدث شيء سيئ على وجه الخصوص. عملت على المقالة وعلى (المعالم الرئيسة). سأُنحّي عني الأخيرة. حظيت بنزهة جيدة بالجواد بصحبة دوشان. يبدو أنني لم أخرق الحب السري، أو خرقته بدرجة قليلة لا تُذكر. حدث ذلك مع صوفيا عند قراءة رواية كوبرين (الهاوية). هناك حركة، وهذا جيد. أشعر بالضعف. أريد أن أكتب عن

(١٤٨) زينائيدا ميخايلوفنا جاجينا: مالكة لإحدى الضيعات القريبة، وقد أسست مدارس لأبناء الفلاحين، وزارت تولستوي، وكانت المدرسة هي موضوع يومياتها.

أساس المسيحية الحقيقية، ولماذا يُحرّفها الإيمان الكنسي ويُدمّر كل مغزاها في الحياة. أريد أن أكتب كذلك في (لا مذنبين في هذا العالم). أشعر بالبرودة. رحلت ساشا إلى متسينسك. كوّمت على نفسي أعمال كثيرة مُضجرة، عليّ أن أتحرر منها وأفعل الأكثر ضرورة أمام وجه الله. لم يتبقَّ لي من الوقت سوى القليل.

قرأت بالأمس كتيب فوستوروجوف. يوبخني بشدة. لا يمكنني أن أقول إنه من الحسن أن هذا الحكيم لا يزال يجهل الكثير من مساوئي، ولكن الأمر كان مؤلماً في البداية، وما إن تذكرت أن هذه مادة لعملِي، واختبار لي، وأن عليّ أن أسلك أمام وجهه وحسب، أو أقترّب من تحقيق مراده فيّ، حتى زال شعوري بالضيق، ليس ذلك وحسب، بل استُبدل به شعور مبهج. كيف أنقل هذا للناس؟ أخشى أن أخطئ في ما يتعلق بنفعه، لكن يبدو أنني أشعر بتبدل علاقتي بالناس بسبب تذكري لجوهر قانون الحياة؛ الحب. أثناء نزعتي بالجواد بالأمس غضبت منه بسبب ترده، وثأرت منه بالاستمرار في جذبه من فمه. ثم تذكرت أن روح الحياة في هذا الجواد، وأن عليّ أن أعامله بورع وحب، وحينها تغيرت علاقتي به تمامًا. كان التعامل في البداية عبارة عن خوف من جانبه، فسوط مني، أما الآن: لا تخفّ يا عزيزي. هذه العلاقة صوب الحيوانات هي أمر شديد الأهمية. إنها أفضل وأيسر، كما أنها تُعدّنا لعلاقة محبة مع الناس؛ فهم يكذبون ويختالون ويسخرون منك عن عمد، والأسوأ من ذلك ينافقونك، وذلك أصعب من تحمل الحيوانات. أما إن تعودت على تحمل الحيوانات، حتّى يسهل عليك تحمل الناس.

لا أريد أن أعمل شيئاً، لذا لن أعمل، لكنني في حالة روحية جيدة جداً. ها قد حلت الساعة الثانية عشرة سريعاً.

٩ مايو.

استيقظت مبكراً جداً. حالتي الروحية جيدة. صحّحت المقالة. إنها سيئة، خاصة الخاتمة. ودّعت العزيزين إيفان إيفانوفيتش وماريا ألكسندروفنا. جاءني فلاح من طائفة المعمدانين يطلب صدقة. تماسكت. ذهبت بالجواد بعيداً بصحبة دوشان. في المساء قرأت بعضاً من المقالة وقصة كوبرين. إنها شديدة السوء والفجاجة، ومليئة بقدر لا داعي منه من البذاءة. تساقط الثلج أمس، ولا يزال. رحلت ساشا بصحبة فارفارا ميخايلوفنا. فكرتان:

١ - أنظر إلى هيئة الحياة الربيعية، وأجد قوة الحياة في كل شيء؛ في العشب وبراعم الأشجار والزهور والحشرات والطيور. قلت في نفسي إننا -نحن البشر- في خضوعنا جزئياً لهذه القوة - مفطورون على الوعي بها داخل أنفسنا. لا أستطيع صياغة الفكرة بوضوح.

نسيت الفكرة الثانية. آه، تذكرتها، إنها تحديداً:

٢ - تصورات بحيوية رواية أو مسرحية تخلق من كل ما هو سيئ وشرير، وكل ما فيها صالح للجميع، وكل أبطالها أبرياء. كم سيكون حسناً لو استطعت أن أكشف بوضوح عن إثم وشر نظام حياتنا وسط طيبة وبراءة البشر! لا أعرف ما إن كان الله سيدفعني لفعل ذلك أم لا، لكنني أرغب فيه بشدة.

أنهيت اليوم كافة أعمالى الدورية من خطابات وتصحيح (المعالم
الرئيسة)، لكنى نَحَيْتها مجددًا.

١٠، ١١ مايو.

لم أُدَوِّن شيئًا بالأمس، ولا أذكر ماذا فعلت أول أمس. تذكرت:
كتبت عن الحب. لم أفعل شيئًا جيدًا أو سيئًا على نحو خاص. ذهبت
إلى جاليا. رفضُ فُجٍّ لإعادة النظر في نفي تشيرتكوف. راودني شعور
غاضب شرير تجاه ستوليين، ولكنى حمدًا لله تماسكت، وتحول
شعوري إلى أسف حقيقي. فى المساء حظيت بحديث رائع مع
نيكولايف. جاء تريجوبوف.

استيقظت بالأمس مبكرًا جدًّا. كتبت بعض التفاهات لتريجوبوف،
لكنى فكرت فى فكرة شديدة الأهمية.

أولًا: عليّ أن أكتب خطابًا لساشا، أطلب منها فى أن تفكر فى
روحها والحياة الحقيقية.

ثانيًا: عليّ ألا أعطي اليوميات لأحد، وألا أكتب من أجل النشر
فى حياتى، باستثناء ما أكتبه الآن، وذلك لأنى أكتب عن الحب، وهذا
ضرورى. قد أكون مخطئًا وقد لا أكون، ولكن للأمر أهمية كبيرة.
وصلنى خطاب من مولوتشنيكوف، مرفق به خطاب من ألكسندرا.
ذهبت إلى أوفسيانينكوف^(١٤٩). جميعهم؛ آل جوربونوف وماريا
ألكسندروفنا يتحلون باللطف. ليس لديّ ما أقوله بشأن ذلك. وصلت

(١٤٩) الضبعة التى تعيش فيها ماريا ألكسندروفنا.

زوسيا، وهي تتسم بقدر كبير من الطيش والثقة في الذات. شعرت بضعف شديد في المساء، لكنني بخير صحياً. استيقظت اليوم في وقت متأخر. جاءني شاب عابر سبيل، وعاملته بإنسانية، وسررت بذلك. كم نحرم أنفسنا بطيش من أفضل مسرات الحب! أفكار:

١- تنتقل البشرية -وكل فرد منها- من فترة إلى أخرى تليها؛ من الشتاء إلى الربيع، في البداية أمطار، ثم صفصاف ذيل القط^(١٥٠) والعشب والبتولا، ويشق البلوط طريقه، وها هي الأزهار، وها هي الفاكهة. كما لو أنني أشعر في نفسي وفي الإنسانية كلها بنضج الثمار.

٢- أغضب من أحد المتسولين. ليتني أتذكر أن هذه فرصة لشحن نفسي، ودافع لتدعيم اعتيادي الحب.

٣- إنكار الذات؟ يمكن أن ينكر المرء أنه بلا ريب، إن تعلق ذلك بالأنا الجسدية وحسب. إنكار الذات هو إنكار ما اعتبرته عن خطأ «أناي». إنكار الذات هو الاعتراف بالوهيتي وأبديتي.

٤- يأتون بالكاهن للمحتضر، ويتوسل الأخير للكاهن ألا يتركه ليُدان على عتبة الموت... يفضح ذلك خداع الكنيسة.

٥- يكتب إلى زوجته^(١٥١): «سامحيني! لقد سامحتك، لكن لا يسعني ألا أقول لك -حتى ولو من قبري- ما لم أستطع أن أقوله لك وأنا حي حتى لا أغضبك، وبالتالي، أفقد فرصة مساعدتك -ربما إلى الأبد- بعدم قدرتي على أن أقول لك أنك تحيين حياة شريرة، وهي

(١٥٠) صفصاف: تشبه زهوره ذيل القط.

(١٥١) في أحد دفاتره يعنون تولستوي هذا الجزء بـ (رسالة إلى صوفيا).

تجلب إليك الشر، وتعذبين بها نفسك والآخرين، وتحرمين نفسك من خيرك؛ الحب. أنتِ قادرة جدًا على الوصول إلى أفضل الأمور. لقد رأيت مرات عديدة بذور ذلك بداخلك. أعيني نفسك يا عزيزتي. فلتبدئي وحسب، وسترين كيف ستساعدك أناك الحقيقية الأجل.

٦- يتلخص الأمر برمته في ما يريد الإنسان أن يصل إليه؛ في مثاله: أينشد الثراء أم الوجاهة أم المجد أم المتع؟ لديه حياة واحدة، وإن أراد أن يحب الناس جميعًا، سينعم بحياة مختلفة تمامًا. يتعلق الأمر كله بالمثال. إن نشد الإنسان الثراء سينصب تفكيره برمته على كيف يأخذ المزيد لنفسه من الناس، وكيف ينفق ويعطي الأقل فالأقل للناس. إن نشد الوجاهة، سيساير ويخدم من في السلطة ويخضع له، وسيكون فخورًا، وسينفصل عن الناس، ويحتقر أولئك الذين لا يحتاج إليهم ليحقق النجاح في مسعاه. إن نشدان المتع سيختلق مزيدًا من الوسائل تزيد المتع، مستبدلاً بالأضعف الأقوى، مستنبطاً الأقوى فالأقوى. إن نشدان الإنسان الحب للناس جميعًا، سيجد نفسه، حتى في غياب أي عمل، يستعيد في وحدته كل ما فعله سابقًا؛ أمس واليوم، ولم يراع فيه الحب صوب شخص، وما فعله وقاله وفكر فيه، مشوبًا بشعور شرير يفتقر إلى الحب، كما أنه سيفكر في ما حال بينه وبين الحب من عيوب شخصية وإغواءات وعادات، وسيفكر كذلك في الطريقة التي يتخلص بها من كل ذلك. وعندما يكون بين الناس سيحاول أن يتذكر أنه في حاجة إلى أمر واحد لتحقيق إرادة من أرسله، ولتحقيق خيره؛ الحب للناس جميعًا. بتذكره لذلك، سيتعامل مع الجميع على السواء تعامله

مع شقيقه، محاولاً ألا يضر أي شخص من أولئك الذين يثيرون غضبه، ليس ذلك وحسب، بل أن يسدي إليهم خيراً بقدر ما يستطيع. سيعمل في الأساس على ضبط نفسه عن كل ما يمكنه أن يضر بخير الآخرين، وما يتنافر مع الحب. إن نشد الإنسان الحب، سيجد نفسه يمتنع تلقائياً في أفعاله وكلماته وأفكاره عما يُعتبر هدفاً رئيساً لكل من لا يحيا وفقاً لإرادة الله؛ أقصد جمع الثروة والحفاظ عليها، وتحقيق الوجهة والمجد وكافة المتع التي تلائم بعض الناس وحسب، والتي يؤدي اكتساب أحدهم لها إلى خسارة الآخر. يقول الناس: هذا صعب، لكنهم يقولون ذلك لسبب واحد؛ إنهم لم يختبروا فرحة الحب، لا يعرفونها ولا يؤمنون بها.

أقول: يصعب العيش بالحب! بل يصعب العيش بما لا يتسق مع الحب. كل ما يلزم الإنسان هو أن يختبر الحياة وفقاً لقانون الحب، ولن ينشد شيئاً آخر أبداً.

٧- أن تحب الله يعني أن تحب تجليه. أعني هذا التجلي في نفسي قبل أي شيء آخر، لكنني لا يسعني إلا أن أرى هذا التجلي في كل مكان؛ في السماء والأرض والحجر والرمل والنجوم. ينحصر الفارق بين كل هذه التجليات في أن بعضها أقرب إليّ، لا أقصد مكانياً، ولكن بحسب نوعها، وبعضها أبعد. كلما اقتربت مني، استطعت، بل وتوجب عليّ، أن أحبها. من الطبيعي أن أحب أبعدا عني كالأرض - الحجر - الرمل - السماء - الكواكب - النجوم، ولكن الشجرة والنبات أقرب إليّ، وأنا أحبهما أكثر، كما أحب الحيوانات أكثر منهما، والأكثر من كل ذلك والأقرب إليّ؛ الإنسان. ولكن لا يسعني إلا أن أكن له حُباً أكبر من حبي

لأي شيء آخر هو نفسي؛ أناي، لا الجسدية البغيضة، فتلك الأنا يجب أن تكون بعيدة عني كأني حيوان مثلاً، بل وكالحجر أو الرمل، ولكن أناي الروحية التي يعتبر حبي لها هو الحب ذاته؛ حب صوب كل شيء. الأناية الجسدية منفرة، وليس هناك ما هو أسمى من الأناية الروحية، والانتقال بوعينا إلى الأنا الروحية الأبدية العالمية. يتم هذا الانتقال بالحب، ويمنح صاحبه ذلك الخير الذي يجعل من يختبره لا يعود في حاجة لشيء آخر. كيف إذن لا نشكر ذاك الذي منحنا ذلك الخير!

٨- لماذا لا أعترف مطلقاً بالحياة في الحجر والرمل، وفي الآن ذاته لا أنكر إمكانية أن تكون هناك حياة على النجوم؟ أعتقد أن مرد ذلك إلى أنني أختبر الحجر بكافة حواسي الخارجية، ولا أجد فيه حياة، بينما أدرك النجوم بحاسة واحدة فقط؛ الرؤية، لذا أفترض إمكانية الحياة فيها. ولكن هذا لا يثبت غياب الحياة في الحجر وإمكانية وجودها في النجوم، بل يثبت أن حواسي الخمس غير مهيأة وحسب للتعرف على الحياة في الحجر. (هراء)

٩- أشعر في الأيام الأخيرة بحالة روحية خاصة مشوبة بالفرح والهدوء والرضى. أسأل نفسي: أيعود ذلك إلى حالتي الصحية الجيدة الآن؟ يؤلمني أن يكون الأمر كذلك. ليت ذلك يكون نتيجة لفهم جديد أكثر حيوية للحب والاتكال على الله وحده!

١٠- واحد من الأخطاء الرئيسة التي تعيق تحقيق قانون الحب هو التصور الذي مفاده أن الحياة وفقاً لتعليم الحب تتطلب تحققاً كاملاً له داخل كل إنسان. لسنا في حاجة إلى ذلك، ولا يمكن أن يتحقق الحب

كاملاً من الأساس، فإن تحقّق لما كانت حياة، بل نحن في حاجة لأن نقترّب من تحقيقه. في هذا الاقتراب معنى الحياة برمتها وخيرها.

عندما يعترف الناس بضرورة التحقق الكامل لقانون الحب، ويرون عدم إمكانية هذا التحقق، سواء على مستوى الأشخاص منفردين أو الإنسانية جمعاء، يجدون أنفسهم يحسمون الأمر تلقائياً كالاتي: يعترفون بأن هذا التعليم رائع، لكنه في الآن ذاته غير قابل للتحقق. يؤدي هذا بفريق إلى إنكار كل الديانات، وبالفريق الآخر إلى تحريف المسيحية، حيث يصحّحون عدم إمكانية تنفيذ هذه التعاليم بالإيمان بالنعمة والفداء والأسرار المقدسة. يُبعدنا هذا الخطأ عن فهم الحياة الواضح والنابع من قانون الحب، والذي مفاده أن عملنا في الحياة هو أن نقترّب من الكمال تدريجياً وبصورة مستمرة، أي في الوصول إلى الدرجات الأولى من سلم الكمال، ثم إلى الدرجة التي تليها... إلخ. وكما يقول الحكيم الصيني: إن الصعود إلى قمة الجبل يتطلب البدء من قاعدته. هذا التدرج هو السمة الرئيسة لتعليم الحب العملي. يستحيل أن تحاول أن تكون محسناً، بينما تجمع ثروتك وتحافظ على ثرائك الذي لا تحتاج إليه الحياة، ويستحيل أن تصبح متواضعاً، بينما تعتبر نفسك زعيماً أو أرسقراطياً أو ذا مركز سام، علمانياً كان أو روحياً. يستحيل أن تصبح محباً للإنسانية، بينما تشارك في العسكرية، أو تمتعنها.

على أولئك الذين يريدون اتباع قانون الحب في مجتمعنا أن يركنوا قبل كل شيء آخر إلى نشاط سلبي؛ ألا يشاركوا في ما حدث وما يحدث من حولهم.

١٢ مايو.

أنا بصحة جيدة، لكنني لا أشعر بفرحة الحب السالفة بنفس القوة، ورغم ذلك أجرؤ على قول أنني أشعر بفرحة الحب وإخضاع نفسي لإرادة الله بدرجة أكبر جدًا من الماضي.

كتبت هذا الجزء من اليوميات صباحًا، ثم ذهبت إلى جاليا. زوسيا تزعجني، ويلزماني بذل الجهد حتى أظل في حالة الحب، وهذه مادة رائعة لروحي. راجعت بعضًا من مقالاتي عن الحب. إنها سيئة بدرجة مريعة مقارنة بغاية المادة وأهميتها. وصلتنى خطابات شيقة جدًا؛ أحدها خطاب طيب من طالب عن (الحق). ليست لدي أفكار.

١٣ مايو.

راجعت بالأمس مقالاتي عن الدولة والحب. ما كتبت قليل وسيء. سافرت إلى مجلس فولست^(١٥٢). أموري أفضل مع زوسيا، لم أعد أغضب منها. وصلني في المساء خطاب مليء بالتقريع من فيليكانوف. أشعر بالضيق، لكن أكثر بالأسف عليه. كم أنا سعيد! لا تعود حالتي الروحية الجيدة إلى أسباب بدنية. شكرًا لله. حالة الطقس أفضل. كتبت كثيرًا عن الحب، بمستوى معقول، أو بالأحرى سيء. فكرة واحدة يجب أن أدونها:

(١٥٢) للتحديث مع موظف المجلس بشأن الحاجة لمراجعة متفحصة لكل ما يتعلق بإصدار شهادات الفقر للفلاحين المتقدمين لنيل هذه الشهادات، لوجود بعض الحالات التي تطالب بها عن غير حق.

يكشف المفكرون الكبار - كالمسيح ولاوتسو - عن الحقيقة لأناس أدنى منهم روحياً، أما تلاميذهم، كبولس مثلاً، يتدنون بها ويكيفونها على مستوى الغالبية. تعود الغالبية لتدنّي بها ثانية، وتختلق الأساطير. كلما اتسعت الدائرة، ازدادت الحقيقة ضحالة. ثم يظهر أناس ذوو معتقدات أخرى، ويُحدّدون أخيراً شكلها نهائياً.

صياغة غبية.

كتبت خطاباً لتشير تكوف.

تعالى الآن صوت طلق ناري ونباح كلاب. قتلوا الفريسة. أشعرني ذلك بألم جسدي مباشر وأسف على الفريسة المقتولة. شكرًا لله على ذلك. كم يشعر المرء بفرحة حينما يعيش بالحب!

الساعة الآن السادسة. سأذهب لتناول الغداء.

كتبت كثيرًا عن الحب. كتابة غير سيئة، وهناك تقدم فعلاً. كانت صوفيا في حالة مريضة أثناء تناول الإفطار. يبدو أنها قرأت بعضًا من (الشیطان)^(١٥٣)، واختمرت الضغائن القديمة ثانية بداخلها. شعرتُ بكآبة شديدة. خرجت إلى الحديقة. بدأت أكتب خطاباً ليُسَلِّمَ لها بعد موتي، لكنني لم أنهِه، وتخلصت منه، وكان السبب الرئيس لذلك هو أنني سألت نفسي: ما الجدوى من ذلك؟ أدركت أنني لا أفعل ذلك أمام وجه الله لأجل الحب. في الرابعة أفصحتُ عن كل ما يعتمل بداخلها، وحمدًا لله هدأتها، حتى إني بكيت، وتحسن حالنا.

(١٥٣) ذكّرتها القصة بعلاقة تولستوي الغرامية بأكسينيا الفلاحة قبل زواجهما.

١٤ مايو.

انقضى مساء الأس كالمعتاد. واصلتني أخبار جيدة عن فيلتن ومحاكمته^(١٥٤). استيقظت اليوم مبكرًا وذهبت إلى الحديقة. كتبت خطابًا إلى مولوتشنيكوف. استمعت إلى حوار كوبيلوف مع عابر سبيل تضمن كلمات دنيئة وغير حقيقية، وقدّرًا مذهلاً مريعًا من الإلحاد! اختبرت شعورًا كثيبًا يلازماني منذ الأس. حالي الآن أفضل من الأس، لكن غاب عني الهدوء المشوب بالسرور الذي لازمني في البداية. واصلتني خطابات كثيفة أيضًا من كوبيل وفلاح يكيل لي الاتهامات^(١٥٥). جاءني كذلك متسولون. أرغب في الموت بشدة، ولا يراودني بخصوص ذلك أي يأس شرير، بل مرّد ذلك ببساطة إلى رغبة في الرحيل إليه وفراق الجميع.

لم أختبر أبدًا هذه الرغبة القوية في الموت؛ رغبة هادئة وراسخة ومبهجة. يبدو أنه لم يعدّ لديّ ما أفعله هنا. من المؤكد أن الأمر يبدو كذلك وحسب. إن أبقيتني هنا، وهناك عمل، سأحاول تحقيقه، دون عجلة ودون راحة (بالألمانية). حمدًا لله أصبحت في حالة روحية حسنة مجددًا بسبب هذه الرغبة في الموت.

١٥ مايو.

لا... حالتي سيئة تمامًا. انحدرت أخلاقيًا بشدة. ظلت حالة سيئة

(١٥٤) حُكم عليه بالسجن لسته أشهر لنشره مقالات محظورة لتولستوي، ثم تأجل الحكم لحين النظر في قضية جديدة.

(١٥٥) بسبب أنه لم يتنازل عن أملاكه للفلاحين.

بالأمس طوال النهار والليل. وصل إينروت (ضابط متقاعد) ونيكولايف، وأخذت أشكو لهما حياتي. بالإضافة إلى ذلك وصلني خطابان شريان؛ واحد من كوبيل والآخر من فلاح ثوري، وكذلك قصائد عن الأرض، وقد غلبني ذلك تمامًا. أين ذهب تكريس نفسي لإرادة الله والبهجة بتعرضي للتوبيخ واللامبالاة بمديح الناس والتركيز على توجيه الحب للجميع؟ أنا في حالة شديدة السوء. دلالة ذلك أن هذه الحالة كانت جسدية في الأساس. الآن ساءت حالتي الجسدية وضعفت. لكنني لن أستسلم. المرض مادة يمكنني العمل عليها. سأحرص على ألا أفعل شيئاً إبان المرض.

خرجت لتوي. التقيت في البداية بآبنة أفانسييف، وطلبت مني مالا، ثم التقيت بأنيسيا كوبيلوا وحدثتني عن الغابة وابنها، ثم كوبيلوا الأخرى التي سجنوا زوجها. فكّرت ثانية في حكم الناس عليّ. ربما يقولون: «تظاهر بأنه تنازل عن كل شيء لأسرته، وهو الآن يعيش بمفرده مستمتعاً، ولا يساعد أحداً»، واستأثتُ وفكرت في كيفية الرحيل، كما لو أنني أجهل أن عليّ أن أعيش أمام وجه الله الذي في داخلي، وألا يقتصر الأمر على عدم الاهتمام بحكم الناس، بل يصل إلى السرور بإذلالهم لي. آه، كم أنا سيئ، سيئ! الأمر الوحيد الجيد هو أنني أعرف ذلك، وإن كنت لا أتذكره دائماً، فقد تذكرته الآن وحسب. أنا سيئ إذن، لكنني سأحاول أن أكون أقل سوءاً. لم أستطع تمالك نفسي عن صرف كوبيلوا بعيداً بغضب عندما أمسكت بي وكنت قد بدأت لتوي أكتب في اليوميات. إينروت إنسان أصيل وجاد جداً، وهو متواضع وبسيط

وعميق. تانيتشكا (حفيدته) مريضة، وها هم يهرعون إلى الأطباء جميعًا
ويبددون المال، بينما يموت الفلاحون من فرط الحاجة. نعم، الرحيل
مستحيل وغير ضروري، لكنني أنشد الموت على أي حال، عالمًا أن
هذا أمر سيئ، بل شديد السوء. راجعت بالأمس مقالتي عن الثورة...
لا بأس بها.

الرابعة صباحًا. كتبت بضعف وعلى نحو سيئ، بل شديد السوء في
مقالة الثورة. تحسنت حالتي الروحية. نعم، نعم، ابتهج عندما يذمونك.
لا شيء يمكنه أن يدفعك بهذه الصورة. كتبت بعض الخطابات الصغيرة.
كنت على وشك التنزه بالجواد، لكنني عدت بسبب المطر.

١٦ مايو.

وصلني البريد مساء أمس. خطابات غير مهمة، لكنهم نشروا
خطابي للكاهن ولتريجيوفوف في الصحف، وكان لهذه الخطابات عليّ
تأثير مسكر كالخمر. لا بد أن مرَدَّ ذلك إلى الاهتمام بحكم الناس.
ولأنني لم أعد أشعر بتلك الشهوات الجسدية. أصبحت مريضًا بالكبرياء
بشدة إذن، ولا يمكنني التحرر منه. بالأمس، وعندما أدركت أن هذه
الخطابات تُجبرني على الحديث عنهم، فكرت في أن عليّ ألا أتحدث
عنهم، خاصة في حضور ابني سيريوجا. وهكذا كنت أمسك نفسي
عن الكبرياء من أجل الاهتمام بحكم الناس، والآن أفعل ذلك لأجل
الكبرياء ذاته. مساء أمس عانيت من حرقة المعدة بدرجة لم أعهدها
من قبل، واستمر الأمر طوال اليوم صباحًا. نمت حسنًا، واستيقظت في
ساعة متأخرة. جاءني عشرة متسولين، ورفضت أن أعطيهم جميعًا مالا

دون غضب، ولكن كان من الممكن أن يمضي الأمر على نحو أفضل. ثم ذهبت إلى الحديقة لأعمل على مراجعة بروفة الطباعة (لدورة قراءات). لم تَرُق لي تمامًا. أجريت تصحيحاتي. أشرب الآن مياهًا مغلية، لكنني لم أتناول شيئًا. أفكار:

١ - الحقيقة أن هذا الوعي المريض بالكبرياء الذي أختبره يحدث بسبب ضعف بقية الإغواءات، لكن إن استثنينا الشهوة الجنسية، فإنه واحد من أضر الإغواءات وأكثرها فتكًا. السبب الرئيس لذلك هو أنه يُستبدل بالشعور أو الوعي الديني، لذا فهو يكاد يكون أسوأ الإغواءات وأكثرها ضررًا. بالنسبة لآخرين قد يكون الضرر والنفور من الشهواني أو البخيل أو الغضوب أو الكذاب، أما بالنسبة لي: المتكبر الذي يفعل كل شيء من أجل آراء الناس هو أسوأهم، لأن هناك حدًا لبقية الضلالات، أما هذا فلا حد له.

٢ - هناك إيمان واحد يمكنه أن يحرر الإنسان من هذه العبودية لرأي الناس.

٣ - العمل الأول في التربية هو تعويد الأطفال والبالغين على السواء على تكوين عاداتهم دون الالتفات إلى رأي الناس.

٤ - تعود قوة هذا الشعور الرهيبة إلى اتصاله بالحب، خاصة مع الرغبة في أن تكون محبوبًا، ويتمثل لنا في صورة حب. تقول لنفسك: «أنا لا أفعل ما يتنافر مع رأي الناس حتى لا أؤزقهم، وأفعل ما يوافقهم كي أسعدهم». حسنًا أن تتدرب على فعل الأعمال الصالحة التي لا يُقَرُّها الناس.

الساعة السادسة. لم أفعل شيئًا. أشعر بضعف شديد. خرجت
بالجواد. أفكار:

١ - تعود أهمية العبادة القائمة على الحب إلى أن أي عبادة أخرى لا
تتطلب بشكل عام بذل الجهد، وإن تطلبت جهدًا يكون هينًا وخارجيًا،
مثل أن تنهض مبكرًا وتذهب إلى الكنيسة وتردد الصلوات... إلخ،
أما العبادة القائمة على الحب للناس، فتتطلب جهدًا داخليًا وروحيًا؛
أن تستدعي إلى ذاكرتك دائمًا فكرة أن المائل أمامك هو تجلُّ لله،
وتستدعي في داخلك أسمى حالة روحية يمكنك استدعاؤها.

٢ - لن نجد الله في الهياكل أو الصور والصلوات والأسرار، ولا
في الأعمال الإنسانية، بل في الإنسان نفسه وأمام باصره؛ في المومس
والجلاد ومن يسوقونه إلى الإعدام... يمكنك أن تتأمل الله بوقار في
هؤلاء جميعًا.

١٧ مايو.

نمت طويلًا مجددًا. من الواضح أن ذهني مجهد. أشعر بذلك.
الأمر ليس سيئًا، لكن يحول بيني وبين الخدمة. عملت كثيرًا. أظن أنني
أنهيت (الخطوة الحتمية)^(١٥٦). أنعم بصحبة الفتيات الصغيرات، مثل
تانيتشكا (حفيدته) وكانداروفا (ابنة أحد الفلاحين).

أخشى أن أخطئ، لكن يبدو أنني بدأت أعود على حالة روحية
متحررة من العناية برأي الناس، ويا له من هدوء، ويا لها من صلابة! هذه

(١٥٦) عنوان آخر لمقالة (الثورة الحتمية).

الحالة غير ممكنة إلا عندما تصبح الحياة بأكملها محض تنفيذ لإرادته ومتطلباته في ضمائرنا، والوعي به في أنفسنا.

١٩ مايو.

لم أكتب يومياتي بالأمس. بدا لي ما أنهيت به يوميات أول أمس، حينما كتبت أنني بدأت أعود على الوعي باعتمادي على الله وحده، وبالتالي عدم اعتمادي على آراء الناس غير صحيح مساء أمس واليوم. قرأت مقالة غبية عني تتعلق بإرتيل^(١٥٧)، وشعرت بالضيق، لكنني لم أستطع أن أعيد إلى نفسي الهدوء والصلابة بالله. قضيت يوم أمس على نحو جيد. راجعت خطابًا عن التربية الدينية، وراجعت (الثورة الحتمية) على نحو لا بأس به. استمعت إلى حديث كئيب جدًا من قبل صوفيا بخصوص ثمن الأرض التي تبيعها. لم أقل شيئًا، ولكن مجرد الاستماع إلى ذلك كان كئيبيًا، وكل ذلك بسبب أنها فقدت تواصلها معه (يقصد الله). جاء العزيز نيكولايف مرتين. يا له من عامل مدهش وفقًا لهنري جورج^(١٥٨)، وبشكل عام أيضًا! خرجت بالجواد، وتحدثت مع جروشتسكي هاتفياً، وقرأت لجوته وقرأت الصحف. كان كل شيء سيمر بخير لولا أنني أثناء القراءة بالمساء شعرت أنني فقدت تواصلتي بالله، ويبدو أنني استعدته الآن. عونك! لقد أعتنتي فعلاً. من الجميل والمفيد أن أعيد قراءة صلوات قصيرة.

أكتب في الحديقة. نمت قليلاً، لكنني أشعر بالحيوية. أنتظر أخباراً عن تانيتشكا.

(١٥٧) تعلقت المقالة بخطابات الأديب الروسي إرتيل، لكنها هاجمت آراء تولستوي الأخلاقية.

(١٥٨) عالم اقتصاد له كثير من الآراء بخصوص مشكلة الأرض الزراعية (راجع الأجزاء السابقة).

٢٠ مايو.

راجعت بالأمس مقالتي عن التربية والثورة الحتمية وخطابًا
لأمريكي. لم يصل الخطاب بعد إلى المستوى المطلوب. ذهبت إلى
تيلياتينكي (ضيعة تشيرتكوف). مساء معتاد. قرأت بعض الخطابات.
قرأت مقالة روزفلت^(١٥٩) عني. مقالة غبية، لكني مسرور. أثارت
كبريائي، لكن تحسنت حالتني بالأمس. نعم، على أن ألتزم بعملين: أن
أتذكر في وجودي مع الناس شيئًا واحدًا؛ أن موافقتهم على ما أفعله لا
تهمني وغير ضرورية، بل ما يهم هي موافقة الله الكائن بداخلي. الأمر
الثاني أن الموجودين أمامي ليسوا مجرد أناس، لكن الله موجود فيهم،
وأني كائن أمام الله، وهو موجود بداخلي وبداخلهم أيضًا. يعني ذلك
ألا أشغل بالي بحبهم أو احترامهم لي، بل بحبي واحترامي لهم ككيان
إلهي.

٢١ مايو.

يزداد تذكري لذلك. بدا لي بالأمس أنني أتذكر الأمر دائمًا. وهكذا
أظن أن حالة بهجتني لا تتعلق بالمعدة. راجعت بالأمس خطابي لأمريكي
ومقالة الثورة الحتمية. لم أخرج منذ صباح اليوم وترجمت خطابي
لأمريكي بأكمله. لم أرسله، لكني راجعته. جاءني صباح اليوم مراسل
جريدة (الكلمة الروسية). حكيت له عن (المعالم الرئيسة) وأمليته

(١٥٩) ثيودور روزفلت: سياسي وكاتب ومستكشف أمريكي، شغل منصب رئيس أمريكا
من ١٩٠١ - ١٩٠٩. كتب مقالة عن تولستوي امتدح فيها أعماله الفنية وانتقد آراءه الدينية
والفلسفية.

تصريحًا. لم يحدث شيء سيئ على وجه الخصوص، ولكن كان من الأفضل لو لم أفعل بعض الأمور. أود بشدة أن أنشر علنًا خطاب الفلاح الذي وصلني، وهو أمر مشروع. وصلت لنا^(١٦٠) بصحبة الأطفال. عاد دوشان. انقضت الخطورة^(١٦١)، على الأقل حاليًا. يبدو أنني أحزنت لنا في المساء بالحديث عن التربية الدينية للأطفال. أمر سيئ. الربيع فاتن. الساعة الآن الحادية عشرة. حالي الروحية بخير، ولكن ليست لدي رغبة في الكتابة. جاءني بالأمس شخص مثير للاهتمام جدًا، سيرًا على الأقدام من سيمبيرسك. تحدث حسنًا وطويلاً، ولكن أفضل ما قاله هو إن الغذاء الروحي هو أهم ما يحتاج إليه الشعب الآن.

٢٢ مايو.

أفسدت بالأمس خطابي لأمريكي ومقاتلي عن الحب. أسلك على نحو لا بأس به، لكنني لا أتذكر عند تعاملتي مع الناس أن الله بداخلهم. أجدني في كل مرة قد فهمت الأمر بعد فوات الأوان (بالفرنسية). جاءني عامل روسي مفعم بالحيوية، يتحدث كثيرًا ولا يستمع. ذهبت إلى تيلياتينكي. زرت آل نيكولايف وجاليا، وكنت بخير عند كليهما. لنا وماشا والأطفال بالمنزل. أحزنتني سيريوجا مساءً بحديثه عن «الحق». وصلنتي خطابات جيدة. استيقظت اليوم مبكرًا. تمشيت في الحديقة ثم جلست لأستريح. أرى فلاحًا قادمة صوبي. حسنًا أنني تذكرت أن الله يسكن فيها. تبين أنها شورايفا، وهي امرأة فقيرة ماتت حفيدتها،

(١٦٠) زوجة ميخائيل ابن تولستوي.

(١٦١) يقصد الفرغرينا التي ظنوا أنها أصابت قدمه.

وجاءت تطلب مألًا. حاولت أن أخترق أعماق روحها حيث يوجد الله الموجود بداخلي، بداخلها أيضًا. فعلت ذلك فتحسن حالي. عونك يا إلهي لأستمر على هذا الحال دومًا.

١- حفل تكريمي هو أمر سيئ. ما جعلني أفكر كذلك هو حفل تكريم ميتشنيكوف^(١٦٢). من الواضح أن كلينا سنكون تافهين إن سُررنا بترحيب الحشود بنا. ما يعزيني قليلًا هو أنهم يوبخونني، ولا أقصد بذلك بعض الغيورين، بل يوبخونني بشدة فعلاً؛ خاصة الثوار والإكليروس (رجال الكنيسة).

٢- لدينا خرافتان شديدتا الفجاجة والضرر؛ الأولى: هناك إله قد خلق العالم والإنسان، ومنح الأخير قانونًا مُحددًا مصاعًا في صورة كلمات محددة. الثانية: العالم الذي ندركه بحواسنا هو في حقيقته كما يبدو لنا تمامًا، وأن حياتنا، أو قانون حياتنا تتحدد بعلاقتنا بهذا العالم. تنتشر الخرافة الأولى بين الحشود، ومهما كانت درجة فجاعتها، تظل أقل فجاجة وضررًا من الخرافة التي شكلتها الأقلية بشأن استرشادهم في الحياة بما يستنتجونه من علاقتهم بالعالم الذي يدركونه بحواسهم، وعدم اعترافهم بمنظورنا للحياة القائم على الإيمان، في حين أن منظورهم ليس إلا نوعًا آخر من الإيمان، لكنه أكثر سخافة.

٣- عدم المساواة المادية وتقسيم العالم إلى دول يؤدي إلى الاتي: يتوجه مسار الاختراع صوب اختراع وسائل راحة وتسلية لقلّة من الناس، وإلى الصراع العسكري. كما يتوجه النشاط إلى إرضاء هذه

(١٦٢) مدير معهد باستور بباريس، وقد نال جائزة نوبل.

القلة بالخدم والممثلين والكتّاب والرسامين.

٤- إن أردنا تحقيق التحرر من شروط حياة العالم، لا بد من توفر وعي دائم بالانتكال على ذاك الحاضر بداخلي وبداخلك.

٥- ما مغزى الحياة؟ أهو الخير أم الشر؟ ما الله؟ ما الروح وما المادة؟.... إلخ. يطرح طالب صبي كل هذه الأسئلة، متصورًا أنه يتمتع وحده بالذكاء الكافي لطرح مثل هذه الأسئلة، بينما هو مسكين وجاهل وبائس، وهو أحمق مفرط الثقة في نفسه لدرجة أنه لم يعرف أو يفكر في أنه من غير المعقول ألا تكون مثل هذه الأسئلة قد راودت أعظم عقول العالم، وأنهم قد طرحوا إجابات ليست لديه أي فكرة عنها. هذا النوع من الجهل نجده أكثر اعتيادًا لدى الحمقى وأكثر التصاقًا بهم.

٦- يبدو الرجل مثيرًا للضحك إن تباهى بوجهه وجماله، وتبدو المرأة كذلك إن تباهت بقوتها البدنية وعقلها.

٧- الحديث بجدية عن (الحق) في ظل وجود حق ملكية الأرض يماثل الحديث عن الحق في امتلاك عبيد ونظام بيعهم.

٢٣ مايو.

راجعت بالأمس مقالتي عن الحب. لا بأس بها. تعثرت في خطابي إلى أمريكي. راودني شعور غير طيب صوب سيريوجا بشأن (الحق) لكنه انقضى. خرجت بالجواد. نسيت... جاءني تاجر ضعيف البصر ومؤثر جدًا، حتى إننا انخرطنا في البكاء معًا. لم أفعل شيئًا بالأمس. خطاب تشير تكوف جيد. اليوم جاءني تاجر من تومسك من المنشقين

(راجع حاشية ١٠٢). شخصية أبيه مؤثرة حقًا وأتعاطف معها. شيء ما سيحدث اليوم. حالتي الروحية جيدة.

٢٤ مايو.

كتبت قليلًا عن الحب والتربية مجددًا. ذهبت إلى آل تشيرتكوف. سلكت بشكل سيئ مع المحقق الخاص بقضية تشيرتكوف؛ لم أمد له يدي، ولم أستطع بعد ذلك أن أقول ما توجب قوله. وصل ميخائيل سيرجيفيتش، وبدا لطيفًا كالعادة. في المساء جاءني التاجر ليتشيف مجددًا. تحدث طويلًا عن نظريته الصوفية في تفسير الأسرار (الكنسية). بعدها جاء كالاتشيف والعزیز نيكولايف. أشعر بإنهاك ذهني شديد.

لم أستيقظ اليوم مبكرًا. عادت صوفيا. مشاغل دائمة ومشاعر غير طيبة. وصلني ألبوم صور رائع من بولينوف^(١٦٣). أظن أنني كتبت في مقالتي عن الحب وفي خطابي لأمريكي، بشكل لا بأس. صحتي وحالتي الروحية بخير. سأدوّن ما يبدو لي مهمًا من أفكار:

لا وجود لحياة أخلاقية في غياب الحب لشخص ما، أو للقريب بصورة عامة، ولا يمكن تحقيقها، وكذلك في ظل السماح بالعنف. في غياب مفهوم عدم المقاومة، لا وجود لحب القريب، ولا يمكن تحقيقه، وبالتالي في غياب قانون عدم المقاومة لا وجود لحياة أخلاقية. الاعتراف بالحب في غياب عدم المقاومة هو محض كذب ورياء فجّين. حينها يصبح قانون الصراع دون كذب أكثر أخلاقية.

(١٦٣) رسام روسي صور في هذا الألبوم بعض مشاهد حياة المسيح.

ظننت بالأمس أنني أنهيت مقالتي عن الحب وخطابي لأمريكي. عادت صوفيا. آسف عليها بشدة. ذهبت إلى تولا بالجواد عدوًا ووصلت بخير. ميخائيل سيرجيفيتش بالمنزل. أعطيته مقالة الثورة الحتمية ليقرأها. أدلى بملاحظات سليمة بشأنها. تأخرت اليوم في الاستيقاظ. أثناء تمشيتي في الحديقة فكّرت في السرعة، وفي تماثل الزمن: نهار وليل، ويتكرر ثانية فثالثة، وتطير الأعوام والعقود. وفجأة شعرت بحيوية خاصة بالآتي:

١ - ليس الزمن سوى الإطار الذي أعى فيه حياتي وأنعم بفرحة قضائها فيه. حياتي بأكملها موجودة فعلاً بالنسبة لجوهر الحياة؛ الله. يعيش الله فيّ وفي قلب عدد لا نهائي من الكائنات، ويمنحني وكافة الكائنات فرحة الحياة وخيرها. ما نسميها (إرادة حرة)، أو الحرية بوجه عام، هي إمكانية السماح من عدمه بدخول الله إلى أنفسنا ليتمكن من خلق حياة ويعيش. عدم السماح له بذلك يحرمني من خير الحياة، لكن لا شيء يمكن أن يمنعه عن العيش، فهو يعيش في قلب عدد لا نهائي من الكائنات، بمعنى أنه أمر لا تمكّني الإحاطة به. علاوةً على ذلك هو يعيش أيضًا في تلك الكائنات التي لا تسمح له عن وعي بدخوله إليها، ويحقق أهدافه. أمر واحد يهمننا هنا: بامتلاك الإنسان بوجه عام، كل واحد منا، لخير حياته بشكل غير واع، يمكنه أن يُحقق أكبر خير بشكل واع؛ أن يكون أداة لله، متحدًا به فورًا، ويصبح كيانه وحياته والله واحدًا.

يسقي المطر الأراضي والغابات والسهول، والعشب الذي في السهول، والأشجار والحشائش، فتنال برطوبة الماء فرحة النمو والإزهار والإثمار، ولكن الرطوبة والمطر يغمران أيضًا الأرض غير المزروعة بعد، ويلينها، ويعدانها لاستقبال البذور كي تنمو فيها. كذلك هو الأمر مع الناس؛ البعض يشاركون عن وعي في الحياة الإلهية، والبعض يشاركون فيها على أي حال دون أن يعوا ذلك.

صياغة غير واضحة، لكنني أفهم ما أريد قوله (بالفرنسية).

٢٦ مايو.

واصلت بالأمس الكتابة في (لا مذنبين في هذا العالم)، وعملت بكد، لكنني لم أستطع اليوم. كتبت خطابًا لتشير تكوف. دار حوار كئيب مع صوفيا عن الضيعة. أشعر بالأسف لأنني لم أحدثها عن خطية ملكية الأرض. بدت المسكينة مضطربة على الغداء ثانية. عندما تحبها تبدو لك مثيرة للانتباه، وعندما لا تحبها تبدو لك شديدة البساطة. هكذا هو الأمر مع الناس جميعًا. خرجت بالجواد. يعلو الماء بطن الجواد. لم أنم قبل الغداء، شعرت بالضعف. كتبت كثيرًا اليوم في (لا مذنبين في هذا العالم) ثم نحتيتها بعيدًا. إنها سيئة. ليست لدي رغبة حقيقية في الكتابة. يكفي ذلك، ليست لدي أفكار.

٢٧ مايو.

بالأمس حدث لقاء مؤثر جدًا مع طالب جاء للقاء خصيصًا من القوقاز. قال جوسيف إنه ربما متسول. قدم لي مظروفًا وطلب

مني أن أقرأ ما فيه. في البداية رفضت، ثم قرأته حتى النهاية. كان عن الأحادية^(١٦٤) وهيكلم^(١٦٥). حدّثته بطريقة غير طيبة؛ فاضطرب بدرجة مروعة. عرفت بعدها أنه مصاب بالسّل، وحالته ميؤوس منها. كان على وشك الرحيل وقال لي إن قراءته لكتابي (عن الحياة) كانت حدثًا هامًا بالنسبة له. اندهشت وطلبت منه البقاء، ثم انتهيت من قراءة ما قدّمه لي. بدا لي حينها أنه شديد القرب مني، بينما أنا قد أسأت إليه وعدّته. شعرت بالألم والخزي. طلبت منه أن يسامحني؛ فبات في القرية. جاءني صباح اليوم وتحدّثنا برقة معًا. إنه إنسان مؤثر للغاية، وقد أحببته. ظننت اليوم أنني لن أكتب ثانية، وها قد أقبلت على العمل وكتبت كثيرًا. قد لا ينتج شيء عن ذلك. لا أعرف التفاصيل. ذهبت بعدها بالجواد إلى جاليا وأوليا، والتقيت بنيكولايف وجولدفايزر، وسعدت بلقائهما جدًّا. عليّ تدوين أمر واحد وحسب:

لسنا في حاجة إلى حبنا الخاص والاستثنائي للقريب إلا لنرى كيف يجب أن نحب الناس جميعًا. علينا أن نرى في المومسات بنات لنا، ونعاني من أجلهن معاناتنا لأجل ابتنا المحببة. سأذهب لتناول الغداء.

٢٨ مايو.

عاد ليف. في وجوده أشعر بالضيق. حمدًا لله لم أخرق متطلبات

(١٦٤) نظرية فلسفية تقول إن الأشياء المتنوعة الموجودة في الكون تتكون من مادة واحدة، وبهذا تكون خاصية الكون الأساسية هي الوحدة. تتعارض هذه النظرية مع الثنائية التي تقول بوجود واقعين أو التعددية التي تقول بوجود أكثر من مادتين.

(١٦٥) إرنست هيكلم: فيلسوف وعالم أحياء ألماني. اكتشف الآلاف من أنواع الكائنات الحية. قدّم نظريات تشارلز داروين في ألمانيا وطور نظرية حول أصل الإنسان.

الحب، لكن لا يسعني ألا أتفاداه، وألا أصمت إن استمعت إليه. خرقت صمتي مرتين وحسب: عندما أعرب عن عدم رضاه عن حياته؛ فقلت له أنني أعتقد أن من الضروري أن يعيش المرء حياة روحية. في المرة الثانية عبّرت عن نفوري حينما أعرب عن تعاطفه مع فكرة قتل ستوليين (١٦٦) وبرّر الفعلة. في المساء تحدث بغباء شديد، وصمتُ طوال الوقت. جاءني صبي خياط، واحد من أولئك الراغبين في تغيير الحياة فوراً. ألمني مساء اليوم الجانب الأيسر من رأسي بشدة، ولم أنم بسببه. لا بد أنني لم أستطع أن أكتب بسبب ذلك. الساعة الآن الواحدة. جاء يفدوكيموف الإسكافي، وعملنا معاً. من المخزي أنني شعرت بالضيق أمس بسبب خطاب يديني على عدم توزيع أملاكي على الفلاحين.

٢٩ مايو.

جاءني بعض معلمي المرحلة الثانوية. حدّثتهم باضطراب، ونسيت مجدداً أن الله يسكن قلوبهم. تمشيت بهدوء في الحديقة والتقيت بميتاشا أوبولينسكي.

استيقظت اليوم شاعراً بالحيوية. خرجت، والتقاني متسولون من تولا. نسيت مجدداً، وتحدثت معهم بطريقة غير طيبة، رافضاً إعطاء صدقة. ذهبت إلى الحديقة وفكرت على نحو جيد جداً. قرأت بالأمس خطاب تشيرتكوف الجيد لكوزمين. راجعت اليوم قليلاً (لا مذنبين في هذا العالم) على نحو متوسط وانشغلت بمقالاتي عن الحب. حظيت بنزهة جيدة بالجواد حتى كوليين. أفكار:

(١٦٦) سيُغتال ستوليين رئيس الوزراء ووزير الداخلية فعلاً في سبتمبر ١٩١١.

١- اتصال إنسان بآخر هو السر الأعظم والوحيد، فهو يعني أن تدرك الله في الآخر. آه لو أفهم سره!

٢- لا يستطيع مَنْ يفكرون قليلاً وينغمسون كلية في شؤونهم أن يضعوا أنفسهم بالفكر مكان الآخرين. هذا أمر مهم.

٣- في اتصالك بالناس لا تفكر في منفعتك، بل في كيفية حكمك على نفسك. فكر في منفعة من تتصل به، ولا تفكر في كيف سيحكم عليك.

٤- أود بشدة أن أعرض في (لا مذنبين في هذا العالم) كيف يعيش الناس جميعاً من أجل أنفسهم؛ صامّين آذانهم عن الآخرين تماماً.

العزير إيفان إيفانوفيتش غاضب من تشيرتكوف^(١٦٧). وصلتني بعض الخطابات اللطيفة. كتبت خطاباً عن النساء ردّاً على بعض الاتهامات^(١٦٨). دار جدال عن «النباتية» بين نيكولايفا و... نسيت. تدخلت وربما أغضبت (...)، وآلمني ذلك.

٣٠ مايو.

نمت قليلاً واستيقظت مبكراً. وصل ميتشنيكوف وبعض مراسلي الصحف. ميتشنيكوف لطيف، ويبدو واسع الفكر. لم أستطع أن أتحدث معه بعد. جاءني متسول كسيح، وعاملته بصلاح، حيث تذكرت أن الله بداخله.

(١٦٧) بعودة تشيرتكوف من إنجلترا لم يعد إيفان إيفانوفيتش قادراً على نشر جديد أعمال تولستوي في "الوسيط" لأن تشيرتكوف سيتولى نشرها بنفسه.

(١٦٨) بشأن آرائه عن حقوق النساء، وعن سبب تخليه عن أملاكه لأسرته لا الفلاحين.

١- في تعاملك مع الناس، عليك ألا تفكر في رغباتك، بل رغباتهم، ولا تفكر في حكم مَنْ تتعامل معهم عليك، بل في الحكم الذي ستكونه عن نفسك بشأن طريقة تعاملك معهم.

٢- توجب عليّ بذل الجهد لأستدعي إلى ذهني الحكم الذي سأكونه عن نفسي حيال تعاملتي مع الكسيح. وذلك بسبب أن هذه العلاقة كانت كما يجب أن تكون؛ جيدة. لا يمكن لأفعالنا الصالحة أن تبهجنا، ولا يجب أن يحدث ذلك. البهجة والخير ليسا في أفعالنا، بل في الهدوء والحرية اللذين تمنحنا أفعالنا إياها.

الساعة الآن الثانية عشرة ظهرًا.

٣١ مايو.

أواصل ما حدث في ٣٠ مايو. بدا ميتشنيكوف طائشًا جدًّا، غير متدين. انتهزت فرصة عمدًا لأتحدث معه على انفراد عن العلم والدين. عن العلم: لا شيء سوى الإيمان بحالة العلم التي تبرر ما كنت أطلبه به. أما عن الدين، جُوبهت بالصمت، وظهر بوضوح إنكار ما يُعتبر أنه الدين الحقيقي، وعدم فهم، وعدم رغبة في فهم ماهية الدين. ليس لديه أي تعريف عن العلم أو الدين، في الوقت الذي يحاول فيه تبني منظور هيجل وجوته وتورجينييف الجمالي. إنه ثرثار حقًّا. تركته يتحدث، وسررت حقًّا بعدم مقاطعتي له. كالمعتاد، قبالة المساء شعرت بالضيق من فرط ثرثرته. عزف جولدنفایزر بروعة.

استيقظت في وقت متأخر، فأنا لم أنم جيدًا. رأيت كابوسًا مفرعًا.

هناك نموذج يتطور في ذهني لمثقف ثوري. أردت أن أكتب، لكنني انهمكت في مراجعة (الوصية الوحيدة) طوال فترة الصباح. وصل مراسل صحفي، وبعث فيّ الضيق وشعرت بزيفه. جاءت فيرا (ابنة أخيه) من بيروجوفو. يؤلمني التفكير في وضعها^(١٦٩). سلكْتُ على نحو معقول. لم تراودني أي مشاعر شريرة صوب أحد، لكنني أشعر بالغم من جنون الناس ومن تعذيبي لذاتي. سأذهب لتناول الغداء.

١ يونيو.

جاء بعد الغداء ثلاثة زوار: عامل من اتحاد الشعب الروسي - رجل ثمل، حاول إقناعي بالعودة إلى الكنيسة، وهو طيب في العموم لكنه مجنون تمامًا - امرأة جلبت معها مظروفين كبيرين تطلب مني قراءتهما، بعنوان (صرخة من القلب). أشعر بكبرياء ورغبة مجنونة في الكتابة وأنانية. خاب أُملي، عليَّ التحلي بمزيد من الهدوء. بعدها جاء مراسل (الصباح الباكر). كم أنا مسرور لتوقف شعوري بالضيق من ليوفا! لم أستطع أن أسأل فيرا عن طفلها... كيف حدث ذلك؟

استيقظت اليوم في الخامسة، وسجلتُ أفكارًا كثيرة مهمة وجيدة خاصة بـ (لا مذنبين في هذا العالم) و(الوصية الوحيدة)، وكذلك عن الله، والخطوط العريضة المتعلقة بالحديث المزمع إجرائه مع بعض الطالبات^(١٧٠). من الغريب أن أقول إنني للمرة الأولى أفهم بوضوح وقوة شديدين الآتي: أمر من الاثنين: إما لا وجود لله، وإمّا لا وجود لشيء

(١٦٩) أنجبت ابناً غير شرعي بعد علاقة انفصمت عراها.

(١٧٠) زيارة كان مخططاً له من طالبات جامعة سان بطرسبرج، لكنها لم تتم.

على الإطلاق سواء. بدأت أكتب على نحو رائع في (الوصية الوحيدة)، ولكن سرعان ما ضعفت قوتي الذهنية، قرابة الثانية عشرة، وتوقفت عن العمل. جاءني ناشر (الجريدة النباتية). تنزهت قليلاً بالجواد.

٢ يونيو.

مساء اليوم قرأت بعض الخطابات غير المهمة. نمت اليوم كثيراً، واستيقظت شاعراً بحيوية لم أشعر بها منذ فترة طويلة. وصلتني برقية من ابن هنري جورج^(١٧١)، وأخرى من جريدة (الكلمة الروسية) تتضمن بروفة الطباعة لمقالة ميتشنيكوف. راجعت بروفة الطباعة وكتبت عن هنري جورج وأرسلت ما كتبت له (الكلمة الروسية). أظن أنهم لن ينشروها^(١٧٢). بعد ذلك راجعت (الثورة الحتمية) بأكملها. إنها جيدة حتى الفصل الثامن، ولكن يلزم العمل مرة أخرى على الخاتمة. كتبت حتى الثالثة. لم أتناول فطوري ولم أتنزه بالجواد، وتمشيت في الحديقة. تساقط المطر. الساعة الآن الخامسة. سأستلقي قليلاً.

أفكار:

١ - الإنسان غير مفطور على القسوة، ولا يفسرها سوى ضيق مجال رؤية الأهداف، بتركيز كافة جهود الحياة على الهدف. وكلما ضاق مجال الهدف، ازدادت القسوة. يضع الحب خير الآخرين هدفاً له، وبالتالي لا يؤدي إهمالها لأي هدف آخر إلى التوافق مع القسوة.

(١٧١) وصل إلى روسيا وأرسل برقية يطلب فيها الإذن بزيارة تولستوي، ووافق الأخير.

(١٧٢) كانت المقالة عن مشكلة الأرض، ولم ينشروها فعلاً، ولكن نُشرت في (المجلة الروسية).

٤ يونيو.

لا أتذكر ماذا حدث في آخر ليلتين. أَلَمَني قَدَمي، وضمَدتها. صباح الأَمس، كَتَبت قَليلاً في (الوصية الوحيدة) وأَظنّها أَصبَحَت أَفضَل.

وصلَني خَطاب جَيد من تَشيرتكوَف. قَضيت اليَوم كُلّه على المَقعد. في المِساء جِاء آل نيكولايف. تَوبِخاتِه لي رَائعة؛ تَلك الَّتِي تَعلُق بِأَني في حَديثي عَن هَنري جُورج أَتَوجِه إلى الحُكُومَة، مَنتَظِراً شَئْماً ما مِنها. هُم أَنفُسَهم المَذبُون. إِنها ذات الفِكرَة المَوجودَة في خَطاب تَشيرتكوَف. وصلَني خَطابات غير مَهمَة. قَرأت لَصونيتشكا (حَفيدَتَه) ما كَتَبته عَن الإِيمان. لَيس هَذا ما أَرَدت كَتابَتَه. اليَوم، حَالة قَدَمي أَفضَل، لَكني أَشعر طَوال الوَقت بِالضَعف. وصل تروينوفسكي. لَم أَكُتِب شَئْماً، وَجَربت أَن أَعَلِّم صونيتشكا صَلاة، وَأَن أَكُتِب خَطاباً في صُورَة سَؤال وَجواب عَن فُحوى إيمانِي، كَما كَتَبت قَليلاً في (الوصية الوحيدة). حَالي العامَة سَئِئَة. سَأَمُضي لَتَناول الغَدا. أَفكار:

١ - عَن اللامَقاوَمَة: لا... لا أَستَطيع الكَتابَة ولا التَفكير. أَشعر بِضَعف شَديد.

٥ يونيو.

سَرت بِشَدة بَعزف تروينوفسكي بِالأَمس. جِاء تَشيرتكوَف وَجولَدنفايزِر. حَالي الصَحيَة سَئِئَة طَوال الوَقت. لَم أَفَعَل شَئْماً اليَوم. رَاجَعت قَليلاً (الوصية الوحيدة) ومَقالَتي عَن هَنري جُورج. وصل ابن هَنري جُورج ومَعه مَصور. إِنه لَطِيف. لا أَستَطيع تَعويد نَفسي على

أن أكون في حالة صلاة دائمة عند التعامل مع الناس. سأكتب صلاة لصونيتشكا (حفيدته).

١ - صلاة صباحية: أو من أن الله يعيش بداخلي وبداخل كل إنسان، لذا أريد أن أحبه وأبجله بداخلي وفي الآخرين، وبالتالي لا أفعل شيئاً يسوءه. أود ألا أؤذي أو أدم أو أدين أحداً، وأن أتنازل أمام الجميع، وأنشد لهم ما أنشدته، وأحبهم جميعاً.

صلاة مساءية: أو من أن الله بداخلي وبداخل الجميع، لذا لا أريد أن أفعل شيئاً يسوءه، وها قد فعلت كذا وكذا. أفكر في السبب الذي جعلني أسلك هكذا، وكيف أضمن ألا أكرر فعل ذلك ثانية.

٦، ٧ يونيو.

بالأمس كتبت خطابات جادة إلى حد كبير؛ خاصة ذلك الذي كتبتة عن هيكل والانتحار^(١٧٣). أظن أنني كتبت قليلاً أيضاً في (الوصية الوحيدة). عزف ترونيافسكي مجدداً في المساء. استيقظت اليوم شاعراً بقدر أكبر قليلاً من الحيوية. عملت كثيراً جداً وبجهد شديد في (الوصية الوحيدة). أرسلتُ برقية إلى تانيا أعلمها فيها أنني سأسافر إليها غداً بصحبة صوفيا أندرييفنا.

أفكار:

(١٧٣) أرسل شخص يُدعى يفيم كالافارسكي خطاباً لتولستوي بشأن مرضه الشديد بالسل، قائلاً إنه لم يستطع تحمل تكلفة العلاج، وتساءل ما إن كان عليه أن ينتحر لينقذ أسرته من التكلفة الباهظة التي يتحملونها بسبب مرضه. استشهد في ذلك بما كتبه هيكل عن وجوب وضع الاعتبارات العقلانية قبل أي شيء آخر عند اتخاذ أي قرار.

١- يمكننا أن نعرف الله على ثلاثة مستويات: الإيمان- العقل- الحب. يمكنني أن أؤمن بوجود الله الذي حدثوني عنه. يمكنني أن أصل بالفكر إلى الاعتراف بوجود جوهر لكل شيء، ووجود كيان ما خارج نطاق الزمان والمكان، لا يُحاط به، وأن أتوصل إلى ضرورة الاعتراف إما بالنهاية وإما اللا نهاية، وما يتضمنه ذلك من دلالة على عدم وهم ما نتصور أنه الواقع. أخطأت التعبير، أريد أن أقول إن كل ما هو مادي ويشغل حيزًا محدودًا في مكان غير محدود، ويحدث زمنيًا في إطار لا نهائي زمنيًا، ليس له وجود حقيقي. ما له وجود حقيقي هو الخارج عن نطاق الزمان والمكان، إنه الكيان الوحيد الفعّال حقًا، وهو ما نسميه «الله». يمكننا أن نصل إلى الاعتراف بوجود الله بأن نعي وجود هذا الكيان اللا زماني واللا مكاني في داخلنا. لا يمكن أن يتحقق هذا الإدراك بوحدتنا معه إلا بالحب.

٢- أشعر أنني شديد الغباء، لكنني أجروء على قول إني صالح. أقول من كل قلبي بحماسة وتلقائية أنني أفكر وأفعل أمرًا واحدًا؛ أن أفعل ما يستحسنه، وأني أجروء على اعتبار نفسي عضوًا في كيانه. أسلك طوال الوقت بغباء وحماسة، لكن هناك دفء وسرور وصلاح في روحي. سأمضي لتناول الغداء.

لا أذكر إن كان هناك شيء آخر يستحق التدوين. حالتي الصحية سيئة طوال الوقت؛ معدتي وحالتي المزاجية السيئة، لكنني متماسك.

٨ يونيو - كوتشيتي (١٧٤).

استيقظت مبكرًا ورحلت. كانت الرحلة جيدة. دار حديث مع قائد عسكري من متسينسك، أرثوذكسي محافظ، عصي على التأثير. تانيا العزيزة وميشا، وأخيرًا وليس آخرًا تانيتشكا الصغيرة. شعرت بحيوية شديدة بجنون ولا أخلاقية ترف من في السلطة والأثرياء، وفقر وقمع الفقراء، حتى إنني أعاني جسديًا تقريبًا من وعيي بالمشاركة في هذا الجنون وذلك الشر. أسكنوني هنا في ترف جنوني، بصحبة ثلاثة آخرين جلبوهم لي: طبيب - سكرتير - خادم. من المؤسف أن كل ما كتبه سابقًا في يوم ٩ يونيو من (دورة قراءات) يتعلق بهذا الموضوع. أرشدني لإجابة سؤال: ما العمل؟

٩ يونيو.

حالي الجسدية كما هي، لكن الروحية جيدة جدًا. راجعت اليوم (عن الحب) قليلًا. أصبحت مقبولة. ألّفت ثلاث صلوات قصيرة، أحاول حفظها. سأستفيد منها. اختبرت شعورًا كثيرًا مخزيًا حين وجدت العامة في الطريق لا يعرفونني. كم تشبعت روعي بالكبرياء الخسيس! أفكار: ١ - اختبرت بالأمس لأول مرة شعورًا مبهجًا جدًا بالتسليم الكامل لإرادته، واللا مبالاة الكاملة بما سيحدث معي، وغياب كافة الأمان عدا واحدة؛ أن أفعل ما يريده. أختبر ذلك الآن. أدركت ذلك من زمن بعيد، كحقيقة انكشفت لي بالعقل، لكنني لم أختبر ذلك كشعور إلا الآن،

(١٧٤) الضبعة التي تعيش فيها ابنته تانيا.

شعور بالتوجه نحوه والرغبة في أن يصدر لي أوامره بشأن: ما العمل؟
تعودت على الصلاة، وعلى انتظار الرد عند إجراء أي حديث إنساني.
ولكن هذا محض خداع للنفس. الإجابة في روحي. أشكرك... كم هذا
حسن! أشتم رائحة الإجابة، وأشعر بسرور حد البكاء.

٢- بخصوص فضج التفاح وكل أنواع البذور بشكل عام: لا أعرف
ما إن كنت سأنجح في التعبير عن مرادي أم لا. الفكرة كالآتي: يتداعى
جسدي، وكذلك التفاحة الناضجة. يتداعى غشاء التفاحة، ولا تبقى
سوى البذور التي تنتج مزيدًا من التفاح. يبدو الأمر أوضح في بذور
أخرى كالكلأ، لا تكتسب قشرة خارجية. هل يمكن أن تكون مهمة
التفاحة أن تنتج مزيدًا من التفاح وحسب؟ أيمن أن تكون هذه هي
مهمة الإنسان؟ ولكن في التفاحة هناك ما يمكن أن يؤكل غير البذور
التي تنتج مزيدًا من التفاح، وهذه في حد ذاتها مهمة أخرى. من الواضح
أن الأمر مماثل مع الإنسان؛ أي أن هناك مهمة أخرى غير التكاثر. علاوة
على ذلك، لا بد أن المهمة الأخرى هي الحقيقية والرئيسية، فالتكاثر
مهمة تافهة، بل إنها ليست حتى بمهمة؛ لأنه لا معنى للتكاثر في حد
ذاته. ما هي المهمة الرئيسة إذن؟

لا أريد مزيدًا من الكتابة والتفكير، ولن أفعل.

١٠ يونيو.

أنام نومًا حسنًا، لكن معدتي لا تعمل جيدًا، لذا أفنقر إلى النشاط
الذهني اللازم للعمل. تنزهت بالأمس في الحديقة بصعوبة شديدة.
رغم ذلك فكري يعمل. تحدثت مع الحفارين. كم أود أن أكتب ذلك

العمل الإبداعي الذي بدأته، وأخترق به كل شيء^(١٧٥)! دَوَّنتُ فكرتين:

١ - من الجيد أن أوضح أن الحديث إن دار عن الصراع، فإن الحب بالإضافة لأهميته الداخلية، هو أقوى الوسائل التي يمكنها أن تحسم هذا الصراع.

أثناء قراءتي لمالاتيستا^(١٧٦)، اتضح لي أن الأناركيين يؤمنون بعقلانية وشرعية تطبيق قانون المحبة في الحياة، لكنهم لا يعرفون هذا القانون أو يعترفون به عن وعي. يا إلهي! يا لبهجة عملي الذي منحتني إياه في الحياة كما يبدو لي!

سأمضي لتناول الإفطار. وصلتني خطابات تافهة. أَلَفْتُ اليوم صلاة واحدة من كل الصلوات التي أَلَفْتُها سابقًا. يبدو أنها ملائمة. راجعت أيضًا مقالتي عن الحب بشكل جيد.

١١ يونيو.

التصحّحات التي أجريتها على مقالتي عن الحب سيئة. عليّ العمل مرة أخرى. منذ الصباح، وأنا على فراشي، أحاول كتابة صلاة لصونيتشكا. حالتي سيئة تمامًا. لم أعمل شيئًا. قرأت ٤١ خطابًا تتضمن مشاعر غير طيبة. خرجت بالجواد، وأنُهكت بشدة. ما يعذبني في الأساس هو شعوري بفقر الشعب، أو بالأحرى بإذلالهم وقمعهم. الثوار معذورون في قساوتهم وجنونهم. بعد ذلك جاءت سفيرييفا^(١٧٧) على

(١٧٥) لا مذنبين في هذا العالم.

(١٧٦) إريكو مالاتيستا: أناركي إيطالي.

(١٧٧) زوجة أحد المستشارين بالسفارة الروسية بالنمسا، وكانت ضيعة زوجها قرية من ياسنابا.

الغداء؛ أحاديث بالفرنسية وتنس، جنبًا إلى جنب مع عبيد جوعى عرايا منهكين من العمل. لا يمكنني تحمل ذلك. أود أن أهرب!

قرأت بعض ما كتبه باكونين عن مازيني^(١٧٨). كم تبدو الحاجة إلى قول الكثير! عونك يا إلهي لأفعل ما يبدو ضروريًا أمام وجهك. حالة معدتي سيئة طوال الوقت. لا أستطيع مواصلة الكتابة.

لديّ بضعة خطابات جيدة. سأمضي لأشرب الشاي.

١٤ يونيو.

لم أدوّن يومياتي لثلاثة أيام. عملت اليوم على نحو جيد جدًا في (الوصية الوحيدة). خرجت بعدها بالجواد، وتحدثت مع الفلاحين. يكتنفني شعور أبدي بعدم الرضى عن حياتي.

لم أعمل طوال أمس: ١٣ يونيو. ولكن عندما تأخر الوقت قليلًا باشرت العمل في (الوصية الوحيدة). شباب - لعب تنس - شعور غير طيب وإدانة غير عادلة. أقرأ كتابًا مثيرًا عن بلاد فارس. نظريًا، لا يمكن أن تكون الأرض موضوعًا للملكية. الشاه مستبد، ويُعتبرونه إنسانًا شريرًا. الجنود يُجنّدون طوعًا، ولكن عمليًا تُنتزع منهم أراضيهم، ويحكم الشاه ويُجَل حد العباد، وتزداد أعداد الجنود، وتتلقى السلطات الحكومية الرشاوي.

إن لم أكن قد كتبت في (الوصية الوحيدة) أظن أنني لم أفعل شيئًا آخر أول أمس، ١٢ يونيو. لم أخرج بالجواد. تكتنفني طوال الوقت كآبة لأسباب جسدية. في المساء دار حوار ممتع مع داشكيفيتش (طبيب). عليّ تدوين الكثير جدًا:

(١٧٨) وطني إيطالي وفيلسوف وسياسي وماسوني إيطالي.

١- تذكرت دناءاتي بوضوح وقوة: أكسينيا وشوفالوف^(١٧٩)....

كل هذا وأجرؤ على إدانة الناس! كم أصبحت في حالة جيدة بسبب الوعي بدناءتي!

٢- أتحدث عن الحب، لكنني على مستوى الفكر لا أحب وأزدري، بل وأكره. وصلني بالأمس خطاب سام، وبدلاً من أفهم الأمر وأشعر بالشفقة، كتبت خطاباً دينياً سآمًا. حسنٌ أني لم أرسله.

٣- أعرف الله لأنني أدرك في داخلي حباً للناس ولكل حي. أعرف أني لا أعيش إلا لأحب ذاتي وكل حي.

٤- إنني لا أحب الناس وروحي لأنني أعرف الله، بل أعرف الله وإرادته لأنني أحب الناس وروحي.

٥- أعرف الله لأنني أعرف روحي. وأعرف روحي لأنني أحبها؛ لا روحي وحدها، بل روح الناس جميعاً؛ روح العالم كله.

٦- يؤلمني جسدي ويحتضر، أما روحي فلا تؤلمني ولا تحتضر. الروح هي الله العائش في الجسد.

٧- أعيش بالجسد والروح. لا يحب الجسد سوى نفسه، أما الروح فتحب الناس جميعاً، وكل ما هو حي. يمرض الجسد ويهرم ويموت، أما الروح فلا تمرض ولا تهرم ولا تموت.

لأؤمن إذن أن الحياة في الروح، لا الجسد.

(١٧٩) الأولى هي الفلاحة التي كان تولستوي على علاقة جسدية بها قبل زواجه، والثاني هو أحد زملائه بجامعة كازان.

٨- تعود كارثية الوضع الحالي للشعب الروسي لأمر واحد؛ فهم الناس الزائف لمغزى الحياة، أي الإيمان الزائف. الحكومة واتحاد الشعب الروسي على حق تمامًا في دعمهما للإيمان الزائف، فهذا وحده ما يدعمهما.

٩- دبروا أمر أنا كاشينسكايا فعلاً^(١٨٠). يعاقبون المحتال الذي يغش الدقيق وما إلى ذلك، بينما يجري هذا الاحتيال المريع بكل هدوء.

١٠- تحدثت بالأمس مع لوبا وألكسي عن الأشعار، بينما كان عليّ أن أسألهم: أتعرفان كيف يجب أن نعيش؟ ما دمتما لا تعرفان ذلك، يستحيل أن تدرسا شيئاً.

١١- القسوة والظلم يعذبانك للوهلة الأولى وحسب، ثم تعتادهما. عندما تولد وتعيش في هذه الظروف التي نعيش فيها الآن، حيث يستولون على الأرض، لا يمكنك حتى أن تلاحظهما.

١٢- لا ينكشف الله لنا إلا بالحب، لكن العقل هو ما يُوطد وجوده بداخلنا.

١٣- ينكشف الله للإنسان بالحب والعقل. هذا الجانبان منه ملائمان للإنسان.

١٥ يونيو.

تمشيت صباحاً. بدأت أكتب^(١٨١)، لكنني سريعاً ما توقفت ولم

(١٨٠) أميرة رفعتها الكنيسة بعد موتها إلى مصاف القديسات.

(١٨١) في (لا مذنبين في هذا العالم).

أنه ما بدأته. تزداد الفكرة وضوحًا وانكشافًا طوال الوقت. أعني يا رب على الانتهاء من العمل. يبدو أنني لم أضل، فالأمر مهم فعلاً. أنا مريض؛ صداع وألم بالمعدة. كتبت خطابًا لأحد المدانين. وصلتنى خطابات غير مهمة. حالتي الروحية جيدة جدًا. ليست لدي أفكار لأدونها. أقرأ الآن التعاليم البوذية الشفهية. أتقدم طوال الوقت في عملي الداخلي. لم أكن لأصدق أبدًا أن هذا ممكن في عامي الواحد والثمانين. تزداد صرامتي مع نفسي أكثر فأكثر، ويشعرنى ذلك بمزيد من الرضى. سمتان رئيستان: التسليم لإرادته، وعدم إدانة الآخرين في الفكر. الساعة الآن العاشرة.

١٦ يونيو.

مرضت بشدة، وساءت حالتي أكثر فأكثر. عدت في الصباح للعمل مجددًا في (الوصية الوحيدة). يبدو أن العمل يتقدم. لا بأس بها. أملت ووقعت بضعة خطابات. رحلت صوفيا^(١٨٢). لم أقرأ (دورة قراءات). أفكار:

١- يعرف الإنسان أنه سيموت، بل إنه يمضي كل يوم في طريق الموت. ظننت أنه يكفي الإنسان أن يعرف ذلك ليفهم أن مغزى الحياة لا يمكن ألا يكون مستقلاً عن الوجود الزمني؛ الأمر الذي لا يدركه أحد الآن، وأن على الإنسان أن ينتهز كل فرصة ليحقق إرادة من أرسله، أو ما يعطي مغزى لكل لحظة من الحياة، ولا شيء بإمكانه فعل ذلك سوى تحقيق، والسعي إلى تحقيق، الرغبة الوحيدة التي يكون فيها الإنسان حرًا: الكمال الأخلاقي.

(١٨٢) عادت من كوتشيتي إلى ياسنابا.

٢- عندما طرحت بعض المسائل التي تخفي وراءها شعورًا بالضغينة، بدا لي الأمر غير مهم، وذلك لأنني لم أصدق إمكانية تحقق ذلك فعلاً. هذا ما ظننته سابقاً. أظن أن شهرين انقضيا على ذلك، واليوم فكرت أثناء نزهتي في مَنْ أَكِنُّ له شعورًا بالضغينة، وأخذت أستدعي إلى ذاكرتي بدهشة وسرور كل الأشخاص المحتملين، ولم أجد أحداً.

٤- ظننت أن ذلك ربما بسبب حالتي المزاجية الجيدة اليوم وحسب. ولكن لا، في أسوأ حالاتي المزاجية، لم أجد لديَّ شعورًا بالضغينة صوب أحد، وإن لم أكن أشعر حينها بالحب للجميع، كما هو الأمر الآن. الأمر الرئيس هنا، والضروري والحقيقي هو أن يتصيد المرء في نفسه مشاعر الضغينة في أفكاره ويُخرسها بينما يُفسرها لنفسه.

كم أود أن أعلم الناس ذلك! نعم، إنهم لا يؤمنون، أو يظنون أن الأمر الوحيد الضروري في العالم، ليس ضرورياً بالنسبة لهم.

بالأمس وصل ميخائيل سيرجيفيتش، وقد أحضر معهم قصة ومقالة منشورة في (الأنباء الروسية). هذا ما عليك أن تناضله؛ تقبلُ الشناء بسرور واعتقاد أن لك أهمية شديدة. هذا أمر دنيء. سأحاول.

وصلتني بالأمس خطابات رائعة من مولوتشنيكوف وألكسندر.

١٧ يونيو.

استيقظت وقد تحسنت حالتي الصحية كثيراً. رغم ذلك شعرت بضعف شديد، وذهبت لأشرب القهوة، وكتبت يومياتي، وأنا شخصياً لا أعرف ماذا سأفعل. غير منجذب للعمل الإبداعي، وحمداً لله حتى

مع ذلك أشعر بالتحسن. لا أفكر في كتابته، أو في الكتابة بشكل عام، لكنني أستسلم للحافز، وأظن أنه صحيح إن لم تكن هناك دوافع أخرى.

١٨ يونيو.

كتبت بالأمس كثيرًا في (الوصية الوحيدة) وعلى نحو معقول، لكن يلزم مني المزيد من العمل عليها. تمشيت كثيرًا بعض الشيء. خطابات وزوار لا يثيرون اهتمامي. لعبت الورق (بمفردي) بالمساء وعاودت ليلاً العمل في (الوصية الوحيدة). نمت اليوم قليلاً جدًا، وفكرت كثيرًا جدًا. دوّنت شيئًا ما، وأشعر أنني في حالة جيدة جدًا، كما أشعر بالحيوية والانتعاش.

١ - صلاة قصيرة: «أعلم أنني في الحب أكون معك، وإن كنت معك، أنال خيري كله. لذا سأحب الجميع دائمًا في الأفعال والكلمات والأفكار». حفظتها عن ظهر قلب.

٢ - حماسة: يا لندرة وقيمة أولئك الذين يقولون ما يفكرون فيه بدقة!

٣ - علينا أن نجد قبلاً موضع القفل، ونكتشف طريقة تثبيته، ثم نجد المفتاح. القفل الذي يغلق كل شيء هو العسكرية. ثمة مفتاح واحد يفتح هذا القفل: الإيمان بالله. الجنود هم من يُجنّدون الجنود ويُقونهم في العسكرية.

لا يكفي ذلك التصور العقلاني الذي مفاده أننا نعذب أنفسنا، بل إننا في حاجة أيضًا إلى الإيمان.

٤ - مهم جدًا: بالعقل نعرف أن الله موجود، نعرف الحب. يبدو لنا

أن العقل هو الكيان الكلي؛ الله، حتى نعرف الحب، فالله هو الكلمة.
خطرت على ذهني هذه الليلة فكرة مخزية جنونية: كم من المدهش
أن يختار الله أناي الدنيئة البائسة التي ارتكبت كافة تلك الدناءات،
ليتجلى فيها! إنها لا نهائية الضالة والتفاهة، لكنها على كل حال جزء
مني.

١٩ يونيو.

يبدو أنني عملت بالأمس قليلاً في (الوصية الوحيدة). تمشيت
طويلاً. نمت، وقرابة الغداء جاء حشد كبير من الناس. يثقلني ذلك
الحديث الفارغ! تمشيت اليوم كثيراً. الساعة الآن العاشرة. أريد أن
أعمل طويلاً.

١- إنسان سرق القرية بأكملها، وكوّم ما سرقه وتولى حراسته.
جاء رجل يرتدي أسماًلاً وانتزع قميصاً. أمسكه السارق وعاقبه وفقاً
للقانون الذي سنّه بنفسه. أليس هذا ما يحدث مع الأغنياء جميعاً الذين
يعيشون وسط الفقراء؛ خاصة من أصحاب الأراضي؟ أليس صحيحاً
أنهم لا يتوقفون عن سرقة آلاف، بل ملايين الناس؟ انتزعوا منهم القوت
والأرض اللازمة لإطعام البقر والجياد، ولا يُحَاكَمُونَ ولا يُعَدَمُونَ، بل
يكون ذلك من نصيب مَنْ أخذ الأرض التي يحتاج إليها؛ الفعل المبرر
يقيناً.

قبل أن تُسن القوانين التي تحظر سرقة النير والخشب والتبن، لا بد
أن تُسن القوانين التي تحظر نهب أكثر ملكية مشروع للناس؛ الأرض.

٢٠ يونيو.

لم أعمل بالأمس، باستثناء بعض التصحيحات على (الوصية الوحيدة). حظيت بحديث رائع مع الأخوات بازيليفسكايا. كم هنَّ بائسات! صحيحة هي صلاة محمد عن الفقر^(١٨٣). ذهبت بالجواد إلى شيخ مسكين، بلغ مائة عام، مريض بورم في وجهه. الفلاحات وأطفالهن يتسمون باللطف. لم أفعل شيئًا بالمساء. تانيا بخير. الزواج هو العقبة الرئيسة في طريق الحياة الحقيقية. لا بد أن تكون البتولية هي المثال، وألا نقدر بأي شكل هذه الدناءة.

نعم، قرأت بالأمس ما كتبه إنجلز عن ماركس. استيقظت اليوم إثر حلم بحجة واضحة بسيطة تفند المادية، ويمكن للجميع أن يفهموها. ولكن بعدما استيقظت لم تظل واضحة كما كانت أثناء الحلم. الحجة مفادها أن الماديين يضطرون إلى قبول حماقة فكرة وجود خالق ليوضحوا كيف تشكلت المادة بهذه الطريقة، وكيف تشكلت منها الكائنات المختلفة، وعلى رأسهم الأنا بكل سماتها المتمثلة في المشاعر والعقل.

بالنسبة لغير الماديين، يُعتبر العالم المادي كله نتاجًا للأنا الروحية، والسر الغامض الرئيس بالنسبة له هو انفصاله وانفصال الكائنات الأخرى.

لن أكمل كتابة... إنها العاشرة. يبدو أن حالة رأسي أفضل.

(١٨٣) ليست هناك أي إشارة إلى الصلاة المقصودة.

حاولت أن أقرأ القصة وأواصل العمل فيها^(١٨٤). يمكنني فعل ذلك، لكنني بالكاد يمكنني أن أنجح فيها بسبب انشغالي بأمور أخرى. لم أفعل شيئاً آخر. خرجت بالجواد، تحدثت مع الفلاحين في المزرعة. أنهكت بشدة. لم أفعل شيئاً آخر بعد الغداء عدا القراءة. في المساء دار الحديث عن علم الحفريات بسبب سن ماموث وجدناه. كلما ابتعدنا زمنياً في علم الحفريات، ومكانياً في علم الفلك، ازدادت ضالة كل ما هو مادي وضحاً، في إطار لا نهائية المكان، وكافة التغيرات التي تطرأ عليه في الزمان اللا نهائي.

لم أستيقظ مبكراً اليوم. تنزهت، وتحدثت كثيراً مع أحد الشيوخ. الساعة الآن العاشرة.

١ - كم يبدو غريباً أن نقول إن الماديين مضطرون لا محالة للاعتراف بفكرة الخالق حتى يجيبوا عن سؤال: لماذا ظهرت المادة؟ ومن أين جاء العالم المادي بكل ما تحدث فيه من تغيرات؟ إن لم نعترف بالوحي أساساً لكل شيء؛ والمادة في إطار المكان والزمان باعتبارها السبيل الوحيد لفهم العالم المحيط بنا، لن نجد تفسيراً آخر لوجود المادة عدا الله الخالق. يتباهى الماديون بإلحادهم، في الوقت الذي ينطوي فيه كل تعليمهم على مفهوم الله الخالق. المتناقضان يجتمعان (بالفرنسية). وحده الاعتراف بالوحي أساساً لكل شيء لا يتطلب مفهوم الله الخالق.

(١٨٤) لا مذبذبين في هذا العالم.

٢- البشر ليسوا أشرارًا وأغبياء ومذنبين، بل العالم هو الشرير والغبي والمذنب.

٣- شخصان ذكيان وصالحان، كل على حدة، وعندما يجتمعان معًا يرتكبان أفعالاً غبية وشريرة. ما الخير الذي يمكن أن ينتج إذن عن اجتماع ٢٠، ١٠٠، ١٠٠٠ إنسان؟

٤- من المهم جدًا أن نعرف وندرك هذا في البشر، ونكون على حذر. هذا سبب أهمية التعليم الديني، فهو ينتج عن خضوع الحشود.

٥- الله هو الكيان الكلي، الذي أعى نفسي منفصلاً عنه. سيكون الله موجودًا أيضًا لدى كل من يعترف بنفسه منفصلاً عن كيان كلي مادي، ولكن البلية هي أن الكيان الكلي المادي هو محض حماقة، فيفترض أنه لا نهائي وفي الآن ذاته داخل نطاق الزمان والمكان.

٢٢ يونيو.

بقدر ما أتذكر، لم أفعل شيئًا بالأمس عدا مراجعة (الوصية الوحيدة) وبضعة خطابات، واحد منها كان التماسًا، تخلصت منه. ثم ذهبت بصحبة الثلاث تانبات إلى الغابة^(١٨٥). مضيت من هناك سيرًا مرورًا ببعض الحصادين... القرية بأكملها تعمل بالحصاد. تحدثت معهم عن الكثير من الأمور: عن الأرض والتجنيد، وعن استعبادهم لأنفسهم بأنفسهم. تحدثت كذلك عن صعوبة التحرر من الفقر، ولكن الأصعب هو التحرر من الثراء. من الضروري أن نحيا من أجل أرواحنا

(١٨٥) تانيا ابنته، وحفيده وتاتيانا ألكسيفنا فوخت.

وحسب، وسيكون كل شيء على ما يرام. تغديت وقرأت. شعرت أنني في حالة حيوية نسبيًا.

نمت اليوم على وجه حسن، تمشيت ودوّنت بعض الأفكار. صليت على وجه حسن، وفهمت بوضوح مدى ضآلتي، كما أدركت عظمتي... لا، كلمة عظمة لا تفي بالغرض، بل لا نهائيتي. لا أقصد عظمة الجلف المدعو ليف تولستوي، بل عظمة ذلك الكيان الذي يعي نفسه إلهيًا. انشغلت فجأةً مجددًا بـ(الوصية الوحيدة) وراجعتها جيدًا، وضمّنتها بعض الاستشهادات. وصلّنتي خطابات غير مهمة. ذهبت إلى الغابة بالجواد. تغديت ولعبت شطرنج. الساعة الآن الثامنة بينما أكتب الآن.

١- إن أكثر الأفعال شرًّا تتم من أجل نيل مديح الناس. صحيح أنهم يفعلون الشر من أجل الشهوة، لكنها تضعف بمرور الزمن، أما إغواء نيل مديح الناس، يزداد قوة وصلابة بمرور الأعوام.

٢- ربما يبدو لنا أن هناك دعاية بريئة مريحة غير شريرة، لكن الدعاية هي واحدة من أقوى وأمكر الوسائل التي يحجب بها الناس عن أنفسهم مدى خطورة الحياة التي لا يريدون إدراكها، وخطاياهم.

٣- ينسى الشيوخ الكثير من الأمور، بل ربما ينسون كل شيء. بالموت يُنسى الشيء الأخير. إن تصوّرنا ولادة في الحياة الأخرى؛ فلا بد أن المولود لن يتذكر شيئًا، يدلف إلى العالم، أي يجد نفسه في الموقف الذي يجد فيه كل مولود نفسه في عالمنا، وهذه وجهة نظر البوذيين. ينحصر الخطأ هنا وحسب في أن الولادة الجديدة تفترض وجود الزمن، ونسيان كل شيء هو خروج من الشروط الزمنية. يظل

الموت دائماً بمثابة عودة إلى ذاك مَنْ نبعث منه، لكنه ليس انتقالاً بأي صورة إلى حياة أخرى. يُنهي العامل واجبه ويعود إلى سيده ليتلقى أوامر جديدة.

الساعة الآن التاسعة. سأذهب إلى غرفة المعيشة.

٢٢ يونيو.

حدث فجأةً أنني قرأت جهراً (الوصية الوحيدة) كاملةً. الإجابة: صمت وملل واضحان.

حظيت بنوم جيد جداً. بعد أن استيقظت تأملت أفكار الأمس. حان الوقت لأفهم أنني إن أردت أن أخدم الناس، عليّ بالعمل من أجل العالم الأكبر (الشعب العامل)، وأن أضعهم أمام باصريّ بينما أكتب. لا أمل يُرجى من غالبية من في وَسْطِي، أما الآخرون فهم عطشى. أفكار:

١ - الأمر لا يتوقف عن أن سوء الحالة المعنوية غير مضرّ، لكنه مفيد دائماً للعمل على النفس.

٢ - أليس من الممكن بدلاً من أن يكون سوء عمل الفكر عائداً إلى سوء تدفق الدم إلى المخ، أو بدلاً من أن يكون سبب كآبة الروح عائداً إلى اضطراب عمل الكبد، أن يكون سوء تدفق الدم واضطراب عمل الكبد عائدين إلى ضعف عمل الفكر وكآبة الروح؟ الأمر لا ينفصل عن الآخر؛ العلة والمعلول. عادة ما نعيد ما هو روحي إلى أسباب مادية لأن انتباهنا يُوجّه دائماً إلى التغييرات المادية، لا الروحية.

عندما يكون الإنسان بمفرده، يسهل عليه أن يكون صالحاً. ما إن

يجتمع بآخرين، حتى يصبح شريراً. وكلما ازداد عدد الناس، ازدادت صعوبة ضبط نفسه عن فعل الشر. لهذا الحب مهم وضروري. في وجود الحب وحده يمكن للناس أن يتلاقوا دون أن يفعلوا الأسوأ.

عونك يا أبي، يا جوهر الحب! أعني على فعل ما تريده عبر كياني.
الساعة الآن الحادية عشرة. سأقبل على العمل.

٢٤ يونيو.

لا أكتب شيئاً طوال الوقت عدا مراجعة (الوصية الوحيدة). بدأت المراجعة بالأمس، مُبسّطاً اللغة والشكل. لم يؤدّ ذلك سوى إلى إعادة ترتيب الفصول والتصحيحات. خرجت لأتمشى. حالة قدمي لا تزداد سوءاً. قضيت المساء مع جميعهم. جاءت جوليتسينا. يثقل عليّ التحدث دون هدف. فور أن استيقظت اليوم حتى وصلني خبر من تشيرتكوف^(١٨٦). رفضوا طلبه. كتبت له ولجاليا. انشغلت مجدداً بـ(الوصية الوحيدة). تنزهت، وها أنا الآن ذاهب إلى قرية فيلي للقاء أحد الشيوخ. وصلني إصدار شهر يونيو من (دورة قراءات). حالتي الروحية جيدة جداً، لكنني لا أستطيع أن أعتاد كلية على الصلاة أثناء تعاملتي مع الناس. هذا أمر ضروري وممكن.

٢٦ يونيو.

اكتشفت فجأة أنني فوّتُ يوماً. أول أمس راجعت مجدداً (الوصية الوحيدة). قرأت (دورة قراءات) الجديدة. لا بأس بها. تمشيت بالجوار.

(١٨٦) أرسل تشيرتكوف برقية لتولستوي يعلمه فيها برفض السلطات عودته إلى تولا.

وصلتُ زوسيا. خرجت للقائها، كما التقيت فاسيلي بانيوشكين (فلاح شاب). تنزهنا وتحدثنا طويلاً. إنه شاب رائع. لا أمل في المستقبل إلا بمثل هؤلاء الناس. حتى لو لم ينتج شيء عنهم، فهم ينفعون أنفسهم وينفعونني وكل الموجودين. يوم أمس كان ٢٥ يونيو. نفس الأمر مجدداً؛ تزداد قصة (إعدام يفتدوكيم)^(١٨٧) إلحاحاً عليّ لأكتبها. تنزهت في الحديقة. أشعر بضعف ونعاس شديدين. بعد الغداء ذهبت إلى يفريم (فلاح). أعاني من شعور أكبر بالمحدودية وقدر أكبر من الشك. أخطأت اليوم في التوقيت واستيقظت في السادسة. تنزهت ثم بدأت العمل في (لا مذنبين في هذا العالم)، وانشغلت بعمل ما. كتبتُ خطابين. ضعف. خرجت بالجواد مع تانيا العزيزة. وصلتنى خطابات من أوليا وتشيرتكوف، وآخر كئيب من صوفيا. أشعر بالأسف عليها حقاً. أنتظر ساشا، لكنها ليست في الطريق. جوسيف راحل. الساعة الآن الرابعة. سأنام.

١- يعرف كل عامل حي الضمير فرحة إنجاز العمل. هذا هو أيضاً شعور من يختبر عمل الحب ويجعله عمل حياته الرئيس، وإن كانت الفرحة أكبر بأضعاف المرات. ما هو خاص في فرحة تحقيق عمل الحب، هو أن لا شيء يمكنه انتزاعها.

٢- يقول البوذيون: كما أن الشيوخ ينسون الماضي كاملاً، هكذا تولد الأرواح من جديد، لا تذكر حيواتها السابقة. يمكن أن نضيف إلى ذلك أيضاً أن باقترابنا من الموت (الشيخوخة) لا يقتصر الأمر على أننا

(١٨٧) عنوان آخر لـ (لا مذنبين في هذا العالم).

ننسى الماضي وحسب، لكننا نفقد كذلك كل اهتمام بالمستقبل؛ نخرج من الحياة الزمنية ونقترب من جوهر الحياة اللا زماني؛ الله.

في المساء دار حوار مزعج مع صوفيا بخصوص أنني أنسب أهمية لما لا تحوزه. ودّعت العزيز نيكولا ي نيكولا يفيتش.

٢٧ يونيو.

استيقظت شاعرًا بالضعف. تنزهت في الحديقة. راجعت (الوصية الوحيدة). يبدو أن لا بأس بها. خطابات جيدة. لا أريد فعل شيء الآن. وصلني خطاب كئيب من ساشا بشأن صوفيا. إنها لن تأتي. دونت الآتي:

كل ما هو مادي، ليس ضئيلاً، بل إنه غير موجود من الأساس؛ لأن كل شيء موجود يشكل س\∞ أي أنه جزء من اللا نهائي. لا شيء موجود حقيقة سوى الأنا؛ وعبي. يُقال: «إن كان الأمر هكذا، فلا شيء موجود، لا حياة ولا مغزى». هذا غير صحيح. معنى الحياة في الاستجلاء المستمر، ولا يمكن لهذا أن يحدث إلا في عالم زمني ومكاني، وهذا الأخير ليس له معنى في حد ذاته، لكنه ضروري لاستجلاء الوعي. أظن أن محمداً قال:

«أراد الله ألا يقتصر خيره على شخص واحد، فخلق البشر»^(١٨٨).

حزين ... حزين ... أريد أن أبكي. الساعة الآن الثانية.

٢٩ يونيو.

١ - كما نتعود على رسم علامة الصليب وتمتمة الصلوات، يمكن،

(١٨٨) ربما يشير إلى الحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً، فأردت أن أعرف، فخلقت الخلق ليعرفوني».

بل ويتوجب أيضًا، أن نتعود على حب الناس واحترامهم. حمدًا لله، بدأت منذ زمن، وأبدأ الآن كذلك في فعل ذلك، حتى عن غير وعي. عونك يا رب! كم يحسن ذلك!

٢- خاص بـ(الوصية الوحيدة) التفكير في أن ساحرة لا أستطيع رؤيتها أنجبني، لا أُمي التي أراها، يعني حرمانني من فرحة الحب الأمومي. هذا بالضبط ما يفعله الناس حينما يظنون أن الله غير موجود؛ بحسب تصور الله كخالق العالم كله، وعجائب أخرى، وذلك لأنهم لا يعرفون الله الحقيقي الذي يتجلى في الحب.

أمر غريب: يوم أمس: ٢٨ يوليو، لم أدون شيئًا في دفتر يومياتي. بالأمس، وبعد نزهتي المعتادة، شعرت بضعف، وكتبت جزءًا بسيطًا شيئًا في (الوصية الوحيدة). وصلتي خطابات مهمة، لكنني لم أجب عنها. وصلني خطاب من تشيرتكوف يخبرني فيه أنه قادم. أرسلت له برقية. ذهبت بالجواد إلى لومتسي^(١٨٩) وأنهكت بشدة وابتل جسدي بسبب المطر. التقيت بسفيربيفا أثناء الغداء المتأخر، ثم لعبت الورق في المساء وجلست بصحبة جوليتسينا. رحلت زوسيا. يضحكني ميلها إليّ. يشبه الأمر شعورك عندما يتودد إليك أحد بسبب مالك، بينما أنت لا تحوز مالا.

اليوم هو ٢٩ يوليو. استيقظت مبكرًا. يبدو أنني نعمت بنوم جيد. خرجت لأتنزه، وراودتني أفكار جيدة وضرورية، لكنني شعرت بالضعف في نصف النزهة، وعدت بشق الأنفس. لم أستطع فعل شيء بالاهتمام

(١٨٩) قرية تبعد ٧ كيلو مترات عن كوتشيتي الموجود بها تولستوي وقت الكتابة.

جدير بالمنزل. راجعت (الوصية الوحيدة). عرفت أن تشيرتكوف لن يأتي. هذا أفضل. يزداد شعوري بالضعف سوءًا. نمت نهارًا من الثانية إلى الرابعة. الساعة الآن الخامسة، وقد نهضت لتوي، ولا أزال أشعر بالضعف.

٣٠ يونيو.

لم أفعل شيئًا مساء أمس. انقضى اليوم. الآن حالي أكثر حيوية قليلًا. حظيت بنوم جيد. تشيرتكوف في الطريق، سيصل في غضون ساعة. تنزهت. كتبت فصلًا جديدًا لا بأس به عن المعجزات^(١٩٠). وصلتنى خطابات جيدة من موجيكوف ومولوتشنيكوف وألكساندرا. أفكار:

١- تبدو فكرة قديمة: المعرفة الحقيقية واحدة: أن تعرف كيف يجب أن تعيش. يعرف الناس الكثير جدًا، لكنهم لا يعرفون ذلك، بل ويعتقدون أن معرفته مستحيلة، وغير ضرورية أيضًا. تكاد رؤوسهم تنفجر من فرط امتلائها بالمعرفة غير الضرورية، وهذا ما يحول بينهم وبين المعرفة الضرورية.

٢- المعجزات غير ضرورية إلا لمن ليس لديه أساس عقلائي لإيمانه.

٣- عند الإيمان بالحب ليس هناك ما تطلبه، بل أنت الذي يجب أن تعمل.

(١٩٠) في مقالة (الوصية الوحيدة).

٣ يوليو.

فَوْتُ يومين. في ٣٠ يونيو ذهبت إلى تشيرتكوف. كان لقاءً سعيدًا. ذهبت إليه مجددًا في المساء. في صباح ١ يوليو كتبت ردًا لا بأس به على الإطلاق لفلاح عن التعليم. لم أُنْهَ بعد. ذهبت إلى السوق. مضى الأمر جيدًا، لكنني انتظرت المزيد^(١٩١). قبالة المساء عدت إلى تشيرتكوف، ومضى الأمر مجددًا على نحو رائع. أدلى ببعض الملاحظات الصحيحة عن (الوصية الوحيدة). في يوم ٢ يوليو شعرت بضعف مريع. أضفت قليلًا إلى (عن العلم) ولم أفعل شيئًا. حالتي الروحية متوسطة. أَجَلْتُ الرحيل. بالأمس لعبت معي ربيبة آل سوخوتين الورق، وهي تعمل مديرة للجيمنازيا، وبدا أنها فعلت ذلك عمدًا. يداها بيضاوان، ممتلئة الجسد، أنيقة، وهي فلاحه يتيمة في الأصل نالت تعليمًا.

استيقظت اليوم مبكرًا شاعرًا بالضعف، لكنني أريد الرحيل على أي حال.

٥ يوليو.

رحلت أول أمس كما قررت سابقًا. ذهبت إلى العزيز أبريكوسوف. اصطحبتني تانيا حتى متسينسك. سافرت في عربة الدرجة الثالثة، وكان الأمر رائعًا. جاءني شرطي وبعض النازحين. إنهم أولئك الناس الذين يُعاملون كالماشية، رغم أنهم وحدهم مَن يصنعون الحياة والتاريخ، إن كان ذلك يهم أي شخص. وصلت إلى المنزل بخير. ساشا تبدو

(١٩١) ذهب إلى سوق قرية لومتسي، وتحدث مع الفلاحين هناك.

بخير. يوم أمس: ٤ يوليو، قرأت كومة من الخطابات. بعضها جيد. ذهبت إلى جاليا لأودعها^(١٩٢). كتبت قليلاً في (عن العلم). بعد الغداء وصل العزيز نيكولايف. حظينا بحديث جيد، واستمعت إلى نصيحته وأصلحت بعض المواضع في (الثورة الحتمية). حالتي الصحية لا بأس بها، والروحانية جيدة جداً. أريد أن أتوجه إلى الله، لكنني لا أجد الصياغة المناسبة طوال الوقت. وجدت أفضل صياغة: أشكرك، أشكرك، أشكرك على خير الحياة العظيم. استيقظت في الخامسة وفكرت كثيراً في كل شيء، وهو أمر سيئ. أفكار:

١- أصعب وأخطر الفترات العمرية هي التي يتوقف فيها الإنسان عن النمو جسدياً واكتساب القوة... أظن في الخامسة والثلاثين. ينتهي تطور ونمو الجسد، ويجب أن يبدأ حينها تطور ونمو الروح. لا يفهم القطاع الغالب من الناس ذلك ويواصلون الاهتمام بنمو الجسد، ويتضح أن هذا التوجه الزائف مهلك.

٢- لا يسعني ألا أندesh من سبب اختيار الله لجلف مثلي ليتحدث عبره للناس!

٨ يوليو.

لا أذكر ماذا فعلت أول أمس؛ أظن أنني راجعت قليلاً (عن العلم). تمشيت في الحديقة. لا أذكر شيئاً آخر. حالتي الروحية سيئة، لكنني لا أنداعى. جاء العزيز إيفان إيفانوفيتش، وحظينا بحديث جيد. لم أكتب

(١٩٢) سافرت إلى كريشكينو حيث أقام زوجها في تلك الفترة.

شيئاً بالأمس على الإطلاق، أو ربما تقريباً. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا ثم إلى آل أولسوفيف. في المساء جاء أندريه. أناضل نفوري منه قليلاً. أريد منازلة هذا الشعور وسأفعل ذلك. يد صوفيا تؤلمها. آل أولسوفيف وماشا (زوجة ابنه) يتحلون باللطف. قرأت لماشا مقالتي (عن العلم). اليوم ٨ يوليو، كتبت بشكل لا بأس به أبداً. آه، نسيت... بالأمس جاء ثرثار غبي، وكنت فظاً تجاهه. خرجت بمفردي بالجواد في هدوء. لم يعد الحارس موجوداً^(١٩٣).

١١ يوليو.

أنهيت اليوم (عن العلم) على نحو جيد جداً. ذهبت بصحبة أونيتشكا^(١٩٤) إلى آل تشيرتكوف. هو (أونيتشكا) وزوجته هنا، ويسعدني وجودهما للغاية. حكّت لي ليتوشكا لتوها حكاية فيرا (راجع حاشية ١٧٠). سررت بمعرفة القصة.

مساء الأمس كتبت بعض الخطابات، ثم كتبت في (عن العلم)، ويبدو أنني أنهيت (الوصية الوحيدة) وبعض الخطابات. لا أذكر من أول أمس شيئاً سوى خروجي بالجواد. أنهكت. قررت الذهاب إلى ستوكهولم^(١٩٥). حالتي الروحية جيدة.

(١٩٣) حينما اشتكت صوفيا من سرقات الفلاحين عيّنَ الحاكم حارسين لأراضيها، ثم حارس واحد، وفي النهاية مضى الحارس. أزعجت هذه الحراسة تولستوي بشدة.

(١٩٤) أونيسيم دينيسينكو: زوج ابنة شقيقة تولستوي (لينوتشكا).

(١٩٥) دُعِيَ تولستوي للمشاركة في مؤتمر السلام الثامن عشر بـستوكهولم في أغسطس.

نمت قليلا جدًا. في الصباح عاملت شاب أحرق يطلب توقيعني بسوء. حاولت مرتين أن أحدثه بجدية، لكنه كان يقاطعني طالبًا توقيعني. مساء أمس شعرت بالكآبة من حديث صوفيا عن النشر والملاحقة القضائية^(١٩٦). ليتها تعرف وتدرك كيف تسم ساعاتي وأيامي وشهوري الأخيرة من الحياة! لا يمكنني قول ذلك لها، ولا أتوقع أن يؤثر عليها أي حديث مهما كان.

منذ الصباح وحتى موعد شرب القهوة انشغلت بالعمل في (عن العلم) ومراجعتها، لكنني لم أستطع الاستمرار بفعل الإنهاك. دَوَّنت شيئًا ما للمؤتمر على فراشي في الصباح. أفكار:

١- فكَّرت في مسألة قديمة؛ حرية الإرادة. فكرت كالآتي: إن شكَّك أحدهم أن في الإنسان... لا، لا أستطيع أن أكتب. ضعف ذهني. ربما فيما بعد.

٢- كتبت الآتي سابقًا: يصعب جدًا في البداية أن تتخلى عن الاهتمام برأي الناس، بحيث لا يؤثر الزائف والمخزي منه فيك... يصعب الأمر ويندر، ولكن إن تقويت، ووضعت كل شيء أمام الله وفحصته بضميرك، كم ستشعر حينها بحرية صلبة لا تتزعزع! جنون كهذا هو عمل عظيم فعلاً.

(١٩٦) أرادت صوفيا أن ترفع دعوى ضد ناشر من بطرسبرج لنشره ثلاث ميات وبعض المقتطفات من (الطفولة) دون إذنها. أخبرها تولستوي أنها إن فعلت ذلك سيسحب منها حقوق نشر أعماله تمامًا.

جاءني سبعة زوار: شاب ومعه أعماله الأدبية، ثم كاتب ذكي حقاً يُدعى نوفيكوف. بعد الغداء ذهبت إلى آل تشيرتكوف وقرأت عليهما: (عن العلم). دارت أحاديث جيدة بشأن ما قرأته. لم أدون شيئاً، وليس لديّ الوقت لذلك.

١٣ يوليو.

استيقظت شاعراً بالضعف. كتبت بشكل لا بأس به في (عن العلم). تنزهت شاعراً بالضعف. في المساء جاء نيكولايف وجولدنفايزر. نومي الآن أفضل.

١٤ يوليو.

استيقظت شاعراً بالضعف. دَوَّنت شيئاً ما بالمساء. عملت مجدداً طوال الصباح في (عن العلم). لم أنهه تماماً بعد. ذهبت بصحبة أونيتشكا صوب غابة زاسيك. سعدت جداً بذلك. غفوت. استيقظت شاعراً بضعف شديد. ساءت حالة صوفيا. فكَّرت كثيراً في أفكار غير مهمة تماماً وبشكل سيئ جداً. الساعة الآن التاسعة. أفكار:

١ - أهم فكرة: لا يمكنني أن أتخلص من اهتمامي بحكم الناس. ما إن يظهر هذا الاهتمام، حتى يزول الاهتمام بالروح. أمسكت بنفسي اليوم عدة مرات أفعل ذلك. ما إن أتذكر في كل مرة، وأعترف بخطيئي وأفكر كيف لا أتوقف عن أن أكون مع الله، أي أحب الجميع، حتى أجد نفسي في حالة جيدة، مثل الآن. هذا ما حدث صباح اليوم مع فلاحه أتنني بأطفالها، وطلبت صدقة من فرط فقرها. أخذت تبكي، قائلة أنها تحمل

الآن آخر فطيرة للبيع، وأرتني رباط الفطائر، بينما أخذ طفلها الصغير اللطيف المرح يضرب الربطة ويضحك. أثر فيَّ الموقف على نحو حسن، وشعرت بالحب تجاهها، وبالتالي شعرت بالحرية في روحي.

كانت المرة الأخرى عندما كنت بالجواد، وشعرت بالضيق ثانية من تفكيري في أولئك الذين لا يحبونني، ثم استدعيت إلى ذاكرتي أنني أحبهم، وحالاً شعرت بالفرحة. عندما عدت كنت لا أزال في نفس الضعف، وجاءني خمسة متسولين. استعدت الأمر إلى ذاكرتي مجدداً، فتحسنت حالتي.

٢- خاص بمؤتمر ستوكهولم: البدء بقراءة خطابات قديمة، ثم حديثه لرافضي التجنيد. ثم أقول إن كل ما قيل هنا حسن جداً، لكنه يشبه أن يكون لدينا المفتاح الذي يمكننا به أن نفتح باب الشقة التي نود دخولها، ثم نطلب من أناس يحجبهم عنا باب منيع أن يفتحوا لنا الباب الذي نريد فتحه، ولا نستخدم مفتاحنا، ونعلم الآخرين أن يحذوا حذونا في ذلك. ما أريد قوله في الأساس هو أن التجنيد هو لب المشكلة. إن شاركنا فيه وعلمنا الجندي القتل، فإننا بذلك ننكر كل ما يمكننا قوله لصالح السلام. علينا أن نقول الحقيقة كاملة. هل يمكننا التحدث عن السلام في عواصم يحكمها الملوك والأباطرة وقادة الجيش الذين نبجلهم، كما يبجل الفرنسيون الجلاد؟ فلتتوقف عن الكذب. حينها سيطرّدوننا من هنا حالاً.

نُبدي أقصى درجات الاحترام للقادة العسكريين؛ أولئك الذين يخدعون الجنود الذين لا يُستخدمون في الحماية من الأعداء

الخارجيين، بقدر ما يتم استخدامهم في قمع أولئك الذين نرتكب العنف في حقهم.

٣- نعرف الله في ثلاث صور: نعرفه في ذاته - نعرفه في أنفسنا - نعرفه في القريب. الأولى تعني أن نعرف إرادته لتنفيذها. الثانية أن نعرف أن إرادته هي الحب. الثالثة أن تحب قريبك كنفسك.

١٥ يوليو.

استيقظت مبكرًا واستغرقت في التفكير في صلاة لصونيتشكا. كتبها وأرسلتها، لكنها ليست جيدة. وصلني خطاب من تشيرتكوف. استغرقت في العمل في (عن العلم). أقترب من نهايتها.

خرجت بالجواد، وحدث مجددًا أن تذكرت عدة مرات أثناء نزهتي وفي المنزل أن أعيش أمام وجه الله، لا الناس، عندما كان يحدث ما يضايقني، وحينها كان كل شيء ينقضي. رغم ذلك كم تأصل بداخلي الاهتمام بحكم الناس! يشكل ذلك الآن أكبر عقبة في طريقي إلى الله. كتبت خطابًا صغيرًا عن تنظيم الطوائف. حمدًا لله وصلت إلى أن أقهر الاهتمام بحكم الناس في أفكاري، وإلى الوعي بالحياة أمام وجه الله وحده، لكن لا يمكنني بعد الاعتياد على تذكر ذلك في كل تعامل مع الناس. سأتعلم ذلك وأتعود عليه.

سأمضي لتناول الغداء.

١٩ يوليو.

لم أدون يومياتي لأربعة أيام. انخرطت طوال تلك الفترة في كتابة

خطابي (عن العلم). أذكر أن دافيدوف جاء بالأمس. تمشيت. في يوم ١٧ خرجت بالجواد بصحبة أونيتشكا، وأظن أن أندريه جاء. سلكت على نحو حسن. لا أذكر ماذا حدث في يوم ١٦. خرجت لأتمشى منذ صباح اليوم، وفكرت على نحو جيد. ألفت صلاة أصليها عند لقائي بأي شخص: «عونك يا رب لأتعامل مع هذا التجلي لك باحترام وحب، وأن أفكر في حكمك وحدك، لا حكم الناس». يساعدني ذلك على نحو جيد. تذكرت: جاء بافلوف أمس وأول أمس، وهو صديق ألكسندرا. وصلنتي خطابات من ألكسندرا ومولوتشنيكوف وكالاتشيف.

عملت اليوم في خطابي (عن العلم)، ثم جاءني بعض الفلاحين من قرية كولبنا، ثم جاء بعض الشباب الأعزاء؛ عمال من مدبغة تيلي^(١٩٧)، وحظينا بحديث جيد. تنزهت بالجواد. صوفيا لا تزال مريضة. دار بيننا حديث بدا كثيبًا في البداية، ثم أصبح جيدًا ومؤثرًا. سأدوّن بعض الأفكار غدًا. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

٢٠ يوليو.

وصلتني مساء أمس برقية من بوبوفا، والدة أحد المدانين، تخبرني فيها أنها آتية. بعد أن استيقظت صباح اليوم أخذت أفكر فيما يمكنني فعله من أجلها، وكتبت خطابًا لستوليبيين، يبدو معقولًا. كان شعوري جيدًا. الساعة الآن الواحدة ظهرًا ولم تأت بعد. تمشيت صباحًا كال المعتاد في الغابة وصليت. اليوم للمرة الأولى أضْمَن نهاية

(١٩٧) مدبغة يملكها سيرجي ابن تولستوي.

صلاتي عن الإغواءات أكثر الأفكار ضرورة: الوعي بالخطية وإضعاف الاهتمام بحكم الناس. عونك يا إلهي لأفكر عند التعامل مع أي إنسان فيك وحدك، وأن أسلك أمام وجهك أنت وحدك. أمر صعب، ولكنه لذلك تحديداً لا يؤدي إلى الحرية وحسب عندما تصل إليه، بل والقوة أيضاً. منذ يومين وأنا أقرأ تدريجياً في كتاب ميتشنيكوف، وأفزعني خفته وحماقته المباشرة. أردت أن أكتب عن ذلك شيئاً غير طيب، لكنني قررت اليوم ألا أكتب إلا بحب. أفكار:

١ - عندما تجد نفسك في حالة حزينه كثية، وتحتاج إلى عون من الله كلي القدرة، لن تجد أمامك ما يعينك سوى أمر واحد؛ أن تنكر نفسك وتتحد به. مرد الحزن والكآبة إلى أمر واحد؛ أنك ابتعدت عنه، وتصورت أنك «ليف تولستوي»، لا ما هو موجود حقاً وحده.

لا... صياغة سيئة.

٢ - فهمت لأول مرة بالأمس هذه العبارة من منظور جديد: «إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكَزْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتَّبِعْنِي» (لوقا: ٩: ٢٣). فهمت بوضوح شديد أن عليك قبل أي شيء آخر أن تنفذ إرادته فيك في اللحظة الحاضرة. هذا هو سبب أهمية هذه الصلاة، فبالإمكان النظر إلى كلماتها الحكيمة من جوانب مختلفة، وبالتالي يمكنها أن تؤثر في الروح وترفعها من جوانب مختلفة أيضاً.

٣ - أول فكرة طرأت على ذهني عندما سمعت خبر الطيران فوق

المانش: كيف يمكن استخدام الطائرات في الحرب والقتل (١٩٨)؟

أردت حينها أن أكتب قصة خطرت فكرتي على رأسي، لكنني لا أقوى على فعل ذلك الآن. فيما بعد.

يبدو أن أمامي الكثير والكثير من الأعمال. لكن ثمة عمل واحد: العمل على النفس، وتطهير وتحرير أناي الإلهية. هذا عمل مُفرح، ولا عجلة فيه، ودائمًا في مقدور المرء أن يحققه، ويمكنك دائمًا أن توجّه قواك صوبه وتفعله ولن ينتهي أبدًا. أمامك الفرصة دائمًا لفعل ذلك، ليس ذلك وحسب بل أيضًا المزيد والمزيد من العمل المبهج.

أعدت لتوي قراءة خطابي إلى السويديين (١٩٩) وملكوت الله بداخلكم لأجل المؤتمر بستوكهولم. شعرت أن كل شيء قد قيل فعلاً. لا أعرف ماذا أقول أيضًا. أفكر فيما يمكن وما يجب أن أقوله. سنرى.

بينما أقرأ كتاباتي القديمة، اقتنعت أن كتاباتي الحالية أسوأ وأضعف. حمدًا لله، هذا لا يحزنني، بل على العكس؛ سأحاول ضبط نفسي عن الكتابة. هناك عمل آخر أهم وأكثر ضرورة. عونك يا إلهي!

٢١ يوليو.

منذ مساء الأمس وصوفيا في حالة ضعف وغضب. لم أستطع

(١٩٨) بعد طيران الفرنسي بليربوت فوق المانش، قرأ تولستوي تقريرًا صحفيًا يتضمن حديثًا مع وزير الحرب الفرنسي عن الأهمية الحربية للطيران.

(١٩٩) الخطاب الذي كتبه لبعض المثقفين السويديين في ١٨٩٩ بخصوص مؤتمر لاهاي للسلام للقوى الكبرى، حيث رأى تولستوي أن كل هذا غير مُجدٍ، وأن ما هو مُجدٍ أن يرفض الأفراد الخدمة العسكرية.

النوم حتى الثانية، بل وأكثر من ذلك. استيقظت واهتًا، بل هم الذين أيقظوني. لم تنم صوفيا طوال الليل. ذهبت إليها. أصبح الأمر ضربًا من الجنون^(٢٠٠). تقول إن دوشان سممها وما إلى ذلك، وكذلك هو الأمر بالنسبة لخطاب ستاخوفيتش الذي توجب عليّ أن أخبرها بشأنه، وقد ظنت أنهم يخفون شيئًا عنها، الأمر الذي أفضى بها إلى حالة أكثر سوءًا. لقد أنهكت ولم أعد قادرًا على المزيد، وأشعر بالمرض التام. أشعر باستحالة التعامل معها بعقلانية وحب استحالة كاملة. كل ما أريده الآن هو الابتعاد وعدم المشاركة في أي شيء. لا يمكنني فعل شيء آخر، لذا فكرت جدًّا في الهروب. «أرنا إذن مسيحتك!» إما الآن، وإما لن يحدث ذلك أبدًا (بالفرنسية). تكتنفي رغبة مريعة في الهروب، وهل لحضوري هنا من الأساس أي ضرورة لأي منهم؟ إنها تضحية صعبة تضر بالجميع. عونك يا إلهي! علّمني! كل ما أريده أن تكون إرادتك لا إرادتي. أكتب وأسأل نفسي: أحقًا هذا؟ ألا أخدع نفسي؟ عونك... عونك... عونك!

أمس وأول أمس أدركت علاقتي بالله بصورة جديدة وأفضل من الماضي. أدركتها تحديدًا كالآتي:

علاوة على أن «الله لم يره أحد قط» ليس في سلطان الإنسان أن يصل إليه. كما قال أحدهم: «نعرف القانون ومصدره وعلته، ليس ذلك

(٢٠٠) عاد الحديث مجددًا بشأن انتزاع حقوق الملكية الفكرية لتولستوي من يد صوفيا، وقوبل بالرفض ثانية، ووقعت صوفيا بين برائن حالة هستيرية، خاصة بعد قرار تولستوي السفر إلى ستوكهولم، وهو ما قررت منعه بأي ثمن.

وحسب، بل وعلة حياتي أيضًا. ولكن لا يمكنني إدراك طبيعة هذه العلة تحديدًا، لكنني أعرف أنه ليس بإمكانني مديحه أو طلب شيء منه أو التوبة أمامه...» كل هذا غير ممكن مع الله. الأمر ليس أنه لا يستمع إلى كل ما سبق، ولكن هذه ليست العلاقة الملائمة معه. الأمر كما لو أنني أردت أن أقول إن برغوث بحر قد اختبر قانون الجاذبية ويود أن يبدي مديحًا وأسفًا في ما يتعلق بعلاقته بحركة الأجرام السماوية. لكن الأمر ليس كذلك. لقد فهمت للمرة الأولى العلاقة بين تجلٍّ لا نهائي الصغر وآخر لا نهائي العظمة، لذا فإن علاقتي بالله على نفس المنوال؛ فأنا لا شيء تقريبًا، لكنني موجود من حيث علاقتي بالكيان الكلي. لا، يستحيل التعبير عن الله. لا... لا أقصد الله، بل علاقتي به.

دَوَّنت فكرة واحدة: اعتبار المرء حياته مركز الحياة هو جنونٌ وعتهٌ وانحرافٌ.

٢٢ يوليو.

لم أتناول طعامًا بالأمس ولم أنم كالمعتاد. كنت في حالة شديدة الكآبة، ولا أزال، لكنني بخير داخليًا. تقول: أحبوا مَنْ يصنعون لكم شرًّا. حسنًا... جرَّب الأمر. حسنًا، أنا أجرب ولكن على نحو سيئ. يزداد تفكيري في أن عليَّ أن أبتعد لأفكر في وصيتي بخصوص الأملاك. بوبوفا لم تصل بعد، كما أرسلت خطابًا جيدًا لستوليبيين، وها أنا بلا عمل الآن. نحن الآن صباحًا. لا أعرف ماذا سوف أفعل. عونك! عونك! عونك! هذه الكلمة «عونك» تعني أنني ضعيف وسيئ. ولكن حسنًا أن لديَّ مثل هذا الوعي. أفكار:

١- كما يمكن لخنصري أن يدرك نفسه -وهو يفعل ذلك عندما أريد أن أدركه- كذلك يمكنني أن أدرك نفسي، بإدراك الله لذاته بداخلي. ولكن كما لا يمكن للخنصر أن يدرك الجسد بأكمله، كذلك لا يمكنني أن أدرك الله الذي يدرك نفسه بداخلي.

٢٣ يوليو.

أفكار:

الصلاة جيدة وضرورية جدًا، ولكن الصلاة الحقيقية هي التي ترفع الإنسان إلى تلك البقعة الروحية السامية التي يمكنه أن يرتفع إليها، وتمنحه القوة ليناضل الشهوة.

يا إلهي، كم أنا وحيد! وحيد! أردت أن أقول ذلك، ثم تذكرت أنك معي، وشعرت بالخزي. إني لا أكون بخير إلا عندما أكون وحدي معك. قررت التنازل عن الأرض. تحدثت بالأمس مع إيفان فاسيليفيتش^(٢٠١). كم يصعب التخلص من هذه الخطيئة الشائنة المتعلقة بالملكية! عونك! عونك! عونك!

كتبت صباح الأمس. لم أفعل بعد ذلك طوال اليوم شيئًا مهمًا. أمليت بعض الخطابات التافهة، كما أمليت تصريحًا لمؤتمر السلام شديد السوء. ذهبت إلى تيلياتينكي. وصلت تانيا العزيزة. إنها عزيزة، لكنها في الآن ذاته غريبة عني؛ ليست غريبة عني كبقية أبنائي؛ وذلك لأنها تبحث عن القرب مني وعدم قتال الحقيقة. قرأت قصة رائعة عن

(٢٠١) زوج ابنة شقيقته.

الإعدامات (٢٠٢). نمت قليلاً جداً، وأشعر مجدداً باضطراب داخلي. تمشيت كثيراً. الساعة الآن العاشرة، ولا يمكنني العمل إلا بصعوبة. أفكار:

١- كتبتها كالآتي: «اعتبار حياتك هي الوحيدة هو ضرب من الجنون والعتة». غير صحيح. لا يبدو الأمر كذلك. الأفضل أن نقول: كلما ازدادت حصة الحياة التي تعترف بها في حياتك، قل مقدار الحياة، والعكس صحيح. نعم، هذا مستحيل؛ وذلك لأن ما نسميه «حياتنا» هو الجوهر الإلهي الواحد الذي يعيش في الجميع. ما نسميه: رافة، أو مشاركة أو حباً ليس سوى تجلي هذا الجوهر بداخلنا.

٢- نتحدث عن لانهاية الزمان والمكان، وبالتالي مقاييس الأشياء. اعترافنا الحتمي بلانهاية الزمان والمكان والمقاييس ليس في الحقيقة سوى اعتراف بوهم كل ما هو زمني ومكاني، سواء كان ضخماً أو ضئيلاً؛ إننا لا نرى ما حولنا بصورة دقيقة، وليست هناك مقاييس زمانية أو مكانية؛ لأن كل مقدار سواء كان عاماً أو مليون عام، فرسناً صغيراً أو مليار كيلو متر هو لا شيء: س١٠٠. كل ما يفعله الزمان والمكان هو إعطاء شكل للجوهر الروحي؛ إنهما يمنحانه الحياة، لا... بل إمكانية تجلي الجوهر الروحي الذي تتألف منه ما ندعوها «الحياة».

٣- لقد وصلت إلى هذا الوعي بأنني لست أنا من يعيش، بل الله يعيش فيّ. قد يشي هذا بنوع من الفخر الجنوني، بينما في الحقيقة هذا

(٢٠٢) الإشارة إلى قصتي بافل بتروفيتش كازميتشيف (عند المشنقة) - (الإعدام)، وقد وصلت تولستوي مخطوطتا القصتين قبل نشرهما.

محض شعور حقيقي بالتواضع. إنني لا أعتبر أن كافة دناءاتي تمثلني وتمثل حياتي، فأنا لا أعتبر ما يمثل حياتي فعلاً إلا ما هو حسن فيها. مهما كان قدر ذلك ضئيلاً، لكنه موجود، وهذا القليل ليس أنا، بل الله. تنحصر كافة الجهود التي يمكنني بذلها، والتي من الملائم لي أن أبذلها في أمر واحد؛ أن أفتح في روحي منفذاً لله، وأترك له المجال ليعمل بعد أن أقمع نفسي.

٤- في الوقت الذي يوجّه فيه المفكرون المعاصرون اهتمامهم إلى الطريقة التي يمكن بها التحرر من الملكية بشكل عام، ومن أشد أنواعها إجراماً: ملكية الأرض، يوجّه المفكرون لدينا عنايتهم إلى تأكيد مشاعر الملكية. يشبه ذلك أن يهتموا لدينا في منتصف القرن بدعم شعور ملكية العبيد والعبودية.

٢٤ يوليو.

لم أعمل شيئاً بالأمس كما توقعت. بضعة خطابات تافهة وحسب. وصل جينزبورج (نحّات) وبوسي (أديب). الأخير مثال لطبقة الإنجليزنتسيا. يبدو صالحاً بلا ريب. تنزهت بالجواد بصحبة أونيتشكا. بعد الغداء تحدثت مع تانيا العزيزة حديثاً جيداً جداً. أشارت إليّ إلى خطيتي السابقة، وهي محقة^(٢٠٣). جاء الأطفال بالمساء وابتهجوا جميعاً ورقصوا. تحسنت حالة صوفيا قليلاً، لكنها بائسة جداً. هنا يمكنني أن أساعد حقاً، بدلاً من الابتعاد والتفكير في نفسي. نمت قليلاً.

(٢٠٣) أخبرته أن التنازل عن الأرض مستحيل؛ لأن الأراضي التي كانت ملكاً له قد تنازل عنها رسمياً لهم.

لا أزال أشعر بالضعف والحنان. فكرت كثيرًا ولكن بتشتت. وصلني من تشير تكوف خطاب جيد ومبهج جدًا. أفكار:

١ - فكرت في أن أساس وهم الحياة هو ما ندعوه «الحركة». الحركة أساس الوهم، فهي تتضمن بداخلها وهم الزمان والمكان. كما قلت سابقًا، الزمان هو القدرة على أن تتصور شيئين في مكان واحد، والمكان هو القدرة على أن تتصور شيئين في نفس الوقت. الحركة هي القدرة على أن تتصور انتقال الأشياء من مكان لآخر. لا يمكن تصور عدد محدود من الأماكن، سواء لأشياء لا متناهية الصغر أو الضخامة على السواء. لذا لا يمكننا تصور عدد انتقالات الأشياء من مكان لآخر إلا في صورة عدد لا نهائي، أي أننا لا نستطيع في غياب الحركة أن نتصور أو نفهم أو نعي الحياة. هناك نوع من الوهم يحدث عندما تجد نفسك واقفًا في ثبات، بينما يتحرك كل شيء من حولك بنفس السرعة؛ فتظن أن الأشياء هي الثابتة، وأنت أنت الذي تتحرك. هذا بالضبط ما يحدث مع جوهر الأنا الإنسانية. الأنا الإنسانية الحقيقية موجودة خارج نطاق الحركة والمكان والزمان، لكنها غير قادرة على فهم الحياة إلا داخل إطار الحركة، ويبدو العالم لها ثابتًا - رغم أن هناك حركة تحدث في العالم - وأنها هي التي تتحرك، ويبدو لها ذلك في النمو والشيخوخة والاقتراب من الموت، ثم الموت. يبدو لها أنها تصل إلى العالم وتغادره، وأن العالم ثابت. كل هذا محض وهم واضح؛ وذلك لأن الحركة إن كانت موجودة، لتطلب ذلك وجود شيء ثابت، تكون الحركة حاضرة بالنسبة لثباته. وهناك وجود ثابت واحد؛ الوعي بأناي اللا زمانية واللا مكانية وغير المتحركة.

ما الحياة؟ إنها كشف وتحرير هذه الأنا غير المتحركة مما يصيبها من تضبيب وتلطix وهم الحركة والزمان والمكان.

تتأسس حياة كل إنسان، وحياة العالم كله على السواء على هذا التحرر، وعلى الزيادة المتنامية للخير الناتج عن هذا التحرير. لماذا؟ ما الهدف من ذلك؟ ما أهمية عملية التحرر السالفة؛ الحياة؟ لم يوهب الإنسان معرفة ذلك. وُهب أن يعرف أمرًا واحدًا؛ أن في ذلك خير الحياة العظيم له. يتزايد خيره بمعرفة ذلك والخضوع لهذا القانون.

أنهكت ولم أكمل بعد كل ما فكرت فيه.

٢٥ يوليو.

ودّعت دينيسينكو لتوي. صليت وبكيت أثناء الصلاة، بعدها ذهبت للقاء الجياد^(٢٠٤). الساعة الآن التاسعة، عدت متأثرًا بشدة. أصلي وأبتهج... أبتهج بوعبي بالله، والحب في روحي. قلبي مليء به. ممتنٌ للجميع وأحب الجميع.

قرأت بعضًا من كتبي (دورة قراءات)، ثم بدأت أكتب ما يتعلق بمؤتمر السلام. أفضل الآن لكنه لا يزال ضعيفًا. تصفحت بعض خطاباتي المترجمة إلى الفرنسية. الترجمة جيدة جدًّا، وكذلك المحتوى. من الواضح أنني أصبحت ضعيف ذهنيًا. عليّ ألا أكتب حماقات.

٢٦ يوليو.

بالأمس وصل شورين بيرس (شقيق صوفيا) وأسرته. لم أستطع

(٢٠٤) إلى الطريق الذي لا بد للجياد التي تقل دينيسينكو وأسرته أن تمر به.

منع نفسي من الشعور بالنفور منهم في داخلي، رغم أنني لم أظهر ذلك. أمر شرير. أصبحت ضعيفاً في تعاملتي مع الناس. تنزهت قليلاً بالجواد. كتبت بضعة خطابات تافهة. نمت اليوم جيداً، واستيقظت مبكراً، وكتبت أمراً ما ليس تافهاً، ورغم أن الفكرة قديمة لكنني كتبتها من منظور جديد. كنت أتنزه وكان كل شيء ليمضي على نحو جيد لولا أن اضطربت معدتي وآلمتني. الساعة الآن الثانية ظهراً. لم أكل شيئاً ولم أشرب القهوة. الأمور تزداد سوءاً، ولكن حالتي الروحية جيدة. قالت لي صوفيا إنني قد وعدتها بالفعل ألا أسافر إلى السويد. حالتها الصحية أفضل الآن. كتبت قليلاً عن الحرب، وكتبت خطاباً فرنسياً لستيكا^(٢٠٥). ألم معدتي يعطلني. أفكار:

عندما لا أدرك ذاتي، أعيش حياة حيوانية، وعندما أدركها وأفعل ما قرّرت في روحي، أعيش حياة إنسانية، وعندما أدرك حياة الكائنات الأخرى وأحبها، أعيش حياة إلهية.

نعم، هذا تعريف جيد للحب: «لا أهمية لأن تكون واحداً من الناس. أن تكون إنساناً هو أمر مهم، ولكن ما يهمني حقاً هو أن تكون (الإنسان)». أميل^(٢٠٦). (بالفرنسية).

قبالة الغداء وصل ابني سيرجي وبوتورلين، كما أن ماكلاكوفا موجودة منذ الصباح. بعد الغداء تحدثت حديثاً عابراً عن رحلتي إلى

(٢٠٥) خطاب شكر للفنان البولندي جان ستيكا الذي كان يحيا وقتها في باريس، لإرساله إلى تولستوي لوحة تتضمن صورته وهو يعمل في الحقل.

(٢٠٦) هنري فريدريك أميل: فيلسوف أخلاقي سويسري.

السويد؛ فاندلعت حالة غضب هستيرية مريعة. أرادت أن تقتل نفسها بالمورفين؛ فانتزعتة من يدها وألقيته أسفل السلم. ناضلتها، ولكن عندما استلقيت على الفراش، وفكرت في الأمر بهدوء، قررت أن ألغي رحلتي. ذهبت إليها وأخبرتها بذلك. إنها بائسة، وأنا أشفق عليها فعلاً، ولكن كم ينورني ذلك! لم أقبل على أي عمل سوى العمل الداخلي على نفسي. ما إن فعلت ذلك حتى حُسمت المشاكل. أَلمتني معدتي طوال اليوم. خطابات تافهة. حوار شيق مع بوتورلين. إيفان إيفانوفيتش ينمو طوال الوقت ويزداد قرباً مني.

٢٧ يوليو.

نمت قليلاً، لكنني استيقظت من دون ألم. خرجت لأتزه. صليت وتأثرت حد البكاء من بهجتي الداخلية وشعوري بالامتنان. هناك الآن أصدقاء لهذا الشعور الساحر. عدتُ. كتبت خطاباً لميتشنيكوف، وآخر فرنسيّاً لستيكا. راجعت قليلاً تقريرتي الخاص بمؤتمر السلام. أفكار:

بالإضافة للنتائج الجيدة التي تعود عليّ من إدانة الناس لي ووشاياتهم وتوبيخاتهم، هناك نتيجة أخرى تُعتبر أفضل من كل ذلك؛ كل إدانة وتوبيخ، ووشاية على وجه الخصوص، تفصلني عن العناية بحكم الناس، وتُقربني تلقائياً من العناية بحكم ضميري؛ حكم الله.

٢٨ يوليو (كتبت ذلك ليلاً قرابة يوم ٢٩).

لدينا في هذا العالم كائنات تحيا كاملاً على إنتاج الأرض، ولكن لتزداد صعوبة حياتهم على إنتاج الأرض، قَسَموا أراضيهم بحيث لا

يمكن لأحد أن يستفيد منها إلا ذاك الذي لا يعمل فيها، بينما لا يستطيع من يعملون فيها أن يستفيدوا منها، ويعانون، ويموت جيل خلف جيل لعدم قدرتهم على الاستفادة من نتاج الأرض. علاوة على ذلك تختار هذه الكائنات أسرة أو مجموعة من الأسر، ويهجرون إرادتهم وعقولهم ليخضعوا لهذه الأسرة ويتركونها تفعل ما تشاء بهم. هؤلاء المختارون هم أكثر الناس شرًا وغباءً. ولكن أولئك الذين اختاروهم وخضعوا لهم يمجدونهم بكل طريقة. تتحدث هذه الكائنات لغات مختلفة، ولا يفهمون بعضهم. ولكن بدلًا من محاولة إزالة أسباب هذه القسمة وسوء التفاهم، يُجرون المزيد من التقسيمات بينهم بحيث لا تعتمد على اختلاف اللسان، ويُكوّنون تحالفات مختلفة يُطلقون عليها «الدول»، وبسبب هذه الدول يقتلون الآلاف والآلاف من البشر أمثالهم؛ يُخربون ويقتلون بعضهم. يرتدي القطاع الغالب من هذه الكائنات نفس الثياب المبرقشة، ويخترعون وسائل لقتل بعضهم، ويُلقّنون المزيد من المدعنين أفضل وسائل القتل.

من أجل أن تستجلي هذه الكائنات حياتها، وتفهم مغزاها وهدفها، يؤكد أفرادها لبعضهم أن هناك كائنات أخرى مثلهم تمامًا، لكنهم قد وهبوا تلك السمات التي تمنوا لو يحوزوها، وبهذه السمات يمكن لهذه الكائنات أن ترتكب مختلف أنواع الحماقات والدناءات، وأن ت اخترع وسائل أخرى متنوعة، ليست لها حاجة تمامًا، من شأنها أن تُرضي هذه الكائن المتوهم، وتبدد على ذلك الإرضاء قطاعًا ضخمًا من جهودها، رغم احتياجها للعمل لإطعام نفسها. يخدعون الأطفال حتى لا يتوقف

هذا التلفيق، ويُعلّم الآباء أبناءهم كل التلفيقات الممكنة عن هذا الكائن الذي يدعونه «الله»، فيحكون لهم كيف خلق العالم وكيف أصبح إنساناً، ثم أعطى هؤلاء البشر أن يأكلوا جسده^(٢٠٧) وطار إلى سماء يعرفون جيداً أن لا وجود لمثلها... إلخ. ولا يقتصر الأمر على مطالبتهم لأطفالهم بتكرار ذلك، لكنهم يطالبون الآخرين أيضاً بذلك، وقد قتلوا -ولا يزالون يقتلون- مئات الآلاف من أشباههم من البشر بسبب قضايا شبيهة.

لكن بالرغم من معاناتهم بسبب كل ما يرتكبونه من دناءات وحماقات، يواصلون فعلها، ليس ذلك وحسب، بل ينتخبون من وسطهم أناساً ملزمين بالوصول إلى حجج تؤكد على أن كافة هذه الحماقات والدناءات ضرورية ويستحيل تجنبها. إنها أشد الحجج تعقيداً، ولا يمكن لأحد أن يفهمها، ولا حتى أولئك الذين لفّقوها وأطلقوا عليها علماً. إنهم يعتبرون كل هذه التبريرات للدناءات والحماقات، والفسفسطات -التي لسنا في حاجة إليها مطلقاً- أهم عمل لديهم، ويلقنونها الأطفال، ويعتبر الوالدان -وغالبية هؤلاء الشباب أنفسهم- أن دراسة هذا العلم يُعد شرفاً عظيماً.

تتكاثر هذه الكائنات بفعل وسائل قدرة منفرة قبيحة، تخجل من فعلها أمام الآخرين، ليس ذلك وحسب، بل تفعلها دائماً سرّاً. ينتج عن ذلك الفعل إنجاب كائنات جديدة مثلها، ولا يقتصر الأمر على أن هذا يؤلم الكائنات التي تحمل في أرحامها هذه الكائنات الجديدة التي تبدو بلا حول ولا قوة في البداية، لكن الأمر يكون أكثر صعوبة بالنسبة

(٢٠٧) يشير ساخرًا إلى سر التناول المسيحي: الإفخارستيا.

لَمَنْ تنجبها وتجدها عبثاً فوق كاهلها. يؤدي هذا الإنجاب المستمر إلى تهديد البشرية بالجوع؛ لأنه يتم بوتيرة أسرع من قدرة البشرية على توفير المزيد من الطعام. تعرف هذه الكائنات كل ذلك، وتحدث عنه، وبالرغم من ذلك لا يتوقف الأمر على استمرارها في الإضرار بمصالحها وصحتها واعتباراتها العامة، بل إنها تستغل كل فرصة لمدح هذا الفعل المنفر. البعض يمتدحونه بكلمات غير مترابطة معقدة يسمونها شعراً، وآخرون لا يمتدحونه وحسب، بل يباركون هذا الفعل الدنيء باسم هذا الكائن الذي اختلقونه وأسموه «الله».

لن أذكر هنا ملايين الحماقات والدنئات التي ترتكبها هذه الكائنات، كأن تسمم بعضها، معتبرة ذلك نوعاً من اللهو، وكيف تحتشد بأعداد هائلة في أكثر الأماكن امتلاءً، وسط مساحات شاسعة غير مأهولة من الأرض، وتشيد بنايات تضم ثلاثين طابقاً في مكان واحد... لن أذكر أيضاً كيف لا تبدي اهتماماً بتوفير أفضل طرق الانتقال لها جميعاً، ويتركز اهتمامها على أن تحظى قلة منها بالسفر والطيران بأسرع صورة، أو كيف تُرتَّب الكلمات بحيث تتماثل نهاياتها، وتضعها معاً، ثم تبدي إعجاباً بعد ذلك بهذه التركيبات وتسميها شعراً. أو تجمع بعض الكلمات الأخرى غير متماثلة النهايات، لكنها غبية وغامضة وتسميها «قوانين» وبفعل هذه الكلمات تُعذَّب الناس وتزج بهم في السجون وتقتل بعضها، والقائمة تطول... ولكن أكثر ما يدهش حقاً ليس أن تلك الكائنات تدرك عدم منطقية كل ذلك، ومدى غباء وشر كل ذلك، بل إنها تستخدم العقل لتبرير كافة تلك الدنئات والحماقات. علاوة على عدم رغبتها في إدراك

أن حماقاتها ودناءاتها هي مصدر عذابها، لا تسمح لأحد بينها أن يشير إلى أن عليها ألا تفعل ما تفعله، وأن بإمكانها - بل ويتوجب عليها - أن تفعل أمرًا مختلفًا. ما إن يظهر واحد منها وحسب يستخدم عقله بشكل صحيح، حتى تصاب جميعًا بالغضب والسخط والهلع، وتُؤبَّخ هذا الشخص بكل الطرق الممكنة، وتضربه أو تعلقه على مشنقة أو صليب أو تحرقه أو تطلق عليه النار. الأغرب من كل ذلك هو أنها عندما تشق أو تقتل هذا العاقل وسط بقية المجانين، ولا يعود يزعجها بشيء، تبدأ تدريجيًا في نسيان ما قاله هذا الكائن العاقل، وفي تلفيق أحاديث له لم يقلها أبدًا، وعندما يُنسى كل ما قاله هذا الكائن العاقل ويُحرَّف كاملاً، تُقبل تلك الكائنات التي كرهته وعذبتة سابقًا على تبجيل هذا المعذب والشهيد، بل وأحيانًا تجعله مساويًا لهذا الإله الشرير الأحقق المتوهم الذي تبجله، لتكسبه مكانة عظيمة.

مدهشة فعلاً هذه الكائنات التي يسمونها «بشر».

١ - يعود الشر بأكمله إلى تحريف الناس للفكر، فيجبرونه على خدمة مصالحهم.

٢ - لا يمكن لأي ثورة أو تمرد أن يحققوا واحدًا على ألف مما يمكن أن يحققه الامتناع عن فعلين وحسب: شرب الفودكا - الالتحاق بالجيش.

٣ - تقول لإنسان ما أمرًا واضحًا وبسيطًا، يبدو لك ضروريًا ولازمًا للجميع، بينما ينتظر أن تُنهي حديثك سريعًا وحسب. عندما تُنهيه، يجيبك باستنتاجات مراوغة، لا ترتبط بالمسألة إلا بشكل مصطنع.

تتعجب من سير الأمر بهذه الطريقة. تقول لنفسك: إنه شخص مهتم بمختلف أنواع المعارف، وقادر على الفهم... إنه خبير بالرياضيات، ويمكنه أن يلعب الشطرنج على نحو رائع، ورغم ذلك يُظهر سوء الفهم هذا! ما السبب؟ لأنه يَشْتَم في فكرتك رائحة الآتي: بإقرارها خطأ موقف معين، فإنها تهدم ما يُقدِّره أكثر من تقديره لصحة الفكرة من الأساس، وهذا سبب عدم فهمه، فهو لا يريد أن يفهم ما تقوله.

هذا وحده يفسر كافة الحماقات السائدة المسماة: «علوم» و «استنتاجات». كل ذلك بسبب أن الناس ينقسمون إلى نوعين: الأول يحكم الفكر حياته، والثاني العكس. هذا مفتاح فهم جنون العالم.

٢٩ يوليو.

لم أكتب يومياتي بالأمس^(٢٠٨). مساء أول أمس جاء حشد كبير: سيرجي - رايفسكي - جولدنفازر. دار بيني وبين سيرجي حوار سيئ. من المؤكد أنني أنا المذنب؛ فقد قلت له أمورًا كريهة. لم أنم تقريبًا بالأمس. كتبت ليلاً في يومياتي تصورًا عن الناس وحياتهم. لم أفعل شيئًا على الإطلاق. عادت صوفيا مجددًا لحالة هياجها التي تعذبني بها. أشعر بالكآبة والأسف عليها، ولكن حمدًا لله تمكنت من تهدئتها. وصلت ماشينكا (شقيقته)، وأنا سعيد جدًا بوصولها. لم أفعل شيئًا اليوم. بدأت العمل مجددًا على الخطبة السويدية^(٢٠٩)، لكن بلا جدوى. لديّ أفكار لأدونها، ولكن ليس لديّ وقت. سأذهب لتناول الإفطار.

(٢٠٨) ربما يقصد لم يدونها في دفتر اليوميات ونقلها بعد ذلك.

(٢٠٩) الخطبة المزمع أن يلقيها في مؤتمر السلام.

٣٠ يوليو.

بالأمس ذهبت بالجواد إلى آل تشيرتكوف بكونبنا. كنت في حالة معنوية سيئة، حتى إني غضبت من الجواد. في المساء جاء جولدنفايزر. تحدثت مع صوفيا. يبدو أن حالتها تحسنت. أفكار عن الموسيقى:

دخل عنصر زخرفي إلى الموسيقى المعاصر الخاصة بالسادة، وهو يعتمد على مقاطعة التعبير الإيقاعي للحن الأساسي، وإلحاق تعبيرات أخرى به تخالف اللحن والإيقاع الأساسيين؛ تعبيرات تتضمن أغرب النغمات، ثم يهجرونها ويعودون إلى اللحن الأساسي ليرزوا مدى روعته. بمرور الوقت أصبح الهدف من الموسيقى بأكملها ينحصر في هذه الانحرافات عينها.

نمت اليوم جيداً جداً، ووصل سبيرو (مراسل صحفي). أعطيته بعض المعلومات، وأنهيت مقالتي الخاصة بالمؤتمر. قدّم جوسيف عرضاً رائعة لمقالتي (عن العلم) (للمراسل). قرأت مقتطفاً من يومياتي لبوتورلين، وتحدثت مع صوفيا، وكالعادة اتضحت لي استحالة الحوار معها. الساعة الآن الثانية. سأخرج بالجواد.

١ أغسطس.

ذهبت أول أمس إلى كونبنا بالجواد. أخطأت. يبدو أنني لم أذهب إلى أي مكان. في المساء جاء بوتورلين وجولدنفايزر. ترجمت بالأمس مقالتي الخاص بالمؤتمر وتنزهت بالجواد مع ساشا. في المساء قرأت جهرًا حديثي المزمع إلقاؤه في المؤتمر... ليس حسنًا. راجعته اليوم.

هكذا أفضل . أشعر بكآبة شديدة. قطعاً أنا المذنب. اليوم حالي أفضل .
لم أغير رأيي بعد في الخطة^(٢١٠). ودَّعت بوتورلين. تمشيت كثيراً.
الساعة الآن الرابعة. يبدو أنني لن أذهب إلى أي مكان راكباً، بل سأسير.
حالتي الروحية أفضل جداً. وصلني بالأمس خطاب جيد. آه، نسيت
وصلتني بالأمس خطابات توبخني على رفض صوفيا التنازل عن حقوق
نشر كتبي. المخزي في الأمر أنني شعرت بالألم من ذلك. أفكار:

١- بالرغم من فهمي الواضح لحقيقة أن الله في ذاته غير مُدركٍ،
وأنا ندركه في داخلنا وحسب، أرغب كثيراً في الله في صورة كيان
شخصي؛ هذا الكيان الذي يمكن التوجه إليه بالصلاة. هذا بسبب
الضعف والاعتیاد، وفي الآن ذاته هي رغبة طبيعية للتواصل مع الله
بنفس الطريقة التي يتواصل بها إنسان مع آخر، رغم أن ذلك غير ممكن.
من الطبيعي أن تكون هذه الرغبة قوية جداً؛ وذلك لأن إرضاءه يتطلب
الإيمان بأنه كما أردته تحديداً؛ كيأنا شخصياً، يمكنني التوجه إليه
داخلياً بشكل دائم، كما هو في الحقيقة فعلاً، ويمكن التوجه إليه بصورة
خارجية ككيان منفصل. إن أراد المرء التوجه إليه بهذه الصورة، يتطلب
ذلك منه أن يؤمن أنه موجود ككيان منفصل، وليؤمن بذلك يحتاج إلى
دليل. الدليل الوحيد على أمر كهذا هو معجزة تكشف وجوده ككيان
منفصل عني. الإيمان بآله شخصي إذن يحتاج إلى المعجزات، وفي
عدم وجودها يتطلب الأمر قصصاً متناقلة عنها أو تخيلها. هذا ما يفعله
المدعوون مؤمنين. أولئك الذين يُطلق عليهم أيضاً ملحدین يطلبون

(٢١٠) يشير إلى نيته الهروب من ياسنابا بوليانا.

كذلك معجزات ليؤمنوا بالله، ولكن لتمتعهم بالرزانة النقدية فكريًا لا يؤمنون بمعجزات الماضي، ولا يرون معجزات في الحاضر، وبالتالي لا يؤمنون بالله، بل يؤمنون وحسب بما يدركونه بحواسهم الخارجية.

كلاهما؛ المؤمنون بوجود الله بسبب إيمانهم بالمعجزات، وغير المؤمنين بأي إله على الإطلاق، قد ضلوا الطريق؛ لأن كليهما لا يعترف بالله الواحد الذي لا شك فيه؛ الله الكائن في النفس، والذي يطلب الخير؛ الله الذي يكشف عنه قانون الضمير، والذي يصفه يوحنا بالحب. بعدم إيمانهم بهذا الإله، لا يؤمنون بتجليه. ولغياب أساس لا شك فيه للأخلاق عنهم، يُقيم بعضهم هذا الأساس على كتاب مقدس، وآخرون على العلم.

٢- من الغريب أن أكثر القناعات صلابةً ورسوخًا هي أكثرها سطحية. القناعات العميقة دائمًا في حالة حركة.

٣- كم من المدهش مدى صحة عبارة يوحنا: الله محبة! إنها تعني أن الله أسمى ما في داخلنا.

٤- لا يفهم الناس الحقيقة ويختلقون سفسطات غريبة يبررون بها عدم قبولهم إياها، أو ليؤكدوا على موقفهم، أو حتى لا يعترفون بهباء وضرر تبديدهم للوقت في نشاطهم السالف.

٥- ما دمتَ تحيا ولا تتساءل مَنْ أو ما الذي يعيش بداخلك، ستعيش كحيوان. ولكن ما إن تسأل نفسك عن ذلك وتعرف بماذا تعيش، وتدرك في نفسك ذاك الذي يعيش في الجميع، حتى تعرف الحب والله.

الساعة الآن الرابعة. سأتمشى.

٢ أغسطس.

تمشيت بالأمس والأمطار تتساقط، في حالة مزاجية سيئة جدًا. لم أرتكب شرًا، ولكن حالتي الروحية ليست جيدة، فأنا لا أشعر بالحب. قضيت المساء معهم جميعًا. استيقظت اليوم في الخامسة وفكرت على نحو جيد في الإيمان الحقيقي بالله الذي لا يحتاج إلى معجزات ولا يهتم بالطبيعة ودراستها. ثم فكرت في المؤتمر ودوّنت بعض الملاحظات قبل أن أرتدي ثيابي. تمشيت بعدها وكتبت خطابين للفلاحين. قرأت الخطابين. جاءت صوفيا وأعلنت أنها سوف تصطحبني^(٢١١)، ولا شك أن هذا سوف ينتهي بموت أحدنا واختلاق صعوبات لا حصر لها. يقينًا لن أذهب في ظروف كهذه.

لم تعد رغبتني في الموت تراودني في الليل وحسب، بل وفي الصباح كذلك. قرأت يومًا رائعًا عن الله من (دورة قراءات)، وهكذا أريد أن أعيش بعيدًا عن هذه الجلبة وعن السامسارا^(٢١٢) التي تغمرني من كافة الاتجاهات.

بدا لي أن لديّ الكثير لأدونه، لكنني لا أتذكره الآن. أعرف أمرًا واحدًا، أن كل شيء قد تعقد، ولا أستطيع حل خيوطه بالحب، رغم

(٢١١) إلى مؤتمر السلام بستوكهولم بعد أن غيّرت رأيها.

(٢١٢) مصطلح باللغة السنسكريتية يعني "الحركة المستمرة"، ويشير في البوذية إلى مفهوم دورة الميلاد ويترتب على ذلك الانحلال والموت، والتي يشارك فيها جميع البشر في الكون، والتي لا يمكن الهرب منها إلا من خلال الاستنارة. ترتبط سامسارا بالمعاناة، وعادة ما تعتبر نقيضًا للنيرفانا.

أن ذلك ضروري وممكن وواجب. سأحاول. عونك! عونك! نعم، تذكرت أفكارًا للتدوين:

١ - تنشد العون لدى إله خارجي. إنه بالضبط ما تفعله امرأة في حالة هيسيرية، حينما تتصور أنها غير قادرة على النهوض وإحضار الطعام، وبالتالي ستموت جوعًا، بينما كل ما يلزمها هو أن تذهب للطعام.

صياغة غير جيدة شكلاً، ولكن الفكرة ضرورية وجيدة.

٢ - آه، كيف أتخلص من الاهتمام بنيل مديح الناس! ثقب في وعاء، لا يُبقي شيئاً فيه. كم كان بإمكان الوعاء أن يكون جيداً!

٣ - ينتفع المرء من صحبة النساء بإدراك كيف يتوجب عليه ألا يشبههن في شيء.

وصل آل دينيسينكو. أشعر بضعف غريب. حالي الآن أفضل. سأتنزه قليلاً بالجواد في الساعة ٤٥، ٣.

٥ أغسطس.

فاتني تسجيل يومين من اليوميات. مساء الأمس جاء المجرمون وقبضوا على جوسيف^(٢١٣). تم الأمر بصورة جيدة جدًّا، سواء من حيث تعاملهم معه أو تعامله معهم. كتبت بيانًا اليوم بخصوص ذلك. كومة هائلة من الخطابات. طلبات صدقة كثيرة وخطابات رائعة من ألكسندر^(٢١٤). قاربت الساعة سريعًا على الواحدة. بالأمس: ٤

(٢١٣) تم القبض عليه ونفيه إلى مقاطعة تشيردين لعمله بالدعايا الثورية ونشره كتبًا ممنوعة.
(٢١٤) ألكسندر سولوفيفوف الذي حُكم عليه بأربعة أعوام من السجن؛ لمعارضته أداء الخدمة العسكرية.

أغسطس، راجعت بيان المؤتمر، ويبدو الآن جيدًا. تنزهت بالجواد بصحبة أونيتشكا. قرأت (الوصية الوحيدة) أمام الجميع. أونيتشكا (دينيسينكو) يفهمها. وصلت فيرا أول أمس. تنزهت بالجواد بعيدًا بصحبة أونيتشكا وصولًا إلى غابة زاسيك ثم تهمت. عملت صباحًا مجددًا على بيان المؤتمر ولم أفعل شيئًا آخر. أفكار فكّرت فيها اليوم:

١- من الجيد والضروري أن يتذكر المرء ضالة أناه؛ وأقصد هنا بمعناها الحقيقي، أي أن الأنا الجسدية ليست شيئًا على الإطلاق، إنها س\∞ ... لا شيء على الإطلاق. الأنا الروحية وحدها هي التي تشكل شيئًا فعليًا، فهي عضو في كيان ما. بينما كنت أتنزه صباح اليوم، فهمت بوضوح خاص حقيقة ضالة الأنا من حيث المكان... إنها ضئيلة ضالة برغوث بحر وسط عالم لا متناهي العظمة. ثمانون عامًا من عمري تبدو ك لحظة، ولا تساوي شيئًا حقًا إلا عندما تعيش اللحظة الحاضرة. صياغة سيئة!

٢- يُقال: لا تفكر في الموت ولن يكون هناك موت. الأمر على العكس تمامًا؛ لا تتوقف عن التفكير في الموت، وستكون حياة لا موت فيها.

٣- لماذا تبدو النساء اللاتي على شاكلة زانثيبي^(٢١٥) شريرات إلى هذا الحد؟ ذلك لأن الزوجة تُسر دائمًا بإدانة زوجها، بل وتكاد تحتاج إلى ذلك. عندما يكون الزوج سقراط، أو شخصًا يقترب من مستواه، لا تجد فيه الزوجة عيبًا واضحًا، فتدينه على صلاحه! هذا من شأنه

(٢١٥) زوجة الفيلسوف اليوناني سقراط، وهناك قصص كثيرة عن تعذيب زانثيبي لسقراط.

أن يقضي على التمييز بين الخير والشر (بالفرنسية) فتظهر المزيد من مشيلات زانثيبي.

صوفيا تستعد للسفر إلى ستوكهولم، وما إن يعرج الحديث على الأمر حتى تُصاب باليأس. أما اقتراحاتي بعدم الذهاب لا تحظى بأي انتباه منها. هناك حل واحد: الحياة في الحاضر والصمت.

٨ أغسطس.

فاتني يومان مجددًا. يوم ٦ أغسطس كان مهمًا. تجولت كالمعتاد، ثم عكفت على العمل في (عن الحرب)، ثم جاءت صوفيا وأخبرتني أن المؤتمر قد تم تأجيله. هذا ما قاله أيضًا ألكسندر ستاخوفيتش. تحدثت معه، وأغضبتني ثقته المفرطة في ذاته، ومحدوديته الوقحة والساخرة. سلكت على نحو سيئ، ولم أستمع سوى لنفسِي. لم يكن يوم ٦ هو المهم، بل مساء يوم ٥. جاء رجال الشرطة من أجل جوسيف، واقتادوه للسجن ثم إلى مدينة تشيردين. حدث كل ذلك على نحو جيد جدًا. سيطر على نفسه جيدًا، وهو يتسم بذلك عمومًا، وهم كذلك حدّثوه باحترام ولطف وتقدير. في اليوم التالي وصل ستاخوفيتش؛ في اليوم الذي رحل فيه دينيسينكو وزوجته. إنه ذكي، أما ستاخوفيتش شنيع. كنت واجمًا بشدة. بعودتي من نزهتي يوم أمس وجدت اثنين: شابًا وآخر سياسيًا جورجيًا عائد من المنفى. في البداية استقبلتهما ببرود. تحدثت، والحمد لله شعرت بالحب تجاههما. قال لي الشاب إنهما يتهمانني بتنازلي الوهمي عن أملاكي؛ فقد تنازلت عنها لأسرتي. وبيا للخزي... أحزنني ذلك! أردت أن أطلب من أحد أن يكتب عن ذلك.

سبىء أنا في نسياني أن الحياة أمام الله وحده، في داخلي وبخارجي على السواء. أنهيت بعدها (عن الحرب)، وأنهيت بياني عن جوسيف. الأخير سبىء، لكني سأرسله. خرجت بالجواد. في المساء جلست بصحبة الجميع. في حالة مزاجية سيئة. لم أسلك كما يجب، لكني لم أرتكب شرًا كذلك. أفكار:

١- لا أحب التحدث مع الناس الذين يتظاهرون، بينما يستمعون إليك بأنهم يعرفون ما ستقوله، ويبدون موافقتهم عليه مقدمًا، كأنهم يقولون: يُفترض أننا نفهم بعضنا. يستمع الفلاحين إليّ ويتحدثون دومًا بهذه الطريقة.

٢- حب النفس؛ بمعنى الأنا الجسدية، وكراهية الناس وكل شيء هما الأمر ذاته. «الناس جميعًا لا يريدون أن يعرفوني، ويزعجونني، فكيف لا أكرههم إذن؟!».

٣- إن حياتنا بأكملها تشبه حلم ليلة ما، تنسى فيه كل ما حدث قبل نومك.

١٠ أغسطس.

فوتُ أمس، وقد كان يومًا مهمًا. لم أفعل شيئًا بعينه في الصباح. تنزهت، ولكن قليلًا بسبب شعوري بالضعف. أعادوا جوسيف قبل الغداء^(٢١٦). لم أستطع إمساك نفسي عن الابتسام حينما سمحوا لسانشا ودوشان وماريا ألكسندروفنا بتوديعه، كل واحد على حدة. إنه مضطرب

(٢١٦) ليودع ذويه قبل منفاه.

بشدة لكنه بخير. جاء زاسوسوف منذ الصباح، وهو فلاح ماضٍ صوب الدوخوبورين، وهو الآن رافض لأداء الخدمة العسكرية. أحببته بشدة. فلتعنه يا الله الكامن بداخله. لم أكتب شيئاً سوى بضعة خطابات أُمليتها على ساشا. حَمَلَ أحد الخطابات التي وصلتنني تقريراً عنيماً. الأمر مبهج من منظور انتشار الحقيقة، لكنني ببساطة أشعر بالحزن في داخلي: لماذا يكرهونني؟ وما الجدوى من ذلك؟ أفكار:

١ - فكرة شديدة الأهمية وقديمة، لكنها للمرة الأولى تبدو مفهومة بوضوح؛ فكرة أنه من الضروري أن أجعل أهدافي -على مستوى الفعل لا الكلام- لا تنحصر فيّ أنا ليف تولستوي، بل في أفعال الحب حتى تصبح الحياة مبهجة، ولا بد لها أن تكون كذلك، مع ملاحظة أن أفعال الحب دائماً ما تكون خارج نفسي، وتتعلق بالآخرين. فهمت للمرة الأولى أن هذا ممكن. سأتعلم الأمر.

٢ - إن حياتنا بأكملها، وكل الأشياء التي نهتم بها، موجودة في وقت محدد وفي حالات محددة. يعود الاختلاف بين هذه الأشياء إلى اختلاف المكان الذي يشغله كل منها، ولكن المكان لا نهائي، لذا كل الأشياء متعادلة، فهي لا شيء من حيث علاقتها بلا نهائية المكان: س١٨٠. كذلك هو الأمر مع الأوضاع الزمنية للأشياء، فهي لا تساوي شيئاً جميعاً من حيث علاقتها بلا نهائية الزمان. هذا يعني أن ما نراه لا نهائياً ونسميه «اللانهاية» ليس إلا دلالة على وهم ولا واقعية كل ما هو مادي وشخصي في حياتنا.

الفكرتان مهمتان، خاصة الأولى.

أنا مستلقٍ على الفراش، أشعر بالمرض. تراودني ذكريات رائعة تتعلق بتشير تكوف. اصطحبت ساشا جوسيف إلى تولا.

١١ أغسطس.

وصلتني صباحًا برقية تفيد بأن مقالتي عن جوسيف سوف تُنشر، ثم برقية أخرى من جريدة ماتين (جريدة فرنسية) عن جوسيف أيضًا. قرأت بعضًا من كتاب كانط، وأفكر طوال الوقت في الحركة والمادة، الزمان والمكان. ذهبت إلى يسينكا بالجواد. حالتي الصحية أفضل. سأمضي لتناول الغداء. جاء شاب لطيف، ماضٍ إلى أورشليم، وجاء زاسوسوف مجددًا، وترك فيَّ انطباعًا مبهجًا جدًا.

١٢ أغسطس.

استيقظت مبكرًا جدًا، وأنا في حالة صحية ممتازة. نُشرت بالأمس مقالتي كاملة تقريبًا^(٢١٧). فكَّرت صباحًا على نحو جيد، في المنزل وأثناء نزهتي على السواء. قرأت لكانط قليلًا. وصلتني خطابات مزعجة. أحدها من أنطونوف الاشتراكي، وآخر من فيليكانوف. كما وصلتني كذلك خطابات أخرى جميلة ومؤثرة. كتبت مسودات لردودي على الخطابات. حمدًا لله أنني لم أرسل خطابي الخاص بالتنازل عن الأملاك. كم أشعر بالضعف أحيانًا! حسنٌ أن الصلاة تتضمن: «طُوبَى لَكُمْ إِذَا عَيَّرَوكُمْ...»^(٢١٨) تذكر ذلك وسيختلف شعورك تمامًا. الإدانة غير المستحقة، وحتى المستحقة تدفعك صوب هذه المنطقة التي تتصل

(٢١٧) حذف الرقابة بضعة كلمات من المقالة.

(٢١٨) راجع متى ١١: ٥.

فيها بالله وحده. يا لسهولة وجمال ذلك! يبدو لي أن شيئاً شديد الأهمية قد انكشف لي. سأدوّن أفكارى الآن، بدءاً بغير المهمة منها:

١- تستاء وتغضب من محبة الناس لأنفسهم، ولكن إن فكرت قليلاً ستجد أنه ليس بإمكانك سوى أن تشفق عليهم. إنهم محرومون من أعظم خير، لا يضاهى به خير آخر؛ الوعي في الذات بالشعور بالحرية والبهجة دائماً، وأن تكون دائماً خارج نطاق قيود الزمان والمادة.

٢- أختبر اليوم: ١٢ أغسطس، شعوراً غير عادي، رقيقاً، مبهجاً، مليئاً بالامتنان والحب للجميع. أيمكن أن يكون ذلك بسبب حالة عصرتي الصفراوية التي سبقت ذلك؟ يُقال إن إجبار النفس على الحب أمر مستحيل. صحيح أن بعض الحالات الجسدية، المتعلقة بالصفراء مثلاً، يصعب فيها ذلك بشدة. ولكن إن جعلت هدف حياتك في مثل هذه الظروف هو زيادة الحب؛ فإنك على أقل تقدير لن تُفسح المجال لكراهيتك، وستناضلها. يا لسرورك إذن حينما تود -مثلاً أود الآن- أن تحب الجميع ببساطة، وتعرف أن معنى الحياة بأكملها يتلخص في ذلك! الحب يتضاعف. لم أختبر أبداً هذا الشعور المبهج مثلاً اختبرته اليوم.

٣- الآن الفكرة الأكثر أهمية بحسب ظني: أدرك أنني أنا هو الكيان الكلي، وفي الآن ذاته أدركها كياناً منفصلاً عن الكيان الكلي. إن حياتي، وحياة كافة الكائنات، هي هدم كل ما يفصل.

سر حياتي وحياة كل إنسان وحتى بقية الكائنات في الوعي داخل النفس بانفصال ما هو من حيث وجوده واحد في الكيان الكلي. يحتاج

كل إنسان، وكل كائن أن يعي نفسه داخل نطاق المادة المتحركة، حتى يعي انفصاله عن الكيان الكلي. في غياب الحركة المادة لا تساوي شيئاً، وكذلك الحركة في غياب المادة. لا يمكن تصور المادة إلا في ظل مكان لا نهائي، ولا يمكن تصور الحركة إلا في ظل زمان لا نهائي. تكشف لنا لا نهائيتهما عن أوهامنا وتصوراتنا. إن انفصال الكائنات واحد من التجليات، ولكن تجليات ماذا؟ ولماذا؟ لم نُوهب معرفة ذلك. لا يعرف الإنسان سوى أنه كيان كلي، وفي الآن ذاته كيان منفصل. يعرف أن شعور الحب الذي يعيه صوب نفسه، ثم صوب الكيان الكلي، هو الأساس الوحيد الذي يُؤلّف حياته المنفصلة عن الكيان الكلي.

١٣ أغسطس.

تصفحت بالأمس مقالتي (عن جوسيف). جاء كل من ألكسندر ستاخوفيتش وستروفي. لا يثيران اهتمامي، وأشعر بالضيق في وجودهما، خاصة ستروفي. عبثاً قرأت لهما (عن العلم)، وعبثاً تحدثت. نمت اليوم قليلاً جداً، وأشعر بالضعف. حالتي الروحية ليست بخير. أعمل بكدٍّ على نفسي لأعيش أمام وجه الله وحده. هذا ممكن. تنزهت. لم أكتب شيئاً. الساعة الآن الثانية عشرة. أفكار:

١ - طبقاً للاوتسو عدم الفعل أهم من الفعل؛ لأن القطاع الأكبر من الفعل خارج نطاق سلطانتنا، بعكس اللا فعل، فهو دائماً في نطاق سلطانتنا. كل الوصايا التي لا يرقى إليها شك، مثل: لا تقتل - لا تسرق - لا تكذب - لا تزني، هي وصايا سلبية. أما الوصايا الإيجابية، لا يمكن أن تنطبق إلا على النشاط الروحي الحر دائماً: أَحِبِّ للآخرين ما تحبه

لنفسك. ينبع اللا فعل بحسب لاو تسو من إيمانه، بأن الطاو موجود في السماء والإنسان على السواء، أو بتعبير آخر: الله موجود في ذاته وفي الإنسان على السواء، وهم يصفون إيمانه هذا بالميثافيزيقي، وكأنها وصمة عار. يدعو تعليم لاو تسو إلى اللا فعل، أي ألا تفعل ما يريده الإنسان بداخلك، بل تترك المجال ليعمل الطاو بداخلك؛ دع الله يفعل ما يريده عبرك.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأفحص ما وصلني من رسائل.

١٤ أغسطس.

لم تصلني بالأمس خطابات مهمة بشكل خاص. طالب يريد أن يساعد في نشر المسيحية... شعرت بضعف شديد. تنزهت قليلاً بالجواد. سلكت بالمساء على نحو معقول، لكنني تصرفت بشكل منفر في ما يتعلق بكلامي المعسول مع الزوار. كنت ألعب الشطرنج، وبدلاً من أمضي إليه وأحدثه حديثاً قليلاً، رفضت ببرود. حمداً لله أنني تذكرت، وشعرت بالخزي والدناءة. عونك... عونك!

استيقظت مبكراً، بعد نوم قليل واستغراق في التفكير.

١- يتحدث الإنسان الذي يسمو إلى مستوى الوعي الديني، أي إلى مستوى الاعتراف بنفسه كائنًا روحيًا، والإنسان غير المتدين لغتين مختلفتين، ولا يمكنهما التفاهم.

٢- فكرة تبدو لي مهمة جدًا: في لحظات الضعف والقوة على السواء، أحب أن أقول: عونك يا سيدي! أعتقد أن لا أحد يسمعي

ورغم ذلك أتكلم. ثم تخطر على ذهني: إن كانت علاقة الجوهر الكلي بي تشبه علاقتي بأجزاء جسدي، فيمكنني أن أشعر بإرادتي بهذا الجزء أو ذاك، فلماذا إذن لا أتصور أنه كما يمكنني -متى أشاء- أن أجلب نفسي وعيًا بيدي أو قدمي أو إصبعي، يمكن كذلك لمن ألتمس عونَه -متى يشاء- أن يجلب لنفسه وعيًا بي، أنا الذي أمثل جزءًا من كيانه، بروحه الموجودة داخل جسدي؟

كل هذا محض وهم، لكنه مقبول.

إن كان الأمر هكذا، وإن كانت معاناة جزء من جسدي تبعث فيَّ شعورًا به، فلا بد إذن أن معاناة كياني بأكمله تبعث في الله وعيًا بي. وإن كان الأمر كذلك؛ كيف لا أنشد المعاناة إذن؟!

الساعة الآن الحادية عشرة. أنتظر وصول البريد. أشعر بضعف شديد. غير قادر على العمل، ولا أرغب فيه.

١٥ أغسطس.

مساء الأمس شعرت بالملل. بعد أن نصحتُ ماشينكا (شقيقته) اليوم بالذهاب إلى الكنيسة لحضور القداس، استيقظتُ في السادسة، وذهبتُ إلى الكاهن^(٢١٩). صباح ساحر. كم نُضِجُ من أيدينا بتفويت فترة الصباح بالنوم! قرأت في كتاب الفلسفة المعاصرة^(٢٢٠). كم هو مصطنع وغير ضروري! وصلتني خطابات، أحدها مجددًا من

(٢١٩) ليسأله عن موعد القداس لأجل شقيقته.

(٢٢٠) تاريخ الفلسفة المعاصرة: H. Höffding.

فيليكانوف، وشعرت بالكآبة ثانية. لماذا؟ وصلتني كذلك خطابات من جوسيف. كان يشعر بالكآبة. تنزهت بالجواد بصحبة زوسيا. أشعر بالحزن. لم أفعل شيئاً مشيناً بشكل خاص. سأمضي لتناول الغداء. لم أكتب شيئاً، ولم أدوّن حتى أي أفكار.

١٦ أغسطس.

شعرت بالملل طوال المساء. كم أنا بعيد عن كل ما يشغل حياة كل من حولي! جاءني عاملان، ميسورا الحال، مثقفان، اشتراكيان. شك مريع ومحدودية. لا شيء خاص بالإنسان، وليس هناك فرد إنساني، بل عضو في حزب وحسب. بعد التحدث معهما وصلت إلى استنتاج ظل يحاول أن يظهر طويلاً، ولم ينجل سوى الآن. هناك نوعان من الناس: في النوع الأول ترتبط الفكرة بالحياة، شئت أم أبيت عليك أن تفعل ما يمليه عليك الفكر، ويستحيل أن تواصل فعل ما يناقض فكرك بهدوء، تسترشد الحياة بالفكر لديهم إذن. أما لدى النوع الآخر، انتزع السير من دولاب النقال^(٢٢١) وأصبح القطاع الأكبر من الفكر وحياة أصحابه مغتربين عن بعضهما. وهذه هي محركات الحياة لدى هؤلاء الناس: الشهوات الجسدية والسعي لنيل مديح الناس. لا فائدة تُرجى من محاولة إثبات شيء يتنافر مع شهواتهم وسعيهم لنيل مديح الناس، تماماً كما يستحيل أن تضع السير فوق عجلة واحدة صغيرة ذات تروس وحسب. تدور العجلة، ويتهيجون، وقد يتباهون بدوران عجلتهم على نحو أسرع من العجلة الرئيسة.

(٢٢١) سير من مادة مرنة تستخدم لربط اثنتين أو أكثر من البكرات الدائرية. ويمكن استخدام الأحزمة لتكون مصدر لحركة ونقل الطاقة بكفاءة.

نمت اليوم على نحو أفضل، لكنني استيقظت شاعرًا بالضعف
وبعاطفة رقيقة طيبة...

أشعر بالسرور...

أود لو أبكي طوال الوقت...

ليتني أهرع وألقي نفسي

بين أحضان الأبدية (٢٢٢)

شعور خاص رقيق بالفرحة. حلمت ليلاً بـ... زنا، وحديث مع
لاو تسو، واتضح لي علاقة الإنسان باللا فعل، أو بالأحرى بالشخص
الممارس للافعل. إن الإنسان لا يفعل شيئاً في هذه الحياة إلا بضعف. باللا
فعل وحده يمكنه أن يندمج بالطاو الذي يشكل جوهر اللا فعل. لا تفعل،
وعش بالطاو. اتضح لي الفكرة تماماً ليلاً، وشعرت بالسرور كلية.

فكرت في مديح الناس. هناك ما هو مشروع في احتياجك لرأي
الناس الحسن فيك، وحبهم لك... شيء لا يقاوم. ثم خطر حالاً على
فكري أنه بقدر زيف وجرم الرغبة في نيل مديح الناس وحبهم في
الحياة، فإن الرغبة في مواصلة حياتك في أرواح الآخرين بعد موتك هي
أمر حسن وطيب. لا يوجد في هذه الرغبة ما يعد انغماساً في الشخصية،
ولا يوجد ما هو استثنائي فيها، بل إنها تكشف عن رغبة واحدة وحسب؛
المشاركة في الحياة الروحية العامة والشاملة، والمشاركة في عمل الله،
وهو عمل إثاري وغير شخصي. يبدو أن هذا صحيح.

(٢٢٢) اقتباس من بعض أبيات الشاعر الروسي ليرمنتوف.

لم أكتب شيئاً بالأمس، ولا حتى خطابات؛ فقد شعرت بالضعف. لكنني حمداً لله لم أسلك بشر. وصل إيفان إيفانوفيتش وماريا ألكسندروفنا. خرجت بالجواد مع زوسيا، وسعدت جداً بالتجول في الغابات. بعد الغداء صرفوا الحاضرين، ولم يبقَ هنا سوى الأطفال، وبدأ الأطفال طبيين. لا شيء مهم في الخطابات. عزف جولدنفائزر في المساء على نحو جيد جداً. لم أتم اليوم قليلاً، ورغم ذلك أشعر بالضعف طوال الوقت. خرجت لأتنزه وصليت على نحو جيد. تزداد الصلاة حسناً بقدر ما تتشكل من حقائق دينية عميقة، فتجد نفسك، بغض النظر عن ظرفها، تستوعبها في كل مرة من منظور جديد. هذا ما حدث اليوم. جاءني في المنزل ضابط سابق من وارسو بمشروع تأسيس جماعة من المسيحيين. حاولت بكل قواي ألا أسيء إليه أو أحزنه، ولكن إما هذا أو ذاك. شعرت في داخلي بالسرور والراحة والحب. أنا ممتن لكل شيء. الساعة الآن الحادية عشرة، وقد انشغلت بدراسة الطاوية. قرأت شيئاً ما، ودوّنت بعض الأفكار:

١ - لا وجود حقيقي لشيء في حياتنا إلا لما هو روحي وحسب. لذا فإن الوعي الجديد بالحقيقة الروحية هو حقيقة متحققة فعلاً، بغض النظر عن أننا لم نصل إلى هذا الوعي بعد، أو أنه لن يتحقق أبداً بسبب الموت مثلاً. ما هو روحي موجود خارج نطاق الزمان والمكان، لذا فإن الوعي - إن كان روحياً وصادقاً حقاً، يكون قد تحقق فعلاً.

٢ - فكرت في مدى قلة تقديرنا لعدد الناس عندما نتحدث عن تأثير

وانتشار هذا التوجه الفكري أو ذاك. يمثل الاتجاه الثوري والاشتراكي في روسيا، لنقل: ١٠٠ أو ٢٠٠ أو ٣٠٠ ألف إنسانٍ من ضمن عدد سكان يصل إلى ١٥٠ مليون إنسانٍ، وإن اقتطعنا الأطفال بنسبة ٣٠، ٠، ولنقل ٠، ٥، مرضى ومجانين، يتبقى لنا تقريبًا ١٠٠ مليون إنسانٍ. حينها لن يُشكّل ٣٠٠ ألف إنسانٍ من هذا العدد أكثر من ١ / ٣٠٠ من مجمل عدد السكان. يعني ذلك أن النسبة يجب أن تتضاعف ٣٠٠ مرة حتى يتغير نظام المجتمع كله طوعًا. هكذا هو الأمر حسابيًا، ولكن المسألة في الواقع مختلفة تمامًا. هناك عدد غفير تقارب نسبته ٩٩٩، ٠، من الناس، أي أن ١٠٠ مليون - ١٥٠ ألف = ٩٩، ٨٥٠، ٠٠٠، وحتى كامل ١٤٩، ٨٥٠، ٠٠٠ مليونًا الذين اختاروا الوضع الراهن، ووجدوا أنفسهم غير مضطرين إلى تغييره، يتحركون هنا وهناك لكنهم لا يخرقون ما هو معتاد. هؤلاء هم الغالبية، ولكن يمكن أن تنتقل نسبة ٩٩٩، ٠، إلى صف الثوار، إن شعرت بأن قلقها في ظل النظام الجديد سيكون أقل قدرًا من قلقها الموجود الآن في ظل النظام القديم. هناك ثلاث تأثيرات تجعل ذلك قريب الحدوث:

١- الوعي المتزايد بقلق وجزع النظام الحالي.

٢- الوضوح والهدوء المتزايدان في ما يتعلق بالنظام الجديد.

٣- وهي الأهم: الوضوح المتزايد للزيف الأخلاقي الديني للنظام الحالي، والافتناع بصحة النظام الجديد.

قلت إن النقطة الأخيرة هي الأهم، وهناك وسيلتان يدعمان حدوثها: توضيح لا جدوى النظام القديم، وفائدة النظام الجديد، أما الوسيلة الأقوى على الإطلاق هي التربية.

يكفي ذلك الآن، سأذهب إلى المنزل لقراءة الخطابات وتناول الإفطار.

١٨ أغسطس.

تنزهت بالأمس بالجواد بصحبة ساشا. أشعر طوال الوقت بالضعف. في المساء نقّحت كافة الخطابات. تحدثت معي صوفيا حديثاً مزعجاً؛ فلمتها بلين، وصمتت. نعم، يجب أن أستطيع^(٢٢٣). الأمر ذاته مع كوبيلوف الذي استدعي للمحاكمة بسبب أشجار البلوط^(٢٢٤). استيقظت اليوم مبكراً بعد نوم قصير. لم أعمل شيئاً. قرأت لمين نسي (حكيم صيني)، كما اطلعت على الخطابات الواردة. وصل ديموتشكا وجاءني خطاب من تشيرتكوف، كما جاء زابولوتسكي (صديق لتشيرتكوف)، وكان مهتاجاً بشدة، لكنه لطيف. كتبت خطاباً لتشيرتكوف. وصل آل دوينسكي. السيدة دوينسكي حمقاء بدرجة مفرعة. أعلنت لي أن ابنها الصبي يكرهني ويحب القيصر. سأمضي لتناول الإفطار ثم للقاء كافة الضيوف.

أثناء نزهتي اختبرت شعوراً بالحب صوب البشر والأشياء جميعاً؛ شعوراً مبهجاً على نحو خاص، يكتنف روعي بأكملها. فكرت وأشفقت على هؤلاء الناس الذين يحرمون أنفسهم من ذلك الشعور، ويفكرون في جلب الفرح إلى أنفسهم بوسائل خارجية.

(٢٢٣) يقصد أن يستطيع أن يحيا أمام وجه الله وحده.

(٢٢٤) أمسكه الحارس بينما يسرق من أشجار بلوط تابعة لأراضي صوفيا، وتشاجر تولستوي مع صوفيا بسبب الأمر، محاولاً إقناعها بالعدول عن المحاكمة، الأمر الذي انتهى بإعادة التفكير في الهروب من منزله.

حشد هائل من الزوار. شعرت بالضييق طوال المساء، والآن عندما أستعيد إلى ذاكرتي هذه الأمسية، أشعر بالخزي، وبالطبع أنا السبب، فذلك يعود إلى كوني سيئاً، غير صادق، عرضة للتأثر بسهولة. سأحاول أن أكون أكثر أمانة في المستقبل. نمت اليوم قليلاً، واستيقظت مبكراً. شعرت أثناء نزهتي شعوراً جديداً ومبهجاً بحالة حب رقيقة؛ حب خاص صوب الجميع، ورغبة في أن أنقل لهم حالتي الروحية، وعلاقتي الحرة المبهجة بالله وشعوري صوبه بالحنان والاحترام والحب، والثقة في أن باستطاعتي أن أساعده. وصلت المنزل، وتحدثت مع ماريأ ألكسندروفنا، وأشعر الآن أنني لست على ما يرام. نعم، عليّ التزام الصمت بقدر ما أستطيع. إن تحدثت، فليكن ذلك عندما تشعر أنه يتحدث بداخلك. فكّرت في الآتي:

يتمثل سر حياتنا برمتها، وأساسها في الانتقال بوعينا بأنفسنا من كائنات منفصلة إلى الوعي بأننا كيان كلي، غير قابل للانقسام، واحد، حر، كلي القدرة، إله! تبدو الحياة لنا تحريراً تدريجياً للوعي الإلهي بداخلنا. ليست الحياة سوى ذلك... ليست سوى ذلك. يمكن لمن يتمسكون بالمفهوم القديم السائد عن الله أن يقولوا إن الله قد وهب الناس خير أن يعوه في أنفسهم. لكن هذه الفكرة اعتباطية. هناك أمر واحد مؤكد؛ أن الحياة الإنسانية هي تحرير للجوهر غير المادي والثابت، الخارج عن نطاق الزمان والمكان، داخل النفس، من الانفصال وشروط المسافة الحتمية؛ شروط المادة داخل نطاق المكان، والحركة داخل نطاق الزمان.

سوف أكمل فيما بعد. الساعة الآن الثانية عشرة. وصل البريد.

٢٠ أغسطس.

لم أفعل شيئاً بالأمس عدا ردود قصيرة على بعض الخطابات. ذهبت راكباً إلى أوفسيانينكوفو. لم يأت بولانجي بعد. تحدثت مع تينيشيف^(٢٢٥) عن الضريبة الموحدة. أشعر بالهدوء والوداعة في روعي. قضيت وقتاً طويلاً بالمساء بصحبة ميخائيل سيرجيفيتش (زوج ابنته). لا أزال أشعر بالضعف.

استيقظت اليوم في حالة ضعف كامل، وبذهن يفتقر إلى الحيوية. خرجت للقاء الجياد، ولم أفكر في الطريق سوى في أمر واحد عملي شديد الأهمية؛ حقيقة أنني أزعج الجميع بالكتابة دون توقف عن أمر واحد، أو على الأقل هذا ما يبدو لقطاع كبير من القراء، تماماً مثلما يزعمني كروفت هيلر، لذا عليّ أن أصمت وأعيش، وإن كتبت شيئاً، وراودتني رغبة شديدة في ذلك، فليكن عملاً فنياً؛ الأمر الذي أشعر بانجذاب شديد صوبه. يقيناً لا تدفعني إلى ذلك الرغبة في النجاح، بل الرغبة في قول ما يمكنني قوله لرقعة أكبر من القراء، وبطريقة لا تفرض عليهم ذلك، بل تستحثهم. عونك يا إلهي!

حدث أيضاً أنني التقيت صبيّاً من تولا ومعه بعض الرسومات، ويبدو أن يصبح رسّاماً، وطلب عوني في ذلك. رأيت أن رسوماته سيئة؛

(٢٢٥) عضو بمجلس الدوما، وحاول تولستوي إقناعه ببعض الإصلاحات الخاصة بالضرائب على الأرض الزراعية وفقاً لنظرية هنري جورج.

فتعاملت معه ببرود. حسنًا أن ذلك لم يمرض عبتًا، بل جعلني أشعر بالخزي والألم.

كتبت ثانية عن الأمر ذاته:

أنا كل شيء ولا شيء. أكون كل شيء عندما أعني نفسي كيانًا روحياً خالصًا لا ينقسم، وأعمل على تجلي هذا الوعي بالحب صوب كل ما أعنيه، أي أحب كل ما أدرك أنه حي. أكون لا شيء عندما أعني نفسي كيانًا جسديًا منفصلًا عن كل كائن آخر، وأعمل على تجلي هذا الوعي بحب أناي الجسدية المنفصلة وحسب. أكون لا شيء؛ لأن أناي حينها تُقدَّر بالآتي: س\∞.

لا تمتع أفكارني الآن بالوضوح الكافي لأستمر. الساعة الآن الثانية عشرة.

٢١ أغسطس.

أجبت بالأمس عن بعض الخطابات التافهة. ذهبت إلى تيليانتيني بصحبة ميخائيل سيرجيفيتش وساشا. التقتني سيدة بخطة للتعليم. وصل آل بوتكيني أثناء الغداء. ملل! تحدثت مع جولدنفائزر ونيكولايف عن «الضريبة الموحدة». استيقظت اليوم مبكرًا. أشعر بضعف شديد جدًا. بدأت قراءة كتاب *Pauthier* عن الصين. واصلتني خطابات جيدة طيبة لا أستحقها. حمدًا لله لا أريد أن أكتب شيئًا. دَوَّنت فكرة تافهة:

يُحكى أن بعض حبوب القمح ظلت لآلاف الأعوام كامنة في المقابر المصرية، ولم تعرف شيئًا عن نفسها. بالنسبة لها كان وجودها

وعدمها سواء. اكتشف العلماء المقابر بحفرياتهم ووجدوا فيها حبوب القمح، وأخذوا بعضها ونثروها في الأرض كي يختبروها، وبدأوا يسقونها بالماء. هذه الحبوب التي لم تكن تدرك شيئاً عن نفسها، أدركت وجودها فجأة، وأدركت أنها حبة ونبتة في الوقت ذاته.

لا يمكنني أن أكمل... أشعر بضعف شديد.

ربما أخرج من الفكرة بشيء. سأمضي لتناول الإفطار.

٢٢ أغسطس.

خرجت بالجواد. شعرت بضعف شديد حتى المساء، ثم تحسن حالتي مساءً. استيقظت اليوم شاعرًا بمزيد من الحيوية. جلب لي دوشان خطابي لبولندية^(٢٢٦). أجريت بعض التصحيحات. تنزهت على نحو جيد. حالتي الروحية جيد، لكنني ضعيف وفكري لا يعمل جيدًا. كل شيء على ما يرام. كم يحسن بي ألا أكتب! فكرت في المزيد عن حبوب القمح، لكنني غير قادر على الكتابة. قرأت في (دورة قراءات) ووجدت فيها فائدة ومنتعة. كما يتوجب وضع حبة القمح في باطن الأرض حتى تنال حياة، لا بد كذلك للروح أن تُحصر في الجسد حتى تحيا. الساعة الآن الثانية عشرة. لا أفعل شيئًا، ولن أفعل شيئًا. ضعف... ضعف... بدأت ألاحظ في نفسي أفعال وأفكار لم ألاحظها من قبل، تعود إلى سعيي لنيل مديح الناس.

في المساء جاء أندريه وزوجته، وعزيزي جولدنفایزر ونيكولايف. تحدثت معهم على نحو جيد. نمت قليلًا بالليل، ولكن فكري بدأ

(٢٢٦) وصلت تولستوي رسالة غير موقعة من قرية بإقليم جاليسيا، توبخه على أنه لم يذكر شيئًا عن معاناة البولنديين حينما كتب عن معاناة البوسنة والهرسك من أقاليم بروسيا.

العمل. تنزهت كالمعتاد، وكان صباحًا فائنًا. كيف ترتفع سحابة بخطوط باهتة من أحد جانبيها إلى السماء الزرقاء الصافية فوق بحر الغابات الأخضر... منظر رائع! فكرت كثيرًا وعلى نحو جيد، لكنني لا أريد تدوين أفكاري. دوّنت فكرة واحدة ليلاً:

١- كل ما تتصوره داخل نطاق المكان والزمان يُقدَّر بالآتي: $s \rightarrow \infty$ ، أي أنه لا شيء. ما هو موجود حقًا هو الموجود خارج نطاق الزمان والمكان؛ إنه وعيي الروحي، وعيي المتحد بوعي بقية البشر، وهو وحده غير منقسم، وأعرفه في اللحظة الحاضرة؛ اللحظة الموجودة خارج نطاق الزمان والمكان.

٢- كتبت سابقًا: «الحياة هي الانتقال بالوعي الزماني والمكاني إلى الوعي اللا زماني واللا مكاني». لكن هذا غير سليم. هذا الانتقال في حد ذاته أمر زمني. الأفضل أن أقول: هو التحرر مما هو زماني ومكاني.

٢٣ أغسطس.

جاءني بالأمس عامل مثقف، ولكن لسوء الحظ يحتاج مألًا. جاءني ساشا لتوها، وحديثني عن العامل ذاته. يطلب مألًا. أنا مشغول بخطابي إلى بولندية.

لا يمكنني ألا أسر بالآتي: تزداد مراقبتي لعنايتي بمديح الناس، ومن ناحية الإيجابيات أشعر بالأسف -حتى وأنا في روح معنوية منخفضة- على ستوليبين ونيكولايف، وحتى على أندريه، ولكن بدرجة أقل. اليوم يمكنني دون صعوبة أن أشعر بالأسف، بل وحتى بالحب. لا أعمل شيئًا. أقرأ عن الصين، وقد دوّنت أمرًا ما عن لاو تسو.

حظيت بنزهة لطيفة بالجواد بصحبة جولدنفایزر. وصل سير جينكو مساءً. استمعت بضيق إلى المديح. لم أخطأ في شيء على نحو خاص.

٢٤ أغسطس.

حظيت بتمشية طويلة جيدة. فكرت في ما هو موجود حقًا في الحياة. كتبت في دفترتي الصغير، ولم أكتب شيئًا آخر. قرأت بعضًا من الإنجيل. رائع جدًا. يراودني شعور جيد تجاه جوجول أيضًا. أعجبت على نحو خاص بالاستعداد لمعانقة الإنسانية كلها، لا إنسان بعينه. وصل جوساروف بصحبة ديموتشكا (فلاح وزوجته). حظيت بحديث جيد مع جوساروف وزوجته. قرأت في الصحف ما يتعلق بستوكهولم وجوسيف وقراءتي ببرلين^(٢٢٧). أشعر بقدر من الكبرياء لكني متماسك. تنزهت بالجواد بصحبة ميتيتشكا. التقيت بـ زوجة جوساروف. كم من الحسن أنها ليست جميلة! عليّ تدوين شيء ما، ولكن ليس لدي الوقت الكافي. سأرتاح قليلًا.

غداء معتاد. في المساء قرأت لكونفوشيوس وتحدثت كثيرًا وعلى نحو جيد مع إيفان إيفانوفيتش عن إصدار كتب عن الأديان، وطبعات شعبية رخيصة من كتابي (لكل يوم).

٢٥ أغسطس.

استيقظت شاعرًا بالحيوية. خرجت، وأخذت الأمور منحى سيئًا

(٢٢٧) كان من المفترض أن يذهب تولستوي إلى برلين بعد ستوكهولم، ويقرأ كلمته هناك أيضًا، لكنه قال إنه لن يستطيع الذهاب بنفسه وسيرسل من يقرأ تقريره.

من البداية: فلاح من نوفوسيليا يطلب صدقة؛ فأسرعت مبتعدًا بعد أن تحدثت معه بطريقة سيئة، وها أنا الآن أشعر بالخزي. سررت أنه لحق بي، وتحدثت معه بطريقة أخوية، وطلبت عفوه. جلست على قارعة الطريق أدون شيئًا ما، ورأيت أحدهم يمضي بصحبة فتاة صغيرة. لم أخطئ تلك المرة وتحدثت معه على نحو جيد. رأني في طريقه وأراد أن يلتقيني. قرأت شيئًا ما، لكنه أسرع في طريقه ليلحق بالقداس، قائلاً إننا في حاجة إلى الطقوس الشعائرية. التقيت بعدها بمعلم شاب. تحدثت معه أيضًا بشكل حسن. جاء لينال نصحًا.

بدأت في إعداد الكتيب الأول بالمنزل: «للأرواح». ستكون السلسلة من ١٢ كتيب:

- ١ - للأرواح.
- ٢ - يتلخص القانون الأخلاقي كاملاً في الحب.
- ٣ - الله بداخلك.
- ٤ - احذر من الخطية!
- ٥ - احذر من الإغواء!
- ٦ - احذر من الإيمان الزائف!
- ٧ - قانون واحد للجميع.
- ٨ - العلم الحقيقي.
- ٩ - الحرية الحقيقية.
- ١٠ - الحياة هي الاقتراب من الله.

١١ - لا موت.

١٢ - كل شيء يُعتبر خيراً.

هذه هي العناوين أو ما شابه. لم تصلني خطابات جيدة كفاية. تجادلت مع ماشينكا بشأن وجود قديسين يفوقون البشر جميعاً. تأخرت في الرد، لكنني جادلتها على أي حال، وهذا أمر سيئ. من السيئ أيضاً أنني قرأت مقالة مينشيكوف، وشعرت بالانزعاج. أفكار:

١ - كم هو سيئ أن تكون لديك خطط! ما إن يعوق شيء ما الخطة، حتى يملكك الغضب.

٢ - مهم جداً: رغم أن الآتي لا يتحلى بالتواضع الكافي، لكن لا يسعني ألا أكتب أنني أطلب بشدة من أصدقائي الذين يجمعون كتاباتي وخطاباتي وكلماتي ألا يعزوا أي أهمية لأي شيء لم أقدمه للنشر. أقرأ الآن لكونفوشيوس ولاو تسو وبوذا، وما سأقوله عنهم يمكن أن ينطبق كذلك على الأناجيل؛ أجد فيهم جميعاً أفكاراً عميقة مترابطة معاً، وأغرب الأقوال، أو عبارات قيلت عرضاً أو اقتُبست بشكل خاطئ جنباً إلى جنب. يفضح التعليم الحقيقي البعض، لذا هؤلاء الناس هم أكثر من يحتاجون إلى هذه الأقوال الغريبة التي تكون متناقضة أحياناً. يستحيل أن يكتب المرء كفاية عن ذلك. يبدو كل إنسان ضعيفاً في بعض الأحيان، ويتفوه بالحماقات، وهم يدونونها من ورائه ويتعاملون معها على أنها أهم ما قيل.

٣ - أنا كيان ما يعي انفصاله عن الكيان الكلي. لا يمكنني فهم نفسي وكل شيء آخر إلا في صورة مادة داخل نطاق الحركة. في نفس الوقت،

إن كنت مجرد مادة داخل نطاق الحركة، وكان العالم كله بنفس الصورة، أي مادة متحركة إلى جانب كافة المواد المتحركة في العالم، لما كنت قادرًا على الوعي بنفسي منفصلاً. لذا لا بد أن تكون الأنا التي تعي نفسها كياناً منفصلاً غير مادية وغير متحركة. إن بدت لي الأنا - بجانب الكيان الكلي - مادية متحركة، فذلك لسبب واحد؛ أن كل شيء عدا هذه الأنا هو مادة متحركة.

ما نسميها حياة هي تحرير لما هو غير مادي وغير متحرك من أسر هذه الضلالة.

٥- فكرت اليوم في ذلك، وفجأة شعرت بالضيق والشك. حاولت أن أصلح حالي، ولكن لم تقدم أي براهين لي عوناً في ذلك؛ لم أستطع أن أشعر بوجود الله، وبالتالي اكتفتني الوحدة واللا جدوى بدرجة مريعة. تذكرت صلاة: أعرف أنني إن كنت في الحب؛ إن كنت فيك وأنت في... حينها شعرت بالراحة، وبإمكانية الحب، وبعد لقائي بأكسي البواب، شعرت تجاهه بالحب وانقضى كل شيء. نعم، الحب وحده... وحده.

٦- الطريق عند لاو تسو هو الحب عند يوحنا^(٢٢٨). يخلط لاو تسو بين الطريق والجوهر الكلي والطاو. يفعل يوحنا الأمر ذاته حينما يسمي الحب: الله.

(٢٢٨) كاتب إنجيل ورسائل يوحنا.

٢٦ أغسطس.

ذهبت راكباً إلى أوفسيانينكوفو، وكان من المنتظر وصول القيصر. قضيت فترة المساء في قراءة كتاب يفجيني شमित وفي إعداد خطاب له. استيقظت كالمتعاد وتمشيت بمفردي. وصلتنى خطابات رائعة من شكارفان وزاسوسوف وتشيرتكوف؛ خاصة خطاب الأخير الذي يتضمن عرضاً لعلاقتي بالحياة الحقيقية؛ الحياة اللا مكانية واللا زمانية. انشغلت بجمع بقية الدفاتر الكاملة الخاصة بـ (لكل يوم). بدأت تفكيري يتزايد في كتابة عمل فني تدور أحداثه على مدار ثلاثة أجيال. قد يصبح عملاً رائعاً. يكتبني ما يكتبني دوماً. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. سيمر القيصر بالمكان، وهم يمنعون الناس من المرور. أريد أن أكتب أيضاً في خطابي لبولندية عن طبيعة العنف والخداع الفجة والواضحة. أفكار:

١- فكرت في: كيف كنتُ أطلق النار على الطيور والوحوش، وأمزق ريش رأس طائر ما، وأطعن بسكين قلبي الأرناب دون أدنى قدر من الأسف؟ كنت أفعل ما لا يمكنني مجرد التفكير فيه الآن دون شعور بالهلع. نفس الأمر لا ريب مع أولئك الناس الذين يدينون الآن ويسجنون ويحكمون على غيرهم ويعدمونهم. من الخطأ أن نظن أن هؤلاء الناس يدركون مدى شر ما يفعلونه حقاً، ورغم ذلك يواصلون فعله. إنهم - بصورة أو بأخرى - يجهلون شر ما يفعلونه. هذا ما حدث معي عند صيد الأرناب.

في المساء جاء شخص مهندس يحمل حقيبة. في البداية تحدث عن أعماله الأدبية، ثم طلب مالا ليصل إلى مدينة جوميل، وقال إني إن لم أعطه، سيمكث هنا على الدكة الصغيرة. رفضت وفارقت. ثم فكرت أن هذه فرصة لتطبيق اللا مقاومة؛ فذهبت إليه، وتدبرت أمره بعون من دوشان دون أن أرتكب شرًا.

٢٧ أغسطس.

استيقظت مبكرًا جدًا. بالإضافة إلى (دورة قراءات)، قرأت كذلك بعضًا من (التعليم المسيحي)، وفكرت في إجراء بعض التصحيحات فيه. كتبت أيضًا خطابًا صغيرًا لبافلوف. ذهبت إلى إيفان إيفانوفيتش. سررت جدًا بقائي ببولانجي. تانيا بالمنزل، ودارت في المساء ثرثرة مملة جدًا. أفكر كثيرًا في (لا مذنبين في هذا العالم) وفي خطابي لبولندية، وكذلك في مشروع لماكلاكوف^(٢٢٩). سأحاول التحدث عن ذلك. كتبت كذلك خطابًا لجوسيف. دوّنت الآتي ليلًا:

أشعر أن علاقة القطاع الأكبر من الناس تجاهي لم تعد علاقة بإنسان وحسب، بل علاقة بشخص لامع، وفي الأساس تشبه علاقة صوب ممثل حزب ما، أو علاقة تقوم على التبعية والثقة الكاملتين، أو على العكس؛ الإنكار والكراهية. الساعة الآن العاشرة ليلًا. سأمضي إلى غرفة المعيشة.

(٢٢٩) ليحاول ماكلاكوف أن يرفع إلى الدولة مقترح بمشروع قانون الضريبة الموحدة على نمط هنري جورج والتي تقضي تدريجيًا على الملكية الخاصة للأرض.

لم يحدث شيء مهم ليلة أمس. استيقظت مبكرًا. تمشيت. أظن أنني لم أَدُون شيئًا. وصل منذ الصباح ماكلاكوف وتسينجر وسيميونوف. استقبلت ماكلاكوف وتحدثت معه بشأن رفع المسألة إلى الدوما. قال إنه لا يعرف شيئًا عن هنري جورج، وأن الأمر لا يقتصر على استحالة تمرير مثل هذا المشروع، بل إن مجرد طرحه سيستصدر إدانتهم. إنه شديد الذكاء من الناحية العملية، لكن لا يمكن لكافة المسائل الضرورية حقًا للناس أن تنفذ إليه بأي صورة، شأنه في ذلك شأن الكثيرين من الناس. انتهيت من تصويبات (التعليم المسيحي). أظن أنها قد أصبح أفضل قليلًا. وصل كل من ديما وجولدنفازر وماريا ألكسندروفنا وإيفان إيفانوفيتش. تغديت، وعذبتني كآبة مريعة... مريعة. ساهمت الخطابات الواردة من برلين المتعلقة بكتاب صوفيا^(٢٣٠) في تلك الكآبة، وكذلك المقالات المنشورة في جريدة الأنباء الروسية التي تذكر أن تولستوي مخادع ومراءٍ. الأمر المخزي هو أنني لم أبتهج بأنهم يسبونني، وشعرت بالألم. شعرت بكآبة مريعة طوال المساء. هل أهرب؟ يطرح الأمر نفسه عليّ أكثر فأكثر. حظيت بحديث جيد ومفيد مع تسينجر وحسب عن الرياضيات والهندسة، وكذلك مع ميتشيسكا الساذج عن القانون الجنائي. كآبة وحزن وضعف، ومن ثم استلقيت لأنام.

(٢٣٠) عندما تسربت الأنباء إلى برلين بأن تولستوي لن يلقي فيها كلمته بنفسه، حاول البعض استغلال خطاب صوفيا الخاص برفضها التنازل عن حقوق نشر أعمال زوجها مجانًا للحط من سمعة تولستوي، وهاجموه.

استيقظت مبكرًا مجددًا، يراودني الشعور الكئيب والرغبة الشريرة في الهروب ذاتهما، والتردد بشأن ما إن كان عليّ أن أفعل ذلك حقًا أمام وجه الله أم لا. في لحظات الهدوء -مثل الآن- أعرف أن أهم ما أنا في حاجة إليه هو اللا فعل، والثبات على الحب. قرأت بالمنزل أياها رائعة من (دورة قراءات) ٢٨ - ٢٩، وها أنا الآن أكتب يومياتي، وأشعر كما لو أنني غير قادر على الكتابة. سأحاول كتابة تصور للقانون من أجل ما كلاكوف. سأكتب فكرة قديمة، ذكرتها أكثر من مرة، ولكنني أشعر بها تلك المرة بقوة خاصة.

نحن البشر -وأنا أعرف ذلك من تلقاء نفسي- أدوات في يد قوة عليا. نحن لا نعرف تلك القوة العليا التي تصنع حياتنا ولا نستطيع أن نعرفها، تمامًا مثلما لا نستطيع خلية صغيرة من جسدي أن تعرف ما أفعله وما الهدف منه. لذا كل هدف أضعه نصب عيني لا يتفق مع هدف تلك القوة العليا، يُعطل تحقيقه. ولكن هذا لا يعني أن الهدف لن يتحقق؛ فهو سيتحقق بصورة أو بأخرى، لكنني أنا مَنْ سيُحرم من خير الشعور والوعي بوحدة حياته بالقوة العليا. لا يمكن أن يكون الهدف الذي يجد الإنسان نفسه إذن مفطورًا على السعي صوبه أمرًا آخر سوى الاتحاد بإرادة الله، ويتحقق ذلك بالحب.

بينما أُلْقِبُ لتوي في اليوميات، وقعت عيناى على دفتر يوميات ١٩٠٧، والمدهش أنني وجدت فيه تلك الفكرة التي بدت لي بالأمس جديدة.

مساء الأمس وصل عزيزي بوليجين. ينتظر بثبات رفض ابنه المنتظر لتأدية الخدمة العسكرية. أثناء مروري الآن سمعت صوته الجمهوري قائلاً: «هذه الحياة البهيمية التي نحيّاها مستحيلة»، وصوت ابني سيرجي يقول: «إن تحرينا الدقة، فالأمر ليس أن حياتنا الآن ليست جيدة، بل إنه ما من شيء جيد في نظام الحياة بشكل عام». حينها فهمت للمرة الأولى بوضوح منظور أولئك المدعويين مثقفين. إنهم أناس قد سُدَّت الفتحاح التي يمكن أن تمر بها إليهم الفكرة العاقلة والضرورية لكل إنسان، وهي تحديدًا فكرة: كيف يجب أن أعيش؟ الإجابة الوحيدة على سؤال الإنسان العاقل موجودة في الدين وحسب. لقد سُدَّت هذه الفتحة بأفكار علمية مبهمة، أي بتصورات غبية عن كيفية تطور مجتمع البشر، وقوانين وتصورات علمية. النتيجة: حلقة مفرغة، فهذه التصورات تحجب عنهم ضرورة الدين وتقدم إجابة شديدة الغباء، لكنها تجيب على أي حال على أسئلة دينية بخصوص كيفية العيش؛ الأمر الذي يواجه كل إنسان، شاء أم أبى. أنا حزين على جميع أبنائي. لكن لا يجب أن أحزن، بل أن أحاول مساعدتهم.

نمت اليوم طويلاً، ولا أتذكر أنني نمت سابقاً طويلاً هكذا. استيقظت في التاسعة، وسرور وحيوية يكتنفان رأسي. فكرت في ماشينكا ودوندوكوفا وجميع من يتوجهون إليّ.

لا يريدون أن يروا أنني على أعتاب الموت، وأني أوجّه كافة قواي العقلية والروحية لمحاولة الإجابة عن «بِمَ يجب أن أؤمن وكيف يجب أن أعيش؟» وأني أعرف كل ما يعرفون، وأنا بذلك أحطم نفسي عن

عمد. المدهش كيف أنهم لن يشعروا بالألم إن قلت لهم ذلك. إن اهتمامهم بي لا يثبت سوى عدم إيمانهم بما يقولونه. إنني لا أريد تحويلهم عن موقفهم.

سأعكف الآن على الخطابات والعمل.

٣٠ أغسطس.

قرأت الرسائل بالأمس، لكنني لم أعمل شيئاً. لا أتذكر حتى ماذا حدث. ذهبت بالجواد بصحبة ساشا إلى قرية لارينسكوي. التقيت بعزيزي ديموتشكا وأطفاله وفلاحين آخرين مبهجين. الأمور كما هي بالمنزل، أو بالأحرى كئيبة. وصلني خطاب من شमित وأجبت عنه. وصل عزيزي بوليجين وجولدنفايزر. نمت كالعادة. ودّعت عزيزتي تانيا. انكسر ظفري الآن وآلمني قليلاً. فكّرت في مدى قلة تقديرنا نحن الأصحاء الذين لا نعاني للصحة، وقلة شفقتنا على آلام الآخرين.

استيقظت اليوم متأخراً؛ في التاسعة، شاعراً بالمرض، تراودني رغبة في النوم طوال الوقت. قرأت الخطابات وأجبت عنها. تحدثت مع ثوري سابق يُدعى بونومارنكو، وأرسلت إليه ٢٠ روبلاً مع صديق. نمت بعدها مجدداً وحظيت بحديث جيد مع بوليجين. الساعة الآن السادسة ولم أتناول شيئاً بعد، ولا أريد أن أتناول شيئاً. حالتي الروحية جيدة، وتنعم الأفكار في رأسي بوضوح استثنائي.

٣١ أغسطس.

لم أكن بخير داخلياً تجاه ابني سيريوجا، ولا حتى في حديثي معه.

إنها الدائرة المفرغة؛ ما إن تكون روحك في حالة سيئة، حتى تجد نفسك لا تحب الناس، وما إن تسمح لنفسك بعدم محبة الناس، حتى تزداد حالة حالة روحك سوءًا.

نمت جيدًا واستيقظت مبكرًا وتنزهت... ضعف مريع. قرأت الجريدة ثم بعض الخطابات، ولم أستطع فعل شيء آخر. ذهبت بالجواد إلى بيرني (قريب تشيرتكوف) ولحقت بديموتشكا وسيريوجا بوليجين. حظيت بنزهة جميلة على الجواد، وفكرت في خطاب دوندوكوفا. أشعر طوال الوقت بالخزي. صليت، طالبًا ومتمنيًا ألا أبتعد عن الحب.

أملت ساشا بالأمس خطابًا لستوليين. بالكاد يمكنني إنهاؤه وإرساله. جاءني صباح اليوم موظف الإبراشية، وما إن عرفت أنه يريد صدقة حتى رفضت لقاءه، ثم شعرت بعدها بالخزي. بعدها جاء رجل مثير للاهتمام جدًّا، خصي بلغت سنونه ثلاثين، قوي البنية. سألني عن رأيي في الخصاء، ولم أستطع أن أعطيه دليلًا مقنعًا على عدم صحته. يقول إن هناك تأكيدًا على ذلك في خاتمة سوناتا لكرويتزر. ثم تحدث مع ساشا، متعجبًا من الحياة المترفة التي وجدني فيها.

فكرت كثيرًا، لكنني لم أدوّن شيئًا في دفتر الأفكار من فرط الضعف. سأتناول الغداء.

٢ سبتمبر.

لا أذكر ماذا حدث بالأمس. لم أدوّن شيئًا.

استيقظت في ١ سبتمبر مبكرًا، وكنت في حالة شديدة الحيوية، لكنني لم أعمل. أظن أنني قرأت. أشعر طوال الوقت بالخزي في روحي. ثم وصل ميلر: الحلاق الثري الألبكم والأصم. قرأ كتيبي ويريد أن يعيش بموجب المسيحية. إنه مثير جدًا للاهتمام. ذهبت إلى تيلياتينكي بالجواد. مساء كئيب كالعادة.

أدوّن يوميات يومين، لذا لا أذكر التفاصيل. اليوم ٢ سبتمبر.

تمشيت صباح الأمس. تحدثت قليلًا مع بيرس. أكثر من يتضح فيهم تداعي كل ما هو روحي واستبدال مزيج من الهراء بكل ما هو ضروري هم غير الأذكياء. كتبت في خطابي لبولندية. يبدو أن لا بأس به. جاءني ميلر الذي من كيف ثانية، وآلمني أن أستمع إلى قصته عن لقائه بفلاحة أمسكوا بجوادها في أرضي وطالبوها بروبل، وكيف أنها شتمتني وشتمتنا جميعًا، وأطلقت علينا شياطين وأبالسة: «آه من هؤلاء الشياطين، يجلسون في أماكنهم ويقضون على الأخضر واليابس...». حدّثني أيضًا عن أن الفلاحين على ثقة كاملة من أنني أمتلك كل شيء، وأني أتخابث عليهم بإلقائي التهمة على زوجتي. المخزي أن ذلك آلمني بشدة، حتى إنني حاولت أن أبرر نفسي. ثم خرجت بالجواد بصحبة ساشا، وتعافيت من حالتي في الطريق. نعم، إنها تجربة، وعليّ تحملها. كل الأمور تؤول للخير. لم أفهم وأشعر أن هذا لخيري إلا اليوم، وحتى ذلك لم يتم بصورة كاملة.

غداء. عزّف جولدنفایزر بشكل رائع. جاء إيفان إيفانوفيتش. أملت ساشا بالأمس خطابي لدوندوكوفا. أثناء نزهتي التقيت بمجموعة من الثوار عائدین من المنفى. تحدثت معهم حديثًا قلبيًا.

نمت اليوم قليلاً، لكنني في حالة حيوية. خرجت لتوي والتقيت بفلاحة استولوا على بقرتين منها، ولم يعيدوهما منذ يومين. أشعر بكآبة شديدة، لكنني اليوم أفضل حالاً. أدرك أن هذه تجربة مُرسلة لخيري لأتحرر من كبريائي.

طوال الصباح والمساء وأنا أمر بحالة من البرود والشك في كل شيء، لم أمر بها من قبل... شك في الله في الأساس، وفي صحة فهمي لمغزى الحياة. لم أؤمن بنفسني، لكنني لا أستطيع استدعاء هذا الوعي الذي عشت به سابقاً ولا أزال حتى الآن. لم أستجمع شتات نفسي إلا صباح اليوم، وعدت إلى الحياة. كل هذا عقاب لي على مشاعري الشريرة؛ مشاعر البغضة، التي تملكنتني في الماضي. حسناً، هذا أفضل. من الغريب قول ذلك: إن معرفة الله لا تتحقق إلا بالحب. الحب هو الأداة الوحيدة لمعرفة الله.

عدت لتوي من نزهة طويلة. آمل أن أعمل. أنوي السفر غداً إلى تشيرتكوف.

٣ سبتمبر.

في المساء جاء جولدنفايزر، وكذلك الأصم الأبكى من كيف. اليوم ٣ سبتمبر. نمت قليلاً جداً. معدتي مضطربة، لكنني أتناول طعامي على أي حال. انقضى الأمس على ما يرام. أنا متردد، هل أسافر أم لا؟ جاء مصورو الأفلام بالرغم من رفضي^(٢٣١). تركتهم يصورون دون أن أتعاون معهم. الساعة الآن العاشرة. أستعد الآن.

(٢٣١) سمحت صوفيا لبعض مصوري الأفلام أن يأتوا ليصوروا في ياسنايا بوليانا.

وصلنا بالأمس سالمين^(٢٣٢). انتظرت طويلاً. كانت الرحلة لتتم بهدوء لولا فضول ومداهنة الركاب المحيطين بي؛ الأمر الذي يغضبني ويفسدني. وصلنا بسلام. حدثت سبيرو حديثاً حاداً عن سيتين^(٢٣٣). التقيت بالأعزاء آل تشيرتكوف، ثم إيفان إيفانوفيتش. سعدت بأني بخير وسطهم، كما يجب أن يكون الأمر. قبالة المساء ضعفت بشدة. حظيت بنوم جيد. خرجت لأتتزه في المدينة. ترك الأطفال في انطباعاً قوياً جداً. كم سيكون جيداً لو وصفت ذلك وصفاً أدبياً، لا لنفسى، بل لأجل الخدمة! عليّ تدوين الكثير. التقيت بـ ماشا نيكولايف بصحبة سيريوجا البائس، والذي وجدته سعيداً بأنه سوف يذهب إلى مدارس الدولة البائسة. وصلني الآن ضابط بالمدفعية بطلب أن أوقع له إذنًا بترجمة مجموعة من أعمالى. رفضت وشعرت بالضيق جراء ذلك. اهتمام مجدداً بحكم الناس. ابتهج... ابتهج بأنهم يسبونك. هذا وحده ما يمكنه أن يُخلّصك جزئياً من الاهتمام بنيل مديح الناس، ويدفعك دفعاً صوب الحياة الحقيقية. تمشيت في الشوارع وأفزعني مدى الانحلال؛ ليس الانحلال في حد ذاته بقدر ما هو غياب الكابح الديني الأخلاقي، في الوقت الذي أجد الكثيرين... الكثيرين جداً يرشمون علامة الصليب أثناء مرورهم بالكنائس. أفكار:

١ - بالرغم مما ينم ذلك عن وقاحة وثقة مفرطة في الذات، لكن لا

(٢٣٢) وصل تولستوي وأسرته إلى مقاطعة كريكشينو التي كان آل تشيرتكوف يقيمون فيها.

(٢٣٣) سيتين هو الناشر، وقد تأخر في نشر الجزء الجديد من دورة قراءات أو (لكل يوم).

يسعني ألا أفكر وأكتب لنفسي أنني في حاجة لأن أتذكر أثناء تعاملتي مع الناس أنني لا أتفق مع غالبيتهم في النظرة إلى العالم، وبالتالي عليّ أن أهبط... أهبط كثيرًا جدًا حتى يمكنني أن أتواصل معهم.

٢- كنت وحيدًا مساء أول أمس، ولم أستطع أن أستثير بداخلي وعيًا حيًا بالله، وشعرت بكآبة شديدة.

٣- آه من حكم الناس الزائف عني وضرورة البقاء في هذا الوضع! بالرغم من ثقل ذلك، لكنني أحيانًا أبدأ في إدراك مدى ما يجلبه ذلك من خير لروحي.

٤- أصلي ببساطة: «يا أبي... يا رب... عونك... عونك!» ويعينني. يستحيل ألا يعينني. هو من أنشده، وهو بداخلي، وبهذا تعني الصلاة أنني أريد أن أعيش به.

٥- لا يكون العمل الفني حقيقيًا إلا عندما يبدو للإنسان الذي يستوعبه... لا، لا مجرد أن يبدو له، بل يختبر شعورًا مبهجًا فعليًا بأنه أنتج شيئًا جميلًا كهذا. يبدو ذلك بقوة واضحة في الموسيقى، فلا شيء كالموسيقى تظهر فيه بوضوح أهمية الفن، ومعنى الاتحاد. تتحد «أنا» الفنان بـ: «أنا» كافة من يستوعبون هذا الفن.

٥ سبتمبر - كريكشينو.

ذهبنا إلى زيمرمان. كانت الموسيقى رائعة^(٢٣٤). تمشينا بعدها

(٢٣٤) استمع تولستوي في متجر زيمرمان للأدوات الموسيقية إلى تسجيل موسيقي على آلة جديدة تُدعى ميجنون.

على جسر كوزنيتسكي، ثم انهالت التحيات عليّ من كل صوب في
القطار... هذا طعام الكبرياء والإغواء، لكنني لم أستسلم. وصلنا
كريكشينو. أنا سعيد برؤية الجميع. كان الجميع طيبين ومسرورين،
حتى إنهم لم يقولوا شيئاً عن علاقتهم بي. قبالة المساء مرضت بشدة.

استيقظت شاعراً بالحيوية. تنزهت، ثم عكفت على العمل في
مقالتي عن لاوتسو. قمت بتصحیحات لا بأس بها. جاء رجل هولندي
شديد الجدية واللطف. ذهبنا بعد ذلك إلى القرية، وتنزهت بالجواد.
بالمساء موسيقى ولقاء بآل كوروليوف. حوار ممل. كيف الخلاص؟
تذكرت ضرورة ألا أهتم برأي الناس، لكنني في حالة سيئة. عليّ ألا
أتوقف عن التعلم. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

٦ سبتمبر.

استيقظت شاعراً بالحيوية. خرجت لأتنزه. كتبت بكثافة في خطابي
لبولندية. دوّنت فكرة ما في دفتر الأفكار، ونسيت أخرى أو اثنتين.
جاءني فلاحو كريكشينو، وأتوا بالميجنون من عند زيمرمان. تغدیت
مع الجميع، واستمعنا إلى الموسيقى. سأخرج بالجواد. دوّنت فكرة
لأجل التقرير. أفكار:

١ - كل أنواع العبادات - مهما كانت - تسمو بالإنسان؛ وذلك لأنها
تُعبر عن الوعي باعتماديتهم على الكيان الأسمى وعلاقتهم به، حتى
وإن كان فهم هذه العلاقة زائفاً، وأقصد بالكيان الأسمى ذلك الكيان
المستقل عن الجميع؛ الله.

٢- لا شيء يجذب المرء صوب الكذب مثل الاهتمام بنيل مديح الناس. لذا من المهم جداً أن يتحرر المرء من هذا الاهتمام. الوسيلة الوحيدة لتحقيق ذلك هي أن أركز كافة قواي على تنفيذ ما يريد الله مني؛ ما يريده الكيان الكلي من عضو لا متناهي الصغر في كيانه. التحرر من الكذب والحياة في الحقيقة هما مصدر الحرية والخير. عونك يا سيدي.

٧ سبتمبر.

نمت قليلاً. فكرت على نحو جيد جداً ودوّنت فكرة ما. خرجت لأتّنزه صوب رصيف المحطة. كتبت في المنزل في خطابي لبولندية. ليس حسناً. راجعت مقدمتي لمقالة لاوتسو. خرجت بالجواد بصحبة باتي. غفوت واستمعت إلى الموسيقى، وجاءتني بعض الخطابات غير المهمة وقرأتها. كانت رוחي في حالة هادئة وصلبة وحسنة جداً. أفكار: ١- أصلي: عونك يا رب! عونك يا رب الذي بداخلي حتى لا أفعل سوى ما تستحسنه، ولا أفكر في ما يقوله الناس عني ويعتقدونه بشأني. عونك أيضاً كي لا أدين الناس، لا بالكلمات ولا على مستوى الفكر. أصبح من المألوف أن تعيش على أساس اهتمامك بأحكام الناس، وهم نفس الناس الذين تدينهم.

أردت كتابة الكثير في هذا الصباح، لكنني نسيت.

٨ سبتمبر.

فقدت الكثير من الدماء ليلة أمس. في البداية كان الأمر سيئاً،

لكني نمت جيداً، واستيقظت بكامل حيويتي. خرجت لأتنزه. ستأتي صوفيا في الثانية، الأمر الذي يسعدني بشدة. أظن أنني أجريت تعديلاتي النهائية على خطابي لبولندية. أريد أن أكتب عما فكرت فيه أثناء حوار الأُمس مع آل تشير تكوف. إنه تحديداً عن الآتي:

تصفحت اليوميات، ووجدت كل هذا مكتوباً في ١٢ أغسطس (النقطة الثالثة) و ٢٥ أغسطس (النقطة الرابعة).

كتبت خطاباً لجوسيف، وسأكتب الآن للامانسكي ولسيدة بمدينة بيرم.

عملت قليلاً. استمعنا إلى الموسيقى. جاء حشد كبير من الناس: ثلاثة فلاحين شباب؛ أحدهم إنجيلي، وعنيد كالمعتاد. تحدثت معه بلطف. ثم جاء فلاح شاب آخر جاد للغاية. قرأت في المساء بيان كالاتشيف^(٢٣٥) للإدارة الريفية، وقرأت خطابي للسيدة البولندية، وقصة لتشخوف^(٢٣٦)، وكنت سعيداً ولم أفعل شراً، وتذكرت ضرورة عدم الإدانة وضرورة ألا أهتم برأي الناس. أفكار:

١ - عندما يتعلق الأمر بالحب يجب دائماً أن نتذكر أنه إما أن تُقبل عليه وإما أن ترفضه (بالفرنسية). إن اعترف المرء بخير وضرورة الحب؛ فعليه أن يعترف به كاملاً؛ أقصد هنا الحب المسيحي، وألا يُنحى عنه سمته الرئيسة؛ أن نحب مَنْ يسيئون إلينا وأعداءنا، وهذا يعني باختصار مبدأ عدم المقاومة. في الوقت الذي نتحدث فيه عن خير وفتنة نشاط

(٢٣٥) أحد رافضي اداء الخدمة العسكرية.

(٢٣٦) قصة (الهارب)، وقد وضعها داخل (دورة قراءات).

الحب الرقيق، لا نحافظ على متطلبه الأول والرئيس السلبي؛ عدم فعل ما يخالف الحب.

٢- هناك أربعة أنواع من العاملين لدى الله، أي أن هناك أربع وسائل لتنفيذ عمل الحياة بحسب عدد أنواع العاملين: النوع الأول هم أولئك العاملون الذين يستنبطون وسائل لإرضاء السيد بمعزل عن العمل، لذا يسمحون لأنفسهم ألا ينفذوا العمل المطلوب منهم، وتمثل هذه الفئة مختلف التعاليم الدينية وصيغ الإيمان الدوجمائية كالإيمان بالفداء والأسرار والصلوات... إلخ. النوع الثاني هم أولئك العاملون الذين يركزون كافة جهودهم على شحذ وتنظيف أدوات العمل والعناية بها، بدلاً من العمل ذاته، وبالتالي يقل عملهم رويداً رويداً، ولأنهم منشغلون في الأساس بالعناية بالأدوات، يخشون أن يفسدوها بالعمل. أولئك الناس هم الذين يهتمون بأجسادهم بدلاً من استهلاكها في عمل الله، وذلك ليحافظوا على الجسد بقدر الإمكان. النوع الثالث هم أولئك العاملون الذين لا يعرفون السيد، ولا يريدون أن يعرفوه، هو أو عمله الذي أمر به، ويفعلون العمل الذي يطرأ على أذهانهم، ويعتبرونه الأكثر أهمية. لا يعرف هؤلاء الناس المبدأ الأخلاقي الملزم، أي الله، لذا يخلطون لأنفسهم مختلف أنواع العمل الغريب عن عمل الله: أعمال حكومية وعلمية وتلك الأعمال التي يطلقون عليها ثقافة.

النوع الرابع هم أولئك العاملون الذين يوجّهون كافة قوى أجسادهم وأرواحهم صوب تنفيذ عمل الله: زيادة الوعي بالله في داخلهم وبدخل الآخرين، أي الوعي بالحب المتجلي في الأفعال والكلمات والأفكار.

٣- شعرت أنني خادم الرب بقوة شديدة. شعرت بالسرور والثقة والهدوء، بل وحتى بالفخر، كما شعرت أيضًا بقوة شديدة بهذا الخداع البائس للناس؛ أولئك الذين يندفعون في ذلك الاتجاه الذي اندفعت فيه يومًا ما؛ يندفعون صوب خدمة أصحاب السلطة الأرضية، وكلما ارتفعوا في سلم خدمتهم لهم، انخفضوا في سلم خدمتهم لله.

٩ سبتمبر.

نمت قليلًا وغادرت مبكرًا. حالتي الروحية جيدة جدًا. تكتنفي عاطفة رقيقة طوال الوقت. لقاء بفلاح من كالوجا، وقد كتبت ملاحظة منفصلة عن ذلك اللقاء^(٢٣٧). التقيت بعدها بسائق ثم بمار آخر، وارتسمت على وجوههما ملامح السخط والكراهية بسبب أنني واحد من السادة. كم يكتبني ذلك! كم أردت لو أتخلص من هذا الوضع! من الواضح أنه سيستمر كذلك حتى الموت. دوّنت في المنزل ملاحظتي عن اللقاء، ثم ألقيت نظرة ثانية على خطابي لبولندية، وأنهيته، ثم عكفت على العمل في لاو تسو حتى أنهيته. أضفت بعض الأفكار إلى التقرير، وها أنا الآن أكتب في اليوميات. سأمضي لتناول الغداء. تقول ساشا إن كل شيء رائع، وأنا أشعر بذلك أيضًا. ودّعت صوفيا^(٢٣٨). كل شيء على ما يرام، لكنني شعرت بالضعف في منتصف اليوم.

في المساء استمعنا إلى كثير من الموسيقى. شعرت بالملل والخزي. قرأ مولوتشنيكوف مقالة شيقة عن مجنون مفترض، كما قرأ

(٢٣٧) ملاحظة بعنوان (حوار مع عابر سبيل).

(٢٣٨) سافرت من كريكشينو إلى موسكو.

تشير تكوف مقتطفًا من يومياتي. أمر تافه، لكنه يشير اضطرابي، حتى إنني لا أستطيع الاستماع دون أن أذرف دموعي.

وصل نيكيتين وشخص آخر، ورحل عزيزي دوشان. كم يبدو عزيزي مدهشًا في فضائله! عليّ أن أتعلم منه. لا يمكنني التفكير فيه دون أن تكتنفي عاطفة رقيقة نحوه.

١٠ سبتمبر.

حظيت بنوم جيد. أعدت قراءة (دورة قراءات). لا أريد أن أكتب شيئًا. هذا رائع. حالتي الروحية جيدة جدًا. أفكر طوال الوقت: لماذا لديّ كل هذه السعادة؟ لديّ كل ما أنا في حاجة إليه، وأهم شيء أن لديّ الشيء الوحيد الذي أعرف أنني في حاجة إليه فعلاً؛ وعيي بأن حياتي تتمثل في تطهير واستجلاء وتحرير الروح. واجهت أعظم عائق أمام تحقيق ذلك؛ إنه الاهتمام بنيل مديح الناس. انهال عليّ كل هذا الفائض من مديح الناس، في أكثر صوره ابتذالاً، أمام حشد من الناس؛ فبدأت أنحيه عني. إنني أشفى منه. هكذا يكون النضال سهلاً، بل ومفرحاً. دوّنت اليوم أفكار في ورقة منفصلة.

١٠ سبتمبر.

قال روسو إن منبع السخط هو العجز. كم هذا صحيح!

١- من يشعر بالسخط هو من يريد أن يفعل شيئًا خارج نطاق سلطانه؛ فيواجه عقبات ويسخط. كل ما هو مادي يقع خارج نطاق سلطان الإنسان. النشاط الروحي هو المجال الوحيد الذي لا يواجه فيه

الإنسان عواقب. ما أريده هو ما أفعله. إن لم أستطع فعل شيء أسخط، ويمكنك التساهل دائماً مع سخطك على نفسك أكثر من سخطك على الآخرين، والأمر لا يتعلق بأن غضبك يكون مؤلماً بقدر ما هو غير مُجْدٍ. هناك نشاط واحد لا يلقي عقبات في طريقه؛ إنه النشاط الروحي: الحب، تماماً كضرب حيوان محبوس في غرفة مغلقة تحوي باباً، لكنه لا ينفث إلا في الاتجاه المعاكس. (لا... تشبيه سيء).

٢- أبحث عن السرور في مديح الناس: أحياناً أناله، وأحياناً يحدث العكس تماماً؛ يسبونني. عندما أناله لا أشعر بالرضى التام، بل أرغب في المزيد والمزيد. عندما تسنح الفرصة، أتذكر في الوقت المناسب مدى التدمير الذي يحققه هذا الاهتمام بنيل مديح الناس، وأقمعه، وأشعر بسرور دائم، ولا يمكن لأحد أن ينتزعه مني، ولا أعود أرغب في شيء آخر.

١١ سبتمبر.

بصحة جيدة. سجلت حوارى مع الفلاحين. تمشيت، والتقيت بطلبة إنجيليين. خرجت بعدها بالجواد بصحبة تشيرتكوف. لم أفعل شيئاً سوى تسجيل حديثي مع الفلاحين. لم أدون أفكاراً. سأنام. الساعة الآن الثانية عشرة.

١٢ سبتمبر.

حظيت بنوم حسن. استيقظت شاعراً بالحيوية، كما أن حالتي الروحية صلبة وجيدة. لا أريد أن أكتب شيئاً، ولم أكتب فعلاً. قرأت

ولعبت الورق بمفردي وكتبت خطابين. جاءني زائر من جريدة (الأنباء الروسية)، كما جاء بيلينسكي ومولوتشنيكوف. أواصل عملي الداخلي المكثف. خرجت بالجواد بصحبة آل تشيرتكوف. في المساء وصل فلاحو فيازيومي. أحدهم عجوز شديد الذكاء. تحدث جيدًا عن السخط الفظيع المستشري بين جموع الشعب. القيصر والفلاحون، وكل فئة أخرى سوف تنمحي من على وجه الأرض.

١- ليس من الصعب أن يستحث المرء في نفسه مشاعر الشفقة تجاه الضالين، ولكن الصعب أن يستثير في نفسه تلك المشاعر صوب ضالين يتمتعون برضى دائم عن أنفسهم. علينا أن نتعلم تحمل هذه الثقة المفرطة في النفس بحيث لا تعوق شعورنا بالشفقة والحب، ولكن كيف؟ حيث تكون الإرادة يكون الطريق (بالإنجليزية). علينا بنفس الوسيلة التي تحقق نتائج طيبة في كافة الأحوال، وهي الوحيدة الفعالة؛ ألا وهي الحب.

١٣ سبتمبر.

بصحة جيدة تمامًا. استيقظت متأخرًا. فكرت في ما سأقوله للمعلمين^(٢٣٩)، لكنني لم أتوصل إلى شيء سواء بشأن ذلك أو بشأن أي شيء آخر. لم أكتب طوال الصباح. خرجت والتقيت بالكثيرين: ديموتشكا - سالاماتين - شيخ وابنه، ثم بسيدة وزوجها أرادا أن يُقبَّلا يدي. بعدها جاء المصور الذي أرسله تشيرتكوف وتابسل (مصور أيضًا) وبعدها حشد ضخم من الناس: سونيا إيلوتينا - موسيقيون -

(٢٣٩) كان في انتظار زيارة من مجموعة ضخمة من معلمي مقاطعة زفينيجورد.

جولدنفايزر وزوجته - سيبور - موجيليفسكي - تيشينكو، وكثيرون آخرون لا أعرفهم. آذت صوفيا قدمها، وتؤلّمها الآن بشدة. دعوا الفلاحين إلى المنزل، وكانوا قرابة ٢٠٠ فلاحًا. تشير تكوف يتولى كل شيء. بعدها جاء حشد آخر من الناس. تناولنا الغداء. الخطابات التي وصلّنتي غير مثيرة للاهتمام. لم أستطع أن أغفو قبل الغداء. عزفوا ثلاثية موسيقية لأرينسكي وبيتهوفين وهایدن على نحو رائع. فكرة واحدة:

١ - «تذكر الله وانس نفسك». هذه العبارة تعني أن تتذكر الله الذي بداخلك، أي أن تتذكر ألوهيتك وكيانك اللا شخصي، وتنسى طبيعتك الجسدية وكيانك الشخصي.

١٤ سبتمبر.

استيقظت مبكرًا. أريد أن أكتب الكثير. كتبت خطابًا صغيرًا لبيترسون^(٢٤٠). أفكار:

١ - لا تتذكر ليف تولستوي، وانس دناءاته، وتذكر الله. كما لا يمكنك أن تفهم من هو الله، بل يمكنك وحسب أن تشعر بخيرته، كذلك لا يمكنك أن تفهم من هو ليف نيكولايفتش (تولستوي) الذي ارتكب كافة أنواع الدناءات، ليس في الماضي وحسب: شوفالوف (حاشية ١٨٠) وغيره، لكنك تذكر ليف نيكولايفتش وتنسى أمر الآخر. كل ما عليك أن تتذكره هو من أنت، وستعود سريعًا على ذلك. عندما أكون وحدي أتذكر، ولكن في حضور الناس أنسى، كما حدث

(٢٤٠) معلم سابق بمدرسة تولستوي القروية.

الآن، وأحتاج إلى جهد كي أتذكر. عونك... عونك يا مَنْ بداخلي
لأتذكر أناي الحقيقية.

لا... صياغة سيئة.

٢- مَنْ لا يُعتمد عليه في تحقيق ملكوت الله هو الشخص الذي
يُقبل على الحراثة ثم ينظر إلى الخلف، أي الشخص الذي ينظر إلى
الناس ليستكشف أولاً ما يفكرون فيه وما يقولونه.

٣- نحن جميعاً عاملون، فينا مَنْ يستخرج المعادن، وفينا مَنْ يشحن،
وَمَنْ يصنع مسامير وبراعي في مصنع ضخّم وَمَنْ يصنع آلات، ولكن
الأهم من ذلك هو الهدف الذي لا يمكن للعامل أن يحققه. لا يعرف
العمال - ولا يمكنهم أن يعرفوا - سير عملية الإنتاج كاملة بالمصنع.
لذا من الواضح أن العمل الذي تعمله ليس هو العمل الأساس، بل إنك
تعمل ما تُكلّف به (تنفيذ متطلبات القانون والضمير)، وافترض الهدف
دائمًا ما يكون خاطئًا؛ لأن الهدف الحقيقي لا يمكننا أن نفهمه أبدًا. كل
عمل في هذا الاتجاه لا يؤدي لشيء سوى إعاقة سير العمل بالمصنع.
الساعة الآن العاشرة. أريد أن أعمل.

كتبت ملاحظات كثيرة للمعلمين الذين سيزوروني، وراجعت
حوارًا مع فلاح عابر سبيل. جاء آل سالاماخين بصحبة زوجاتهم،
ولينيّا وزوجها. تناولت إفطاري وسأتمشى. الساعة الآن الثالثة.

جاء الأطفال والمعلمون من خاموفنيكوف. تحسنت حالة صوفيا.
نمت كثيرًا بعد العشاء، وغنت لينيّا. جاء بعد ذلك فلاحان من

فيازيومي. ثم جاءت معلمة جادة، وتحدثت مع الحضور حتى ساعة متأخرة من الليل. جاء أيضًا كليتشكوفسكي، وبالرغم من طبيته تحدثت معه بشكل غير طيب.

١٥ سبتمبر.

نمت جيدًا. راودتني أحلام واضحة ومرتبة جدًا. أكساكوف وزوجته توتشيفا، وأحاديث فرنسية، ثم تمشية في موسكو وسائقين على مزاج. لا أتذكر تحديدًا تلك الشوارع التي كنت أعيش فيها في الحلم، وهناك الكثير من الأمور الأخرى التي أتذكرها بوضوح وقوة. استيقظت بذهن صاف جدًا وشعور مبهج بالحياة. يزداد عدد مرات ملاحظتي لنسيان نفسي الحقيقية: الله، وتذكري لكياني الشخصي: ليف نيكولايفيتش. خطرتُ على ذهني فكرة واضحة عن مغزى الأحلام. الأمر الأكثر أهمية والأفضل من ذلك هو أنني لم أختبر أبدًا من قبل بهذه الدرجة من الوضوح وعيي بكياني الروحي الراسخ اللا مكاني واللا زمني، ووعيت من كل قرارة روحي خداع ووهم كل تلك الحياة التي نظنها حقيقية. أفكار:

١- إن حياتنا بأكملها بمثابة استعداد لليقظة، أو فرحة باليقظة.

٢- يختبر الجميع تلك الأحلام الغريبة وقد لاحظوها؛ تلك الأحلام التي تنتهي باستيقاظ النائم إثر مؤثر خارجي: صوت طرق أو ضجيج أو تلامس أو سقوط. بالإضافة إلى ذلك يكتسب ذلك الضجيج الذي يحدث فعلًا أو صوت الطرق أو ما إلى ذلك صورة انطباع نهائي، تبدو

أمور كثيرة في الحلم كما لو أنها مُعدَّة له خصيصًا. على سبيل المثال أتذكر ذلك الحلم: أصل إلى منزل أخي وألقاه على السلم ومعه بندقيته وكلبه. يدعوني لأذهب معه إلى الصيد، وأقول له ليس لديَّ بندقية. يقول إن بإمكانني لسبب ما أن آخذ كلارينيت بدلًا من البندقية. لا أتعجب من قوله، وأمضي معه عبر أماكن أعرفها صوب الصيد، لكننا نمر عبر هذه الأماكن المعروفة لي لنصل إلى بحر، ولا أشعر أيضًا بالتعجب. نجد سفنًا سائرة في البحر، وكذلك بعض البجع. يقول أخي: «أطلق النار!». أنفذ رغبته، وأقرب الكلايينيت من فمي، لكنني لا أستطيع النفخ فيه. عندها يقول: «حسنًا، سأطلق أنا» ويطلق النار. كان صوت الطلقة مدويًا حتى استيقظت على فراشي واكتشفت أن صوت الطلقة كان في الواقع صوت حاجز النافذة الذي ضربته الرياح بعنف حتى سقط. نعرف جميعًا مثل تلك الأحلام، ونتعجب كيف يمكن لشيء قد حدث لتوه وأيقظنا أن تسبقه كل تلك المقدمات في الحلم والتي تؤدي في النهاية إلى ذلك الحدث الذي يحدث في ثوانٍ معدودة؟

في رأيي هناك مغزى مهم جدًا لخداع الوقت السالف؛ أقصد تحديدًا أنه لا وجود للزمن، وأن كل شيء يتمثل لنا داخل إطار الزمن لسبب واحد؛ أن عقلنا مفطور على ذلك. نفس الخداع يحدث في ما نطلق عليها (الحياة الحقيقية)، مع فارق واحد؛ أننا نستيقظ من هذه الأحلام، لكننا لا نستيقظ من هذه الحياة إلا بالموت. حينها فقط نصبح على قناعة بأننا كنا نائمين في هذه الحياة، ولم نستيقظ إلا بالموت.

ما حدث لك، وما تظن أنك فعلته في هذه الحياة يماثل مع حدث مع نائم يرى في نومه أحلامًا. وكما يغيب الزمن في الحلم، سواء نام المرء ساعة أو مائة، كذلك هو الأمر مع الإنسان الذي يحيا في هذا العالم. إنه يعيش دائمًا في الحاضر.

يصعب جدًا التعبير عن ذلك، ولكن هناك ما هو مهم جدًا في هذه الفكرة.

٣- نعم، إن الحياة فرحة بالاستيقاظ. يبدو لك أحيانًا أنك استيقظت، ويتضح لك أن الحياة التي بدت لك حقيقية كانت مجرد حلم. حينها تبدو الأمر يسيرة.

هذا هراء كبير يجذبني صوبه.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأعكف على العمل، ولا أعرف على ماذا بعد.

١٦ سبتمبر.

الولادة يقظة من نوم. تُنسى كافة أحلام هذا النوم تقريبًا وتبقى موحدة، مجتمعة في إطار يبدو حقيقيًا في هذه الحياة، تمامًا كما يندمج كل ما رأيته في الحلم في إطار واحد عندما تستيقظ من نومك. علينا أن نفترض أيضًا أن كل ما اختبرناه في حياتنا، سيصبح شيئًا واحدًا بعد الموت عندما ندلف إلى حياة أخرى. إن نومنا ويقظتنا اليوميين هما نموذجان للانتقال من حياة لأخرى.

ولكن هل كل هذه الحيوانات مجرد انتقالات إدن؟

لا بد أن ما يندمج في كيان واحد، يصبح واحدًا غير مدرك. ولكن
ألا يعد الاعتراف باللا نهائية في ضوء هذا الفهم أمرًا لا معنى له؟
الموت يقظة نهائية، وهناك يقظة أخرى جزئية في الحياة نفسها. أختبر
ذلك الآن. اليقظة خروج من إطار النفس، وبخروجك من نفسك تدلف
إلى الحياة الكلية، ولا تدركها إلا بالحب. الحب ليس جوهر الحياة، بل
هو مجرد دلالة على الوعي بجوهر الحياة: الله.

كم يضعف المعنى حينما نعبر عنه بالكلمات!

تمشيت صباحًا. حالتي الروحية جيدة جدًا طالما أنا وحدي. كنت
أفكر طوال الوقت في أن الحياة الشخصية هي مجرد حلم. حسنًا أن ذلك
يجعلك تشعر بالحب صوب الآخرين. حاولت بالمنزل أن أكتب عن
استحالة ألا يكون المرء أناركيًا، ولكن بلا جدوى. لم أرد أو أفعل شيئًا.
قرّرت صوفيا أن ترحل غداً. إنها أفضل حالًا الآن. جاءني زائر وديع
بأسئلة، ويبدو أنني كنت نافعا له. ثم جاءت كورولوف^(٢٤١)، وأنا غير نافع
لها. خرجت مع آل تشيرتكوف على متون الجياد، وحظينا بحديث جيد.
غداء وموسيقى، ومحاضرة ثانية جيدة على ضوء فانوس فاتن. جاءني
فلاح من فيازيوم، متكلف بعض الشيء. وصلّتي خطابات جيدة.
أن أتذكر الله يعني أن أتوقف عن تذكر كيانِي الشخصي: ليف
نيكولايفيتش.

(٢٤١) مالكة ضيعة قريبة من كريكشينو.

استيقظت شاعرًا بالحيوية. التقيت بمصور فوتوغرافي ومصور أفلام. شعرت بالضيق لأن هذا يُشعرني بنفسى غير الإلهية؛ نفسى الشائنة: ليف نيكولايفيتش. دَوَّنت بعض الملاحظات فى الطريق. تحدثت مع تشيرتكوف عن نية أبنائى الاستيلاء على أعمالى التى كنت قد جعلت حقوق نشرها مشاعًا. لا أستطيع أن أصدق ذلك^(٢٤٢). أفكار:

١ - الحياة هى رغبة فى الخير. إن فهمنا أن الحياة الشخصية حلم، سيستحيل أن ننتظر خيرًا من حلم، بل ستتوجه رغبتنا فى الخير صوب ما هو كلى: الحب.

٢ - النوم، بما يتضمنه من فترات كاملة لا واعية، وفترات الوعي فى حالات بين اليقظة والنوم، اللذين يؤلفان مادة الأحلام، واليقظة النهائية فى نهاية الأمر يشبهان تمامًا الحياة بما تتضمنه من فترة لا واعية، وتحليات هذا الوعي فى الذاكرة التى تزداد وضوحًا بشكل تدريجى، والموت الذى يُشكّل اليقظة التامة. أردت أن أقول إن الحياة قبل الولادة قد تكون هى منبع الشخصية التى أدلف بها إلى هذه الحياة، وإن الحياة

(٢٤٢) أخبر تشيرتكوف تولستوى بتنامى أخبار إليه بنية ليف وأندريه وميخائيل تولستوى أن يستولوا على حقوق نشر أعمال أبيهم بعد موته، بما فيها ما كتبه بعد عام ١٨٨١؛ الكتابات التى جعل تولستوى حق نشرها عامًا. بعد ذلك الحديث وقع تولستوى وصية رسمية تحول دون أن يستولى أحد على حقوق أعماله التى كتبها منذ عام ١٨٨١ وحتى الآن، وحتى الأعمال غير المنشورة بعد ذلك، بل تصبح حقوقها مشاعًا. ولكن المحامين لم يعترفوا بهذه الوصية، لأنه بحسب القانون الروسى آنذاك كان يمكن للشخص أن يتنازل عن حقوقه لشخص معين، لا مشاعًا، وبالتالي سيوقع تولستوى وصية جديدة فى ١ نوفمبر.

الحالية هي ثمرة يقظات سابقة، وإن ما يحدث الآن سيكون أساس الحياة المستقبلية، لكن ليس لديّ الحق لأقول ذلك؛ لأنني لا أستطيع التفكير خارج نطاق الزمن. لا زمان بالنسبة للحياة الحقيقية، لكنها تتمثل لنا داخل إطاره وحسب. كل ما يمكنني أن أقوله هو أنها موجودة، وإن الموت لا يدمرها، بل يكشفها. أما الحديث عما قبل الحياة، وعما سيحدث بعد الموت، يعني استخدام طريقة تفكير تلائم هذه الحياة وحسب، لتوضيح أشكال أخرى من الحياة مجهولة لي.

أخبار سيئة بالمنزل عن اضطراب صوفيا إثر اقتراح أن يسافر كل منا إلى موسكو بمفرده. ذهبت إليها. أشعر بالأسف الشديد عليها. إنها مسكينة ومريضة وضعيفة. لم أهدئها كاملاً، لكنها قالت بطيبة ولطف وأسف: سامحني. سررت وتأثرت. لم أكتب شيئاً مجدداً. تمشيت وطفيت بعيداً. جاء تشيرتكوف على جواده وعاونني. نوم، ثم غداء، ثم موسيقيون. لم أسعد بالموسيقى.

١٨ سبتمبر.

نمت قليلاً. خرجت لأتنزه. لم أرد أن أودّع الموسيقيين، ثم شعرت بالخجل وعدت، وتحديث على نحو أخرق وغبي؛ فشعرت بالخزي وانصرفت. قاربت على الضلال مجدداً. جاءني تشيرتكوف ثانية. أضفت لتوي بالمنزل بعض الأفكار للحوار الأول، وأريد مراجعة الحوار الثاني.

جَلَبَة الرحيل... أنشد العودة إلى المنزل. لست بخير هنا وأريد أن أعود لهدوئي. إما لا أدوّن شيئاً وإمّا أدوّن الكثير جداً!

١٩ سبتمبر.

نمت قليلاً. أشعر بالضعف. تمشيت. كتبت خطاباً لناجيفين وإيكونيكوف. بدأنا سفرنا. التقينا بحشد ضخم جداً، كادوا أن يطأونا، لولا تدخل تشيرتكوف. خفت على صوفيا وساشا. يراودني مجدداً هذا الشعور السيئ، بدرجة أقوى؛ وذلك لأن من الواضح أن هذا هو شعور الحشود. من المثير للاهتمام أن ما قالت أولجا فريديريكس إنه يشير اهتمامها وإعجابها بالثيوصوفية هو ما يشير الاشمئزاز في الحقيقة؛ تحديداً أن الظلم في هذا العالم يمكن معادلته وحسمه بالحياة في عوالم أخرى. إغواء مرة أخرى! يا لها من سذاجة! وصلنا إلى يسينكا. أذكر كيف جلسنا في العربة، لكني لا أتذكر شيئاً عما حدث حتى العاشرة من صباح يوم ٢٠. حكوا لي أنني بدأت أهذي، ثم فقدت وعي تماماً. كم يسهل ويحسن أن يموت المرء هكذا!

٢٠ سبتمبر.

وصلنا بسلام. تمشيت. المصوران يتبعانني. عرفني الناس في موسكو وحيوني، وبعث الأمر في سروراً وضيقاً على السواء؛ لأنه يثير بداخلي شعوراً سيئاً بالشك. غداء ومساء هادئ. جاءني دوناييف وسيميونوف وماكلاكوف. ذهبت إلى قاعة عرض سينمائية. أمر شديد السوء (٢٤٣).

استيقظت اليوم في العاشرة، شاعراً بالضعف. خطابات كثيرة؛ اثنان منها مليئان بالتقريع العنيف. كتبت عنهما خطاباً ليُنشر في الصحف.

(٢٤٣) سينما بشارع أربات، حيث شاهد مشاهد مختلفة وميلودراما ومسرحية كوميدية، واستاء من كل ذلك.

خرجت مرتين لأتنزه. ضعف. أفكر طوال الوقت بصورة حسنة في كتابة خطاب للقيصر ولقاء به، وأظن أنني سأكتبه. الساعة الآن الخامسة. سأقوم ببعض الأمور وأستلقي على الفراش.

غفوت وتغديت دون رغبة. في المساء جاء إيفان إيفانوفيتش، وشخص آخر لا أذكره.

٢١ سبتمبر.

نمت على نحو أفضل. تنزهت بسرور. وصلني خطابات كثيرة، ومقالاتي عن الخطابات المليئة بالتوبيخ، كما أجبته عن بعض الخطابات وقرأت. جاء ألكسندر وبوبوف وديموتشكا. ملل. خرجت بالجواد، وابتهجت. شيء غريب جديد مبهج هادئ يدور في روحي ... شيء قريب من الموت. سأنام الآن وهناك شعور بالحزن ... بالحزن الشديد. عونك يا رب لأنفذ إرادتك وأعيش بك. عندما أتذكر ذلك أكون بخير، لكنني لا أتذكر ذلك إلا في وحدتي. سأنام. الساعة الآن الثانية عشرة.

٢٢ سبتمبر.

حظيت بنوم جيد. حالتي الروحية بخير، ولكن هناك شيء جديد تمامًا وأخشى أن أقول إنه قريب إلى الله، ولكن على الأقل قريب من تذكره، ومحزن. تمشيت بعيدًا. انشغلت بمراجعة مقالاتي الخاصة بخطابات التقرير، وقرأت وكتبت خطابات أخرى. قراءة ممتعة في (دورة قراءات). ذهبت بالجواد إلى تيلياتينكي. هناك اهتمام خاص بي، وذلك يضايقني. مضيت بالجواد بعيدًا. لم أفعل شيئًا مساءً. عليّ تدوين

الكثير من الأفكار، لكن الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

٢٣ سبتمبر.

بصحة جيدة. تمشيت. التقيت ببعض الزوار. يروميف هو الذكي الوحيد بينهم، ولكن من الواضح أنه متعطش للكبرياء وموهوب. لا شيء مزعج بالمنزل. خطابات غير مهمة. لا يمكنني أن أفعل شيئاً. لا بأس بحالتي الروحية. لا أكره نفسي. ذهبت إلى محطة (رفي) بالجواد والتقيت بأندريه (ابنه) وزوجته. شعرت بالضيق معهما. غداء وشامبانيا وأكلات باهظة^(٢٤٤). ضيق. متسولون في الصباح، ومجدداً أشعر بالضيق الشديد. لم أسلك على نحو جيد. حل المساء، وسأنام الآن، دون أن أُقْبِلَ على نقل أفكار من دفتر الأفكار إلى اليوميات. لا أريد أن أكتب.

٢٤ سبتمبر.

نمت قليلاً. تنزهت. كتبت (خطاب لهندي)، ووصلني خطاب لطيف من هندي من إقليم الترانسفال^(٢٤٥). خطابي لهندي ضعيف للغاية. وصل مود. يُثقلني انشغال الناس بي. مصورو الأفلام مجدداً. شُدهت بالأمس من مدى فجاجة وقساوة استنتاجات أندريوشا بخصوص كيف أصبحت ملكية الأراضي أكثر نفعا: تضاعف ثمن الخبز وحبوب الجاودار، بينما أصبحت تكلفة العمل أقل بنسبة ٢٠٪. أمر رائع! ماذا تريد أكثر من ذلك؟! وصلني اليوم خطاب حسن من

(٢٤٤) أعدت صوفيا هذه الوليمة بمناسبة ذكرى زواجهما السابع والأربعين.

(٢٤٥) مرسل الخطاب المهاتما غاندي.

تشيرتكوف. سأنام الآن، ولن أنقل مجددًا أفكارى إلى دفتر اليوميات.
من الواضح أن نسبة الصفراء قد زادت في جسدي، وأن هذا هو
منبع حزني وكآبتي جزئيًا، لكنني لن أستسلم.
٢٥، ٢٦ سبتمبر.

سأراجع في اليوميات. الساعة الآن الثامنة مساءً، من يوم ٢٦
سبتمبر. حظيت بتمشية جيدة وهادئة بين الأشجار المخروطية. قبل ذلك
تحدثت مع عزيزي ب. إبيريوكوف الذي وصل لتوه، وكتبت قبل ذلك
كثيرًا إلى حد ما عن الأناركية^(٢٤٦). لا أعرف ما إن كنت سأنجح في
كتابة هذه المقالة ونشرها أم لا. للمرة الأولى اليوم، بعد مرور بضعة أيام،
تحدوني رغبة في الكتابة وأكتب فعليًا. فور أن استيقظت شعرت بالضيق
إثر الخبر الذي وصلني من بير كنهايم بخصوص وصول أحد الهاريين من
طرف جوسيف^(٢٤٧). التقاه بير كنهايم بنفسه، وعندما بحث عنه وجدته
قد مضى. تنزهت في الحديقة صباحًا. في مساء يوم ٢٥ تحدثت مع مود.
إنه آسف على قطيعته مع آل تشيرتكوف، وربما يشعر أنه ليس على حق
تمامًا، ولكن حسنًا أن تشيرتكوف لا يهتمه بشيء^(٢٤٨). مضيت بعيدًا
بالجواد، حتى وصلت إلى قرية جوريوخينو. لم أفعل شيئًا صباحًا.
كتبت خطابًا لهندي^(٢٤٩). كنت سأعمل في (حوار مع فلاح عابر)، لكنني

(٢٤٦) سُنشر المقالة بعنوان (حان الوقت لنفهم).

(٢٤٧) اتضح بعد ذلك أنه نصاب، وأن جوسيف لم يرسل أحدًا إلى ياسنايا.

(٢٤٨) كانت المشاجرة بينهما بخصوص حقوق نشر أعمال تولستوي.

(٢٤٩) كان الخطاب موجّهًا لغاندي.

نحيته. مود يترجم خطابي للهنود. أفكار أدونها الآن:

١- كم كان من الأفضل لو لم أكن قد عبّرت عن وعيي بمغزى حياتي، فالتعبير في حد ذاته يُضعف مغزى ما أعبر عنه.

٢- عونك يا مَنْ أعرفه ولا أستطيع في الآن ذاته تسميته أو فهمه. عونك لأعيش لا بحسب إرادة ليف نيكولايفيتش، بل بحسب إرادتك التي بموجبها يعيش ليف نيكولايفيتش.

٣- يبكي الإنسان عندما يُحرم من الخير الذي كان ينتظره، ويبحث عنه في كل مكان عدا المكان الموجود فيه حقًا، في الوقت الذي يكون فيه كل ما عليه فعله هو ألا يبحث عن شيء، وألا يفعل شيئًا، وسيصل إليه خيره تلقائيًا. كانت هناك حكاية رمزية عن هذه الفكرة، لكنني نسيتها.

٤- يحتاج الإنسان إلى إيمان واحد حتى ينال خيرًا لا يخرقه شيء؛ الإيمان بأن خيره ينحصر في تنفيذ إرادة الله، لا إرادته. ما إن ينكر الإنسان إرادته الشخصية حتى يجد أن إرادة الله واضحة دائمًا.

٥- رائع هو تشبيه أفلاطون لبساطة الروح بتناغم القيثارة، وبساطة الجسد بالقيثارة ذاتها. «حطّم القيثارة وسيزول التناغم».

الأفضل من ذلك هو اعتراض سقراط على ذلك، حينما أشار إلى أنه يحاكم الآن في المحكمة بروحه؛ بقيثارته بحسب التشبيه السالف، وبما أنه رفض التخلي عن معتقداته، وحطّم القيثارة ذاتها؛ فمن الواضح إذن أن جوهر الحياة ليس في القيثارة، بل في البساطة ذاتها التي تتمثل في صورة قيثارة؛ أي في شيء ما غير جسدي.

راودتني فكرة جيدة جدًا بخصوص ذلك لكنني نسيتها. عليّ تدوين الأفكار في وقتها. لم أخرج يوم أمس ٢٧. ساءت حالة قدمي، ومكثت في الشرفة. قرأت خطابات وأجبت عنها، ثم كتبت كثيرًا جدًا في مقالتي عن الأناركية، وبرغبة شديدة. ربما أنجح فيها. لم أخرج قبل موعد غفوتي. قضيت فترة المساء بصحبة كليتشكوفسكي وبوشا، وكالمعتاد دار بيننا حوار جيد. خرجت اليوم ٢٨ سبتمبر إلى الحديقة. أسير بصعوبة. جاءني ثلاثة متسولين شباب. خطابات: أحدها لشوستوفا. استغرقت وقتًا طويلاً في الرد على الخطاب، ولم أفعل شيئًا آخر. جاء ديموتشكا قليلاً وها هو راحل. حديث مع كليتشكوفسكي عن تربية الأطفال. تمشيت في الحديقة بصعوبة. أنا في حالة روحية جيدة وهادئة ومبهجة. أنا ممتن ومسرور. الساعة الآن السادسة. استيقظت لتوي من النوم، وها أنا في انتظار الغداء. أفكار:

١ - أفكر في كتابة خطاب للقيصر عن قضية الأرض، والتي تبدو لي القضية الأهم، وفي ذلك الوقت تراودني فكرة أن أحدث صوفيا عن رغبة إيليا فاسيليفيتش^(٢٥٠) في زيادة راتبه. الأمر الأول إذن هو مناقشة خير الشعب الروسي مع القيصر، والأمر الآخر هو زيادة راتب الخادم، ولكن الثاني أهم من الأول؛ لأنه يتطلب مشاركتي وقراري، أما الأول فأمر أحاول أن أتولاه.

٢ - في مجتمع مُكوّن من أناس يعيشون حياة روحية، من الطبيعي

(٢٥٠) فلاح كان يخدم بمنزل أسرة تولستوي.

أن يرأسهم ويمارس التأثير الأكبر عليهم شخص يُعد الأسمى بينهم في السمات الأخلاقية. في مجتمع مُكوّن من أناس يعيشون حياة دنيوية جسدية وحسب، سيتسلط عليهم دائماً ولا محالة شخص هو الأدنى بينهم في السمات الأخلاقية.

٣- إنسان وُلد في بيت أبيه، وتربى فيه واستطاع أن يواصل عيشه عاملاً لدى أبيه، لكن هذه الحياة بدت له كئيبة ولا معنى لها، فترك البيت وذهب ليبحث عن حياة وعمل آخرين. بدّل المكان، وتارة لم يعجبه المكان الجديد، وتارة لم يقبلوه، وفي أحيانٍ أخرى قبلوه ثم طردوه. تعذب كثيراً وفكّر في منزله. لم يعد إلى منزل أبيه الذي غادره إلا عندما أدرك خيره.

هكذا هو الأمر مع حياة الناس الذين يتركون الحياة المفطورين عليها بحسب إرادة الأب/ الله وخدمته. إنهم يعانون بالتوقف عن تنفيذ إرادته، وهم أيضاً لا يعودون إلى المنزل إلا حينما يجدون الراحة والسرور؛ فيعودون إليه وإلى تنفيذ إرادته.

جاء كليتشكوفسكي مساءً وعزف بشكل لا بأس به إطلاقاً، ولكن جداله يضايقني بشدة.

٣٩، ٣٠ سبتمبر.

في يوم ٢٩ لم أهبط إليهم بالطابق السفلي، وكتبت كثيراً جداً في مقالي عن الأناركية. تبدو المقالة لا بأس بها، لكنها تنطوي على إدانة شديدة، ورغم ذلك تستنفذ نفسها بطريقة ما. حوار آخر مع كليتشكوفسكي. خرجت في جولة على الخيل مع بوشا. يروقني بشدة

أن أكون معه. أفهمه وأحبه كلية. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. التقيت ببولانجي، وضايقني اللقاء. الأمر يختلف عن لقائي ببوشا؛ فالتواصل مع الأخير يكون كاملاً دون أي عوائق. نمت وتغذيت كالمعتاد. تصفحت مقالة بولانجي عن كونفوشيوس. حظيت بحديث جيد مجدداً مع بوشا. نمت قليلاً جداً.

استيقظت مبكراً في يوم ٣٠. جاءني ثمانية متسولين. صحيح أنني شعرت ببشريتهم، لكنني لم أستطع أن أعاملهم بإنسانية. حظيت بحديث جيد مع تاراس، ثم عكفت على العمل في حوار مع فلاح عابر سبيل، وكتبت كثيراً، ويبدو ما كتبتة معقولاً. جاء بولانجي، وتحدثت معه عن كونفوشيوس. خرجت لأتنزه بالجواد بصحبة بوشا وسررت بذلك. فيتوتشكا ابنة ليزا بالمنزل^(٢٥١). بدت غريبة للغاية، ولم أتحدث معها بطيبة. الأمر الجيد الوحيد هو أنني عوّدت نفسي على أنني فور أن أخطئ ضد الحب في علاقتي بإنسان ما حتى أشعر بالألم. أتذكر ذلك عندما أتعامل مع الناس، وهذا تقدم لا يمكنني ألا أفرح به.

حلّ المساء. الساعة الآن العاشرة. قرأت الخطابات الواردة وأجبت عن بعضها. لم أدون شيئاً. غريبة هي الفكرة التي خطرت على ذهني بالأمس، ومفادها أن كل مدركاتنا الحسية تتم عبر اللمس؛ الأمر الذي يتطلب وجود المادة. هذه المادة هي التي تفصلنا عن الكيان الكلي، فهي لازمة لحدوث هذا الانفصال. ولكن لماذا لا أتصور وجود كائنات مختلفة تماماً يمكنها أن تنال انطباعاتها وتكون منفصلة عن

(٢٥١) ابنة أخ غير شقيق لصوفيا زوجة تولستوي.

الكيان الكلي، بشكل آخر غير الانفصال القائم على المادة؟ إننا نحيا في وهم المادة، لذا لا نعرف، ولا يمكننا أن نعرف عن وجود مثل هذه الكائنات غير المادية، وبالتالي لا نعرف ماذا يفصلها عن الكيان الكلي، تمامًا كما لا يمكنها أن تعرفنا وأن تعرف ما يفصلنا عنه، أي المادة؛ لأنها غير موجودة بالنسبة إليهم. كل هذا هراء، لكنني ما شغلني به هي فكرة انجلت لي بوضوح شديد، ومفادها أن عالمنا ليس العالم الوحيد الذي يعتبر واحدًا من وسط عدد لا نهائي من العوالم. آه، مجددًا أستخدم كلمة «عدد». حسنًا، على الأقل فهي حقيقة أن أقول إن عالمنا وهم، وإن ما هو حقيقي فعلاً هو المُدرِك نفسه.

فيتوشكا في الصلاة. سأذهب لمساعدة صوفيا.

٢ أكتوبر.

لم أدوّن شيئًا عن يوم أمس. كان يومًا مشحونًا. لم أعمل شيئًا، بل اكتفيت بالإجابة عن الخطابات على نحو قصير لا بأس به. ذهبت بالمرحلة إلى سوداكوفو. في الطريق من تيلياتنيكي إلى سوداكوفو فكرت في قصة (حياة الأب القديمة). يبدو أنني لن أكتبها. لا وقت لديّ^(٢٥٢). حالتي الصحية بخير، لكنني أشعر بوهن شديد. شعرت بكآبة شديدة من الحديث على الغداء مع فيتوشكا. إن شخصيتها مميزة جدًا من حيث نمطيتها.

قرأت بالمساء عن آكلي لحوم البشر بأفريقيا، وفكرت في علاقة المسيحيين بهم، والتي يجب أن تتأسس لا ريب على اللا مقاومة. في البداية أخفقت، ثم أمنت الفكر وأدركت الآتي:

(٢٥٢) لم يكتب قصة فعلاً كهذه.

١- إن اعتدى المحليون على الكثيرين، سيتعجبون لا محالة وسيرغبون في الاستفادة من هذا النموذج من الطيبة وإنكار الذات، وبالنظر إلى رضاهم الحالي سيدركون أفضلية فهمهم للحياة. ربما لا يحدث ذلك، ولكن هناك أمر واحد لا شك فيه؛ أن بهذا لن ينقسم الجنس البشري أبداً إلى معسكرين: الهمج المتوحشين - والقديسين. في الحقيقة الوضع كما كان، وهكذا سيكون؛ أقصد أن الجنس البشري بأكمله يتدرج في سلم الكمال الروحي، وهناك درجات كثيرة تتوسط الطريق بين المتوحشين والقديسين، لكن الجميع يقتربون من كمال الحب.

اليوم ٢ أكتوبر. حظيت بنوم رائع. تنزهت وفكرت في الآتي:

أثناء قراءتي لأيام رائعة من (دورة قراءات) فكرت لتوي في أن أناي التي أعياها هي وعي بالله في حد ذاته، متجلياً في العالم كله، بما فيه أنا نفسي. لذا الله محبة.

ربما لا يبدو ذلك واضحاً، لكنه واضح بالنسبة لي، كما أنه يُكسبني فرحة رقيقة.

أنهيت كتابة، وسأعكف على العمل في (حوار عابر سبيل)، حيث انجلت لي فكرة مهمة بخصوصه.

٣، ٤ أكتوبر.

بالأمس حلمت بكابوس عن الدوقة أولدنورجسكايا (٢٥٣)، وكيف ألقوا بي أسفل المقابر، وكيف شعرت بالغضب من كل مَنْ يزعمونني.

(٢٥٣) دوقة التقى بها في سويسرا أثناء ترحاله في أوروبا أثناء شبابه.

وصلتني خطابات غير مهمة. راجعت (حوار مع عابر سبيل) قليلاً. ذهبت إلى كوزلوفكا. لحقت بي صوفيا، وكذلك أندريه وزوجته. أشعر بالأسف الشديد على أندريه وزوجته، وحمدًا لله لا تراودني أي مشاعر شريرة تجاههما. ودّعت عزيزي بوشا. اليوم ٤ أكتوبر. كتبت كثيرًا. لم يصلني خطاب مهم سوى واحد، كما أجريت مراجعة نهائية على (حوار مع عابر سبيل) ومقالتي عن الأناركية. خرجت بالجواد. سأغفو الآن غفوة قبل الغداء المعتادة.

٥، ٦، ٧ أكتوبر (اليوم ٨ أكتوبر).

راودني شعوري سيئ يوم أمس: ٧ أكتوبر. ذهبت صباحًا إلى مكان الهاتف، وتحدثت مع جولدنبلات بشأن فلاح تيليابينكي^(٢٥٤). لم أفعل شيئًا بالمنزل. قرأت لأندرييف وتشيليشيف، وكلاهما آتيان^(٢٥٥). في المساء شعرت بالحزن. أرغب في الموت. يسألونني: وما الذي يسوءك؟ لا يسوءني شيء، ولكن هناك أفضل. لم أنم الليل بسبب اضطراب معدتي.

أول أمس، ٦ أكتوبر راجعت (حوار مع عابر سبيل) على نحو سيئ، كما راجعت بضعة خطابات. خرجت بالجواد بصحبة دوشان إلى زفيجينتسيغا، والتقيت بخفير مزعج. الأمر صعب، ولكن تزداد الحاجة

(٢٥٤) محام من تولا، حدثه تولستوي بشأن لجوء بعض الفلاحين إليه لحمايتهم من انتهاكات الشرطة.

(٢٥٥) الأول هو الكاتب الشهير ليونيد أندرييف زار ياستايا في إبريل ١٩١٠، أما الثاني فهو عضو بمجلس الدوما وقد كتب عن شرور الخمر.

لصنع علاقة أخوية مُحبّة مع الآخرين. لم يحدث شيء مهم بالمساء.
أظن الأمر ذاته مع يوم ٥ أكتوبر. مرضت مجددًا. اليوم أنا أفضل حالًا
قليلاً، وحالتي الروحية بخير. دوّنت:

نسيت كل شيء، ولا أتذكر سوى أمر واحد: عليّ أن أجيب على
مَن يدينني على عدم اتسامي بالفقر مثل يوحنا المعمدان^(٢٥٦). أجيب
بأن يوحنا قديس، أما أنا فضايط متقاعد، عاش حياة شريرة، ولم يبدأ
تفكيره في الله إلا عندما شاخ، ووصل بطريقة ما إلى اكتشاف طريقة
خدمته.

٩ أكتوبر.

جاء تشليشيف بالأمس. إنه نموذج لاجتماع العقل بالكبرياء
والقدرة على التمثيل والفطرة السليمة لدى الفلاحين والأصالة
والخضوع. لا يمكنني أن أصفه بالمزيد، لكنه مثير جدًا للاهتمام.
تحدث كثيرًا. فكرته عن التأثير على أوروبا بالتحكم في التصدير، وفي
الآن ذاته نقل الامتيازات التجارية الموجودة الآن بين أيدي التجار،
إلى الفلاحين هي فكرة ذكية جدًا. إنها فجة وغير دينية، ووطنية، لكن
يمكن ربطها بفكرة الضريبة الموحدة (لهنري جورج). أعطيته خطابًا
لنيكولايف.

اليوم تحسنت حالتي الصحية، لكنني لا أزال في نفس المزاج
الصفراوي الكئيب.

(٢٥٦) يوحنا المعمدان في الإنجيل هو يحيى بن زكريا في القرآن.

كتبت خطابًا لكارتوشين، وراجعت (حوار مع فلاح عابر سبيل). تنزهت بالجواد. نمت قبل الغداء، ثم مضيت لأتغدى. لا أزال متماسكًا بالرغم من الكآبة. أنسى أحيانًا، وفي أحيانٍ أخرى أتذكر في تعاملتي مع الناس أن أقول: «عونك لأكون معك، أو بك»، وهذا يجديني نفعًا.

١٠ أكتوبر.

لا أتذكر كيف قضيت مساء أمس. في المساء جاء إيليا. يظهر فيه غياب الاهتمامات السامية، كما هو الأمر مع كافة أبنائي، ولكن لا بأس. دوشان مريض. ذهبت إليه. وجدته كالعادة متواضعًا وهادئًا. لم أفعل شيئًا سوى كتابة بعض الخطابات قليلة الأهمية. ذهبت للقاء ساشا. كانت بعض الأحجار موجودة بالطريق. تحدثت جيدًا مع أب وابنه من يسينيتسكي. في المساء قرأت لأندرييف. لديّ بخصوصه نفس الانطباع القديم الواضح؛ قصصه المبكرة جيدة، أما الحديثة أجدها لا تفي بأبسط المتطلبات. يبدو أنني لم أدوّن شيئًا. جاءني زائر مزعج. في البداية تعاملت معه بسوء، لكنني صحّحت موقفني بعد ذلك. لا أستطيع تعويد نفسي بشكل عام على تذكر الله أثناء تعاملتي مع الناس، بل أتذكر ذلك بعد مرور الموقف. سأتعلم.

١١ أكتوبر.

إنها الليلة الثانية التي أحظى فيها بنوم جيد، لكنني أشعر بالضعف. ما إن خرجت، حتى جاءني أربعة عاطلين، ثم أربعة من طرف تشير تكوف. خرجت لأتمشى ولكن يجب أن أتحدث معهم.

لم أكتب شيئاً عدا بضعة خطابات تافهة. ذهبت بالجواد بصحبة دوشان إلى قرية كازناتشيفيكو (لزيارة مريض). وضع مريع أن تعيش في وفرة وسط الفقراء. الجميع يطلبون صدقة، وجميعهم بئسسون، وأنا دنيء!

نسيت صلاتي مجدداً. جاء بولانجي. أضفت شيئاً ما إلى تقريرتي الخاص بمؤتمر السلام. أشعر بضعف شديد، ولا تتوقف رغبتني في الموت.

١٤ أكتوبر.

فوّت يومين ولم ألحظ حتى ذلك، فقد كنت أشعر بالضعف في الفترة الأخيرة. أبدو اليوم أكثر حيوية، لكنني لم أفعل شيئاً بالصباح سوى إجراء بعض التغييرات في ردي على ستروف^(٢٥٧)، وكتابة بضعة خطابات أخرى. دفعتني قراءة أعمال أندرييف بمزيد من الحيوية على التفكير في كتابة عمل إبداعي. أرغب في ذلك، ولكن ليست هناك حاجة لا تقاوم إلى ذلك. يبدو أنني أجريت مراجعة أخيرة على (حوار مع فلاح عابر سبيل)، وكتبت بضعة خطابات وتمشيت في يوم ٩. ازدادت برودة الجو. لم يأت أحد. قرأت لأندرييف ولا أتذكر شيئاً آخر قد حَدَثَ يستحق الإشارة إليه. جاء صبي، لم يطلب شيئاً في البداية. أعطيته روبلاً. في اليوم التالي جاء وطلب مني ١٤ روبلاً. لا أتذكر مزيداً من انحرافاتي. بدأت أعوّد نفسي على الحذر عند تعاملتي مع الناس. يوم أمس ١٣، استيقظت شاعراً بضعف شديد، وكتبت ملاحظة شريرة عن

(٢٥٧) كاتب صحفي عارض آراء تولستوي في مقالته (الثورة الحتمية).

مقالة ستروف، وكتبت بضعة خطابات أخرى. تمشيت. أشعر بضعف شديد. أنهيت أعمال أندرييف. المقام لديه أعلى بشدة من البسط (٢٥٨). عليّ تدوين الآتي:

١- كل صلاة طلبه هي دلالة على عدم الإيمان بالله. الله هو العقل والحب الأعظم. كل شيء يحدث للخير. ما لا يروق لي ليس إلا دلالة على عدم فهمي، وهو أمر حتمي. كيف بدا لي الأمر عندما أقدمت على كتابته هذه الليلة، وكيف صغته؟!

٢- لا يكون المنتج الفني حقيقياً إلا عندما لا يستطيع المتلقي أن يتصور شيئاً سوى ما يراه أو يسمعه أو يفهمه تحديداً، وعندما يختبر المتلقي شعوراً شبيهاً بالتذكر، كأن ما يتلقاه الآن قد حدث قبل ذلك عدة مرات، كأنه يعرفه منذ زمن لكنه لم يستطع قوله، واستطاع شخص آخر أن يقول ما يجول بخاطره بالضبط. يكون كذلك الفن حقيقياً عندما يشعر بأن ما يسمعه أو يراه أو يفهمه لا يمكنه إلا أن يكون بالصورة التي يستوعبها. إن شَعرَ المتلقي أن ما يعرضه الفنان عليه كان بالإمكان أن يكون مختلفاً عن رؤية الفنان، وشعر بطغيان الفنان، حينها لا يكون الفن حقيقياً.

٣- هناك فنون مزدوجة: الموسيقى والمسرح، والرسم جزئياً، ينفصل فيها الفكر - وهو عمل الفن الرئيس - عن تنفيذه. يتمثل ذلك في الموسيقى: في تأليف المقطوعة وعزفها، وكذلك هو الأمر في المسرح: تأليف النص وأداؤه على المسرح، وهو كذلك جزئياً في الرسم والفن

(٢٥٨) استعارة حسابية، كان تولستوي مولعاً باستخدامها يشير البسط للصفات الإيجابية للشخص، ويشير المقام إلى رأيه في نفسه.

التشكيلي بشكل عام حيث لدينا التصور والتنفيذ، والأمر كذلك كاملاً في الزخرفة. يمكننا أن نجد فناً زائفاً في هذه الفنون المزدوجة أكثر من غيرها من الفنون، حيث تكون الفكرة زائفة وتافهة، في حين يكون تنفيذها رائعاً، سواء من قبل العازفين أو الممثلين أو الرسامين. الأمر كذلك بصورة خاصة في الموسيقى والمسرح. هناك بعض المؤلفين المسرحيين، وأندرييف واحد منهم، والمؤلفين الموسيقيين، لا يشغلون بالهم كثيراً بمحتوى العمل وأهميته وحدثته وصدق المسرحية أو التأليف الموسيقي، وينصب كامل اهتمامهم على تنفيذ العمل، ويكيفون أعمالهم من البداية لتناسب مؤثرات وطريقة عرضها. سأتناول إفطاري. الساعة الآن الثانية.

حظيت بنزهة لطيفة على الجواد. بعد الغداء قرأت جريدة *Vedic* (جريدة هندية). عليّ أن أكتب خطاب شكر لذلك الهندي الذي وضح لي مفهوم المايا. الما: هي القياس. المايا ما هو محدود قابل للقياس. كل ما حولنا وهم. عزفت أنا وصوفيا عزفاً ثنائياً على البيانو في وقت متأخر من المساء. يداي لا تؤديان جيداً.

١٥ أكتوبر.

نمت كثيراً. تمشيت وأدركت بوضوح كم أنا سبى في رغبتى في الرد على ستروف. كم أنا بعيد عن الحياة الروحية لروحي! نَحَيْت عني الرد.

وصلتني خطابات عديدة جيدة، وواحد منها مليء بالتقريع. سأرسل إلى جريدة (روسيا الجديدة). تزداد رغبتى أكثر فأكثر في كتابة

عمل إبداعى، لكنى اليوم أشعر بوهن فكري. تمشيت في الحديقة. غفوت. سأذهب لتناول الغداء.

١٨ أكتوبر.

فَوْتُ يومين مجدداً، واليوم هو الثالث. قبل ذلك مساء يوم ١٥: قرأت فيه شيئاً لا أذكره. في يوم ١٦ وصل سيميونوف. أكّد لي أنه يستحيل عليّ أن أرفض التسجيل على الفونوجراف فقد كنت وعدته بذلك سابقاً. شعرت بالضيق الشديد. كان عليّ أن أوافق. وصلني خطاب تقريع بخصوص حوارى مع تشيليشيف وحديثه عن ضرورة شق المزيد والمزيد. كتبت خطاباً ليُنشر، ولكن بعد أن فكّرت في الأمر لم أرسله. قضيت وقتاً لطيفاً مع سيميونوف. إنه فلاح ذكي ومثقف وأصيل، أي أن تعليمه حسن. بعدها وصلت بولندية، طبيبة من باريس. في البداية وجدت في نزعتها العلمية وطهارتها الأخلاقية أمراً شيقاً، لكنى أدركت بعد ذلك أنها امرأة ذكية. عدّدت هي وسيميونوف الأدباء البارزين، وذكروا حشداً كبيراً منهم، وماذا عن أدباء المرتبة الثانية؟ والثالثة؟ يا لها من مهنة رديئة وفارغة! وكم يمكن أن يحقق هذا العمل من نجاح! خرجت بالجواد بصحبة دوشان، وسررت للغاية.

بالأمس كنت سأبدأ العمل في (حكمة الأطفال) لكنى لم أنجح في فعل شيء، بل تشتت. ذهبت مع دوشان إلى المحطة وتحدثت مع أولجا تليفونياً. في المساء أتاني ستة أشخاص بالجرامافون والفونوجراف. شعرت بضيق شديد. كان من المستحيل أن أرفض الأمر، وعليّ أن أعد شيئاً جيداً للتسجيل بقدر الإمكان.

استيقظت اليوم مبكرًا جدًّا، في حالة عصبية. تهيأتُ لتسجيل حديث على الفونوجراف، وسجّلتُ فعلًا، وحمدًا لله لم أبالِ بحكم الآخرين، وتغلّبت على الأمر. إن تم الأمر، فلأُقل على الأقل ما يمكنه أن ينفع شخصًا ما، بطريقة ما. سلكت على نحو جيد. تذكرت صلاتي عدة مرات. نعم، ستصبح عادة. هكذا إذنُ شعرت بضيق يفوق ضيقهم عندما رفضت هدية السيارة والفونوجراف. وصلني كتاب مثير جدًّا بعنوان (الفلاحة والشيطانة أولي). لم أنهه بعد.

أمس، أو أول أمس تحديدًا، شعرت بالنفور الشديد من الاهتمام برأي الناس حينما فكرت في إرسال خطابي للرد على خطاب التقرير الذي وصلني. أنشد أمرًا واحدًا؛ أن يتركوني أقوم بعمل في سلام، أن أخدمه في الأيام القليلة المتبقية لي. أفكار:

١- هناك نوعان من الوعي: وعي الجسد وأجزائه المختلفة التي يمكنني تحريكها أو إيلاها أو حكمها، ووعي الروح وسماته المختلفة التي يمكنني توجيهها إلى هذا الاتجاه أو ذاك، والتي يمكن أن تعاني.

صياغة غير واضحة، رغم أن الفكرة كانت واضحة في ذهني سابقًا.

٢- صلاة: أبتهج بمعرفتي أنك موجود، وأني موجود، والأهم من ذلك هي بهجتي بمعرفتي أننا واحد.

١٩ أكتوبر.

ذهبت بالأمس للقاء أولجا. التقيت بها فعلًا، وحظينا بحديث جيد. جاءت زفيجيتسيفا قبالة الغداء. حاولت أن أفعل الآتي: إما ألا أتحدث،

وإما أن أتحدث بجدية وصلاح. لست في خير حال، لكنني أفضل من ذي قبل. كذلك هو حالي مع أندريه وزوجته. لكنني ألوم نفسي على أنني لا أقول له مباشرة ما أظنه بخصوص حياتهما. تحدثت مع زفيجيتسيفا عن الصلاة في الكنيسة، وعن متى ٦، وعن عدم إمكانية تطبيق الآيات من ١٨ - ٢٠ بهذا الإصحاح على الصلاة. المعاني المنسوبة للنصوص بشكل عام تضرها بشدة.

وصلت ماريا ألكسندروفنا. يا للعمل الجدي الذي يعمل بداخلها! لم أستيقظ اليوم مبكرًا. خرجت لأتمشى. ظهري يؤلمني، ويتأبني ضعف شديد، لكن حالتي الروحية صلبة وواضحة. أشكر! قرأت لتوي (دورة قراءات) وبعض الخطابات، وأجبت عن البعض، وحمدًا لله، لا أرغب في كتابة شيء. راجعت ما كتبتة مجددًا لِيُسَجَّلَ على الفونوجراف: عن مغزى الحياة وعن الحياة وأمور أخرى. من الواضح لي أن كل ما عليّ فعله هو ألا أفسد ما قد تم فعلًا. لا يجب أن أكتب إلا حينما لا يسعني ألا أكتب. الساعة الآن الواحدة.

ذهبت بعيدًا بالجواد بصحبة إيفان. في المساء جاء أندريه وأسرته. أصبح تحمله أيسر. قرأت في جريدة (الفكر الروسي): الجواد الأبيض - شجرة البتولا وبعض القصائد الأخرى. ما قرأته فيها دون أي مبالغة يكشف عن منزل للمجانين، لكنني أقدر آراء هؤلاء القراء والكتاب (٢٥٩). أمر مُخْزٍ يا ليف نيكولايفيتش!

(٢٥٩) نُشِرَتْ فِي هَذَا الْعَدَدِ أَعْمَالُ لِكُلِّ مِنْ بِلُوكْ وَبِرْيُوسُوفْ وَبِيلِي وَجِيْبْيُوسْ وَمِيرِيْجُكُوفْسْكِ وَسُولُوفِيُوفْ وَسُولُوجُوبْ.

٢٠ أكتوبر.

نمت قليلاً. فكّرت على نحو جيد، ودوّنت فكرة ما. لكنني لم أفعل شيئاً نهائياً، باستثناء قراءة لبعض المواضيع من (دورة قراءات) وبعض الخطابات. حسناً ذلك إن فعلته أمام وجهه. راجعت كذلك (حوار مع المعلمين)^(٢٦٠). ليس حسناً. وصل إيفان إيفانوفيتش وأتاني بالكتب التي صدرت، ويخطط لكتب أخرى جديدة. عملت معه بسرور. حلمت بحيوية شديدة بجوسيف، وكتبت له. ثم جاءني من مقاطعة فورونيج فلاح شاحب ولفظ بشدة. يدخن ويشرب ويدين الإكليروس ويهاجمهم، لكنه أصيل جداً. أحبته بشدة. أخذ بعض الكتب وبورترية ورحل. إن سمح المرء لنفسه بتعليق الآمال والتفكير في المستقبل، سيكون الأمل الوحيد في مثل هؤلاء الناس، لكنني لن أسمح لنفسي بالتفكير هكذا. أولجا وأطفالها هنا. مسرور. قرأت الحوار كذلك لنيكفور من فورونيج^(٢٦١)، ولا حظت فيه بعض العيوب، وأريد أن أصلحها.

١ - في الشيخوخة يزداد الانتقال من الحياة في الماضي والمستقبل إلى الحياة في الحاضر. كلما وجّهت قوة الحياة أو إرادة العيش (بالألمانية) من الماضي والمستقبل إلى الحاضر، ازدادت حياتك حرية وخيراً.

٢ - هذه هي صلاتي الحالية: تذكر أنك لا تعمل أمام الناس، بل أمام الله.

(٢٦٠) أحاديث أجراها تولستوي مع بعض المعلمين الشعبيين.

(٢٦١) حوار متخيل بين مسافر وفلاح.

أكرر هذا بنجاح كافٍ، ويعود عليّ بنفع كبير.

٣- تعود كافة البلايا التي تلحق بالناس تقريباً إلى اهتمامهم بالآخرين، لا بأنفسهم. يكفي أن يهتم الناس بأنفسهم وخيرهم الحقيقي، وسيجد كلُّ منهم نفسه راضياً عن حياته، وهو الأمر الذي يجب أن يكون كذلك، ولن يجلب المعاناة للآخرين أو يعاني منهم.

آه، نسيت أن أكتب كذلك: دار حوار مزعج بيني وبين صوفيا بخصوص الشرکسي ومحاولات السرقة في تابتيكولفو^(٢٦٢). كان من الممكن أن يمضي الأمر على نحو أيسر، ولكن لا بأس.

بعد الغداء حديث مع إيفان إيفانوفيتش عن الأعمال الحالية. حسن جداً. الساعة الآن العاشرة. صوفيا راحلة الآن.

٢١ أكتوبر.

عادت صوفيا بالأمس، بعد أن تملكها الخوف من عربة مهجورة على الطريق^(٢٦٣). نمت قليلاً، لكنني فكرت جيداً أثناء نزهتي. وصل فريدمان (محامٍ وعضو بالدوما) ولا أحتاج إليه في شيء. بدأت في كتابة (مذكرات كاهن)^(٢٦٤). يمكن أن يصبح هذا العمل رائعاً جداً. ممكن

(٢٦٢) حدث هجوم مسلح من بعض الفلاحين على ضيعة ابنه أندريه، فأجّرت صوفيا حارساً شرکسياً لحماية الضيعة، الأمر الذي أزعج تولستوي بشدة والذي رأى أن فقر الفلاحين هو سبب هذه المحاولات.

(٢٦٣) تصورت أن قاطعي طريق هاجموا من في العربة وهي في طريقها إلى المحطة.
(٢٦٤) أوراق الأب أليكسي، عن كاهن فقد إيمانه وأجبرته أسرته على مواصلة طريقه القديم، لكنها لم تكتمل.

جداً، وسأكمل كتابة. أود لو أكتب أيضاً مذكرات خادم^(٢٦٥). لتكن إرادتك لا إرادتي. رحلت صوفيا ثانية، ثم خطابات وإفطار. خرجت بالجواد بصحبة فريدمان، وذهبنا إلى أماكن جميلة جداً. تغدينا مع إيفان إيفانوفيتش. تحدثنا عن أعماله. إنه غارق حتى أذنيه في صخب العالم. أمر مؤسف! ربما يكون ذلك ضرورياً. كتبت خطاباً لهندي (راما ديفا)، لكنه سيء. وصلني خطاب من تشيرتكوف بخصوص حقوق نشر خطاباتي التي أريد أن أمنحها لسيرجينكو. كم يشعرني الأمر بالضيق! لا أقصد أن تشيرتكوف هو السبب، فهو أناي الثانية، لكنهم هؤلاء البؤساء الذين يكسبون رزقهم من الأعمال الفكرية. تنظيف المراحيض عمل أنقى من ذلك.

تحدثت لتوي مع ساشا. حكّت لي عن جشع أبنائي وحساباتهم المعلقة على حقوق كتاباتي التي ستقع بين أيديهم بعد موتي، وبالتالي هم في انتظار موتي. كم أشفق عليهم! لقد منحتهم في حياتي كل ما لديّ، حتى لا تغويهم الرغبة في موتي، ورغم ذلك يرغبون فيه. نعم، نعم، نعم... إنهم بائسون، كائنات وُهِيت العقل والكلمة، لكنها تستخدم هذا وتلك ليعيشوا حياة الحيوانات! ليس حسناً أن أدينهم هكذا. إن عاشوا هكذا، فهذا يعني أنهم غير قادرين على العيش خلاف ذلك؛ فكيف أدينهم إذن؟! نعم، أريد أن أكتب عملاً إبداعياً. يمكن أن يقول المرء كل ما يريده ويوقف نزيفه دون أن يدين أحداً.

جاءني اليوم شاب من مدينة جروندونو، وللمرة الثالثة يطلب صدقة.

(٢٦٥) لم تكتمل كذلك.

أعطوه من قبل، لكنه يطلب المزيد. يستحيل أن أعطيه. وعندما أمتنع عن ذلك أشعر بالذنب. تحدثت مع ساشا، وهذا يعني أنها تكلمت. كم يسرني ذلك! لا أريد أن أقول المزيد عن ذلك؛ لأنها تقرأ اليوميات.

عليّ تدوين الآتي:

١- الفكرة الأولى والأهم: لا وجود لي ولأنائي، بل هناك واجب على عاتقي تجاهه وحسب.

٢- ككيان منفصل أنا محض وهم. أنا مجرد عضو واحد صغير في كيان لا نهائي لا يمكنني إدراكه. عملي أن أخدم هذا الكيان الكلي، كما تخدم كل خلية الجسد كاملاً. إن تصورت أنني كيان منفصل، وفي الآن ذاته مستقل، سيُعتبر ذلك ضرباً من الجنون. أنا مجرد عضو. لا وجود للأنأ. هناك فقط واجبات عضو تجاه خدمة الكيان الكلي، وإمكانية وعي مبهج بهذه الخدمة. لا تكون هذه الخدمة ممكنة إلا عندما يكون العضو متحدًا بالكيان الكلي. تُكتسب هذه الوحدة بالحب. الحب إذن ليس هدف الكيان الكلي، فالله ليس هو الحب، بل إن الحب مجرد شرط يمكن به أن تتحقق وحدة العضو التي تتمثل لي في صورة الأنأ، بالكيان الكلي. لا يمكنني أن أدرك هدف الكيان الكلي، رغم أنني أعرف أنني أخدمه.

الصياغة غير واضحة، لكنني أفهمها وتشعرنني بالسرور.

الساعة الآن العاشرة، وأشعر في نفسي بالضعف والوهن، ولا أستطيع أن أكتب خطابات أو أفكاراً ضرورية.

٢٢ أكتوبر.

استيقظت مبكرًا. جاءني دوشان بخبر عن حضور عازف كمان وزوجته. هبطت إلى الطابق السفلي. من المحتمل أنه يهودي. أراد أن يعزف. تركت القرار لبناتي، وقد رفضن.

ذهبت إلى القرية واختبرت واحدًا من أقوى الانطباعات التي تعرضت لها، حتى إني بكيت. كانوا يصطحبون صبية ليجندوهم. أصوات لحن هائل: سيدة متأثرة بشدة، وحشد مرافق ونحيب الفلاحات والأمهات والشقيقات والعمات. يمشون إلى أقصى أطراف القرية للتزود بالموءن، مارين بالبيوت التي يسكنها رفاقهم. كان عددهم ستة، واحد منهم متزوج. الزوجة من المدينة، أنيقة، ترتدي قرطين ذهبيين كبيرين، بخصر مشدود، وفستان أنيق مزين. أغلب الحشد المرافق من النساء، وكالعادة يهرول كذلك بعض الصبية والصبيات المحبوبين المفعمين بالنشاط. يسير الفلاحون بالقرب منهم أو يقفون عند البوابات بأوجه صارمة جادة. تتناهى أصوات العويل، ولا يمكنك تبين ما تقوله الأصوات تحديدًا، لكنها في العموم تنهدات وضحكات هستيرية. الكثيرات يبكين في صمت. تحدثت مع فاسيلي ماتفيف، والد المجند المتزوج. تحدثنا عن الفودكا. إنه يشرب ويدخن «من فرط الملل» على حد تعبيره. اقترب الضابط أنينكوف وعجوز ضئيل الحجم. لم أعرفه. تبين أنه بروكوفي الضارب إلى الحمرة. أخذت أسأل بينما أشير إلى الصبية: من هذا؟ ومن ذلك؟ لم يتوقف اللحن، وواصل ترده، والجميع سائرون. أسأل شيخًا أثناء السير عن شاب طويل القامة، يرتدي ثيابًا جيدة نظيفة، يسير بمرح:

- ابن مَن هذا؟

- ابني.

وينشج الرجل، ثم ينفجر في البكاء، وأنا أيضًا.

لم يتوقف اللحن عن التردد. عرجوا على فاسيلي، وقَدَّم لهم فودكا، وقطعت الزوجة خبزًا لهم. سار الصبية حتى خرجوا من القرية، ووقفوا على أطرافها وودَّعوا ذويهم. تشاوروا بخصوص أمر ما، ثم اقتربوا مني ليودِّعوني وصافحوني. بكيت ثانية، ثم جلست مع فاسيلي على عربته. جاملني عزيزي قائلاً: «مُت هنا، وسوف نحملك فوق رؤوسنا».

وصلنا إلى يميليان^(٢٦٦). لم أجد مجندين آخرين سوى مجندي سيسنسكي. سرت في طريق المنزل، والتقيت جوادًا أُلقيني إلى هناك.

الساعة الآن الثانية عشرة. حلمت بحلم رائع كنت أتحدث فيه بحرارة عن هنري جورج. أريد تدوين بعض الأفكار. كنت في حالة جيدة جدًّا، لكنني أشعر بالضعف. اتضح أنه لا يريد ذلك، أي أن الأمر غير ضروري له. سلكت بسوء مع فاسيلي، ونسيت أنني أسلك أمام وجه الله وحده. حاولت تبرير نفسي أمام فاسيلي... دناءة!

لم أكتب شيئًا. راجعت الحوار قليلًا. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. جاءت ساشا قبل الغداء، وأعلنْتُ أن جميعهم قد عادوا: الموسيقيين وفريدمان^(٢٦٧). ليس بالإمكان فعل شيء إذن. بدا

(٢٦٦) تاجر في قرية أخرى تبعد عن ياسنايا ٣ كيلو مترات. ذهب تولستوي إلى هناك أملًا أن يلتقي مجندين آخرين.

(٢٦٧) في البداية رفضت بنات تولستوي عزف الموسيقى وزوجته، لكنهما عندما رحلا لم يجدا تذاكر للقطار، فعادا إلى ياسنايا.

(العازفان) عذيين. قبالة الغداء وصل كاهن كاثوليكي بصحبة رجل فرنسي. تملقني الفرنسي بفجاجة. من الواضح أن هذا الكاهن غير مؤمن، لكنه يريد أن يُجبر نفسه على الإيمان. إنه سفسطائي على طريقته الخاصة. ليس في حاجة إلى رأيي، بل إلى التعبير عن رأيه لي. ثم بدأ العازفان عزفهما. رائع جدًا! إنه من أصول غجرية. تأثرت بشدة بمقطوعة شوبان *Nocturne*. تبين أن الرجل وزوجته ودودان جدًا.

٢٢ أكتوبر.

نمت نومًا سيئًا. أرغب في الكتابة طوال الوقت. خرجت لأتنزه. أشعر بالضعف، كما أشعر بألم أسفل ظهري. عدتُ. في البداية لم أשא أن أكتب حلمي عن هنري جورج، لكنني كتبت بعد ذلك. ليس جيدًا تمامًا، لكن لا بأس به. استقلت عربة وذهبت إليهم في تيلياتينكي. غفوت، والآن سأمضي إلى الغداء. أفكار:

١ - أحد الأسباب الرئيسة لمحدودية مثقفي عالمنا هو لهائهم خلف المعاصرة، ومحاولة إدراك أو تكوين رأي بخصوص ما كُتب في الفترة الأخيرة. يقول الواحد منهم لنفسه: «عليّ ألا أفوّت شيئًا»، ولكن هناك جبال من الكتب في كل مجال. كل هذه الكتب أصبحت متاحة بسبب سهولة التواصل. «ولكن هل قرأت تشيلبانوف (فيلسوف روسي) وكون وبريدنج (أسماء مستعارة)؟ لا تتحدث طالما لم تقرأ لهم بعد». يرون أن من الضروري الإسراع بقراءة هذه الكتب وحشو رؤوسهم بكل ما هو معاصر، مهما كان تافهًا ومرتبكًا، ويُنحون كل إمكانية لقراءة ما هو جاد وحقيقي وتلزم معرفته. يا له من خطأ واضح! لدينا ما توصل إليه أعظم

المفكرين الذين برزوا وسط الناس على مدار آلاف الأعوام من وسط مليارات ومليارات من البشر. هذه النتائج الفكرية التي توصل إليها أولئك العظماء، وقد مَحَّصَ الزمن بمنخله هذه الأفكار. طُرِحَ كل ما هو خسيس، ولم يَبَقْ لنا سوى ما هو أصيل وعميق وضروري؛ بقت لنا الفيدا وزرادشت وبوذا ولاو تسو وكونفوشيوس ومين تسي والمسيح ومحمد وسقراط وماركوس أوريليوس وإبيكتيتوس، ومن المحدثين: روسو وباسكال وكانط وشوبنهاور، وكثيرون آخرون.

أولئك الذين يلهثون خلف المعاصرة لا يعرفون شيئاً عن ذلك، ويواصلون لهائهم وملء رؤوسهم بكل ما هو سيئ ورديء؛ بكل ما سيفنى وما لن يبقى منه شيء.

٢- هناك أناس صالحون محرومون تماماً من الحياة الروحية، وبالتالي محرومون من فهم الحياة الروحية في الآخرين إلى الحد الذي يصابون فيه باليأس إن شعروا بالذنب لجلب أدنى قدر من المعانة الجسدية للآخرين، خاصة إن كانوا أقرباء لهم، وفي الآن ذاته يجلبون بضمير صافٍ تماماً أصعب صنوف المعاناة الروحية لحياة الآخرين، يضعونهم في وضع يتحتم عليهم فيه أن يخوضوا صراعاً مريراً، ويسببون لكل ما هو مقدس وثمين لهم.

٣- هناك إنكار ذات جسدي وآخر روحي. الأول هو أن تعطي طعاماً لآخر عندما يجوع، وتمنحه مالاً أو عملاً... إلخ. الثاني هو أن تمنح مجد العمل الصالح لإنسان آخر، سواء كان أحد العابرين الحمقى أو كان إنساناً سيئاً، وذلك تحقيقاً لمتطلبات الضمير وقانون الله، أي الحب.

٤- لأجل (مذكرات كاهن): كيف تثير سفسطات رفيقه المُدافِعة
عن الكنيسة الشكوك بداخله أكثر من أي شيء آخر، وكيف تؤكد شمعة
تُضاء أمام أيقونة سيدة قازان^(٢٦٨) الإيمان بداخل فلاحه أكثر من أي
شيء آخر!

٢٤ أكتوبر.

انقضى مساء الأمس في تبطل. جاء جوساروف وحظيت معه
بحديث جيد جدًا. إنه إنسان قوي. كم هو حسن! مررت بفترة كان
يمكن أن أكون فيها مثله. كتبت خطابًا لتشيرتكوف، وأعدت قراءة ما
كتبته صباحًا، وهلعت... كم هو سيئ! لن أضيّع وقتي في مراجعته.

استيقظت اليوم شاعرًا بمزيد من الضعف عن الأمس. قررت أن
أرفض عرض تشيرتكوف بإعطائي سيارة. مشيت ببطء. أشعر بضعف
شديد. لم أتناول قلمًا إلا لأكتب خطابًا لتشيرتكوف وحسب. قرأت
لجوركي (مسرحية البرجوازيون). ذهبت إلى الحديقة. انطباع كئيب
بسبب الكرسي وأولجا. شعرت بالضييق الشديد. هناك أمر واحد جيد
حدث اليوم؛ وعيي الواضح بدرجة مدهشة بضالتي بكل المقاييس.
ذلك حسن، والأمر لا يقتصر على أن ذلك لا يُضعف إيماني، بل إنه
يدعمه. بشكل عام يهدئني ذلك. هذا حسن.

سأغدى. أشعر أنني أفضل كثيرًا بعد غفوتي.

لا شيء أكثر إزعاجًا للملاحظة والتأمل مثل شخصيتك الجسدية.

(٢٦٨) أيقونة مقدسة تحتل مكانة مرتفعة جدًا بالكنيسة الروسية.

نعم، لست أنا الموجود، بل واجباتي. تشبيه العامل رائع.

٢٥ أكتوبر.

قرأت مساء الأمس (البرجوازيون) لجوركي. تافهة! استيقظت اليوم شاعرًا بضعف شديد. خرجت لأتنزه، حاملاً نفسي على السير. قرأت (لكل يوم) ودفاتر جريدة (الوسيط) الصغيرة وبعض الخطابات. لم أعمل شيئاً بسبب شعوري بالضعف، لكنني بخير روحياً. وصل تسينجر، وتحدثت معه عن العلم بصورة عامة، والفيزياء بصورة خاصة، ثم قرأت عن الفيزياء في قاموس بروكهاوس، ووجدت تأكيداً على أفكارني الخاصة بتفاهة العلم بشكل عام، والفيزياء وفرضياتها المتعلقة بالآثير والذرات والجزيئات. سأمضي لتناول الغداء.

إن أساس علم الفيزياء، وكافة العلوم الطبيعية، واحد: دراسة قوانين معرفة الأشياء بالحواس الخارجية. الحاسة الرئيسة هي اللمس، وتنقسم إلى عدة صور منها: النظر - السمع - الشم - التذوق. النوعان الأولان قد درسا بالفعل، أما الآخران لا يستحقان الحديث عنهما.

يجب أن تكون دراسة الأخلاق أساساً لكافة المعارف، إن لم تكن هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة من الأساس، إلا أنها أصبحت بالنسبة للبعض أمراً لا يثير أدنى اهتمامهم، وبالنسبة لغالبية المثقفين أصبحت محض ضلالة لا نفع منها ترتبط بالمتخلفين والجهلة من الناس.

٢٦ أكتوبر.

لم أنم حتى الثالثة، وكنت أشعر بالكآبة، لكنني لم أستسلم كلية.

استيقظت في وقت متأخر. عادت صوفيا. أنا سعيد برؤيتها، لكنها مضطربة للغاية. وجدت بالأمس خطابًا من ليونيد سيميونوف. تمشيت اليوم بمزيد من الحيوية. كتبت خطابًا لليونيد وكوني وتولستوي (محام) وناجيفين. وصل ستراخوف. لم أفعل شيئًا صباحًا. وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف. إنه يقول لي ما أفكر فيه تحديدًا بمزيد من الوضوح. تحدثت مع ستراخوف، وكان منزعجًا من مطالب تشيرتكوف^(٢٦٩)؛ لأن من المحتمل إجراء بعض التعاملات مع الحكومة. أظن أنني سأحسم كل الأمور بأبسط الطرق. سأترك الأمر كما السابق، حتى عام^(٢٧٠) ١٨٨٢. خرجت بالجواد بصحبة عزيزي دوشان. ثم التقيت بشاب، يفكر ببطء ولكن بعقلانية. أريد التحدث أيضًا مع جوساروف. لا يمكنني أن أغفو. أشعر بالضعف، لكنني أفضل حالًا. سأتغدى.

المساء. حوار ثانية مع ستراخوف. وافقت. لكنني أشعر بالأسف لأنني لم أقل إن الأمر يثقلني بشدة، وإن الأفضل ألا أفعل شيئًا.

٢٧ أكتوبر.

حالي الصحية لا بأس بها. تمشيت. لم أدوّن شيئًا. قرأت بعض المواضيع من دورة قراءات بتأثر شديد. وصلني خطابان جيدان. جاء سيميونوف وبصحبه فلاح. يتبني حياة الكفاف تمامًا^(٢٧١). لا يمكنني

(٢٦٩) أرسل تشيرتكوف رسالة لتولستوي مع ستراخوف ينبئه فيها أن الوصية التي كتبها في كريكشينو قد رُفضت من قبل المحامين، ويسأله ما إن كان يود كتابة وصية جديدة.

(٢٧٠) أي أن تظل حقوق نشر أعماله حتى عام ١٨٨١ ملكًا لأسرته، كما قرر تمديد تنازله عن حقوق أعماله المكتوبة بعد هذا التاريخ.

(٢٧١) سار ستة أيام دون أي مال على الإطلاق.

ألا أبتهج به، وفي الآن ذاته لا يسعني ألا أخاف. الوضوح والبساطة غائبان، لكنني سعيد من أجله وأحبه. ذهبت إلى تيلياتينكي بصحبة دوشان بالجواد. تحدثت مع جوساروف حديثاً جيداً جداً. الأمور كما هي في المنزل، وسأشأ تشعر أن أموراً ليست بخير. ما العمل^(٢٧٢)؟

أريد أن أدوّن أمراً واحداً: وعيي الواضح بضالتي على جميع المستويات.

٢٨ أكتوبر.

بدا لي أنه من المشكوك فيه أن أستمّر في الحياة: ضعف ونعاس. لم أفعل شيئاً تقريباً عدا الخطابات. لم أدوّن حتى يوميات ٢٧ أكتوبر. جاء سيميونوف وبصحبه الفلاح. كان سيميونوف يرتدي حذاءً جلدياً، وثياباً فقيرة للغاية. كنت سعيداً جداً به، وفي الآن ذاته كنت أشعر بالخزي من نفسي. تحدثت معه، ولكن ليس كما يجب. لا أقصد أنني تحدثت حديثاً سيئاً، ولكن التواصل الروحي بيننا لم يكن كما يجب. نعم، أنا لا أستحق ذلك مقارنة به. (يبدو أنني قد أخطأت فقد كتبت بالفعل عن سيميونوف). ذهبت إلى أوفسيانينكوفو، وحكت لي ماريا ألكسندروفنا عن قريبها (من الثوريين) وقرأت عليّ خطابه. غفوت في الخامسة، ونمت حتى الثامنة. أشعر بضعف شديد. حالتي الروحية جيدة جداً.

(٢٧٢) يقصد ما يتعلق برغبته في النزاع عن حقوقه الأدبية.

٢٩ أكتوبر.

استيقظت متأخرًا في العاشرة. نمت كثيرًا جدًا مرة أخرى. حظيت بحديث جيد مع ليونيد. فلتعنه يا رب. إنها سعادة أن يجد المرء أناسًا مثله. خرجت بصحبة دوشان لمدة ساعتين بالجواد. الساعة الخامسة، سأنام.

من دفتر أفكاري:

١- لا تدن، لا على مستوى الأفكار، ولا الكلمات، لذا حاول ألا تهتم بحُكم الناس. من الطبيعي تمامًا أن نجد مَنْ يحركه اهتمامه برأي الناس منخرطًا في إدانة كل مَنْ يعرفهم.

٢- أعني يا سيدي، لكي لا أدين الناس، لا على مستوى الكلمات وحسب، بل على مستوى الأفكار أيضًا. أعني على ألا أهتم برأيهم فيّ.

٣- الرغبة في الخير هي الحياة. لقد أدركت أن الشخصية وكافة اهتمامها هي محض نوم، وأدركت أن الرغبة في الخير موجهة صوب كل شيء... إنها الحب^(٢٧٣).

٣١ أكتوبر.

السبب الرئيس لعدم إمكانية فهم الحياة بعد الموت هو عدم إمكانية تصور الحياة خارج نطاق المكان والمادة، والزمن والحركة. يمكننا أن ندرك وجودها، لكن لا يمكننا أن نتصورها.

(٢٧٣) بعض النقاط مكررة نصًّا؛ لذا حذفت المكرر.

لـ (مذكرات خادم): يتحدثون عن الأرض. الشيخ صامت طوال الوقت، ولا يبدأ في التحدث إلا عندما ينادونه.

أنا في حالة غير عادية، غريبة وكثيية. لا يمكنني النوم. الساعة الآن الثانية.

١ نوفمبر.

لم أتصور أبدًا أنني فوّتُ يومين. عاد ليونيد (سيميونوف، حاشية ٢١) بالأمس. إنه يؤثر فيّ جًّا بتدينه الجاد. أشعر أنه يصلي في كل دقيقة. لم أكتب شيئًا. وصلتُ زوسيا ستاخوفيتش. أجبت عن خطابات كثيرة، وقرأت كتاب (أقوال راما كريشنا)، ووجدته ضعيفًا. أظن أنني ودّعت ليونيد بال مساء. أول أمس جرت نفس الأمور تقريبًا، أو ربما نسيت. ميخائيل سيرجيفيتش غريب عني. وصل سيروجا على الغداء، وللأسف هو أيضًا غريب عني. أتى اليوم جودلدنفايزر وستراخوف، جالين معهما أوراقًا من عند تشيرتكوف. عدّلتها جميعًا^(٢٧٤). أشعر بممل شديد. ودّعت عزيزي ليونيد، وكتبت وقرأت بعض الخطابات.

نسيت أن أذكر أنني قمت أول أمس برحلة شيقة إلى محكمة المقاطعة. التقيت هناك بفاسيلي موروزوف وتاراس. تحدثت معهما بجدية.

١- إن حماقة الماديين مدهشة حقًا. لديّ خمس حواس: الرؤية- السمع- الشم- التذوق- اللمس. حسنًا... العالم بأكمله مشروط بهذه الحاسة الرئيسة اللمس، للبشر جميعًا، والكائنات كلها بشكل

(٢٧٤) مقترح لنص وصية جديدة.

عام. حسنًا، كإنسان، أختبر شعور الرؤية والسمع، لكن هذا ليس كل شيء؛ بإمكانني أن أسأل نفسي عما أختبره الآن، أهو بالرؤية أم بالسمع أم باللمس أم بالشم أم بالتذوق؟ هناك اختبار للشعور نفسه، ووعي به، أي أن بإمكانني أن أنقل وعيي إلى هذا الشعور أو ذاك. علاوة على ذلك أفكر، ويمكنني أن أسأل نفسي: فيم أفكر؟ ما هذا الذي يدرك ويتساءل؟ ليست الحاسة هي ما تفعل ذلك، ولا الفكر؛ إنما هو الوعي بالحياة. ولكن هل بإمكانني أن أسأل نفسي ما طبيعة هذا الوعي؟ والوعي بالوعي؟ لا. يتضح إذن أن هذه هي القاعدة الرئيسة لما نسميها: الحياة. وما القاعدة؟ القاعدة هي أن ما نسميها الحياة لا يمكن أن تنجلي لنا بالجسد، رغم أننا نتصورها جسديًا.

٢- يستحيل أن نقول عن شيء مادي أنه موجود حقًا. كل ما هو مادي يحدث ويمر وحسب. إن كان هناك وجود لشيء، فلغير ما هو مادي وحسب.

٣- فهمت اليوم بوضوح شديد تأثير العلوم المخدّر، بمعنى حفظ أفكار غريبة عن ظهر قلب. لا شيء يمكنه أن يضر ويقتل قدرتك على التفكير بنفسك والاسترشاد بأفكارك الخاصة كهذا الخليط المشوه من الأفكار الغريبة عنك.

٢ نوفمبر.

نمت جيدًا، لكنني لا أزال أشعر بالضعف. يبدو أنني قد انتهيت ككاتب أعمال إبداعية. لا يمكنني التركيز على أمر واحد. أريد أن أفعل الكثير من الأمور. لم أفعل شيئًا بالأمس سوى الخطابات. تحدثت بطيش

شديد على الطاولة. قضيت وقتاً لطيفاً بالأمس مع بوليجين وستراخوف وجولدنفايزر. كتبت اليوم أيضاً بعض الخطابات، وقرأت كتاب (فظائع الحضارة المسيحية) للدالاي لاما، لكن ما قرأته لم يكن جيداً كفاية كما كنت أتوقع، بل ضيق الأفق. رغم ذلك هو ممتاز من ناحية الشكل. حرقه بالمعدة مجدداً. حالتي الروحية جيدة جداً. أقول: «عونك يا سيدي» وأجد عونه فعلاً. يبدو أنني لم أدون شيئاً، لكنني أتذكر ماذا حدث بالمساء.

٤ نوفمبر.

فوت يوم أمس. لم أعمل بالأمس. قرأت وحددت بعض المواضيع في كتاب الدالاي لاما. قوي جداً. حاولت كتابة مقدمة، ولكن بلا جدوى^(٢٧٥). اكتنف روحي طوال اليوم شعور حزين رقيق، وليس غريباً أن أصفه بأنه مبهج.

كان مساء يوم ٢ نوفمبر شديد الأهمية. قلت إنني إن ذهبت إلى كريكشينو، فإن تشيرتكوف سيرتب الأمر بحيث لا ألتقي بأحد حين أصل إلى موسكو. وفجأة لم تتمالك صوفيا نفسها، وكان الأمر كئيباً جداً. حمداً لله، أحجمت عن فعل أي شيء شرير. ودعتها وقبلتها، وأردت بشدة أن أفعل لها شيئاً ما لطيفاً. إنني أفهم هذا النوع الأفضل من مسرات الحياة: مقابلة الشر بالخير. أقول إنني أفهمه، لكنني لم أستطع فعله في هذا المساء ولا في أي يوم آخر. يمكنني أن أتمالك نفسي على مستوى الحديث وحسب، ولكن تظل الضغينة كامنة في روحي. لكن حمداً لله، الأمر ممكن، وسأصل إليه.

(٢٧٥) تُرجم الكتاب إلى الروسية بتوجيه من تولستوي.

شعرت طوال الأمس بالضعف. خرجت لأتنزه عند شجر التنوب الصغير. وصلتني خطابات قليلة. لعبت الورق بالمساء. كم تمنحني صلاتي الجديدة عونًا عظيمًا! «عونك يا سيدي لأكون معك!». بشكل عام تساعدني هذه الصلاة، لكنني نادرًا ما أتذكرها عند تعاملتي مع الناس. لم أظن أبدًا أن تذكر ذلك أثناء تعاملتي مع الناس سيكون بهذه الصعوبة.

أفكار:

١ - العمل الرئيس لدي الآن هو الآتي: أن أموت ميتة حسنة. ينبغي أن يكون هذا العمل هو الرئيس لدى الجميع؛ لأنك إن أردت أن تموت ميتة حسنة، عليك أن تعيش حياة حسنة. كل ما في الأمر أنك لا تفهم ذلك في الخامسة والعشرين بقدر فهمك له في الحادية والثمانين.

٢ - الكبرياء والاهتمام بنيل مديح الناس الذين ناضلتهم ولا أزال، يتمتعان بنفس قوة الشعور الجنسي في الشباب.

الغريب في الأمر أنني فهمت أن كلا الشعورين ضروريٌّ على السواء لحياة الناس. الشعور الجنسي ضروري لاستمرار الإنسانية، وحب الذات لاستمرار حركة الفكر الإنساني. نتائج الأول هو استمرار الحياة، ونتائج الثاني تطور واكتمال الحياة. لولا الشعور الجنسي لما ظهرت أجيال جديدة، ولولا حب الذات لما كان هناك اتصال ووحدة فكريين بين الناس. يواجه المرء صعوبة في التغلب على احتياجه لهما، ويمكن وصفها بأنهما غير أخلاقيين بالمعنى الدقيق للكلمة. في الآن ذاته إن لم يكبح جماحهما، سيستثيران بداخله أحط السلوكيات. لذا من

الطبيعي تمامًا أن يحجم المرء عنهما، ولا يسمح بهذا أو بذاك إلا عندما لا يعود بمقدوره الابتعاد عن هذه المتطلبات، ويحمل على عاتقه واجبًا يرتبط بتنفيذ متطلبات هذا الشعور: في حالة الجنس يحمل على عاتقه الالتزام بتحمل نتائج فعلته من إعالة وتربية أطفال. أما في حالة حب الذات يتمثل الواجب في الالتزام بتنفيذ هذه المبادئ التي يعرب عنها الكاتب أو المتحدث في الحياة.

٣- كثيرًا ما يسألونني في الخطابات: أحسنُ أن يتزوج المرء؟ أظن أن الإجابة الآتية تعبر بوضوح عن رأيي وشعوري تجاه هذه المسألة: من الأفضل دائمًا ألا تتزوج إن استطعت ذلك، وأن تقضي على بذرة الجنس بداخلك إن استطعت؛ أي ألا تكون رجلًا أو امرأة، بل إنسانًا. هذا أول شيء. إن لم يكن بمقدور الرجل أن يتعامل مع النساء بوصفهن شقيقات له، وإن لم يكن بمقدور المرأة أن تتعامل مع الرجال بوصفهم أشقاء لها، وإن كان الشعور الجنسي يخرق عمل الحياة الرئيس: العلاقة الأخوية المحبة تجاه الجميع على السواء، فلتتزوج، وتقترب بشريك واحد اقترانًا لا تنفصم عراه طوال الحياة، ولتحاول بالطبع أن تجد الشخص الذي تلمس فيه أكبر قدر من الوفاق مع منظورك للحياة. وعندما تمارس الفعل الجنسي، اعلم أنه يضع على كاهلك واجبًا أن تلتزم بتربية ورعاية الأطفال؛ الأمر الذي يعتبر نتيجة طبيعية للزواج، ومبررًا له.

٥ نوفمبر.

خرجت بالأمس بالجواد بصحبة زوسيا. في المساء قرأت كتبًا عن الهندوسية؛ واحد منها عن مغزى الحياة، وكان رائعًا (أتمان). «لا تحب

نفسك ذاتها، بل أتمان الذي فيها، أي الروح غير المحدودة، وحينها ستجد نفسك تحب الجميع وتعيش بالروح، في خير وحرية». كم أنا سعيد أنني بدأت أدرك وأختبر وأشعر بذلك، لا باستنتاجات عقلية، بل بكامل روحي، والأهم من ذلك بالتجربة!

لعبت الورق بالمساء. تساقط الثلج اليوم. خرجت لأتنزه وسط الثلج العميق. كم شعرت أنني في حالة روحية حسنة! فهمت بوضوح أن كل ما عليك فعله هو أن تجعل هدف حياتك في تحرير الروح والسعي صوب الكمال، والاتصال بالله - وكل هذا أمر واحد - وحينها لن تلقى في الحياة إلا فرحة تتزايد أكثر فأكثر باقتربك من هدفك. اتضح لي بشدة أثناء نزهتي أن كل ما عليّ هو أن أعيش هكذا - وقد بدأت ذلك فعلا - وكل ما نسميه حزنا، سواء كان مرضا أو فقدا أو في الأساس إساءة أو إذلال، سستمناه؛ لنحظى بفرحة تحوّلنا إلى حب، وخاصة الإساءة التي تعطيك فرصة لدفع الشر بالخير.

لا يمكنني أن أعوّد نفسي بعد على ترديد صلاة «عونك...» عند لقائي بكل إنسان، وفي خلال التواصل بيننا. أظن أنني سأعود. كم يحسن أن تكون طالبا، وقد بلغت سنونك ٨١ عامًا، وتحقق نجاحًا!

كتبت انطباعي عن إرسال المجندين الجدد، لكنه ضعيف. وصلني بضعة خطابات لطيفة، وأجبت عنها، ثم خرجت بالجواد بصحبة دوشان. صقيع وثلج. نمت، وبعد النوم تلاشى مزاجي الرائق. شعرت بسرور خاص عندما التقيت بثلاثة عابرين، وشعرت ببهجة شعوري بالحب صوبهم. انقضى كل شيء قبالة المساء، وتلاشت حتى عاطفتي الرقيقة،

لكن حمدًا لله أنني أتذكر صلاتي، وقد تذكرتها أثناء كافة تعاملاتي اليوم تقريبًا. الساعة الآن العاشرة. سأذهب لأشرب الشاي وأنام.

٧ نوفمبر (٦، ٧).

وصلني صباح أمس خطاب رائع من بوليلوف عن هنري جورج، وأجبت عنه. هناك أمر آخر لطيف (التعليم على طريقة تولستوي) بالبولغارية. راجعت مقالتي عن المجندين الجدد. أصبحت معقولة. انشغلت مجددًا في المساء بمراجعة خطاباتي لبوليلوف والمجندين الجدد. نمت اليوم نومًا شديد السوء والاضطراب. أفكار مزعجة. غياب مزعج للصراحة والحقيقة في علاقاتي بالناس. لكنني فهِمت أن كل ذلك بسبب اعتلالي الجسدي. صباح أمس جاءني طالب من كيف ثقيل الوطأة، يطلب صدقة. كان الأمر صعبًا، ولكن كان يجب أن أتدبر أمره بمزيد من الإخلاص. راجعت اليوم مجددًا خطالي لبوليلوف، وقرأت وكتبت بعض الخطابات، وبدأ نومي يهدأ ثانية.

تنزهت بالجواد بصحبة ساشا، ثم نمت قبل الغداء. كان ذلك قرابة السابعة. بعد الغداء قرأت لجوركي. عمل ضعيف.

٨ نوفمبر.

حظيت بنوم حسن جدًا، لذا أشعر بالحيوية. بعودتي من التنزه، وجدت امرأة ترتدي ثيابًا حسنة تطلب عونًا. قلت إنني عادة ما أقدم خمسة كوبيكات. أخذتها ورحلت. جاء مع المرأة كذلك رجل ليس عجوزًا، يرتدي حذاءً طويل العنق، وثيابًا رثة إلى أقصى درجة. سألت:

- مَنْ أَنْتَ؟
- كنت بائع صحف، نُفيت بسبب بيع كتب ممنوعة.
- أَتشرب الخمر؟
- كنت أشرب القليل.
- طلب كتابًا.
- هل أنت متعلم؟
- بالطبع.
- سأعطيك كتبًا غير ممنوعة، وإلاَّ تعرضت للخطر.
- لا أخاف.
- نعم، أظن أنك لا تخشى السجن.
- وما الذي يخيفني فيه؟ الأمور داخل السجن أفضل من خارجه.
- أشعر بالأسف عليك. كم عانيت بسبب الثورة! ولقد اتضح الآن أنه كان من المستحيل فعل شيء.
- أقول له إنه من المعتاد أن ترى وسط الشعب مَنْ يعيشون حياة دينية أخلاقية، ومَنْ يرفضون المشاركة في أعمال العنف والتجنيد. تجدهم يفعلون ذلك من تلقاء أنفسهم، ولكن لا يمكنك تحقيق شيء بالعنف.
- ليس الآن، ربما في وقت ما.
- لا، القوة ليست متكافئة. لديهم مليارات الروبلات وملايين الجنود، أما أنتم ماذا لديكم؟ لا يمكنك أن تنتصر إلا بوسيلة

واحدة: الحياة الدينية الأخلاقية.

- الأمر هكذا إذن: يسبون الحكومة والأغنياء، لكنهم لن يفكروا في

شيء إلا في كيفية الاستيلاء على كل ما تطوله أيديهم!

- لم يعد لديّ ما أقوله لك. كم أشعر بالأسف عليك!

وفجأة تنحى جانباً وأغلق عينيه بأكمامه الرثة وانفجر في البكاء،

ولم يستطع أن يواجهني طويلاً.

عندما كان الحديث عامّاً، كان هادئاً، يدين ويرهن على رأيه،

ولكن ما إن شعر بشفتي عليه، حتى أدرك ذاته، وأي شخصية هو الآن،

ولم يتحمل.

خطابات كثيرة، كما راجعت (أغانٍ في القرية) (٢٧٦) والحلم.

تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. يسوءني النفاق.

سأنام قبل الغداء.

٩، ١٠ نوفمبر.

قرأت لجوركي (٢٧٧) مساءً. تكشف قصصه عن معرفة بأدنى

طبقات المجتمع، كما أنها مكتوبة بلغة رائعة؛ أقصد بالعامية التي

يستخدمها الشعب، لكن التكوين النفسي في القصص اعتباطي تماماً

وغير مبرر؛ أقصد أنه ينسب مشاعر وأفكاراً تزداد بطولية في شخصياته،

ثم تجد شخصياته فجأة غارقة في مستوى لا أخلاقي استثنائي. علاوة

(٢٧٦) انطباعاته عن المجندين الجدد.

(٢٧٧) بعض قصصه القصيرة المبكرة.

على ذلك تنضح القصص بتجليل ينضح بعبودية العلم.

تمشيت يوم أمس ٩ نوفمبر بالحديقة، ثم كتبت كثيرًا جدًا في الحلم وفي بعض الخطابات. يمكن أن ينتهي الحلم بشكل لا بأس به. تسير أموري مع الأسرة بهدوء وحب. لا أستطيع طوال الوقت مغالبة اهتمامي برأي الناس. ذهبت بالجواد إلى تيلياتينكي بصحبة دوشان. تحدثت مع ألكسي عن مقتل أحدهم^(٢٧٨). لم يُثر الأمر اهتمامًا بالدرجة التي كنت أتوقعها. نوم وغداء وقراءة لقصص جوركي. استيقظت اليوم في السادسة، وفكرت كثيرًا بشكل جيد، لذا لم أكتب شيئًا. لم أقرب حتى من الورق. اكتفيت بالخطابات وحسب. أفطرت لتوي، وها أنا ذاهب إلى ماريا ألكسندروفنا. ألقيت نظرة على (حكمة الأطفال). لا بأس بها.

١- لا يمكن أن تكون هناك حركة إلا قياسًا إلى ثابت ساكن. الحركة هي خرق سكون الوضع الطبيعي. كذلك هو الأمر مع المادة. لا يمكن أن يكون هناك مفهوم للمادة إلا قياسًا إلى وجود شيء غير مادي واعي. المادة هي خرق حالة الوعي الواعية الطبيعية.

ليس حسنًا... عليّ أن أنعم التفكير مجددًا.

٢- صعب أن نحب من يسيئون إلينا، لكنني أدرك أن الأمر ممكن، وأحيانًا أستطيع، لكن يكاد يكون من المستحيل -على الأقل بالنسبة لي- أن أحب أولئك الفخورين الراضين عن أنفسهم.

٣- كتبت في حديث أورلوف في الحلم.

(٢٧٨) فلاح روسي قتل أحدهم أثناء تأديته الخدمة العسكرية.

٤ - بالنسبة لحكمة الأطفال عن الوطنية: حديث البالغين، ثم جدال وشجار بين الأطفال عن أي الحداثق أفضل.

نعمت بنزهة جيدة بالجواد، وسررت بالذهاب إلى ماريا ألكسندروفنا. أنهيت قراءة قصص جوركي مساءً بالمنزل. القصص كلها مليئة بمشاعر بطولية ضخمة زائفة، متخيلة وغير طبيعية، ورغم ذلك تكشف عن موهبة ضخمة. هو وأندرييف ليس لديهما ما يقولانه. عليه أن يكتب شعرًا، أو كما اختار أندرييف: يتوجه إلى المسرح. في الشعر سوف ينقذه السماح بعدم الوضوح، وفي المسرح سينقذه الممثلون وحالة المشهد. كذلك كان الأمر مع تشيخوف، لكن الأخير يتمتع بالحس الهزلي.

كان المساء مزعجًا، وعبثًا لم أتحدث عن تحويل أسير القوقاز وبوليكوشكا إلى ملكية عامة^(٢٧٩).

١١ نوفمبر.

نمت جيدًا حتى الخامسة، ثم أصابني أرق، ثم غفوت مجددًا قريبًا من الصباح. حظيت بنزهة رائعة، لكنني لم أعمل. أفكر في كتابة مقالة عن العاطلين تتضمن اقتراحًا بتقديم العون لهم. يمكن أن تكون جيدة. لكنني لم أستطع أن أكتب شيئًا اليوم، أجبث وحسب عن بعض الخطابات.

لن أقول إن حالتي الروحية كانت سيئة، لكنني أفترق إلى ذلك

(٢٧٩) نشر بعض الناشرين القصتين في طبعات رخيصة، وقد كتب تولستوي العمليين قبل ١٨٨١، أي أنهما لا يخضعا لشروط الملكية العامة، لذا كانت صوفيا تستعد لمقاضاة هؤلاء الناشرين؛ الأمر الذي أزعج تولستوي بالطبع.

الشعور الواضح المبهج بوعي بالحياة الروحية. أشعر كالمعتاد وسط هذا الضعف باهتمام مزعج بحكم الناس. أفكار:

١ - عن العدد وعن الوحدة: ما الوحدة؟ أهي رقم واحد؟ من أين جاءنا هذا المفهوم؟ يبدو لنا شديد الوضوح، رغم أنه أكثر المفاهيم غموضاً. إن قلت: واحد - مقعد واحد، ريشة (قلم) واحدة فأنا أتحدث عن أمر لا يمكنني التعبير عنه بوضوح. فيما بعد... ما أردت أن أقوله هو أن مفهوم الشيء الواحد قد نبع من وعي النفس بوحدتها وسط الكيان اللانهائي.

٢ - لمقالة الحلم: «لقد تخلفنا». حمداً لله إذ أننا تخلفنا؛ أقصد أن الشعب تخلف ولم يفسد بعد، ويمكنه أن يُوجَّهنا نحن الفاسدين إلى الطريق الصحيح والمنقذ لنا صوب المساواة الشاملة، والتي تعد شرطاً رئيساً للحب. هذا ما نحتاج إليه نحن الطبقة العليا والمثقفة؛ الطبقة التي لا تريد ذلك، حتى أننا نحاول بكل طريقة ممكنة ألا نتوجه صوب هذا الطريق، ونظل في وضعنا السابق، بل ونفسد الشعب والمدارس بما ندعوه (القانون الإلهي) والعلم، وقبل كل ذلك بالحوثين الرهيبيين الذين يجلب كل منهما ٧٠٠ مليوناً؛ الأول هو الحانات، والآخر هو التجنيد. نجمع الدخل بإفساد الشعب وتعويده على السكر، ونجمع دخلاً آخر بتعويدهم على القتل. ما يهم هنا ليس أنهم ينهبون الشعب، بل إنهم يفسدونه.

من دفتر الأفكار:

١ - لا وجود لهذا الإله الذي بمقدوره أن يلبي متطلباتنا، بل الله الذي يجب أن نُلبي متطلباته.

٢- لتكن إرادتك لا إرادتي. فلأعش أمام وجه الله وحده. أريد أن أحيأ معك، لا من أجل نفسي، بل من أجلك أنت.

٣- إن مكمن السر كله في وجود شيء غير عابر، متحد بالزمان والمكان. هذا الشيء هو الوعي. مكمن السر في وجود ما هو ثابت مقترناً بما هو متحرك؛ ألا وهو الوعي. الحب هو الوعي بالوعي.

٤- يبدو لي أن الوعي قد بدأ بالولادة، ولكن هذا غير صحيح، فما بدأ هو اتحاد الوعي الثابت بآخر متحرك، منفصلاً بفعل المكان، ولكن الوعي ذاته موجود خارج نطاق الزمان، لذا لا يمكنه أن يبدأ، كما لا يمكن للنهر أن يكون قد بدأ حينما وضعوا فيه طاحونة، بل الأخيرة هي التي قد بدأت. لذا عملنا في الحياة هو أن نمضي صوب الوعي؛ صوب أعمق نقطة من الوعي يمكن للإنسان أن يبلغها.

١٤ نوفمبر.

كل هذا غير واضح؛ لأنني لم أراجع. فَوْتُ يومين. راودني شعور سيئ، ولا يزال. لم يحدث شيء مهم في يوم ١٢. كتبت كثيراً عن العاطلين^(٢٨٠). يمكن أن يتم هذا العمل بصعوبة.

وصلت تانيا. وصلتنى خطابات كثيرة جيدة. أشعر بالضعف، لكنني بدأت أتعود على تذكر أنني أعيش أمام وجه الله وحده. لعبت الورق بالمساء. قصة رائعة لصوفيا عن إنقاذ فتاة بخودينكا^(٢٨١)، وأخرى رائعة

(٢٨٠) الجزء الأول من مقالة (ثلاثة أيام في القرية).

(٢٨١) مات عدد ضخم من الفلاحين بسبب التدافع وسوء الإعداد إبان حفل تنصيب القيصر بخودينكا.

لماريا ألكسندروفنا فيدوت مارتينيتش. لم أكتب شيئاً يوم ١٣ سوى بضعة خطابات. لكن تذكري يزداد بضرورة أن أحيأ أمام وجه الله وحسب. أشعر بوهن ذهني، لكنني لست كذلك روحياً. وصلني خطاب من تشيرتكوف عن الازدواجية. اليوم ١٤ نوفمبر، أجبته عن خطابات، ووصلتني كذلك خطابات أخرى. بالأمس جاء بولانجي. إنه شديد اللطف، وتحدث بشكل رائع عن مي تي. رحلتُ تانيا اليوم. كنت في حالة حيوية بالصباح، لكنني الآن أشعر بضعف شديد. سأمضي لتناول الإفطار.

انفجرت صوفيا في وجه ساشا أثناء الإفطار. ساشا مذنبه بلا شك، لذا أشعر بالأسف عليها. لقد أنهكت بشكل عام... أنهكتني الحياة. نمت وحن وقت الاستيقاظ (يقصد الموت). هناك أمر واحد... واحد جيد: أن تفعل ما يتوجب عليك فعله، وإن كنت لا تحب الجميع فعلى الأقل لا تكره أحداً.

١٥ نوفمبر.

استيقظت شاعراً بالحيوية. خرجت لأتنزه والتقيت بسولوماخين ودانيل، وكانا سابقاً من أتباع طائفة خليستي^(٢٨٢). حظينا بحديث جيد. قد يكون الحديث قد أفادهما. بعدها وصلتني كومة من الخطابات. أجبته بقدر ما استطعت عنها. لا أعرف أحسن ذلك أم لا، لكنني أعرف أنني كنت أكتب لا من أجل نفسي، بل واضعاً واجبي في الاعتبار. أصبح ذلك والحمد لله عادة حسنة. بعدها وصل أندريه. شعرت بالضيق

(٢٨٢) الكلمة مشتقة من فعل معناه ضرب بالسوط، وهي طائفة منشقة عن الكنيسة الروسية.

الشديد. لكني لا أَلوم نفسي على أني عاملته ببرود. مذهل حقًا حجم عناده! خرجت لأتنزه. بالأمس حظيت بحديث جيد مع ساشا. إنها تحيا حقًا. تحدثتُ مرتين مع دانييل وكتبتُ مذكرة لأجل طائفتهم^(٢٨٣). تنزهت. ودَّعت دانييل. الساعة الآن العاشرة. يبدو أني فقدت دفترتي، لكنني دَوَّنت أفكارًا فيه اليوم عدة مرات.

١ - إنها فرحة روحية فاتنة للروح، مثل فرحة معدة ذواقة للطعام بطعام شهوي؛ فرحة العلاقة الطيبة اللطيفة المحبة غير المتصنعة صوب إنسان ما أساء إليك، والأكثر فتنة منها هي فرحتك عندما تسدي إليه خيرًا إن استطعت فعل ذلك طوعًا.

بمرور الوقت يزداد حزني ويأسي من حياتي البطالة وسط هذا الترف الجنوني الذي أعيشه بين أناس كادحين محرومين من إمكانية إشباع احتياجاتهم الأولية والضرورية. يعذبني العيش بهذه الطريقة، ولا أعرف كيف أساعد نفسي وأساعدهم. في لحظات الضعف أنشد الموت. عونك يا أبي على أن أحقق إرادتك حتى لحظاتي الأخيرة. في الفترة الأخيرة يزداد عملي على نفسي في مجال الأفكار بشدة، وقد أثر ذلك فيَّ للغاية، ولكن كالمعتاد تكشف الحركة الحقيقية صوب الخير عن مزيد من اللا كمال. الساعة الآن الحادية عشرة.

١٧ نوفمبر.

لا أزال حيًّا، لكنني شعرت بضعف شديد. قرأت وأجبت عن بعض

(٢٨٣) كتب تولستوي رسالة لأصدقائه الذين أرادوا الانضمام إلى طائفة مسيحية تدعى إسرائيل الجديدة.

الخطابات. كانت شيقة. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا بصحبة ساشا. سعدت بذلك جدًا. شعرت في المساء أنني في حالة سيئة. فَوْتُ الغداء ونمت حتى العاشرة. ثم شعرت أنني في حالة سيئة. جاء بوليجين. ضعفت حتى أنني نسيت كم عمر أبنائه. نمت نومًا ثقیلاً لیلًا. كان من المحزن أن أستيقظ بالأمس وأبدأ يومًا جديدًا حتى أنني كتبت في موضع ما: أؤمن المعقول أن أعيش مجددًا؟!!

اليوم ١٧ نوفمبر. شعرت بضعف شديد وظللت مستلقيًا على الفراش حتى الثانية عشرة. نهضت وقرأت بعض الخطابات ومجلة ثيوصوفية والجريدة، وكالعادة جزءًا من (لكل يوم) في طبعته الثالثة. دوّنت فكرة ما لـ (حكمة الأطفال)، لكنها ليست جيدة. بدأت أكتب عن الحكومة. لم أُنهِ المقالة، لكنني أفكر في إنهاؤها. تناولت قليلًا من الطعام، وأشعر الآن أنني في حالة أكثر انتعاشًا. الساعة الآن الثامنة. صوفيا ذاهبة إلى موسكو.

١٨ نوفمبر.

لا أزال حيًا، بل وأشعر أنني في حالة رائعة. لكنني لم أكتب شيئًا صباحًا عدا مراجعة وتعديل (حكمة الأطفال) وبضعة خطابات. أشعر أن حالتي الروحية جيدة جدًا بسبب وعيي الحيوي بإمكانية العيش مع الله وبالله. خرجت لأتنزّه صباحًا وقبل أن أنام. لا يمكنني التعبير عن هذا الشعور القوي الغريب المتذبذب الناتج عن الوعي بعدم إمكانية العيش إلا من أجل الله وحده وتنفيذ قانونه. إنه ذات الشعور الذي يراودك عندما تعي نفسك عضوًا أو قناة لا يمر عبرها سوى جوهر ثابت

غير مادي، لا زمني ولا مكاني، قد وُهِيت أن تعيه.

جاءني فلاح من تيلياتينكي. جنّدوا ابنه، وهم يحاكمونه الآن لأنه قال إن الأيقونات المقدسة هي مجرد ألواح خشبية. أريد بشدة أن أكتب، لكنني مشّت. سأفعل ما أستطيع. يبدو أنني في أفضل أوقاتي؛ فأنا أقول لنفسي: لتكن لا إرادتي... يا له من وعي ساحر يتخللني ويُشكّل جوهر الروحي (أناي)، التي يمكنني أن أعي أنها نفسي. قال محمد بشأن ذلك قولاً رائعاً: «كنت كنزاً مخفياً، فأردت أن أعرف، فخلقت الخلق ليعرفوني». بالطبع لم يخلق، ولم يُرد، لكنه مجرد تعبير عما أشعر به. حمداً لله، تذكرت طوال اليوم أنني أعيش به. حسناً ذلك... جاءني متسول. لا بأس. فعلت ما بإمكانني وأشعر بالرضى. سأنام. وصلني خطاب مليء بتقريع عنيف بخصوص مقالة مينشيكوف^(٢٨٤) ويصنفي بـ (المهرج العجوز). وقد أحزنني الخطاب... يا للخزي! ولكن حسناً... سأتعافى.

١٩ نوفمبر.

نمت قليلاً، لكنني متوقد بسرور. رغم ذلك لم أعمل مجدداً. أولاً: استلمت ٢٨ خطاباً. ثانياً: جاء عزيزي جوساريف ليودعني. ثالثاً: كتبت ليلاً عن الوعي مجدداً وراجعت ما كتبت.

وصلني خطاب ثانٍ فثالث يدينني بسبب مقالتي عن العلم، وكلاهما من نمط واحد من الناس؛ من أولئك المؤمنين بالعلم إيمان

(٢٨٤) اقتبس الخطاب بعضاً من مقالة مينشيكوف، حيث يتهم الحكومة بالتراخي في التعامل بحزم مع أولئك الذين يهاجمون تولستوي لمعارضته أحكام الإعدام.

الآخرين بالدين، واضعين نصب أعينهم هدفًا أن يصلوا إلى هذا العلم، وقد وصلوا فعلاً إلى درجة من حيازته، ثم يجدون فجأة أن أحد غير المؤمنين بهذا العلم يسمح لنفسه بإنكار أن العلم هو الهدف الوحيد والمقدس. علاوة على ذلك هم جميعًا متحزون، ويرون أن المقالة تدعم (اتحاد الشعب الروسي) وأنها تناقض البرنامج.... إلخ^(٢٨٥). اليوم حالتي جيدة، ومن المخزي أن أقول إن مرد كل ذلك إلى أن معدتي استراحت من اضطرابها. لا أريد أن أؤمن بأن سبب الكثير من الحالات الروحية التي مررت بها في هذه الفترة كانت حالتي الصحية الجسدية. اليوم أشعر بنفسي قريبًا جدًا من الله، وأني بحالة جيدة مخلص، ولا أنسى صلاتي القصيرة: «عونك لأكون معك أثناء تعاملتي مع الناس، وأثناء قراءة الخطابات وتذكري للناس!».

حاولت بالأمس وأول أمس أن أكون طيبًا، وأن أتذكر دائمًا عملي المكلف به، وضالتي وعظمتي في الآن ذاته، وصمدت فعلاً... صمدت وحسب، لكنني كنت بعيدًا عما كنته من قبل، وعما لا أزال عليه الآن. أفكر في أن هذه الحالات الجسدية السيئة مفيدة لكونها تستنفر في النفس جهدًا للصعود. عندما تكون في حالة جسدية جيدة يكون هذا الصعود ملحوظًا بشدة.

وصلني خطاب رائع من ليونيد سيميونوف. كم يسرني ويفيدني التعامل مع أناس مثله! سأحاول الآن أن أجيب على خطابه. أفكار:

١ - ليس هناك معنى لمفهوم التسامح في المسيحية؛ فهذا المفهوم

(٢٨٥) اتحاد الشعب الروسي: منظمة يمينية قومية ومعادية لليهود، تأسست في ١٩٠٥.

ينبع في الأساس من شعور غير مسيحي ومن مفهوم العقاب والثأر.

٢- ملاحظة كبيرة عن الوعي: الوعي هو الشعور بوحدتك بجميع الكائنات وانفصالك عنها في الآن ذاته. يتجلى هذا الشعور في محبة الجميع ومحبتك لنفسك. الحب هو الرغبة في الخير، لذا محبة الجميع هي الرغبة في الخير لهم جميعاً، وبالتالي تجلب التوافق والسلام والوحدة. حب النفس هو الرغبة في خيرك أنت وحسب، وهو ينتج العداوة والصراع والشقاق. علاوةً على ذلك يتضمن حب الجميع حبك لنفسك، أما حبك لنفسك يستبعد حبك للجميع. لذا تهزم محبة الجميع حبك لنفسك، وفي هذا الانتصار تتحقق حياة كل فرد والعالم كله على السواء.

سيصل الموسيقيون غداً^(٢٨٦). سألت نفسي أمام الله، ووجدت أن الأمر غير مهم. سأمضي لتناول الغداء.

٢١ نوفمبر.

لا أتذكر ماذا فعلت بالأمس. أظنني قرأت.

وصل الموسيقيون في يوم ٢٠. شعرت بالأسف لدعوتي إياهم. كان الأمر مصطنعاً بشدة، حتى تلك العودة المصقولة إلى القديم كانت مصطنعة. جميعهم فرنسيون، يتحلون بلطف وتزلف شديدين، بالإضافة إلى جولدنفائزر. تثير الموسيقى اضطرابي جسدياً بشدة. أمر سخي فحقاً أن أقلق بسبب مستوى حديثي بالفرنسية. قرأت وكتبت بعض الخطابات، ويبدو أنني لم أعمل. خرجت بالجواد بصحبة جولدنفائزر. غداء ثم موسيقى مجدداً.

(٢٨٦) موسيقيون فرنسيون، أتى بهم جولدنفائزر ليعزفوا في ياسنايا بوليانا.

اليوم ٢١ نوفمبر. حلمت بموسيقى الأمس. أصبح نومي قليلاً طوال الوقت، كما أذرف الدمع دائماً. وصلت منذ الصباح فتاة من موسكو لتسألني بعض الأسئلة. الفتاة البائسة منخرطة في البحث، لكن الشباب والشهوة يتحدثان فيها تحت ادعاء الحب. ثم جاء لوباتين الذي سُجن بسببي^(٢٨٧)، وهو إنسان لطيف، وقد أتى لي شكرني! أعدت كتابة الحوار من البداية قبل الغداء على نحو حسن... لا، ليس حسناً، ولكن ليس شديد السوء، ثم قرأت جهراً خطابات سولوفيف على مسمع من بولانجي. عندما استمعت لنفسى بينما أقرأ، انفجرت في البكاء. كم يتمتع بقوة مدهشة! جاء أوكونيكوف أيضاً. لم أقرأ بعد.

ذهبت بالجواد بصحبة دوشان إلى الأيتام بقرية نوافيا كولبنا^(٢٨٨). في طريقي التقيت عند المقابر بحشد من السكارى. بعد الغداء قرأت عملاً رائعاً لبولانجي عن كونفوشيوس، وراجعته. عليّ أن أدوّن أفكاراً كثيرة.

الساعة الآن الثانية عشرة، ولديّ أفكار جيدة وكثيرة أود تدوينها، لذا سأؤجل الأمر حتى الغد.

٢٢ نوفمبر.

فوتُّ يوم أمس. استيقظت شاعراً بالحيوية. مر بي عابر لطيف، اعترف في أول حديثه بأن ذنبه هو الخمر. هذا النموذج منتشر جداً، إن لم يكن القطاع الأكبر من الناس هكذا. انشغلت صباحاً بعض الوقت بالخطابات،

(٢٨٧) سُجن وعُزِم بسبب نشره في صحيفته لبعض آراء تولستوي المحظورة.

(٢٨٨) ذهب إلى أرملة قررت إرسال ابنها في السادسة والعاشرة إلى دار للأيتام.

ثم عكفت على العمل بكتابة مقدمة لـ (لكل يوم) وبدأ أن أأامي الكثير جدًا من العمل. كان من الضروري مقارنتها بما تم طباعته فعلاً. الفارق هو أنني قد تشئت وأُنْهكت بشدة. تمشيت في الحديقة. حظيت بنوم جيد. في المساء راجعت مقالة بولانجي عن كونفوشيوس. حالتي الروحية جيدة. استيقظت اليوم شاعرًا بالخمول. أردت العمل في المقدمة ولكن قواي خائرة. أعدت قراءة خطاباتي، وهذه أفكار أريد تدوينها:

١- كما أن المرء غير قادر على كتم سعاله، ومهما حاول كتمه سيفلت منه دون ريب، حتى وإن كان يستمع إلى حديث إنسان عظيم أو إلى موسيقى رائعة مهيبة، كذلك لا يسع المرء في روسيا إلا أن يصرخ بألم عندما يتأمل هذه الفظائع التي تُرتكب وتمر بهدوء!

٢- أعطوني قلمًا كهربائيًا، تفكه؛ فيضيء الموضع الذي تكتب فيه وحسب. هذا القلم هو نموذج مدهش لحياتنا. تفكها فتحرر ما يحجب نور روحك، وحينها تعيش في النور الذي يكشف لك عما أنت في حاجة إلى رؤيته وحسب، وتعرف ما يعينك على التصرف.

٣- عندما أستعيد إلى ذهني في أعوامي الأخيرة الفعل الجنسي، لا أشعر بهذا النفور الذي كنت أشعر به إبان شبابي، ولكن بالدهشة والحيرة من أن كائنات عاقلة يمكنها أن ترتكب مثل هذه الأفعال.

٤- نسمي غير الأخلاقيين والتائهين لصوصًا، بينما سرقات الفقراء والمتسولين للأغنياء ليست أسوأ أخلاقياً من الكثير والكثير من السلوكيات التي تُمتدح عادة، بل وتعتبر أقل سوءاً منها؛ سلوكيات من قبيل التجارة بشكل عام؛ وخاصة تجارة البضائع المضرة كالخمر

وما إلى ذلك، وكذلك العمل الحكومي، وخاصة العمل في المجال القضائي والإداري والعسكري والكنسي مهما علت درجته. عادة لا يفهم اللصوص مدى إجرامية عملهم، ولا يعترفون بذلك، كما لا يعترف الأساقفة والمحافظين والوزراء والقضاة وأعضاء البرلمان بذلك. هناك دافع آخر يدفع اللصوص صوب إتمام سرقاتهم بالإضافة إلى المنفعة، بل وأهم منها؛ إنها رغبة الصيد؛ الرغبة في أن تختبر السرور الناجم عن عمل أعدده ببراعة، مثل قص حيوان. كم يحسن أن يفهم الناس ذلك! ٥- ينقل الله للإنسان معرفة عن نفسه، ولكن ليس بلغة بشرية؛ أقصد لا يتم ذلك بالكلمة، بل بلغته الإلهية الخاصة، والتي يفهمها القلب الطاهر دون كلمات نهائياً.

قرأت بالأمس عن الاتهام الموجّه لجوربونوف^(٢٨٩). عمل مريع ومذهل. إما أن يتحدث المرء الآن، وإما لن يتحدث أبداً (بالفرنسية). لا يسعني الصمت. إنه أمر يتعذر كبحة، تماماً كالسعال أثناء حضورك لحفل موسيقى. أشعر اليوم بوهن وتجهم شديدين، لكنني أعرف أنها حالة عرضية عادية، مثلما اختبرت عاطفة رقيقة بالأمس.

ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. تحدثت مع بولانجي. أشعر بضعف شديد. بعد الغداء قرأت عن جوركي. الغريب أن شعوراً غير طيب أناضله في نفسي يراودني تجاهه. ربما السبب هو أنه يشبه نيتشه من حيث كونه كاتباً مضراً، يتمتع بموهبة كبيرة وفي الآن ذاته غياب كامل

(٢٨٩) اتُّهم بنشر كتاب دون إذن الرقابة.

للقناعات الدينية -أيًا كانت-، وأقصد بها القناعات التي تقدم فهمًا لمغزى الحياة، وفي الآن ذاته تنضح كتاباته بثقة مفرطة في الذات؛ تلك السمة التي تدعمها طبقة المثقفين في عالمنا، فهم يرون فيه نموذجًا لهم، وهي السمة التي تزداد عدواهم بها أكثر فأكثر. مثال على ذلك هو قوله المأثور: «آمن بالله، وسيكون موجودًا. لا تؤمن به، ولن يكون له وجود»^(٢٩٠). قول دنيء، ورغم ذلك أجبرني على التفكير بتمعن. أهنك وجود لهذا الإله الذي أتحدث وأكتب عنه في حد ذاته؟ الحقيقة أن بإمكان المرء أن يقول عن هذا الإله: آمن به وسيكون موجودًا. هكذا كنت أفكر دومًا. لهذا السبب تحديدًا كان حب الله في قول المسيح: «أحب الرب وقريبك...» يبدو لي أمرًا زائدًا غير ضروري، يتنافر مع حب القريب؛ وذلك لأن حب القريب هو أمر واضح، ولا يوجد ما هو أوضح منه، أما حب الله فهو على النقيض من ذلك؛ غير واضح بتاتًا. الاعتراف بوجود الله في حد ذاته ممكن، ولكن أنحبه؟ هنا أواجه ما اختبرته مرارًا: قبول كلمات الإنجيل بخنوع.

الله محبة.. حسنًا، نحن لا نعرفه إلا لأننا نحبه، ولكن مسألة وجوده في حد ذاته هي مجرد استنتاج، وكثيرًا ما يكون استنتاجًا لا ضرورة له، بل ومضر. إن سألوا: وهل الله موجود في حد ذاته؟ يلزم أن أجيب قائلًا: «نعم، محتمل، لكنني لا أفهم شيئًا عنه في حد ذاته». لكن الأمر ليس كذلك مع الله الذي أعرفه بالحب. إنني أعرفه يقينًا. إنه بالنسبة لي كل شيء، وهو معنى وهدف حياتي.

(٢٩٠) القول على لسان لوقا في مسرحية (الحضيض).

الساعة الآن العاشرة. سأذهب إلى الصلاة. ستصل صوفيا غداً.
عونك كي أبقى معك!

٢٥ نوفمبر.

فَوْتُ يوم أمس. استيقظت شاعرًا بالحيوية، واستقبلتها بسرور.
لم أفعل شيئاً مجدداً سوى الخطابات. لم أكتب، ولم أحاول حتى أن
أكتب. لا... ليس صحيحاً: راجعت مقدمتي لـ (لكل يوم) وبدت لا
بأس بها.

ذهبت إلى نوفيا كولبنا^(٢٩١). التقيت هناك بفيدوتوف السكير
وصف الضابط والأيتام. شعرت أنني في حالة رائعة. يداي لا تزالان غير
قادرتين على الكتابة. سأحاول ألا أحزن. يبدو أن شيئاً سيئاً لم يحدث.
أتذكر الله باستمرار. غداء، ثم مساء فارغ. قرأت قليلاً لدوستويفسكي،
وفي رواية (الضحية)^(٢٩٢). إن جنون الحياة، وخاصة الروسية، يزداد
وضوحاً لي، وأظن أنني سأكون مستعداً قريباً لأفصح عن رأيي بشأن
ذلك. آلمتني معدتي بشدة ليلاً، وشعرت بحرقه شديدة فيها. استيقظت
في وقت متأخر.

٢٥ نوفمبر.

خرجت لأتنزه. أقبلت لتوي على خطابات تشتمل على آراء مثيرة
للاهتمام، ووجدت أن ساعة قد مرت بالفعل. أفكار:

(٢٩١) ذهب ليقول للأرملة إن صوفيا زوجته قد وجدت لابنيها مكاناً بدار أيتام بموسكو.

(٢٩٢) L'immolé رواية للكاتب الفرنسي إميل باومان.

١- لا يمكن لله أن يكون كائنًا. إن مفهوم «الكائن» مرتبط حتميًا بمفهوم الانفصال عن كل ما عداه، والله هو «الكلي»، وبالتالي لا يمكن أن يكون منفصلاً.

٢- شعرت بالآلام شديدة هذه الليلة، واستدعيت إلى ذهني فكرة أن المعاناة هي تجربة أيضًا لمدى ارتباط حياتك بما هو روحي، لا بما هو جسدي. هذه الفكرة، والعلاقة بالمعاناة النابعة منها قد خففت المعاناة بشدة.

٣- كم من الحسن أن قيمة نشاط الإنسان لا يمكنها أن تُكشف كاملاً في حياته! إن أدرك أحدهم أن نشاطه سيكون له نتائج عظيمة في المستقبل البعيد، بعد مائتين أو ثلاثمائة عام مثلاً، لخدّره ذلك. إن أدرك المسيح قيمة ما فعله لصدّق هو نفسه أنه الله.

تمشيت في الحديقة وقراءة البركة. وصل دانييل (رئيس جريدة لندنية) وأليوشا سيرجينكو. نمت نومًا ثقيلًا. تغذيت، وتحدثت بالإنجليزية بصعوبة. دانييل ذكي ورابط الجأش. لا أزال أشعر بالمرض. أخطأت في تعاملتي مع متسولة طلبت صدقة في الصباح. كتبت بشكل لا بأس به عن الله لمقدم بالجيش.

٢٦ نوفمبر.

أشعر أنني في حالة أفضل. قرأت وكتبت خطابات، وانشغلت بمقدمة (لكل يوم). أحرزت فيها تقدمًا، لكنني لم أنهيها بعد. خرجت بالجواد بصحبة أولجا ودانييل والأطفال. كم أنشد التحرر في صحراء

أو الموت! رغم ذلك قد يكون وضعي الآن ضروريًا. راودتني رغبة في الكتابة مرتين، لكنني نسيت الأفكار الآن.

وصلني اليوم خطابان يُعربان عن تعاطفهما مع مقالتي عن العلم؛ واحد من كوليتشكا. لقد أرسل المقالة لإيفان إيفانوفيتش.

٢٨ نوفمبر.

فَوْتُ يومين. تحدثت أول أمس مع أليوشا حديثًا جيدًا جدًا. إنه يعيش حقًا مع الله. تحدثنا جيدًا عن تشيرتكوف. شعرت بقوة به وبأنايته. كان هذا في المساء. كان الأمر عسيرًا مع دانييل، خاصة بسبب جهلي أو بالأحرى معرفتي الضعيفة باللغة. عملت بالأمس منذ الصباح في المقدمة، ولم أحرز تقدمًا واضحًا. ذهبت إلى الكاهن في مقاطعة فولوست بخصوص الأيتام. في المساء جاء عزيزي بوليجين، ودار حوار جيد مجددًا مع أليوشا، كما كتبت خطابًا لتشيرتكوف. لم أستطع أن أنقل إليه ما شعرت به.

استيقظت اليوم شاعرًا بوهن ذهني، كعادتي عندما أنام جيدًا، حتى إنني لم أُقبل على العمل. قرأت ثم تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. في المساء قرأت في رواية (الضحية). مثيرة هي الجدية المنسوبة للكاثوليكية! أردت بشدة أن أكتب عن حالتي الروحية الدينية: رغم كل ما أبذله من جهود، كم يندر أن أعيش أمام وجه الله! عزائي أن الأمر كذلك لأن في الدقائق القليلة التي أعيش فيها أمام وجه الله وحده، أشعر بمدى خواء وزيف ومجون ٩٩٩٩٢١٥, من حياتي بأكملها. الأمر ممكن. عونك يا سيدي! الممكن محدود، ولكن يا لسعادة أن يحيا

المرء على النحو الآتي: يوجّه كافة قواه الروحية صوف تنفيذ قانونه وحسب! لا يسعني قول ذلك، لكنني أشعر بوضوح أنني في حاجة إلى ذلك وأن الأمر ممكن.

هناك أمر واحد يزداد وضوحاً لي: يستحيل الجدال وتقديم البراهين عن الروح والله والعلاقة بينهما، ولا حاجة إلى ذلك من الأساس، ولكن هناك أمر واحد ممكن، بل وواجب: الوعي بهذه العلاقة وتحقيق ما تتطلبه منا.

أسأت التعبير ثانية...

ما يهم هو أن تعيش هذه العلاقة وحسب، وألا تذكر سواها، وتتجاهل وترفض كافة الاعتبارات الأخرى.

تذكر هذه العلاقة، وتجاهل كل ما عداها، أو تجاهل كافة ما هو دنيوي، وبالتالي ستجد نفسك تذكر أمراً واحداً. مبعث العزاء هو أنني بدأت أتذكر ذلك... ليس ذلك وحسب، بل بدأت أيضاً أشعر به.

أفكار:

١ - «تقول إن أفضل حياة هي التي تعيشها من أجل الله، وإن من الضروري أن تحيا هذه الحياة، بينما أنت نفسك لا تعيش هكذا... هذا يعني أن ما تقوله غير صحيح».

«تقول إن الخط المستقيم هو أقصر مسافة بين نقطتين، بينما أنت نفسك تذهب من تولا إلى بطرسبرج في خط غير مستقيم، بل تلف حول تولا».

٢٩ نوفمبر.

استيقظت شاعرًا بحيوية شديدة. لم أغير ثيابي، وبدأت العمل في مقدمتي لـ (لكل يوم). خرجتُ، والتقيت بامرأة متسولة، وأردت أن أرفض لقاءها بحكم عادتي السيئة. حدث العكس وجلب الأمر لي سرورًا^(٢٩٣). سأحاول أن أحكي عن الأمر في موضع آخر. عملت بمهارة استثنائية. أنهيت المقدمة بشكل أو بآخر. ذهبت أنا ودوشان إلى كريلتسوفو. وجدت عجوزًا في كوخ صغير مستلقيًا فوق الموقد في ألم مبرح. لم أستطع النوم قبالة الغداء. سأمضي لتناول الغداء. أفكار:

١ - إن بُعدك عن الله لا يعود إلى عدم فعلك ما يجب فعله، بل غالبًا ما يكون بسبب فعلك ما لا يجب فعله.

٢ - فكرة مهمة جدًا بالنسبة لي: ليتني أعتاد على العيش وفقًا لحكم الله! أن أشعر به دائمًا يحكم على أفعالي، بدلًا من العيش وفقًا لحكم الناس والاهتمام به. آه لو أعيش أمام وجهه في كل ساعة ودقيقة! يا للسعادة التي ستتحقق حينها! أعرف أن القول الآتي قد يكون مريعًا، لكنني اليوم، وحتى هذه اللحظة: السادسة، كنت أختبر هذه السعادة والفرحة الرقيقة.

٣٠ نوفمبر.

أكتب يومياتي الآن حتى لا أهملها وحسب، ولكن ليس لديّ ما أكتبه ولا حتى الرغبة. استيقظت شاعرًا بالإنهاك. أتى بعض الفلاحين

(٢٩٣) أرادت المرأة من تولستوي مساعدة مادية، لكنه كتب بالنيابة عنها خطابًا لأبيها.

يتوسلون بسبب بيع أغراضهم لوفاء الضرائب غير المدفوعة. عملت قليلاً في المقدمة. ذهبت إلى نوفايا كولبنا. حكى لي الناسخ هناك كيف يجمعون الضرائب. جاء أندريه. لم أستطع التحدث معه بلطف. لم أكن صالحاً أيضاً بالمنزل، رغم أنني لم أرتكب شراً. تغديت في غياب أندريه. قرأت في رواية (الضحية). مدهش حقاً الوصف الذي قدّمته الرواية للمعجزة التي قامت بها والدّة الإله بلورد (مدينة فرنسية). قرأت ما كتبوه عن روسو في القاموس (قاموس بروكهاوس وإفرون الموسوعي). الحماسة البشرية تزيد من هلعي أكثر فأكثر. أفكار:

يخطئون حينما يظنون أنه من الممكن للمرء أن يجبر نفسه على الحب. هناك أمر واحد ممكن وضروري؛ أن يمنع المرء ما يمكنه أن يعترض الحب: قهر الخطية وفهم طبيعة الإغواءات وحل خيوط الخرافات، وحينها ستجد الحب... الحب صوب الجميع، والوعي ليس بحياتك وحسب، بل بحياة الجميع.

١ ديسمبر.

تمشيت صباحاً إلى كورنوسينكوف^(٢٩٤)، وعرجت كذلك على شيتياكوف. إن وضع الطفلين العريانين عند كورنوسينكوف مريع حقاً. أود بشدة أن أكتب (ثلاثة أيام في القرية). عملت في المقدمة. يا للخزي! أحزنني بشدة خطاب عن الأملاك حولوه إلى زوجتي. ذهبت بالجواد إلى ماريا ألكسندروفنا. وصل إيفان إيفانوفيتش. نمت. سأمضي لتناول الغداء.

(٢٩٤) الأرملة التي أرسلوا أبناءها إلى دار أيتام.

فَوْتُ يوم أمس. ذهبت إلى القرية للقاء رئيسها. المتسولون يخدعونني. الأوضاع كلها بائسة. عملت جيدًا في المقدمة. يبدو أنني أنهيتها. ذهبت إلى حلبة التزلج. أُعجبت بساشا (عندما تنسخين ذلك تذكرني أن ما يعجبني فيكِ هي طاقتك الروحية). جاء إيفان إيفانوفيتش وبلينا يفجينينا وبولانجي. وشعرت بأني في حالة جيدة بسيطة قريبة وودية. أشعر برغبة في مراجعة كتاب مي تي (٢٩٥). ربما يصبح جيدًا. نمت اليوم قليلًا جدًا وأتاني كابوس في المنام. استيقظت في ساعة متأخرة. تمشيت في الحديقة. حشد من المتسولين. لا يمكنني الانتباه للجميع. رفضت أن أعطي أحدهم. ٤ أفكار للتدوين:

١- إن أردت أن تكون فنانًا كلمة، عليك أن تتحلى بالقدرة على السمو بالروح عاليًا، والانحدار بها بشدة. إن كافة الدرجات المتوسطة بينهما معروفة بالفعل، وبإمكان المرء أن يعيش حياة الناس الواقفين على درجات مختلفة بالخيال.

٢- لا أحبه، بل وأعتبره أمرًا سيئًا؛ أقصد التعبير الشعري والمعالجة الفنية أو المسرحية لمسائل أخلاقية فلسفية دينية، مثل فاوست لجوته، وأعمال أخرى. عندما يتعلق الأمر بهذه المسائل، إما ألا تتحدث أبدًا، وإما تتحدث بأكبر قدر من الحذر والانتباه دون عبارات زخرفية، أو -لا قدر الله- أبيات شعرية.

(٢٩٥) راجع تولستوي الكتاب الذي ألفه بولانجي عن الفيلسوف الصيني مي تي.

٣- أهم فكرة هي العيش في الحاضر. هذا إعداد صلب لسلوكيات المرء في الحياة.

٤- نسيت لتوي فكرة مهمة... آه، تذكرت: لا أريد أن أكون مسيحيًا، كما نصحت غيري ألا يكونوا ابراهمانيين وبوذيين وكونفوشيوسيين وطاويين ومسلمين... إلخ. على كل منا أن يجد في إيمانه ما هو عام وشامل، ويرفض كل ما هو خاص بفرقة هو وحده، ويتمسك بهذا العام وحسب.

وصلني بالأمس خطاب من تشير تكوف، ومقتطفات من يومياته. مدهش حقًا كيف يعمل كلانا على نفسه روحياً وكيف أننا في المستوى ذاته بالضبط!

حل المساء. تمشيت في الطريق. سقطت من المزلجة فجلست عند فلاحه بعض الوقت. في الطريق جاءني فلاحون من تيلياتينكي يطلبون صدقة. شعرت بالضيق. تحدثت مع صوفيا بطيبة ولين، وكذلك فعلت هي. أنا سعيد للغاية بذلك. شعرت في المساء بضعف ونعاس شديدين. قرأت في رواية (الضحية). يؤمن الكاتب بالكاثوليكية، ويعتمد على دائرة كبيرة من القراء والمؤمنين. وصلني خطاب من تريجوبوف، وعليّ أن أجيب عنه.

٤ ديسمبر.

لم أقرأ الخطابات صباحًا، وانشغلت بالعمل في المقدمة. عملت قليلًا. خرجت بالجواد بصحبة دوشان. وصل ليف الضارب للحمرة. صحيح أنه تفوه بسخافات، لكنني لم أكن طيبًا معه، ولا يمكنني إجبار

نفسي على التفكير فيه بحب. وصلني خطاب كئيب من تشيرتكوف إلى ساشا. كتبت خطابًا لشكارفان عن العلم. ظللت طوال اليوم كئيبةً، شاعرًا بالخزي. كنت أنا نفسي دنيئًا. ظللت أتذكر باستمرار كافة دناءاتي القديمة. حسناً أن يدفعني مزاجي السيئ الناجم عن اضطراب الكبد إلى شعوري باحتقار نفسي. قرأت في المساء في رواية (الضحية). يا للعجب: إنه يؤمن بمعجزات والدة الإله (بالفرنسية في الأصل)!

٥ ديسمبر.

قبل أن أُغَيَّرَ ثيابي كتبت تلمذة لمقالتي عن العلم لشكارفان. راجعت قليلاً، ووصلني ثلاثون خطابًا غير مهمين. ثم جاءني شاب كان من الواضح أنه مريض عقلياً، طلب مني أن أشارك في أمر ما. ظل يكرر دون أن ينظر إليّ: «لقد حسمت المسألة الاشتراكية». كان بإمكانني أن أعامله بطريقة أفضل.

٦ ديسمبر.

تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. ظل ما حدث مع ذلك الشاب يعذبني طوال الوقت. لقد اختفى. في المساء أنهيت قراءة «الضحية». عمل غريب^(٢٩٦)! لا يمكن لعمل كهذا أن يظهر لدينا في روسيا. راجعت خطابي عن العلم.

استيقظت اليوم مبكراً. تمشيت بعيداً. راجعت بالمنزل مقالتي عن

(٢٩٦) تعجب تولستوي من وجود كاتب على دراية جيدة بالاشتراكية والأناركية وأفكار التنوير المعاصرة، وفي الآن ذاته يؤمن بمعجزات العذراء.

العلم على نحو جيد. كتبت بعض الخطابات. ذهبت إلى القرية سيرًا. لدى موروزوف (فلاح من ياسنايا) ثمانية أيتام وعجوز مريضة. وجدت ضيقًا لدى ريزونوف (فلاح). عندما قلت إنني أرغب في الموت، قال لي: لماذا ترغب في الموت ولديك ما يكفيك وزيادة من الخبز!». غادرت وسط صحبة كبيرة على زلاجتين. سأنام الآن حتى الغداء.

جلب دوشان بالمساء مقالتي عن الأناكية ومعها ملاحظاته. ملاحظته الأخيرة سليمة تمامًا؛ أقصد أن الخاتمة ضعيفة. عكفت على اختصار المقالة، لكنني قررت في النهاية ألا أنشرها. ليست صالحة، ولا ضرورة لنشرها.

٧ ديسمبر.

لا أزال مريضًا، ورغم ذلك يستحيل أن أشكو. لم أقرأ الخطابات الواردة. كتبت في مقالة أورلوف (الحلم). تقدمت فيها قليلًا. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا.

حالتي الروحية جيدة. أشعر بالضعف ولكن لا بأس. سأنام حتى موعد الغداء.

٨ ديسمبر.

نمت، ولم أستيقظ إلا في الحادية عشرة مساءً، فغيرت ثيابي ونمت مجددًا.

نمت طوال الليل. استيقظت شاعرًا بالضعف والمرض، ولكن بذهن صافٍ تمامًا. سجّلت فكرة مهمة جدًا لأجل الحوار. أفكار:

١ - إنها المرة الأولى التي أشتَّم فيها رائحة اقتراب الموت؛ فأشعر بإمكانية حياة مليئة بفرح عظيم، متحررة من أناي، ومُكرَّسة كاملاً للخدمة. يمكن العيش هكذا، وكم سيكون ذلك جيداً للآخرين، والأهم من ذلك للنفس! أنا في حالة روحية جيدة جداً جداً.

قرأت المقطع المتعلق باليوم في (دورة قراءات). ما يحدث اليوم يُعبّر بشكل ممتاز عما هو مكتوب بتاريخ اليوم؛ أقصد تحديداً أنني فهمت للمرة الأولى أن عمل حياتي وأناي هو تنفيذ الواجب المكلف به، وأن ذلك ليس أفضل عمل وحسب، لكنه كذلك العمل الوحيد الذي يمكنني أن أقوم به بعقلانية. لا يمكنني التعبير بوضوح كافٍ عن الأمر، والابتهاج كفاية بهذا الشعور الجديد الذي أختبره... إنه ليس برهاناً، بل شعور بأنني عامل.... عامل لدى مَنْ أعيش به وحسب؛ شعور بأنه ليس لي وجود كأنا: كليف نيكولايفيتش، بل هناك عامل وحسب، وأن اهتمامي كله مُنصب على عملي. قد يكون هذا العمل هو أن أحرق الأرض وأثر البذور عليها؛ لأطعم الناس، ولتنمو براعم الأطفال؛ فينجلي الوعي. يمكن أن يعترض أحدهم قائلاً: وماذا عن سعيك صوب الكمال؟

لا يتعارض هذا الفهم لذاتي في شيء مع سعيي صوب الكمال. أنا لا أسعى صوبه من أجل نفسي؛ بل من أجل أن أكون عاملاً جيداً في عينيه.

كم يصبح كل شيء بذلك سهلاً ويسيراً! أن أعيش حسناً يعني أن أعمل له. أن أموت يعني أنه لن تعود هناك حاجة لعملي. من هذا المنظور وحسب يصبح فعل الانتحار جريمة.

١- في كافة الأديان هناك ما هو زائف وما هو حقيقي. يتمثل الزائف في كل ما هو مختلف بينهم، والحقيقي فيما يجمعون عليه. بهذا وحده يمكننا أن نفرّق بين ما هو زائف وما هو حقيقي في كل دين.

٢- أدرك الحياة كأنها ملكاً لك، وستصبح بأكملها قلقاً لا يتوقف، وخيبة أمل وأحزان وكوارث. فلتدرك الحياة كخدمة للسيد، وستصبح بأكملها هادئة ومَرْضِيّة ومصدرًا للسرور والخير.

عندما يعمل وعيي أدرك أنني لم أرسل نفسي إلى مكان أجد نفسي فيه، بل إنني موجود حيث عيّن السيد مكاني. وبغض النظر عن مدى ضخامة أو ضآلة تلك القوى الروحية والجسدية التي أشعر بها في نفسي، فإنها الأدوات التي منحني السيد إياها لتحقيق العمل المنوط بي تنفيذه؛ هي القاطرة أو الفأس أو المِشْطَة. ما إن نتوقف عن الاهتمام بأنفسنا وبما لفقناه وبأعمالنا الشخصية حتى نعرف جميعاً العمل الذي أمرنا به السيد؛ فالعمل واحد: تجلي الحب والاتحاد بالجميع. هذا عمل ممكن دائماً وفي كل مكان، بغض النظر عن مدى القوى التي نتمتع بها.

٣- تُرى ما تلك الأنا التي أعياها بداخلي منفصلة عن الكيان الكلي؟ وما الكيان الكلي الذي أعي نفسي منفصلاً عنه، وما طبيعة العلاقة بين أناي وبينه؟ تشير هذه الكلمات بلا ريب إلى تعاليم عن الروح والله والأخلاق. في غياب هذه التعاليم لا يمكن أن تتوفر حياة عاقلة وأخلاقية للناس، ولا يمكن أن تكون هناك معرفة عقلانية من الأساس.

هناك غياب واضح لهذه التعاليم في عالمنا. هذا سبب حياتنا
المجنونة وتمريناتنا الفكرية البطالة التي نسميها: العلم الحقيقي.

مساء الأمس قرأت جريدة بوّسي. لم أستيظ متأخرًا اليوم، وحالتي
الصحية أفضل. طقس رائع. خطابات تافهة. راجعت إضافتي على
مقالتي عن العلم، وبدأت مراجعة (الحوار)^(٢٩٧) قبل الغداء، لكنني
لم أُنهه. تنزهت بالجواد. دوّنت ساشا ما فكرت فيه على فراشي. لقد
وضعت لنفسي قدرًا كبيرًا من العمل. سأمضي لتناول الغداء.

١٠ ديسمبر.

لا أتذكر ماذا فعلت مساء الأمس. أظن أنني قرأت شيئًا ما.

حالتي الروحية جيدة جدًا، وكل هذا بسبب أنني لا أتوقف عن
ترديد صلاتي الجديدة، حتى إني أعيش بها: «عونك لأكون عاملاً لديك
وحسب». أعلم أنه قادر على مساعدتي، قدرتي على مساعدة جزء من
جسدي ليخدم الجسد كله، لكنني لا أعبر بالصلاة إلا عما أدركه بكامل
روحي. المذهل هو أنني لم أبدأ في فهم الحياة والعيش حقًا إلا في
الحادية والثمانين من عمري!

تمشيت صباحًا وقبل غفوتي. مضيت بعيدًا جدًا. سأمضي لتناول
الغداء. انشغلت تمامًا بالعمل في (الحلم). ليس حسنًا... أفكار: الحب
هو الأداة.

(٢٩٧) أحد العناوين المقترحة للحلم.

١- كما يجب أن تتسم البلطة والمنشار والمعزقة بالحدة لتتم أعمالها، كذلك يجب أن تتسم قواك الإنسانية بالحب لتتمكن من القيام بعملها. مثلما لا يمكن لعامل ببلطة أو منشار أو معزقة نلم أن يتم عمل سيده، كذلك لا يمكن للإنسان أن يقوم بعمل الله دون حب.

الحب هو الأداة التي منحها الله للإنسان، ولكما كما تتطلب الأداة الشحذ - سواء كانت بلطة أو منشارًا أو معزقة - لتتمكن من قطع ما يجب أن تقطعه، كذلك يجب شحذ الحب ليؤدي فعله، ليس في الأقرباء والصالحين وحسب، بل في الغرباء والأشرار وكافة البشر، وكل ما هو حي.

٢- نحن عاملون في عمل الله العام والكامل. لا يمكننا أن ندرك الطرق التي يتم بها هذا العمل، كما لا يمكن للعامل أن يفهم عمل سيده كاملاً، وهذا بالطبع مثال أبعد ما يكون عن التماثل الكامل؛ لأنه يقارن بين حركة كلية أبدية بعمل جزئي وزمني. كل محاولة من طرف العامل للتكهن بعمل سيده في صورته الكاملة، وتوجيه قواه إلى هذا العمل المفترض بشكل مختلف، سيصرف لا محالة قوى العامل عن عمله ويؤخر إتمامه ويحرم العامل من أفضل خير له؛ الوعي بأكثر معرفة يقينية لديه، ألا وهي أنه يقوم بما يريده سيده. من شأن هذا الوعي أن يمنح الإنسان شيئاً واحداً: بقدر ما يتعد عن إرادة سيده، يُحرم من خيره، وبقدر تنفيذه لإرادة سيده، ينال خيره.

كما قال السيد للعامل: إن تقم بما أمرك به، سأبقىك معي وأطعمك وأكفلك وأعطيك ما تريد. كذلك قيل للإنسان وكل الكائنات: سأمنحك خيرك إن تفعل ما أمرك به، وإن لم تفعل، لن تنال خيرك. يتمثل خيرك في زيادة الحب. يمكنك أيضًا أن تعرف ما أمرك به من حقيقة أنه أمر واحد، ويمكنك دائمًا أن تفعله.

عندما يدرك الإنسان ذلك يكتسب أكثر معرفة يقينية؛ المعرفة التي تتعلق بعمل حياته، ليس ذلك وحسب، بل وحياة العالم كله. لا أقصد عمل العالم كله، وكافة تفاصيل تحقيقه كما يظن أولئك الذين يصفون نشاطًا معينًا، بل أقول إنه ينال معرفة يقينية خاصة بحالة من الحالات التحضيرية المحجوبة دائمًا عن الإنسان؛ تلك الحالات العامة والكلية للعمل الإلهي الذي يتم بحياة العالم. يكتسب إذن معرفة يقينية بشأن أن تلك الحالة التحضيرية التي تتضمن بداخلها كل ما يمكن أن يفكر فيه الناس عند القيام بافتراضات حول مسائل الحياة تتألف من شيء واحد: زيادة الحب الكلي، زيادة تسهم فيها بلا شك بزيادة قدر الحب بداخلك. دونت على فراشي تلك الأفكار المتعلقة بالأداة وبالمعرفة المتصورة بحياة العالم، وبدت لي تلك الأفكار حينما كتبها أنها مهمة للغاية.

تنزهت... عاصفة ثلجية. حالتي الروحية جيدة جدًا جدًا. الوعي بوضعي في العالم كعامل، يعمل على مرأى من سيده دائمًا، يهْدئني بدرجة غير عادية، ويزيدني صلابَةً، ويطرح عني الشكوك؛ والأهم من ذلك يطرح عني عنايتي بمديح الناس، ويمنحني الفرح. بحكم عادتي القديمة لا يسعني ألا أعبر عن صلاتي بصورة الطلبة: «عونك... عونك

على ألا يتوقف وعيي بأني عامل ضئيل جدًّا، لكن عامل على أي حال،
لئلا يزول مني هذا الاطمئنان وتلك الفرحة... عونك!».

قرأت الخطابات وأجبت عنها. وعلى الرغم من أنني بدأت العمل
متأخرًا على (الحلم)، لكنني أنهيت النسخة الأولية منه. تنزهت. سأنام
قبل الغداء.

١٢ ديسمبر.

قضيت مساء الأمس في القراءة. ودّعنا صوفيا^(٢٩٨).

كل شيء على حاله اليوم. لم أكتب على فراشي سوى خطاب
لفيالكو عن الدين، وهو مفكر ثوري. وصلتي خطابات، واحد منها
طويل ومؤثر من كويل. طوال الوقت يجد ما يغضبه أو يستفزه. لم أقرأ
خطابه كاملاً، لكنني سعيد أنني لم أشعر بأقل قدر من المشاعر الشريرة،
بل بالأسف عليه وحسب. إنه مريض بلا ريب. راجعت الحلم. يحتاج
إلى قدر آخر من العمل، لكن يمكن أن ينجح هذا الشكل.

لا بأس بحالتي الروحية، لكنني أفقر إلى هذه العاطفة الرقيقة وتلك
الصلابة اللتين اكتسبتهما بوعيي بأني عامل لديه. ربما ستعود إليّ تلك
الحالة، وربما قد انقضت. من الضروري أن أمر بحالة جديدة. فكرت
لتوي في فكرة غريبة جدًّا؛ أقصد أنني في حاجة إلى عدم التوقف عن
الحركة كي أكون مع الله، وأعيش في الحاضر وأكون ثابتًا! أفهم ما
أريد قوله (بالفرنسية). أقصد أنني في حاجة إلى عدم التوقف عن إبعاد

(٢٩٨) سافرت إلى موسكو.

ما يفصلني عنه لأبقى في معية الثابت الأبدي. سأمضي لتناول الغداء.

١٣ ديسمبر.

وصلتُ مالاخييفا (صحفية) مساء أمس. يبدو أنها امرأة جادة. بغرابة شديدة أريتها يومياتي؛ وذلك لأنها تتضمن ما سألتني عنه بالضبط. الأمور اليوم كالمعتاد. خطابات، أحدها من تشير تكوف. عملت في (الحلم) وأحرزت تقدماً. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. طقس رائع. سأمضي لتناول الغداء. لا أزال أفترق إلى حالة الصلابة والسرور السابقة. حدث اليوم أمر مثير ومفيد لي جداً لأتحرر من اهتمامي بمديح الناس: وصلنتي مقالة من جريدة (الراية الروسية)، تقول إنني أؤيد المادية وأنكر كل ما هو روحي، كما وصلني ما كتبه جيمس^(٢٩٩) عني بخصوص أنني صاحب مزاج سودوي، وأني على حافة المرض العقلي. هذا أمر مفيد جداً. أشعر الآن بتأثيره الجيد. عليّ أن أتذكر أنني أحيأ أمام الله وحسب. سأمضي لتناول الغداء. أفكار:

١ - ما يُضفي على الأطفال قدرًا خاصًا من اللطف هو أنهم يعيشون دائماً في الحاضر. حتى أحلامهم هي حياة في الحاضر، ولا تعارضها أبداً. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا بصحبة ساشا ودوشان. عبثاً يكتب تشير تكوف عن خطابه الأخيرة لأقربائه، أما بقية ما في خطابه فجيد.

١٤ ديسمبر.

استيقظت على رجفة تكتنفي، وتزداد قوة، حتى وصل الأمر إلى

(٢٩٩) ويليام جيمس - تنوعات التجربة الدينية.

نوبات عنيفة من الارتجاف، ثم بلغت حرارتي ٤٢° ونسيت كل شيء. رأيت ليلاً أندريه وطبيباً ما وبولانجي. ظلت حالتي سيئة طوال الليل، لكنني استجمعت شتات نفسي، ووجدتني في حالة روحية جيدة على أفضل ما يكون. لست في حاجة لبذل الجهد لأحب الجميع. يكون الأمر سهلاً حقاً عندما تكون مُحاطاً بمحبك. وصل صباح اليوم ميخائيل وسيرجي، وقد كانا في تولا.

لم أتعافَ بعد، لكنني بخير. يمكن تحمل الأمر بسهولة شديدة. إمكانية الموت وقربه واحتماليته لا تثير فيَّ أي فزع كما كانت في الماضي، وفي الآن ذاته لا تبدو مهمة ولا مرغوبة. صوفيا في الطريق. أشعر بالأسف لأنهم أفلقوها^(٣٠٠). أمليت بعض الخطابات وجزءاً يتعلق بـ(الحلم). الساعة الآن السادسة. لم أتناول شيئاً ولا أريد. لا تبعد ولا تطرد عاملك... سأحفر قدر استطاعتي لأنفذ أمرك.

قضيت فترة المساء كلها متألماً. وصلت صوفيا. الأمر شديد السوء، ولم أعد أستطيع تحمله بصبر. لا يزال شعوري بأني عامل لديه يراودني بدرجة لم تضعف عن درجة شعوري به منذ ثلاثة أيام، وأني في حاجة إلى استحسانه وحسب؛ الأمر الذي أعرفه جيداً في روحي، حتى وإن لم أكن أستحقه. قرأت بعضاً من كتاب جيمس. إنه يفصح عن توجه خاطئ صوب الموضوع؛ إنه توجه علمي... آه من كل هذه التوجهات العلمية!

(٣٠٠) أخبروها بمرضه، وبالتالي عادت من أجله.

١٥ ديسمبر.

لم أنم طوال الليل تقريبًا، فقد أصبت بحرقه في المعدة لم أصب بها أبدًا من قبل. ارتديت ثيابي، وها أنا جالس على مقعدي. أملت بعض الخطابات. فكرت في (الحلم)، وتبدو الفكرة جيدة لكن ليس بمقدوري أن أكتبها.

الساعة الآن الثانية. لم أتناول طعامًا منذ عشرين ساعة، ولا أريد. لا يسعني ألا أرى خرافة الطب العلاجية الفجة، ولكن قول ذلك لأناس يعيشون هذه الخرافة بكافة معانيها أمر مستحيل. الساعة الآن الثانية والنصف. وصلني خطاب مؤثر من ريبينا^(٣٠١) ورددت عليه.

١ - إن لم يعيش الإنسان - ككائن مفكر متكلم - دينيًا، وعاش وفقًا لمتطلباته الحيوانية وحسب، يصبح وضعه مريعًا لافتقاره حتى إلى تلك الغريزة الأسرية القبلية الموجودة في الحيوان، ونتيجة لذلك يصبح أنانيًا وعدوًا للجميع، وتكون عداوته مريعة؛ لأنه مسلح بسمات الفكر والكلمة، وهي سمات لا تكون ضرورية وغير مضرّة إلا في حالة واحدة؛ عندما تتوفر السمة الدينية الإنسانية. الأمر يماثل أن يحمل طفل بين يديه خنجرًا أو مسدسًا أو بارودًا. علينا أن نحاول أن نشفق على هؤلاء الناس (الصبية) ونحبهم، وهو أمر شديد الصعوبة.

الساعة الآن السادسة... حالي أفضل.

(٣٠١) زوجة ريبيين وهو ضابط سابق، صديق لتولستوي، أسس جماعة زراعية بالقرب من ياسنايا، لكنه أصيب باضطراب نفسي وذهبوا به إلى مصحة نفسية، وتصف زوجته حالته في خطابها لتولستوي.

١٦ ديسمبر.

قضيت مساء أمس في حال أفضل. أظن أنني قرأت بعض المجلات. تحدثت جيداً مع تانيا.

ليلة ثقيلة الوطأة مجدداً. أرق وحرقة في المعدة. نهضت ودار حوار ممتع مع نيكيتين عن الطب؛ عن مساعدة الناس وعدم معرفة ما إن كان تقديم هذه المساعدة أمراً صحيحاً أم لا، وقوله بأن تخليصهم من المعاناة والموت اللذين يريدون التخلص منهما ليس شراً، والأهم من ذلك حقيقة أن الفعل النابع من غايات أنانية لا يمكن أن يكون جيداً. حلّت الساعة الثالثة الآن سريعاً. لا أزال أعاني من الحرقة. حالتي سيئة. قرأت مواضع من (لكل يوم) و(جريمة الامتثال)^(٣٠٢)... عمل ضعيف. تغذيت قليلاً معهم جميعاً. قرأت كتاباً يابانياً. عرّض الكتاب بشكل ممتاز كيف يتم إفساد الشعوب بفجاجة بواسطة احتكار الدولة للتعليم لتحقيق أهدافها. الأمر كذلك عندنا أيضاً، لكن بشكل مموه بعض الشيء. تحسنت حالتي في المساء. نمت الليلة أفضل من كافة الليالي السابقة.

١٧ ديسمبر.

استيقظت في الثامنة. دوّنت شيئاً ما في اليوميات، سأجعل ساشا تعيد نسخه. شربت القهوة دون رغبة. خطابات غير مهمة. أجبته عنها. كذلك جاءني مصور أمريكي غير مشير للاهتمام. راجعت (الحوار)

(٣٠٢) Le crime d'obéir للكاتب الفرنسي: Han Ryner.

قليلاً. ليس حسناً، لكنه يقترب من الطريق الصحيح. راجعت (التسول والشعب) (٣٠٣) وأضفت خاتمة. لا بأس بها. قرأت مقالة مينشيكوف عن (دورة قراءات) ووجدتها مطابقة تمامًا لمقالة جريدة (الراية الروسية). يمتلك بعض الكتاب زمام اللغة ويتمتعون بالموهبة، وبفضل ذلك جزئياً لا يبحثون عن البراهين على الإطلاق، ولا يخشون زيف ما يطرحونه، بل لا تشغلهم من الأساس مسألة حقيقة أم زيف ما يكتبونه. خرجت لأتنزّه قليلاً، وتناولت إفطاري. حالي الصحية لا تزال تتحسن. نمت ساعة قبل الغداء، والآن أكتب والساعة الخامسة وخمسون دقيقة.

١- تذكر أن حالة جسدك: حالة معدتك وشهوتك ومدى تهدئت لك لها، والإنهاك والألم.... كل هذا يُغيّر، لا... لا يغير، بل يرفع حالتك الروحية وعلاقتك بالحياة إلى أقصى درجة، أو يخفضها تمامًا. البهجة والسرور والعاطفة الرقيقة الناتجة عن خير الحياة من جانب، والكآبة والقنوط من ناحية أخرى.... جميع مَن تحبهم من ناحية، ومَن لا تحبهم من ناحية أخرى، حتى وإن حاولت أن تمنع نفسك عن عدم محبتهم.

تذكر ذلك ولا تعرّض إلى صعود أو انحدار تلك الحالة مغزى حقيقياً لحالتك. الحالة الحقيقية لأنك الروحية هي الوسط المركزي الذي بموجبه تبتهج بحالة صعودك وتحاول الحفاظ عليه، ولا تصدق حالة انحدارك وتحاول التغلب عليها.

٢- دائماً يكون عدد الضالين أكبر من عدد غير الضالين أو الضالين بقدر ضئيل، لذا تكون القوة الرئيسة والحاسمة دائماً في صف الفريق

(٣٠٣) أحد العناوين المبدئية لمقالة ظهرت بعنوان (المتشردون).

الأول. تتضاعف هذه القوة عشرات المرات في ظل النجاحات المادية للحضارة: وسائل الاتصالات - الصحف، وخاصة الصحف اليومية.

١٨ ديسمبر.

في المساء لعبت الشطرنج مع ميخائيل سيرجيفيتش، ثم لعبنا الورق. نمت بعد الثانية عشرة، وكان نومي رائعًا.

اليوم يحاكمون إيفان إيفانوفيتش^(٣٠٤). بمرور الوقت يزداد جنون الحياة إبهامًا أكثر فأكثر، ويتضح كذلك عجز المرء عن فهمه. نهضت في ساعة متأخرة. التقيت بـ زوجة معلم بائسة. لم أخطئ في تعاملتي معها في شيء. لم أفعل شيئًا بالمنزل عدا الخطابات.

قرأت كتاب سميتانا^(٣٠٥). كتاب جيد. جاء فلاح عجوز من ساراتوف. باع جواده حتى يستطيع الوصول إليّ ويتحدث معي حديثًا من القلب إلى القلب. جاءني من بيجلوبوبوفيف فلاح شاحب تمامًا. تمشيت معه وركبنا وتنزهنا على متن الجياد. اصطحبته ساشا. غفوت. الساعة الآن السادسة. سأمضي لتناول الغداء.

١ - نمط إنسان: يُنم كل أموره الدنيوية بشكل ممتاز وبانتباه وأمانة: يستضيف ضيوفه ويدير أموره، بل ويلعب الشطرنج والورق بدرجة أكثر انتباهًا. لكن ما إن يتعلق الأمر بالحياة حتى تنكشف لا مبالاته وسطحيته المضحكة، ويقر باعتراف واضح بأن الحياة يجب أن تسترشد بالمنطق

(٣٠٤) بسبب ما نشره بشأن قضية ملكية الأرض.

(٣٠٥) كتاب بالألمانية للكاتب التشيكي سميتانا بعنوان (تاريخ التمييز).

والبرهان، لذا لا يكشف تجنب التفكير في الحياة عن عدم الانتباه وحسب، ولكن أيضًا عن اللامبالاة الكاملة.

١٩ ديسمبر.

مساء الأمس انهمكت في القراءة ومكثت في الصلاة. نمت في ساعة متأخرة. حالتي الروحية جيدة.

استيقظت اليوم شاعرًا بحيوية كاملة. عدتُ مجددًا إلى فرحتي الكبيرة ووعيي الراسخ الباعث على الطمأنينة بحقيقة أنني عامل لديه. حسن جدًا. عادت صوفيا. خرجت لأتنزه. أجبته عن بعض الخطابات بجدية وبوعي بوضعي كعامل لديه. لم أقبل على العمل إلا في ساعة متأخرة، لكنني استطعت على أي حال أن ألقى نظرة على المقالتين. قاربت على الانتهاء منهما. ما يبعث على السرور بشكل خاص في وعيي بوضعي كعامل، هو هذا الهدوء والتروي وغياب الرغبة في فعل هذا وذاك من الأمور. فلتفعل ما يمكنك فعله، والعمل عمله، بكل ما يترتب على ذلك من أمور. لديه عاملون آخرون كثيرون غيري، والعمل لا يتوقف عليّ، بل نحن من في حاجة إلى العمل لننال خيرنا. ما يبهج في هذا الوعي بصورة خاصة هو أنه يُحرّر صاحبه تمامًا من العناية بمديح الناس.

تمشيت مع ضيفي من ساراتوف. الأمور بخير. إنه يريد أن ينتقل إلى إيماني، وأنا أحاول أن أشرح له أنه لا وجود لأمر كهذا. حكى لي حكاية مريعة عن قتل وإعدام. نمت. قرأت بعد الغداء كتابًا علميًا تافهًا لجويو (فيلسوف وشاعر فرنسي). قرأت للفلاح من ساراتوف قبل

انصرافه (حوار مع عابر سبيل). حسنًا... تنزهت صباحًا وفكرت في أن الوقت قد حان للتوقف عن الكتابة لأولئك الصُّم المثقفين. عليّ أن أكتب للعالم الكبير (بالفرنسية): للشعب.

عليّ أن أتابع الكتابة في عشر مقالات تقريبًا: عن الشُّكر - حلف اليمين - الخلافات العائلية - توزيع الملكية - الجشع - الحقيقة - الضرب والتشابك الجسدي - النساء واحترامهن - الشفقة على الحيوانات - الحياة المدنية الطاهرة - المغفرة. لم تكن الفكرة هكذا، لكنني نسيتها.

حكى لي فلاح ساراتوف حكاية مريعة. مرة ثانية يصلني خطاب رائع من كوليتشكا. الساعة الآن الثانية عشرة.

٢٠ ديسمبر.

خرجت لأتنزه. التقيت بقوزاقي بائس يقول إنه تم نفيه بسبب توزيعه لكتبي. أعطيته بعض الكتب. أنهيت الخطابات، وقرأت مقالة تشير تكوف، وكانت رائعة كالمعتاد^(٣٠٦)، حيث قد أمعن فيها الفكر من مختلف الجوانب. الساعة الآن الثانية عشرة. سأقبل على العمل.

كتبت مقالة عن العاطلين عن العمل. لا بأس بها. خرجت بالجواد. جاء دوناييف. جاءني ليف ريجي قبل أن يقوم برحلته. تحدثت معه على نحو سيئ. لقد كان محققًا. كل ما في الأمر أنه لا يجيد التعبير عن مراده. دوناييف لا يؤمن إلا بالعلم والحضارة وبي، طالما أنني جزء من هذه الحضارة.

(٣٠٦) مقالة بعنوان (رقابتان على تولستوي).

٢١ ديسمبر.

استيقظت في ساعة متأخرة. عاصفة ثلجية. تمشيت قليلاً. حمداً لله أنني في حد ذاتي شخص دنيء، ضئيل الشأن إلى أقصى درجة. لقد طرحت عني كل شيء عدا مقالة (الحلم). تمشيت قليلاً. تحدثت بعد الغداء مع سيريوجا بوليجين على نحو سيئ. نفس مع حدث مع ليف ريجي: عن الله وإمكانية التواصل معه من وجهة نظرهم بغض النظر عن الحب، أو حتى في غيابه. ما شأني بذلك؟ تحدثت بانفعال وقسوة.

٢٢ ديسمبر.

واصلت صباح اليوم حوار مع سيريوجا بوليجين عن إمكانية الكمال الهادئ تمامًا. بخصوص ذلك أعتقد أنني محق في القول بأن الإنسان يعيش دائماً في الخطايا، وأنه يتحرك دائماً تدريجياً، ويزداد اقتراباً، لكنه لن يصل أبداً، وحياته وخيره يتمثلان في هذا الاقتراب الدائم. خطابات، ثم العمل على مقالة (الحلم)، ولم أنهاها بعد. خرجت بالجواد ثم راجعت (الحلم) مجدداً. حوار مع أندريوشا. لقد سلكت على نحو شديد السوء. كان بإمكانني أن أقول كل ما قلته بلطف. سأنام الآن. أشعر بالنفور الشديد من نفسي.

٢٣ ديسمبر.

متسولون كثير. وصل بولجاكوف وقد أُلّف عرضاً لرؤيتي للعالم. راجعت كلا المقاليتين مجدداً ورددت على بعض الخطابات. وصلني خطاب مزعج من بعض العمال. لم أستطع ألا أبا لي بالأمر. ودّعت

ماريا ألكسندروفنا. ذهبت إلى قرية ديمينكا. فقر مريع!

٢٤ ديسمبر.

استيقظت يراودني شعور بعدم الرضى والخزي. كل ما أتذكره سيئ ومُخزٍ. شكرًا لله حتى وإن كان كل شيء في نفسي دنيء ومخزٍ. سأحاول أن أكون عاملاً له وأشعر بذلك، حتى وإن كنت عاملاً سيئاً ضعيفاً، لكنني عامل على أي حال. تذكرت حديثي مع ليف (ابنه) وسيريوجا بوليجين بخصوص عدم إمكانية الكمال والله، وفي كلا الموضوعين، خاصة الثاني، لم أكن محقاً. أنا في حاجة إلى التواصل معه، لكنني أنكرته. إن فكرة ليف (ابنه) تقضي بأن كل شخص يفعل ما هو مفطور على فعله، وأنه من غير الضروري، بل ومن الضار أيضاً أن تحكم على الناس أو تعظهم أو تصلحهم، وأن كل ما عليك هو أن تعيش كاملاً أمام وجه الله، وليكن ما يكون. إن لم أتفق مع ليف، فهذا لا يعود وحسب إلى أنه يتحدث بشكل غير واضح، ولكن بسبب أنه يحاول تبرير دناءته.

وصل كوندراتيف منذ الصباح، وهو شاب أراد أن يذهب إلى المزارع^(٣٠٧). بينما أتنزه قلت له إن هذا غير ضروري. وبعون من بولجاكوف وافق بعد ذلك. ثم جاء فلاح من فورونيوج لا يتسم بالوضوح الكافي.

قرأت وكتبت بعض الخطابات. راجعت (الحلم) مجدداً، وكذلك (المتشردون).

(٣٠٧) طالب ترك تعليمه وأراد الالتحاق بإحدى الجماعات الزراعية التي تشكلت تأثراً بتولستوي. حاول تولستوي إثناءه عن رغبته ليختبر قوتها.

ما يدعم فكرة تصور إمكانية غزو اليابانيين والصينيين لنا، والمطالبة بالمشاركة في عنفهم ليس التهديد بالقتل وحسب، بل ومحاكم التفتيش أيضاً. الإجابة على ذلك هو أن الصراع ضروري، ولكن الروحي فقط. أما الموت وصنوف المعاناة فهما قدر محتم على كل حي.

كذلك هو الأمر بالنسبة لاعتراض ليف بأن كل شخص يفعل ما هو مفطور على فعله: فلتفعل ما عليك فعله، ولا تحكم على الآخرين.

١ - الحياة الجسدية هي نوم، والموت هو اليقظة على حياة أكثر حقيقة.

٢ - كلما ازداد مفهومنا عن الله تحددًا، قل استرشادنا بالله في حياتنا، والعكس صحيح.

٣ - كلما ازدادت ثقتنا في إمكانية تحقيق الكمال التام في هذه الحياة، ازداد حركتنا صعوبة وبطئًا صوب تحقيق أكثر صيغ الكمال الملائمة لنا.

٢٥ ديسمبر - مساءً.

قرأت مساء أمس لإيكتيتوس ولعبت الورق. استيقظت اليوم في ساعة متأخرة. لم أستطع النوم ليلة أمس حتى الثالثة. خطابات: واحد منهم يقرعني على نقل ملكيتي لزوجتي. أجبت عنه. لا أعتقد أن ردي كان سيئًا، رغم أنه كان من الأفضل ألا أجيب عنه... ليظنوا أنني مجنون! كم لا أزال بعيدًا عن ذلك! راجعت الحلم مجددًا. المقالة الآن أفضل. نعاس وضعف. شعور غريب. أختبر الآن أمرًا جديدًا ومعقدًا

على نحو خاص، يريد أن يفصح عن نفسه، أو بالأحرى أريد أن أكتب عملاً إبداعياً. قرأت (رحلة عاطفية)^(٣٠٨). يذكرني العمل بشبابي والمتطلبات الفنية. حل المساء. حالتي الروحية جيدة.

٢٦ ديسمبر.

استيقظت شاعراً بمزيد من الحيوية. دَوَّنت بعض الملاحظات لأجل (الحلم) وتنزهت وانشغلت بالخطابات. أظن أنني راجعت (الحلم) مراجعة نهائية. رحل الفلاح الذي من فورونيوج. أشعر بالخزي. جاءني شيخ حُر في من تولا. صديقه كذلك جالس. لا بد أنهما جاء من أجل بعض الكتب. وصل أندريه، وبدا لطيفاً مرحاً. سعدت بوجودي معه. لم أقرأ شيئاً بالمساء. سأنام الآن. أشعر مجدداً بوضعي كعامل لديه. المهم هو أنه من الممكن أن أحيا هكذا، بل ولا بد من ذلك بقدر الإمكان، ولن يحدث ذلك إلا عبر الحاضر وحسب؛ الحاضر اللا زمي. بقدر ما تعيش في الحاضر، تكون حياتك أبدية ثابتة. الحياة والأحداث وشيخوختك والموت يمرون بك بسرعة شديدة، وأنت ثابت. سأنام؛ إنها الحادية عشرة.

٢٧ ديسمبر.

لم أكتب مجدداً إلا في (الحلم). وصل سيريوجا وبصحبه أسرته وآل بيرس. تنزهت بالجواد. وصل ديموتشكا (ابن تشيرتكوف).

(٣٠٨) روائي إيرلندي، وكان هذا الكتاب من كتب تولستوي المفضلة إبان شبابه، وقد ترجم تولستوي أغلب كتبه إلى الروسية.

خطاب من تشيرتكوف بخصوص النشر^(٣٠٩). حمدًا لله لا أبالي بالأمر إطلاقًا. فكرت على نحو جيد جدًا، أو بالأحرى شعرت أكثر مما فكرت أنه من الممكن والضروري أن أنقل وعيي بالحياة إلى الحاضر. لعبت الورق. الساعة الآن الحادية عشرة. سأنام. قلّ خزيي وازداد تذكري لوضعي كعامل لديه.

٢٨ ديسمبر.

نمت كثيرًا. استيقظت شاعرًا بالمرض. لم أتناول شيئًا طوال اليوم. لم أفعل شيئًا بالصباح سوى التمشي. لذا راجعت (الحلم) جيدًا. يمكنني أن أتركه على هذا الحال. وصل سيريوجا بالأمس، وبصحبتة زوجته. اليوم جاءت فاندا لاندوفسكايا (كاتبة وموسيقية). راجعت مقالة (المتشردون). أظن أنها ملائمة هي الأخرى. قل تأثير الموسيقى عليّ. ضعف وحرقة في المعدة. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام. خطابات غير مهمة.

٢٩ ديسمبر.

حظيت بنوم حسن. استيقظت في تمام الصحة تقريبًا. تنزهت. خطابات جيدة. كتبت في مقالة (الفقر)^(٣١٠). ضعيفة. سأنحيها. وصل ديموتشكا، وتنزهنا بالحياد. حكى لي عن العلاقة بين ليف (تونيلوف) وأبيه (تشيرتكوف). كم من الضروري وكم أرغب أن أحاول فهم الناس ودوافع أفعالهم وألا أدينهم! الساعة الآن السادسة. سأمضي لتناول الغداء.

(٣٠٩) خطة بخصوص نشر (لكل يوم).

(٣١٠) عنوان مبدئي لمقالة (الأحياء والأموات).

عزفت لاندوفسكايا بالأمس. شعرت بالملل. أكثر ما ساءني هو
تزلفها. عليّ أن أخبرها بذلك.

٣٠ ديسمبر.

استيقظت مبكرًا. هناك فكرة بدت لي مهمة، ودونتها وأنا على
فراشي. تمشيت. خطابات شيقة، وحسنًا أجبته عن خطاب سيميونوف
وصديق جوسيف. راجعت بعدها (الحلم). تمشيت حول المنزل.
ذوبان الثلوج! يُعدون الآن شجرة عيد الميلاد. حالتي الروحية جيدة
جداً. أفكار:

١- تنسى دائماً أنه من المهم والمثمن أن تبذل جهداً روحياً، ليس
في تواصلك مع القريبين منك روحياً، بل على العكس. وُهب الإنسان
خيراً واحداً لكنه عظيم: الوعي بنفسه كتجلٍّ لله؛ الوعي بنفسه جوهرًا
روحياً. يعود الخير في ذلك إلى أن الإنسان الذي يعي نفسه تجلياً لله،
ينال في اتحاده بالله كل ما يريده، ولا يمر بعقبات، ويعرف بلا شك أن
مغزى حياته هو المغزى الذي يدركه بشأنها. الإنسان الذي يدرك نفسه
كإنساناً شخصياً لن ينال -ولا يمكن أن ينال أبداً- مراده، ويواجه العقبات
في كل خطوة، ولا يدرك مغزى لحياته، بغض النظر عن أن حياة كحياته
لا يمكن أن يكون لها من الأساس أي مغزى.

٢- تختلف حركة الحياة تماماً بين الإنسان الذي يدرك نفسه جوهرًا
روحياً، والآخر الذي يدرك نفسه كإنساناً شخصياً. الأنا ثابتة لمن يدرك
نفسه جوهرًا روحياً، ولكن كل شيء آخر، بما فيه جسده، يتحرك حركة
يتعذر كبجها. إنه يقف على الشاطئ، والنهر بما فيه يتحرك بجانبه.

بالنسبة لمن يدرك نفسه كياناً شخصياً، هو نفسه يتحرك بالإضافة إلى حركة كل ما حوله، وهو لا يدرك حركته إلا بسبب وجود أشياء أخرى تتحرك أبطأ منه، وأشياء أخرى ثابتة تماماً. يسبح في النهر ولا يدرك أنه يسبح إلا بسبب وجود أشياء تسبح بسرعة أبطأ منه، والضفتان ثابتتان تماماً. يسبح صوب الموت؛ صوب دماره.

قرأت بالأمس مقالة ليرين (فيلسوف مثالي) عن الإيمان وفقاً لشبير (فيلسوف روسي من أصل ألماني).

سمات الجوهر الروحي: الاستقلالية - البساطة - الثبات - الكمال.



٢ يناير - ياسنایا بولیانا.

فَوْتُ يومين. مر أمس بشكل اعتيادي. راجعت (الحلم) مجددًا. رحلت لاندوفسكايا وذويها. تنزهت بالجواد. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا وبولانجي. لم أتوقف عن الشعور بالخجل من حياتي. أتقدم ولو قليلًا فيما يتعلق بضبط نفسي عن المشاعر الشريرة.

جاء ديموتشكا ليودعني. خطاب طويل من تشيرتكوف يتعلق بالعمل. لم أستطع الرد عليه. حوار مع سيربوجا بالمساء عن الأرض. لكل نظريته. لعبت الشطرنج والورق مع عزيزي أداميتش (أولسوفيف). أظن أنني راجعت شيئًا ما أول أمس يوم ٣١ ديسمبر. ذهبت إلى مقاطعة فولسنوي. الشعب على وشك الانفجار^(٣١٢). أشعر بالضيق قليلًا من آل لانودفسكي لكنني أحبهم. وصل أولسوفيف في المساء. أستقبل العام الجديد بترف جنوني يعذبني، كما تعذبني مشاركتي فيه.

(٣١١) بالإضافة إلى دفتر يوميات ١٩١٠ كتب تولستوي دفترًا آخر سرّيًا بعنوان (يوميات لي وحدي). بدلًا من أن أضعها في النهاية وحدها ونعود لأيام سابقة بعد النهاية سأضعها في ترتيبها التاريخي في نفس العام مع الإشارة إلى الدفتر السري بحروف: (د. س.).
(٣١٢) بسبب قسوة الضرائب.

تمشيت في هذا الطقس الرائع. أتوا بامرأة بائسة مريضة بعد الولادة. الأطفال جوعى. آه يا للضيق! سأعكف على الخطابات وأشرب القهوة. وصل الفرنسي مارشان^(٣١٣). تحدثت معه بحرارة مجيئاً عن أسئلته. راجعت (الحلم). خرجت بالجواد بصحبة دوشان. أمسية عادية بصحبة الفرنسي.

٣ يناير.

بصحة جيدة. خطابات جيدة ومثيرة. راجعت (الفقر) و(الحلم). خطابات. نزهة بالجواد بصحبة أولسوفيف. إنه أرثوذكسي بحكم اللياقة وحسب، لذا يدافع عنها بحرارة. نعم، إن لم يشغل الدين المكانة الأولى، يشغل الأخيرة. إنهم لا يدافعون بحماسة إلا عن الدين الساكن؛ الدين القائم على الثقة.

لم يحدث شيء مهم في المساء. ملل!

٤ يناير.

حزين وكئيب لكنني بخير. أريد أن أبكي. أصلي. راجعت (الحلم) مجدداً. لا أعرف ما إن كان العمل جيداً أم لا، لكنه ضروري. خطابات... أجبت عن القليل منها. تنزهت بالجواد بمفردي. أنا شديد الحزن. أشعر بغربة شديدة وسط المحيطين بي. فكرت في علاقاتي بغير المتدينين في عالمنا هذا. علاقاتي بهم تشبه علاقاتي بالحيوانات. محبة وشفقة، ولكن هناك غياب للتواصل الروحي. التعامل معهم يثير بداخلي بعض

(٣١٣) مراسل الفيجارو الفرنسية.

المشاعر غير الطيبة. إنهم لا يفهمون، ويستخدمون العقل في ظل عدم الفهم هذا وثقتهم المفرطة في أنفسهم في تعميم الحقيقة، ويقاثلونها هي وكل ما هو طيب، بإغراء من مشاعرهم الشريرة.

لا يسعني قول الآتي، لكنني أشعر به؛ أقصد ضرورة أن أربي في نفسي علاقة خاصة صوب أولئك الناس، حتى لا أخرق حبي تجاههم. سأمضي لتناول الغداء. عونك يا سيدي لأكون معك، ولا أتوقف عن الوعي بنفسي كعامل لديك.

في المساء حكى لي سيريوجا جيدًا عن هجرة الدوخوبوريين. ثياب تنكرية ورقص مجددًا^(٣١٤). قرأت بعض التفاهات ولعبت الورق.

٥ يناير.

استيقظت مبكرًا. تمشيت في الحديقة. أصبح الأمر يثقلني أكثر فأكثر أن أرى عبيدًا يعملون لدى أسرتي. حاولت أن أتذكر صلاتي عند التعامل مع الناس. وصل العزيزان نيكولايف وأبريكوسوف، وأنا سعيد جدًا بوصولهما. تحدثت مع نيكولايف. أبريكوسوف ينضح بالحياة الروحية. وصلتنى خطابات كثيرة. كتبت ردًا على شमित وماجوميثانين من سامارا، ولم أفعل شيئًا آخر. أشعر بالحزن طوال الوقت.

سأمضي لتناول الغداء. في المساء قرأت (الحلم) لكل الحضور. اعتراضات كثيرة، لكنني أعتقد أن العمل جيد. لعب الورق، وشعور طوال الوقت بالحزن والخزي.

(٣١٤) احتفالًا بالعام الجديد.

٦ يناير.

خطابات كثيرة، لكنها غير مهمة. وصل مصور الأفلام. راجعت قليلاً في (الحلم) و(الفقر) وقررت إرسالهما لتشيرتكوف على حالهما. عليّ بشكل عام أن أتوقف عن الكتابة والاهتمام بها. جاءني بالأمس يهودي يطلب مني عرضاً موجزاً لمغزى الحياة. كل ما قلته له لم يكن الأفضل. لقد حدّثته بطريقة ذاتية، ويلزم أن أحدثه بموضوعية عن أساس التطور. مدهش حقاً مدى غباء وبلادة أولئك الذين يتذوقون طعم المعرفة العلمية.

لم أدوّن شيئاً. الوضع كالأمس، بل وربما أسوأ من حيث شعوري بالخزي والحزن. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. أخطأت ساشا في حق صوفيا. سأمضي لتناول الغداء. أمسية مملة بصحبة المصور، ثم لعب ورق.

٧ يناير.

تحسنت حالتي الروحية قليلاً. الأمر ليس أنني أواجه حزناً بئساً، بل هو خزي لا يتوقف من نفسي أمام الناس. هل من المعقول أن تنتهي حياتي وسط هذا الوضع المخزي؟ عونك يا سيدي. أعرف أنك في داخلي... في داخلي، فساعدني! نهضت في ساعة متأخرة. خرجت لاستقبال الضيوف بالمزليجة عند كوزلوفكا. التقط المصورون بعض اللقطات. لا بأس. كان هناك بعض المتسولين والفقراء... لا بأس أيضاً. لكننا التقينا في الطريق بثلاثة أفراد يرتدون ثياباً لائقة، وطلبوا

صدقة. نسيت الله ورفضت. عندما تذكرت كانت الفرصة قد فاتت. تحدثت جيدًا مع بعض الشباب البائسين المتعلمين من بيروجوفو. التقيت بساشا وفاريا والمصور مجددًا. فكرت في الآتي:

١- شعرت بوضوح شديد بما عرفته منذ زمن؛ أقصد أن كل إنسان يدرك أنه إدراكي لأناي. هذا أمر شديد البساطة، وبالنسبة لي كان شديد البجدة، ومهم بدرجة استثنائية. آه لو أتذكر ذلك دائمًا! تذكر ذلك سيكون بمثابة نهاية كل إدانة وأي سلوك يزعج الآخرين بشكل عام.

٢- تعود أهمية ذلك في الأساس إلى أنك إن لم تدرك وجود أنا أخرى، ولكن تصورتها بقوة كأنك، فإنك تدرك أن كل أنا أخرى هي أنا أساسية، وأنها ليست كأنك وحسب، بل هما واحد.

٣- يعود إدراك الأنا الأخرى كأنك بالخير على الإنسان، وذلك لأن بإدراكك وجود أنا أخرى كأنك يمكنك أن تُسدي خيرًا ليس لأنك وحسب، بل للجميع.

٤- ليس الحب سوى اعتراف بأن كل أنا أخرى هي أناك.

قرأت الخطابات. واحد منها مزعج، يعرب عن اتفاقه مع قناعاتي، ويطلب ٥٠٠ روبل لنشر المسيحية! لا أريد أن أكتب شيئًا. الساعة الآن الواحدة.

لم أفعل شيئًا. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. جاء يجور بافلوفيتش من يسينكا. حديث عن شراء الفلاحين للأرض. غداء ثم

حضور عزيزي بوليجين. ودّعت أولسوفيف. المصور مجددًا. ملل!
أتى الضعف بمفعوله وحان وقت الراحة.

٨ يناير.

تعافيت لكني لا أزال أشعر بالضعف. جاءني فلاح من مقاطعة
فولينسكا يريد أن يصبح بائع كتب. نعم... وددت لو أهرب إلى الصحراء.
خطاب جيد من جوسيف، وخطاب من تشيرتكوف إلى ساشا. كم أن
كليهما...^(٣١٥) ولكن كل شيء انتهى حسنًا. خطاب تشيرتكوف هو
الآخر قوي وجاد. يمكن لساشا أن تفهم وتشعر بما يقوله، والأهم أن
يكون ذلك بمعزل عن شخصيتي. عسى أن يحدث ذلك! أجبته عن
بعض الخطابات وحسب، وبدأت أكتب عن الضرائب، لكنني نحيث
الأمر جانبًا... لا أريد. تمشيت وتنزهت. الساعة الآن الخامسة.
سأستلقي على فراشي.

قرأت في المساء مجموعة مختارة شيقة *Coenobium* (مجموعة
إيطالية). الشيق فيها هو أنها تشعرك بعدم رضى كافة المتقدمين عن
حالاتهم الروحية بدرجة أو بأخرى. لعب ورق بالمساء. لم أكتب
بالأمس.

٩ يناير.

استيقظت مبكرًا جدًا في الصباح، وكتبت إضافة لخطاب إلى

(٣١٥) لم يكمل العبارة، ونعرف من خطابات تولستوي أن هناك خلافًا قد اندلع بين تشيرتكوف
وساشا بخصوص طباعة (لكل يوم).

شميت عن العلم. ثم انشغلت بالخطابات، ثم أنهيت مقالتي عن الضرائب بشكل مقبول. في المساء انشغلت بالقراءة.

١٠ يناير.

استيقظت اليوم مبكرًا، وكتبت مجددًا إضافة لخطابي لشميت عن علم الفلك. خرجت لأتنزه. لا يمكنني أن أنذكر طوال الوقت إدراكي للأنا في هذا الإنسان الذي أتعامل معه. نسيت ذلك في تعاملتي مع المرأة التي جاءتني من قرية ديميونكا. تذكرت فيما بعد. سأشرب القهوة وأعمل. الساعة الآن الحادية عشرة.

قرأت خطابات وأجبت عن بعضها. كثير منها غير طيب. أعدت قراءة بعضًا من اليوم الثاني والثالث من (ثلاثة أيام في القرية). فكرة مهمة جدًا:

١- فكرت في مدى ضرورة تعليم الناس الحب للجميع على السواء: الزنوج والبرابرة والأعداء؛ لأن في غياب ذلك لن يحدث تحرر من الشر، بل ستجري الأمور كالمعتاد: وطنك وشعبك والدفاع عنه والجيش والحرب... وطالما ظهر الجيش واندلعت الحرب، لن يكون هناك حدود للشر.

الحياة في حاجة إلى مثال، ولا يصبح المثال مثالًا إلا عندما يُعبّر عن الكمال. لا يكون هناك اتجاه إلا عندما يُشار إليه رياضياً، ولا يكون له وجود مباشر في الواقع.

١١ يناير.

استيقظت في ساعة متأخرة. نعاس وعدم رضى عن النفس. متسولون. رفضت بشدة. تذكرت الله لكني لم أستطع إرضاءه. خطابات غير مهمة. ذهبت مجدداً إلى المحطة لإجراء مكالمة هاتفية. قرأت في *Coenobium*. وجدت الكثير من المواضيع الجيدة، كما أن الفكرة جيدة. هناك صحوة دينية في كل مكان. عزفت بسرور، وسأنام الآن.

١٢ يناير.

نمت قليلاً. ذهني مفعم بالحياة. جاء ناجيفين (كاتب روسي). إنه يروق لي. جاءت ماريا ألكسندروفنا وكذلك جاء بولانجي. خطابات غير مهمة. راجعت اليومين الثاني والثالث. تنزهت قليلاً بالجواد. أخطأت في تعاملتي مع فلاحه جاءت تطلب صدقة من بعيد، ورفضت. غداء ثم أمسية لطيفة ومهمة في حضور ناجيفين وبولانجي. كتاب بولانجي عن البوذية رائع. أريد أن أدون بعض الأفكار، لكنني سأؤجل ذلك للغد. ساشا في تولا بصحبة دوشان لحضور حفل موسيقي.

١٣ يناير.

خطابات عادية. أعدت قراءة (ثلاثة أيام في القرية). يبدو أنني سأنهيها. تنزهت بالجواد بصحبة فيليب (سائس للخيل). سأمضي لتناول الغداء. عليّ تدوين فكرة ما.

١ - الأناركية ليست هي التعليم الذي أعيشه، بل أن أنفذ القانون الأبدي الذي لا يسمح بارتكاب العنف والمشاركة فيه. هل سيؤدي الأمر

في النهاية إلى الأناركية، أم إلى الحياة تحت نير اليباباني أو الألمانى؟ لا أعرف ذلك، ولا أريد أن أعرف.

٢- «سيصطدم المُنذَّب بالأرض ويدمر العالم»^(٣١٦)، أي يدمر كافة النتائج المادية لنشاطى وكل نشاط آخر». هذا هراء. يكشف ذلك عن أمر واحد؛ كل نشاط مادى موجّه صوب تحقيق نتائج مادية بعينها هو نوع من الجنون. هناك نشاط واحد معقول؛ النشاط الروحى لتحقيق المسعى الكامن داخل الإنسان، أي القانون. لا أعرف ما النتائج التى سوف تترتب على مثل هذا القانون، ولا يمكننى افتراضها؛ لأن النتائج كلها زمنية، بينما النشاط الروحى غير زمنى، لكنى أعرف أن هذا النشاط وحده هو المعقول.

عليّ إمعان التفكير فى الأمر مجدداً.

سأَمْضِي لتناول الغداء. ذهبت إلى ساشا بعد الغداء. إنها مريضة. لو لم تكن ساشا ستقرأ تلك اليوميات، لكنت قد كتبت أمراً يفرحها. استعرت منها كتاب جوركي وقرأت بعضاً منه^(٣١٧). كتاب شديد السوء، ولكن أسوأ ما فى الأمر هو أن التقدير الزائف له يزعجني. عليّ أن أرى الجيد فيه وحسب. شعرت بالضعف طوال المساء.

١- بالإضافة إلى صلاة «أبانا» المعتادة فى (دورة قراءات) و(لكل

(٣١٦) فى عام ١٩١٠ لاحظوا مرور مذنب جالى بالقرب من الأرض، وكانت هناك مخاوف من الاصطدام.

(٣١٧) كتاب يتضمن قصة فارينكا أوليسوفا وقصص أخرى.

يوم)، تحتاج إلى صلاة أخرى تتسق مع حركتك الروحية. الصلوات الأربع التدريجية لديّ كانت كالآتي:

١- عونك يا مَنْ بداخلي!

٢- أعنيّ لأكون معك.

٣- أعنيّ كي أدرك نفسي عاملاً لديك وحسب.

٤- أعنيّ كي أراك في كل إنسان أتعامل معه.

١٤ يناير.

استيقظت مبكرًا. تنزهت وفكرت على نحو جيد في الآتي تحديدًا:
هناك عمل واحد كُلف به الإنسان: أن ينمو روحياً. لا يؤدي التفكير في النتائج المحتملة إلا إلى الإضرار بتنفيذ مهمتنا والأعمال، المجهولة والمعروفة لنا على السواء. «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللَّهِ». لوقا ٩: ٦٢.

يمكن أن نُشبّه وضعنا في الحياة بوضع جواد أو أي حيوان مُسَخَّر بشكل عام. إنه مفطور على التحرك والتقدم، وكذلك الإنسان مفطور على السعي صوب الكمال روحياً. الحيوان مسرج، وإن تحرك - شاء أم أبى - يُحرّك ما هو مرتبط به على الرغم من أنه لا يعرفه ولا يعرف كيف يحدث ذلك. كذلك هو الأمر مع الإنسان في نموه الأخلاقي، فهو يُحرّك معه شيئاً آخر. يراه الإنسان أحياناً. يحدث ذلك عندما تتوافق حركته مع حركة الآخرين. لذا لا يخيفني أمر المذنب في شيء. كل ما يحدث في العالم الروحي لا يمكن أن يتهدم بتهدم العالم المادي.

٢- يتضح لي أكثر فأكثر معنى الحياة في الحاضر. الحياة هي المجهود الذي أبدله في الحاضر وحسب. الحاضر روحي، لذا هو خارج الزمن. استرجاعي للماضي وتصوراتي عن المستقبل ليست إلا وسيلة نسترشد بها في حاضرنّا.

ليس حسنًا، رغم أنني عندما فكرت في الأمر بدت لي الفكر جيدة.

الساعة الآن الحادية عشرة. سأعكف على الخطابات والعمل. لا أعرف العمل الذي سأقبل عليه بعد. بدأت أراجع قليلًا (لكل يوم). خرجت بالجواد بصحبة دوشان. قضيت فترة المساء مع بوليجين. تحدثتُ مع سيريوجا. وافقني على فكرة رؤية الله في الناس. مرضت... ساءت حالة معدتي.

١٥ يناير.

لم أتعاف بعد. خطابات غير مهمة وعمل في (لكل يوم). أتممت خمسة أو ستة أيام في (لكل يوم). لم أتنزه بالجواد في أي مكان. تمشيت قليلًا. أفكار:

١- تذكرت بقوة أنني أدرك نفسي الآن في عامي الواحد والثمانين تمامًا كما أدركتها في عامي الخامس أو السادس. الوعي ثابت. لهذا تحديدًا هناك حركة؛ تلك التي نسميها: الزمن. إن كان الوقت يمضي، فهذا يعني أن هناك ما هو ساكن. يلزم أن أدرك أناي وحسب. أردت أن أقول الآتي أيضًا عن المادة والمكان: إن كان هناك ما هو موجود

داخل نطاق المكان، فهذا يعني أن هناك ما هو غير مادي وغير مكاني. لا أعرف ماذا يمكنني أن أقول أيضًا عن هذا الأمر الأخير.

سأمضي لتناول الغداء. لم يحدث شيء مهم بالمساء.

١٦ يناير.

استيقظت شاعرًا بالحيوية وقررت الذهاب إلى المحكمة في بتولا. قرأت الخطابات وأجبت عن بعضها، ثم بدأت طريقي صوب بتولا. في البداية عبّجت المحكمة بالفلاحين والمحامين والقضاة والجنود والشهود. كل هذا جديد بالنسبة لي^(٣١٨). ثم حاكموا أحد النشطاء السياسيين. إنه متهم بقراءة وتوزيع أفكار أكثر صحة وعقلانية عن تنظيم الحياة من الأفكار الموجودة فعليًا. أشعر بالأسف الشديد عليه. احتشد الناس حولي، ولكن حمدًا لله كان عددهم قليلًا. أثارني بشدة أداء القسم، لكنني أمسكت نفسي عن قول إن هذا ازدراء للمسيح. انقبض قلبي بسبب ذلك وصمتُ. حظيت في الطريق بحديث جيد مع دوشان عن ماساريك (عالم اجتماع وفيلسوف تشيكي). ارتحت في المساء ولم يسعني ألا أفرح بإصدار (دورة قراءات) بأوديسا^(٣١٩). الساعة الآن التاسعة. لم أدون أي أفكار.

١٧ يناير.

كنت في حالة مزاجية كئيبة طوال اليوم. وصل بولجاكوف برسالة

(٣١٨) في الواقع لم يكن هذا جديدًا على تولستوي، فقد حضر العديد من الجلسات إبان تحضيره لكتابة (البعث).

(٣١٩) رفضت الرقابة إصدار الجزء الثاني بموسكو، فنُشر بأوديسا.

من تشيرتكوف. لم أستطع فعل شيء. خرجنا جميعًا أنا والأطفال صوب غابة زاسيك، ومعنا أيضًا ماريا ألكسندروفنا وبولانجي.

١٨ يناير.

حالتي أكثر كآبة. أذنبت في حق متسول من تولا. بالإضافة إلى الخطابات كتبت أيضًا ثمانية أو تسعة أيام (في (لكل يوم))، وتحدثت مع بولجاكوف. أمر واحد جيد؛ أنني أدرك شعوري بالنفور من نفسي وبدناءتها، وأعرف أنني أستحق ذلك. الساعة الآن الخامسة. لم يحدث شيء مهم بالمساء.

١٩ يناير.

استيقظت شاعرًا بمزيد من الحيوية. أثناء نزهتي فكرت في أنه سيكون من الجيد لو افتتحت المدرسة ثانية؛ لأنقل ما أعرفه عن الإيمان لغيري، وأفحصه بنفسي. خطابات غير مهمة، وأكملت العمل حتى يوم ٢٠ بشكل لا بأس به. خرجت بالجواد بصحبة تانيا وساشا والأطفال ووصلنا إلى غابة زاسيك. جاءت سيدة من سيفاستوبول وأثرت فيّ. لم أتحدث معها بشكل سيئ، وقلت لها ما استطعت قوله. الساعة الآن الخامسة.

مر الأس كالمعتاد. راجعت قليلًا في (لكل يوم).

٢٠ يناير.

نمت قليلًا. عملت في (لكل يوم) قبل أن أغير ثيابي. تمشيت. متسولون بؤساء. خطابات؛ واحد منها غبي ودنيء من كوزمينسكي.

يا للخزي! ظلت فترة طويلة غير قادر على مغالبة شعوري غير الطيب الناتج عن ذلك. أنهيت (لكل يوم). جاءتني جنديّة بائسة. أعطيتها بعض المطبوعات، ثم خرجت بالجواد. جاء (ب). تعاملت معه بخراقة بعض الشيء. حالتي الروحية ليست بخير... ليست طيبة، وأنا أناضلها. حسنٌ أن شعوري بدناءتي لا يزال مستمرّاً. سأمضي لتناول الغداء.

٢١ يناير.

١- كلما ازداد تعامل الناس تحدّداً وحسماً مع مسائل مجهولة مثل الروح والله والحياة الأخرى، ازداد اتسام تعاملهم مع المسائل الأخلاقية ومسائل الحياة باللا تحدّد وعدم الحسم.

٢- ليست هناك خرافة أكثر شيوعاً من أن هناك وجوداً حقيقياً للإنسان بجسده هذا! الإنسان مجرد مركز للوعي يستوعب الانطباعات.

٣- المكان والمادة، والزمان والحركة، وكذلك العدد هي جوهر المفاهيم الأخرى غير الزمانية وغير المكانية التي ليس لدينا الحق في معالجتها، كالروح والله... يستحيل أن نقول إن الله واحد أو ثلاثة، أو أي عدد، كما يستحيل القول إن الروح سوف تكون كذا، أو إنها موجودة الآن. إن كافة هذه الظواهر مكانية أو زمانية، لذا لن يكون هناك أي معنى للتعامل بها مع ما هو خارج إطار الزمان والمكان.

٤- نتحدّث عن حياة الروح بعد الموت. ولكن إن كان للروح وجود بعد الموت، فلا بد إذن أنها عاشت قبل الحياة أيضاً. تناول جانب واحد من الأبدية هو ضرب من الجنون.

استيقظتُ اليوم على شعور غريب بعدم تذكر أي شيء، حتى أنني لم أعرف أبنائي. ألمني رأسي وشعرت بوهن شديد. لم أستطع فعل شيء، لكنني فكرت جيدًا في اقتراب الموت، ودوّنت فكرة ما. جاءني الثلاثة بول: بولجاكوف - بوليجين - بولانجي. نمت كثيرًا، وكذلك فعلت اليوم.

٢٢ يناير.

تحسنت حالتي قليلًا. على الأقل عادت لي ذاكرتي. جاءتني فتاة بائسة، كما جاءني أندريوشا. قرأت خطابات شيقة وأجبت عن الكثير منها. بالرغم من الجهل المريع الذي يتسم به الشخص الذي ينكر كل شيء نتيجة للقناعات الدينية الزائفة التي قبلها سابقًا، لكن خطابًا من أحدهم اتسم بأمر واحد رائع: عمق الفكر وجديته. سأمضي لتناول الغداء.

شعرت في المساء أنني في حال أفضل. راجعت قليلًا (لكل يوم).

٢٣ يناير.

استيقظت في تمام الصحة باستثناء حرقه المعدة والإمساك. تمشيت قليلًا في الحديقة. كتبت عزيزي سيريوجا بوليجين أفكاره بذكاء وجدية شديدين عن الله، تأثرًا بحوارنا. أردت أن أتفحص الخطابات، ولكن جاء أحد البارونات. إنسان رقيق، وسرعان ما رحل. خطابات، والكثير منها مهمة. واحد من الخطابات من توتوميانتس (أستاذ جامعي بجامعة بروكسل) يتناول مجددًا موضوع التعاونيات. أجبت عن خطابه

وخطاب جوليتسين بشكل سيئ. ازداد انجذاباً لدوشان أكثر فأكثر بسبب
جديته وذكائه ومعرفته وصلاحه. لم أنتهِ من الخطابات إلا قرابة الثانية.
عملت في (لكل يوم) وراجعتها قليلاً. كلما انهمكت في ذلك العمل،
ازددت نفوراً منه. عليّ بالأحرى أن أتحرر من ذلك بعد أن أعترف أن
كل هذا محض غباوة ولا ضرورة منه. أشعر أنني بخير، جسدياً وروحياً
على السواء. سأمضي لتناول الغداء. عملت بعد الغداء في (لكل يوم)؛
العمل الذي أصبحت أنفر منه. لعبت الورق.

٢٤ يناير.

نمت قليلاً. دوّنت فكرة ما على فراشي. كتبت خطاباً، ثم عملت
قليلاً في (لكل يوم). تمشيت صباحاً وفي منتصف اليوم. فكرت حسناً
في «الحاضر». لم أستعد بعد. أفكار:

١- إن فكّرت بجدية في حياتي وحياة العالم كله، يستحيل ألا
أعترف بوجود شيء ما تستحيل عليّ معرفته بأي طريقة؛ خاصة لأنه
شيء واحد، سواء في روحي، أو في حد ذاته.

بدالي أن هناك ما هو جديد في الفكرة، ولكن تبين أنها سيئة.

٢- باقترابي من الموت لا يسعني إلا أن أقول إنني هادئ لأنني ذاهب
إلى مَنْ أرسلني. (أسوأ من السابقة).

٣- فكّرت في كم سيكون جيداً وضرورياً وعظيم الأهمية لو كتبت
كتاب تعليم شعبي ذاتي يتضمن قواعد تتحدد بموجها المعارف طبقاً
لأهميتها وضرورتها!

٢٥ يناير.

جاء إيليوشا (ابنه إيليا) بالأمس. حمدًا لله عاملته معاملة حسنة. لقد أصبحت أشفق عليهم. يستحيل أن تنشد ما هو غير ممكن. قضيت صباحًا اعتياديًا: خطابات. لا يمكنني أن أكتب شيئًا. أود أن أكتب ولكن العزيمة والتركيز غائبان. فكرت بحيوية شديدة في الحياة خارج نطاق الزمن؛ الحياة في الحاضر المكرسة للحب وحده. لبعض هذه الأفكار صدى في الحياة. إنها الرابعة... سأتنزه. حالتي الروحية جيدة، لكنني لا أزال أشعر بدناءتي؛ الأمر الذي لا يسعني إلا أن أبتهج به.

في المساء جاء بولجاكوف والعزير سكييتروف^(٣٢٠) وحظينا بحديث جيد. قرأ علينا بولانجي كتابًا رائعًا عن البوذية. وصل سيريوجا. مساء معتاد. حالتي الروحية جيدة.

٢٦ يناير.

استيقظت مبكرًا. تنزهت. أفكار:

١- تعودنا على تصور الله والحياة الأخرى. ربما لا يسعنا إلا أن نفعل ذلك، ولكن يمكننا أن نصل إلى تلك النتائج التي تؤدي إليها فكرة الله والحياة الأخرى دون هذه التصورات. يدفعنا العقل والتجربة والشعور الداخلي إلى نفس الشيء الذي يؤدي إليه تصورنا عن الله والحياة الأخرى.

بدت لي هذه الفكرة شديدة الأهمية، وأنها تتطلب تعبيرًا واضحًا عنها. عملت في (لكل يوم). تنزهت بالجواد. وصل سيرجينكو أثناء

(٣٢٠) طالب سابق بجامعة بطرسبرج، ترك جامعته متأثرًا بأفكار تولستوي وعاش في ياسنايا مع أمه.

الغداء، ومعه الجرامافون. شعرت بالضيق. نعم... نسيت أن أقول إن خطابات مهمة قد وصلتني. بعد ذلك جاء أندريوشا وزوجته. سلكت جيدًا دون صعوبة. قضيت المساء كله أسجل على الجرامافون.

٢٧، ٢٨ يناير.

نمت جيدًا. تمشيت. أشرب القهوة وأفحص الخطابات. عكفت على مراجعة (لكل يوم) وأنهيته تقريبًا. لا أشعر بالرضى عن العمل. أظن أن خطابًا من تشيرتكوف قد وصلني بالأمس يتضمن تصويبات (الحلم). كم هذا حسن! تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. خطابات جيدة كالمعتاد. جاء بولانجي وأدلى بفكرة جيدة عن كتاب التعليم الذاتي، ولكن يجب أن أمعن التفكير في الأمر. مساء معتاد. سافرت صوفيا إلى موسكو. حمدًا لله أنا بخير.

٢٩ يناير.

ليست لديَّ رغبة في التفكير. تمشيت صباحًا في الطريق العام، وتحدثت مع سيرجي تسفيتكوف. كومة هائلة من الخطابات بالمنزل. وصلني خطاب ساحر من سميرنوف الذي رفض أداء الخدمة العسكرية. أنهيت الأيام الأخيرة من (لكل يوم). أجبته عن الخطابات. لا أريد أن أعمل شيئًا. أفكار:

١- من المهم في كل صنوف العمل أن تتمكن من التوقف أمام ما لا تعرفه، ولا تظن أنك تعرف ما لا تعرفه. ولكن أهم شيء هو أن تمنع نفسك عن المعارف المتوهمة في ما يتعلق بالدين والإيمان. يعود جنون الخرافات الدينية إلى عدم منع نفسك عن ذلك وحسب.

تنزهت بالجواد وصولاً إلى تيليانتيكي. مريوم أمس كالمعتاد.

٣٠ يناير.

أثناء نزهتي الصباحية التقيت بشانكس. بدأت أراجع (لكل يوم) ثانية بسبب خطاب إيفان إيفانوفيتش. عملت جيداً. خطابات قليلة الأهمية. وصل كل من جراوبيرجر وتوكاريف. الأخير مولوكانى (طائفة مسيحية) حر. حظيت بحديث جيد معه. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. قضيت فترة المساء بصحبة دولجوروكوف بالمكتبة. سأنام... إنها الثانية عشرة.

٣١ يناير.

جاء بوشا صباحاً. كم يتسم بالجدية والبساطة والصلاح! وصل كذلك مراسل صحفي ومصور. بدأت عملاً جديداً في دفاتر (لكل يوم) الصغيرة وأنهيت الأول منها (عن الإيمان)^(٣٢١). كان عليّ بعدها أن أذهب إلى المكتبة. أشعر بأن كل شيء من حولي مختل وغير ضروري وزائف. حديث مع دولجوروكوف والفلاحين، وصور. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. غداء ثم أمسية كثيفة بصحبة دولجوروكوف، ثم حضور بوشا وشانكس. حكى الأخيرة حكاية جيدة عن امرأة عمياء صماء بكماء، وكيف أنهم عندما حكوا لها عن الحب قالت لهم كتابة: «نعم، الأمر شديد البساطة. إنه ما يشعر به كل شخص تجاه كل...»، أما عن

(٣٢١) هذه بذرة كتاب (طريق الحياة) الذي ترجمته وصدر عن آفاق للنشر، وتختلف عن (لكل يوم) و(دورة قراءات) في أنها مرتبة بحسب الموضوع لا بحسب التقويم.

الله فقد قالت: «لقد عرفته، لكنني لم أعرف ماذا أسميه» (٣٢٢).

رحل الجميع.

١ فبراير.

نمت جيداً، واستيقظت شاعراً بالحيوية، ولكن في ساعة متأخرة. فكرت في فكرة، لم أصل بعد إلى نهايتها، لكنها جيدة جداً وشديدة الأهمية. سأحاول استرجاعها. خطابات. بدأت بعد ذلك في كتابة شهر فبراير (في: لكل يوم)، وصولاً إلى يوم ١٩. نمت. سأغدى. مساء معتاد. لا أتذكر تفاصيله.

٤ فبراير.

غريب أنني فوّتُ يومين. في يوم ٢ كتبت خاتمة الدفتر الثاني (عن الروح). تنزهت بالجواد. لم تصلني خطابات هامة. كتبت شيئاً ما عن الخرافات. مساء معتاد.

في يوم ٣ وصلت صوفيا. سعيد بعودتها. كتبت الدفتر الثالث (روح الله في الجميع). ليس حسناً؛ نمطي، لكنني سأصلحه. ذهبت إلى بعض الأيتام بقرية أوزيركي. أفكار:

١ - كم يهم أن أتذكر أن الكمال ليس مطلوباً منا بل الاقتراب منه بقدر المستطاع، كما هو الحال معي في عملي الحالي! افعل ما بوسعك فعله، ودع غيرك يفعل أفضل ما بوسعه (بالإنجليزية). من المهم جداً تذكر ذلك.

(٣٢٢) يدور الحديث عن هيلين كيلر.

٢- إن فكّر المرء في المستقبل، كيف لا يفكر في المستقبل الذي لا مناص منه: الموت؟! رغم ذلك لا يفكر فيه أحد. إن التفكير فيه ضروري وجيد للروح، بل ويبعث فيها العزاء.

عدت الآن من نزعتي، وسأعكف على العمل.
عملت كثيرًا في الدفتر الرابع بعنوان (الله). أشعر أنني في حالة بالغة السوء. لم أتناول الغداء. أمسية معتادة. قرأت ولعبت الورق.

٥ فبراير.

نمت طويلًا. أفضل حالًا، لكن اضطراب المعدة لا يزال على حاله. عرجت على دوشان في عيادته. (٣٢٣). أمر يُحسد عليه. جهزت بعض المواد للدفتر الخامس (الحب). تمشيت. انشغلت كثيرًا بفكرة التعبير عن ألمي في الحياة. يا للخزي! شعرت بالضيق من خطاب من إحدى الطالبات بخصوص نقل ملكيتي لأسرتي. سأمضي لتناول الغداء.

٨ فبراير.

فوتُ يومين. لا أذكر ماذا حدث أول أمس. أعرف أنني كتبت الدفتر السادس. بالأمس جاء شميلكوف من القوقاز. إنه إنسان متدين. جاء بوليجين. وصلني خطاب مؤثر من فيلتين. مرضت، لكنني كتبت الدفتر السابع، ويبدو أنه سيكون جيدًا. كتبت اليوم الدفتر الثامن. يبدو أن مقالتي شديدة الحماسة (٣٢٤). مداخلة مؤثرة من قبل ساشا. جئت لتوي

(٣٢٣) مصحة افتتحها دوشان بياسنايا لعلاج الفلاحين بالمجان.

(٣٢٤) مقتطف من يومياته نشره تشيرنكوف في لندن ١٨٩٩، وترجم إلى الروسية ونشر في ٦

فبراير.

من عند ماريا ألكسندروفنا، وسأنام قبل الغداء.

١١ فبراير.

فَوْتُ يومين مجددًا. لا أعرف عدا أنني كنت في حالة معنوية سيئة خلال هذين اليومين. لكنني عملت وكتبت يومين، بل إنني كتبت يومين آخرين اليوم. جاء بولانجي أول أمس. لا بد أن أكتب مقدمة لكتابه عن البوذية. هناك شيء آخر ضروري. الأمر الرئيس هو أن المعاناة الناجمة عن خطايا الناس - بما فيها خطاياي - تود أن تفصح عن نفسها أكثر فأكثر؛ تلك الخطايا التي تُقسّم الناس وتعذبهم. فكرت اليوم بأوضح ما يكون في ذلك من خلال عمل (مذكرات خادم). كم يمكن أن يبدو حسنًا! أعدت قراءة دوستويفسكي... ليس مناسبًا^(٣٢٥). الجميع مرضى بالمنزل: دوريك^(٣٢٦) - تانيتشكا الصغيرة (حفيدة تولستوي من تاتيانا) - ساشا (ألكسندر ابنه). واصلتني تحية *D'Estournelles*^(٣٢٧) وخطابات مسيئة. صوفيا ذاهبة إلى موسكو. أفكار:

١ - نسيت فكرة مهمة راودتني اليوم عن الله والإيمان.

٢ - إن كان الوقت يمر، لا بد إذن من وجود شيء ثابت؛ إنه الوعي بأننا. إن كانت هناك مادة في نطاق المكان، لا بد إذن من وجود خارج نطاق المكان؛ إنه وعيي مجددًا.

٣ - كما أن كل شيء في العالم المادي يجذب صوب الآخر،

(٣٢٥) يقصد غير مناسب للاقتباس منه في كتاب (طريق الحياة) (الدفاتر).

(٣٢٦) ابن ميخائيل سوخوتين زوج تاتيانا ابنة تولستوي، من زواجه الأول.

(٣٢٧) سفير فرنسي سابق بلندن، وقد زار في ذلك الوقت روسيا.

كذلك هو الأمر في العالم الروحي.

تنزهت بالجواد أمس وأول أمس، أما اليوم فلم أفعل ذلك. الساعة الآن الخامسة، سأتمشى.

شعرت بحيوية شديدة بمدى ما تسديه لنا من خير فكرة أنك مُعرّض للموت في كل دقيقة.

رحلتُ صوفيا. أخبرتها بالأمس برغبتني، وحكيت لها عن ضيقي من أن (دورة قراءات) تُباع بأسعار غالية. أخذت تقول إنه لم يعد لديها شيء، ورفضت بحزم.

وصل الطبيب... الجميع مرضى. رحلت صوفيا.

١٢ فبراير.

مرضت بشدة بالليل. آلمني جانبي، بالإضافة إلى حرقة المعدة وسعال. نمت قليلاً. الطقس سيئ، والرياح قوية. تمشيت قليلاً وكتبت خطاباً سيئاً لبولانجي عن البوذية. راجعت دفترًا وكتبت الدفتر الثالث عشر. خطابات كثيرة وجميعها مهمة. أجبت عن بعضها. لم أخرج قبل غفوة الغداء، ونمت، وها أنا ذاهب لأتغدى. حالتي الروحية جيدة. التقيت بصبي متشرد بائس للغاية من عمال المطابع، وقد صدر حكم بنفيه. كتبت ستة خطابات أخرى بالمساء. آلمني حلقي، لكنني بخير تمامًا. ساشا الآن أفضل حالاً.

١٣ فبراير.

نمت نومًا جيدًا، وفكرت في الآتي تحديدًا:

١ - بالنوم أفقد الوعي بذاتي التي كانت مستيقظة، وبالموت أفقد هذه الحياة نفسها التي كانت لذاتي. ولكن كما أنه في النوم لا يتهدم كيان الشخص الواعي، كذلك هو الأمر مع الموت. أما سؤال: ما طبيعة هذا الكيان الذي يعي، فهذا ما لا أعرفه ولا يمكنني أن أعرفه.

فكرت خطرت على ذهني: حسناً، إن روحي هي الكيان الذي يعي، وهي لا تموت، لكنها تظهر في مكان ما مجدداً (وللأسف لا مناص من اللجوء هنا أيضاً إلى مفاهيم زمانية ومكانية). ولكن طالما أنني لا أتذكر أناي السابقة، فهذا يعني أنها لم تعد أناي، وهذا يعني أن بالموت يتلاشى وعيي. أيًا كانت الأنا التي ستظهر بعد الموت، ليس هناك وجود إذن لذلك الجوهر الذي يشكل أناي. ولكن إن كان الأمر كذلك سيتبادر إلى الذهن سؤال: ما طبيعة أناي إذن التي تظهر فجأة مع الولادة؟ ما هذه الأنا؟ مما تشكلت؟ وكيف يمكن لهذه الأنا التي ظهرت بشكل غير مفهوم خارج نطاق الزمن ألا تتلاشى بطريقة غير مفهومة كذلك خارج نطاق الزمان؟

حسناً... سأموت، ولكن لماذا لا تصبح كل حياة أخرى بعد موتي حياتي؟

هناك فكرة هنا، ولكن لا يسعني التعبير عنها وفهمها بوضوح.

٢ - فكرت كذلك في فقدانني للذاكرة. نسيت وأنسى كل ما شكّلني أنا ليف نيكولايفيتش. ما الذي يبقى إذن؟ يبقى شيء شديد الأهمية، بل هو أهم شيء؛ إنه ذلك ما تجلّى بولادتي في هذا العالم، لا ذاك ما كان أو ما سيكون، بل ما هو كائن. هذا الشيء هو حياتي؛ حياتي أنا وحدي،

وهي تنتمي إليّ بلا شك، ولكن لماذا لا تعد كل حياة أخرى حياتي؟ إني أعي ذلك بالحب. عبّرت مجدداً بشكل غير واضح، لكنني أفهم ما أريد قوله (بالفرنسية).

٣- لقد حوّل الناس ضغيتهم وانتقامهم إلى أمر مشروع أطلقوا عليه العدالة... العدالة وكل دناءتها! ويعزّون ذلك إلى الله! يا لها من حماقة!

دوّنت ذلك صباحاً. تمشيت ثم انشغلت بالخطابات، وكتبت يوماً (في: لكل يوم) على نحو سيئ. لم أتمه. أنا قلق على ساشا. تانيتشكا أيضاً مريضة بالحصبة.

١٤ فبراير.

استيقظت شاعراً بالضعف. ساشا وتانيتشكا لا تزالان مريضتين. طقس سيئ، لكنني أضبط نفسي رغم سوء حالتي المزاجية. وصلني خطاب لطيف من صوفيا. كتبت يوماً آخر مجدداً بطريقة ما، لكنني غير راضٍ عن التقسيم نفسه. الساعة الآن العاشرة. أشعر بالضعف.

١٥ فبراير.

لم أستيقظ مبكراً. كتبت خطاباً لخيريakov. جاء عامل يرغب في المكوث والعمل في الأرض. يريد التأثير على الناس. دار بالأمس حوار جيد مع بولجاكوف عن دعوته المنتظرة^(٣٢٨). أعدت قراءة بعض الخطابات غير المهمة، وسأعكف على العمل. أفكار:

(٣٢٨) الإشارة إلى اقتراب موعد تجنيده، ورفضه المنتظر لأداء الخدمة العسكرية.

١- يسوءني العيش لأن الحياة شريرة، وهي كذلك لأننا نحن البشر نعيش بشكل شرير. لو كنا قد عشنا بصلاح، لكانت الحياة جيدة ولم أكن لأحيا حياة شريرة. أنا واحد من الناس، ولا يمكنني أن أجبرهم جميعاً على عيش حياة صالحة، لكنني أستطيع إجبار نفسي على ذلك، وهذا في حد ذاته يُحسّن حياتي وحياة الناس على السواء ولو قليلاً. ما يؤكد على ذلك على نحو خاص هو أن الناس لو كانوا قد تبنوا جميعاً هذه الفكرة، وهي فكرة صحيحة بدرجة لا تقاوم، لاتسمت حياتي وحياة الناس بالصلاح.

كتبت مجدداً يوم ١٧ دون تبسيط. أشعر بالتأثر والقلق على ساشا. أنا سعيد بحبي لها، وأوئخ نفسي على أنني أحبها بشكل خاص، ربما أكثر من حبي للآخرين. أكتب ذلك وأشعر بالهلع. فلكن إرادتك!

عملت مجدداً في المساء. مواجهة الخطايا بإنكار الذات - مواجهة الإغواء بالتواضع - مواجهة الخرافة بالإيمان بالعقل - مواجهة التعاليم الزائفة بالإيمان بالحقيقة. سأنام.

١٦ فبراير.

حي لكني مريض. أظن أن حالة ساشا تحسنت قليلاً. عادت صوفيا. كتبت يوماً آخر، ولكن على نحو سيئ. لم أجب عن الخطابات التي وصلتني. ضعف. مقالة تشيرتكوف (رقابتان على تولستوي) جيدة جداً. تقول صوفيا إن علاقة إيفان إيفانوفيتش بشيرتكوف ليست جيدة. جاء بولانجي. لست راضياً عن مقالتي^(٣٢٩). أشعر بالكآبة بعض

(٣٢٩) يقصد مقدمته لكتاب بولانجي عن البوذية.

الشيء، حيث يغيب عني الاهتمام بأي مصالح عملية، بينما تعاملني مع الناس قائم على هذه المصالح. سأنام.

١٧ فبراير.

وصلني خطاب مؤثر من طالب من كيف يحاول إقناعي بترك المنزل وعيش حياة فقيرة. تحسنت حالتي الصحية. انهمكت طوال الصباح في مراجعة خطابي عن البوذية والرد على الخطابات الواردة. ساشا ليست أفضل حالاً. أحاول تمالك نفسي. الساعة الآن السادسة. تمشيت قليلاً ونمت. عملت مجدداً في المساء، ولا يزال التقسيم يبدو لي غير واضح (يقصد في كتاب طريق الحياة).

١٨ فبراير.

لم أستطع النوم حتى الثالثة. انهمكت اليوم منذ الصباح في كتابة دفاتر (عن الحياة). لا أزال أحاول إيجاد حل لتقسيم الكتاب. خطابات غير مهمة. راجعت قليلاً في مقالتي عن البوذية. تمشيت قليلاً. ساشا في حالة أفضل، لكن خوفي لا يتوقف عليها. فكرت في أمر ضروري جداً، سأحاول استدعائه إلى ذاكرتي. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

١٩ فبراير.

أكتب شاعراً بالضعف قبل النوم. عملت بكد في الدفاتر. تنزهت بالجواد. جاء ميتاشا (ديمتري أوبولنسكي). لا أستطيع مغالبة مشاعري غير الطيبة. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. فكرت حسناً في جنون الحياة الشخصية، والأمر لا يقتصر على خدمتها هي وحسب، بل كذلك الحياة

العامة الزمنية التي لا يعرف أحد شيئاً عن خيرها ولا يمكنه أن يعرف. يمكنني أن أخدمه هو وحسب، أو بالأحرى أفعل ما يتوجب عليّ فعله لتحقيق أهداف خيرة، ربما لا تتعلق بي، لكنها تتسق دائماً مع خيري الحقيقي.

٢٠ فبراير.

ساشا لطيفة وجميلة، والأكثر إثارة للهلوع في اللحظات السيئة هو أنا لا هي. أعمل بكدّ على دفاتري. أنهيت ٢٨ دفترًا. يروق لي دفتر (عن الحاضر). وصلني خطاب من تشيرتكوف. جاءني يهودي دانماركي مثير جدًّا للاهتمام. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان، ثم جاء جولدنبلات. سأنام. ساشا أفضل تمامًا.... هذا حسن.

٢١ فبراير.

الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام. وصلني خطابات جيدة. أنهيت كافة دفاتري. تنزهت بالجواد. حالة ساشا لا تزال سيئة. فكرت في الخلاص^(٣٣٠). قضيت المساء بصحبة آل مولوستوفوف.

٢٤ فبراير (٢٢-٢٤).

فوتُّ يومين. حالتي الجسدية العامة سيئة، وكذلك حالتي المعنوية. تحسنت حالة ساشا. لا أتذكر ماذا حدث في هذين اليومين على نحو جيد.

في يوم ٢٢ التقيت صباحًا ببحار سياسي. وجّهته إلى الذهاب

(٣٣٠) الهروب من المنزل.

إلى تيليأتينكي وكتبت عنه لتشير تكوف. غداء ثم أمسية بصحبة آل مولوستفوف. لا يمكنني طوال الوقت تجاهل آراء الناس. ذهبت إلى تيليأتينكي بصحبة بافليتش. في يوم ٢٣ تمشيت طويلاً للقاء فيل. أظن أنني راجعت خطابي لبوسي وبقية خطاباتي. ذهبت إلى أوفسيانينكوفو. أنهيت في المساء خطابي لبوسي. قرأنا في المساء مقالة عن (المتراس)^(٣٣١). كتبت خطاباً لإلياس لير (كاتب نمساوي) عن ماساريك (عالم اجتماع وفيلسوف تشيكي). آلمتني قدمي. اليوم ٢٤، بيّضت كافة خطاباتي وأنهيت خطابي لبوسي تماماً. كتبت بضعة خطابات أخرى. مريض لكني متماسك. الساعة الآن الرابعة. في المساء قرأت عن بورج، وكتبت خطاباً لجالبيرين^(٣٣٢).

٢٥ فبراير.

نمت نومًا سيئًا جدًا. حالة عجيبة: أرى نفسي في الحلم شابًا تمامًا. استيقظت مبكرًا. تمشيت. حظيت بحديث جيد مع سكير اعترف بأنه يغوي النساء، يغسلهن من كل دناءاتهن ويسرف في الشراب. طوال اليوم في حالة مزاجية شديدة السوء. أنهيت قصة (خودينكا)، شديدة السوء. كتبت على فراشي ردًا على ميلنيكوف. لم أخرج صباحًا. قرأت في المساء كتابًا فلسفيًا بترشيح من دوشان، وكتبت خطاباً للتشيكيين. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

(٣٣١) مسرحية للكاتب الفرنسي بول بورجيه.

(٣٣٢) أديب روسي عاش في فرنسا وترجم بعض أعمال تولستوي إلى الفرنسية.

٢٦ فبراير.

أشعر بضعف شديد. لم أتناول شيئًا. أهىء نفسي للموت، لكن على نحو سيئ. لا أشعر باللامبالاة. راجعت دفتر (عن الله). المراجعة سيئة، ولكن الدفتر ذاته جيد. تنزهت صباحًا. طلب مني يهودي أن أقدمه لبعض الأدباء. غضبت قليلًا. لم أتمالك نفسي كذلك على الغداء. كتبت في دفترتي فكرتين، لكنني لم أعُد نسخهما؛ واحدة عبارة عن حكاية رمزية حلمت بها. لم أرَ ساشا. أحظى الآن بنوم أفضل قليلًا. سأكتب.

٢٧ فبراير.

استيقظت شاعرًا بمزيد من الحيوية. خرجت لأتمشى. وصلني بعض القوزاق. يريد الواحد منهم تأسيس ملكوت الله على الأرض، ويخلطون ما هو ديني بما هو دنيوي، ويعتمل في داخل الفرد منهم مزيج من الاهتمام بنيل مديح الناس والرغبة في تنظيم المجتمع، رغم ذلك تأثرت بهم. عملت في دفاتر: الله - خطايا وإغواءات وخرافات.... دفاتر سيئة. وصلني خطاب من تشير تكوف وخطابات أخرى غير مهمة. أجبت عن خطابي لابشين ومحرر جريدة (روسيا الجديدة). لم أتمهما ونمت قبل الغداء، والآن أنا ماضٍ لأتعدى. أفكار:

١ - «النوم، وكذلك الموت، يعني فقدان الوعي بالأنأ. ما هذه الأنأ؟» هذا ما كتبت في دفتر أفكاري، لكنني لا أستطيع الآن تذكر بقية الفكرة.

٢- لست أنا الموجود، بل ما بداخلي.

٢٨ فبراير.

استيقظت شاعرًا بالحيوية. تمشيت كثيرًا. كتبت بعض الخطابات. ودّعت القوزاق والبحار، وكذلك أحد الأوكرانيين السكارى بصحبة زوجته. نهضت ساشا. سأخرج على المزلجة، ولكن بعد الإفطار. خرجت بالجواد بصحبة لينا. قضيت وقتًا لطيفًا في المساء مع ساشا. قرأت ^(٣٣٣) Super tramp. هراء إنجليزي بمقدمة من برنارد شو.

١ مارس.

استيقظت شاعرًا بالحيوية. دوّنت شيئًا ما، لم أستطع نسخه هنا. تنزهت. خطابات مهمة، أجبت عنها بإخلاص. حمدًا لله يزداد تذكري لأن الحياة أمام وجه الله وحده، وأتذكر موتي دائمًا. راجعت على نحو سيئ (إرضاء الجسد). ذهبت بالجواد بصحبة دوشان إلى بوديفانكوف. أخشى أن أكون قد أُصبت بالبرد. صوفيا مريضة. عدت في وقت متأخر. لم أستطع النوم. سأذهب للغداء. أتذكر فكرة واحدة:

حاون الوقت للاستيقاظ؛ أي الموت. تمر بي لحظات نادرة أشعر فيها بأن اليقظة أكثر واقعية من الواقع نفسه.

انهمكت في القراءة بعد الغداء، ولم أفعل شيئًا آخر.

(٣٣٣) عمل للأديب الإنجليزي و. ه. ديفيز.

٢ مارس.

استيقظت مبكرًا. أشعر بضعف شديد. كتبت بضعة خطابات. راجعت دفترًا من الدفاتر. نمت في الثالثة من فرط الضعف. ذهبت بالجواد إلى كوزلوفكا. تغديت. وصل شيستوف. لا يثير اهتمامًا كبيرًا كأديب، وليس فيلسوفًا بأي حالة من الأحوال.

حمدًا لله أتذكر جيدًا أنني أعيش أمام وجه الله وحده. كم يجعل ذلك الحياة يسيرة! أفكر في ذلك وآمل أن يتحول إلى عادة.

الساعة الآن العاشرة. ساشا بصحة جيدة وتخشى من بولجاكوف^(٣٣٤).

٣ مارس.

لا أزال في نفس الضعف. بالرغم أن حالتي قد تكون تحسنت قليلًا لكنني لا أعمل. راجعت دفترًا واحدًا على نحو سيئ. كتبت خطابًا واحدًا غير مهم. مضيت أنا وبولجاكوف بعيدًا على متون الخيل. أفكار:

١ - بعض الناس يفكرون من أجل أنفسهم، وعندما تبدو لهم أفكارهم جديدة وضرورية، ينقلونها للناس. فريق آخر لا يفكرون إلا في نقل أفكارهم للناس، ويعتبرون تلك الأفكار حقيقية خاصة عندما يمتدحها الناس. سأمضي لتناول الغداء.

(٣٣٤) يقصد أن بولجاكوف أصبح هو معاونه بدلًا منها أثناء مرضها، لذا فإنها تخشى ألا يعود تولستوي بحاجة إليها في عمله.

٥ مارس (٤، ٥).

كان يوم أمس أسوأ الأيام. عملت قليلاً. كتبت بضعة خطابات. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. التقيت لديها بفلاح رائع من تامبوف يُدعى أندريه تاراسوف. شخصية ذكية وصلبة. وصلني خطاب أيضاً من دوسيف. جاء جولدنفائزر في المساء. اضطربت بسبب عزفه... يا للخزي!

اليوم حالتي أفضل. كتبت بضعة خطابات وعملت في الدفتر العاشر. ذهبت إلى تيليأتينكي بصحبة أندريه تاراسوف، وتحدثت معه بسرور ومع سيربوجا بوبوف. في المساء قرأت رواية شيقة *Ecce sac-* (٣٣٥) *erdos*. سأنام الآن.

٦ مارس.

استيقظت شاعراً بمزيد من الحيوية عن الأمس. تمشيت بعيداً، ثم انشغلت بخطاب؛ إنه اعتراف ثوري سابق أثر فيَّ بشدة (٣٣٦). يأتي حينٌ ترى فيه ثماراً مفرحة ومبهجة جداً. راجعت بعد ذلك الدفترين الثاني عشر والثالث عشر. خرجت بالجواد، وقضيت فترة قصيرة، لكنني سررت بها بشدة. سأنام الآن قبل الغداء. وصل ستاخوفيتش. كم أشعر بالغربة وسط هذا الترف والجو الأرستقراطي! سأنام. رحل سوخوتين وبولجاكوف.

(٣٣٥) للروائي الألماني Josef Baitz.

(٣٣٦) جندي بلغاري حُكم عليه بالسجن أربعة أعوام؛ لرفضه أداء مهامه العسكرية. أرسل الجندي خطاباً لتولستوي وأخبره فيه أنه فعل ذلك تأثراً بأفكاره.

أظن أنني كتبت بالأمس خطابين. خرجت بالجواد بصحبة دوشان. قرأت أوراق ألكسندرا أندرييفنا (ابنة عمه)، واختبرت شعورًا قويًا جدًا: أولاً شعور بعاطفة رقيقة من الذكريات الحسنة. ثانيًا: شعور بالحزن لإدراكي بوضوح كم هي بائسة، لم تستطع أن تنحي عنها الإيمان بالفداء وكل ما يتعلق به لأن ذلك سيتطلب منها أن تدين كافة حياتها وتُغيّرَها إن أرادت أن تكون مسيحية حقًا وتنعم بتواصل حقيقي بالله. يمكن لغير المتدينين أن يعيشوا من دون إيمان، لذا ليس لديهم ما يدفعهم إلى قبول الإيمان بسخافات، أما هي فتحتاج إلى الإيمان، وفي الآن ذاته من شأن الإيمان العقلاني أن يدينها. لذا آمنت بسخافات، ويالها من سخافات! الأمر الثالث الذي اختبرته هو الوعي بالآتي: كم يفتقر البرهان الخارجي على إيمان المرء وإدانة الآخرين إلى القدرة على الإقناع وكم يتسم بالتقلقل! إنها تدفع نفسها دفعًا بيقين إلى طريقها هذا، وتدين الآخرين بحسم. رابعًا: شعرت أنني كنت مخطئًا في الكثير من المرات، وأني لم أتحلّ بالحذر الكافي عند التعامل مع إيمان الآخرين، حتى وإن تعلق بالعلم.

قضيت المساء بصحبة ستاخوفيتش. أخبرته ما يتعلق بالترف، لكنك لا تستطيع مغالبتة بتركيبته الإيمانية هذه المؤلفة من نزعة أرستقراطية وفنية وأرثوذكسية. رغم ذلك هو عزيز عليّ.

نهضت اليوم شاعرًا بالحيوية أكثر من الأيام الماضية. خطابات واحد منها جيد جدًا من أحد الفلاحين، ثم عملت في دفتر (خرافة العقاب).

وصل إيفان إيفانوفيتش وعزيزي نيكولايف. وصل كذلك سيريوجا بوبوف وأندريه تاراسوف. حالتي العصبية ضعيفة. أرغب طوال الوقت في البكاء أثناء قراءة كتاب البوذية، وأثناء توديعي لتاراسوف. وصلني خطاب طويل وجيد من تشير تكوف. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. نمت قليلاً، وها أنا ماض للغداء.

عاودت في المساء قراءة خطاباتي إلى ألكسندرا أندريفنا بتأثر شديد. واحد منها عن أن الحياة كدح وصراع وخطأ، ولم أكن لأقل الآن أمراً مختلفاً عن ذلك. قررت أنا وإيفان إيفانوفيتش أن نطبع الدفاتر.

٩ مارس.

استيقظت مبكراً جداً. فكرت في خطابي لياباني. خطابات. إلام أخصص ١٥ ألف روبل^(٣٣٧)؟ تنزهت بالجواد. أنهيت الدفتر الخامس عشر. في روحي وعي شديد القوة بما يجب أن تكون عليه الحياة. لا أدري كيف يمكنني أن أعبر عن مدى قوة شعوري بقوة وعيي بالحقيقة وخدمتها. أفكار:

١ - عن اللا أخلاقية في الحلم...

لم أقض مساءً وقتاً شيقاً مع زوسيا ستاخوفيتش وبولانجي، لكنني حظيت بحديث جيد جداً مع إيفان إيفانوفيتش. أرسلت خمسة دفاتر للطباعة.

(٣٣٧) المبلغ يتعلق بخطاب أرسله ضابط سابق إلى تولستوي، تأثر بأفكاره بشدة ويسأله عن المجال الذي يمكن أن يخصص إنفاق ١٥ ألف روبل عليه.

١٠ مارس.

استيقظت مبكرًا مجددًا. التقيت بتانيا وزوجها. خطابات؛ واحد منها مريع، مرسل من شاب مستعد لقتل شيخ ليختبر مدى نضجه! انشغلت قليلًا بالعمل في الدفتر السادس عشر. خطاب من تشيرتكوف. كتبت ردًا على خطاب أحد اليابانيين، وخطابًا عن فظائع الحضارة المسيحية، وردًا بخصوص الـ ١٥ ألف روبل. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. سأنام. غداء، ثم شطرنج ثم ثرثرة فلعب ورق وجرامافون. شعوري بالخزي والدناءة يعذبني. يكفي ذلك. سوف أقرأ.

١١ مارس.

استيقظت مبكرًا في تمام الحيوية، وتمشيت في هذا الطقس الفاتن. خمسة متسولين. واحد منهم بائس، لكنني شعرت بالأسف عليه لأنني تحدثت معه. كنت لأشعر بالأسف عليهم جميعًا لو توجهت صوبهم توجهي صوب ساشا. أفكار:

١- عن النوم: بمرور الوقت يزداد فهمي أكثر فأكثر لأن النوم واليقظة ليسا مجرد شبيهين بالحياة والموت، بل هما أكثر من ذلك. كما أنني باستيقاظي من النوم أدلف إلى حالة من الوعي أكثر وضوحًا وفعالية من حالتي أثناء النوم، كذلك هو الأمر مع الولادة. ما إن أستدعي إلى ذاكرتي أمرًا مما حدث قبل ولادتي، كذلك أتذكر أحيانًا في الواقع ما رأيته أثناء نومي. وكما أنني عندما أستيقظ كل يوم أفقد وعيي، كذلك هو الأمر مع الموت.

لا... هذا ليس صحيحًا، ولكن وجه الشبه ينحصر في أنني أكتسب في النوم وعيًا أدنى مما يمكن أن أكتسبه بالموت. أفقد الوعي، والأمر لا يقتصر على أن ليس في هذا فقدان ما يسوءني، بل هو أمر مرغوب دائمًا. الأمر دائمًا بمثابة راحة للاستعداد لحياة أفضل.

لا.. فشلت في التعبير. أنهكت.

٢- لقد جعلت الثورة شعبنا يرى فجأة مدى الوضع المجحف الذي يكتفه. الأمر يشبه حكاية الملك والثياب الجديدة. الطفل الذي قال إن الملك عارٍ هو الثورة. تنامي وعي وسط الشعب بالكذبة التي اكتشفهم، وقد تعامل الناس مع ذلك بطرق مختلفة، وللأسف تعامل القطاع الأكبر منهم معها بضغينة. لكن الشعب بأكمله يدركها الآن، وأصبح من المستحيل أن يتلاشى هذا الوعي الآن. ما تفعله حكومتنا بمحاولتها قمع هذا الوعي الذي لا يمكن قمعه بالكذبة غير المحتملة التي اكتفت الشعب، يزيد من قدرها ويستثير مزيدًا من الضغينة صوبها. سأعكف على الخطابات والعمل.

اتضح أن حالة الحيوية التي راودتني لم تكن حقيقية. لم أفعل شيئًا تقريبًا، سوى الخطابات. تنزهت بالجواد. لا أذكر ماذا حدث في المساء... نعم، قرأت خطاباتي لألكسندرا أندريفنا.

١٢ مارس.

مرضت بشدة. نمت حتى العاشرة. خطابات. عملت قليلًا على خطابي لياباني، ولم أنهه بعد. نمت مجددًا. في المساء قرأت الخطابات،

وأثّرت فيّ بشدة. كتاب رائع عن البراهمانية^(٣٣٨) أثار أفكارًا كثيرة في ذهني:

١- عن مدى أهمية مفهوم الله، وعن أننا لا نقدر ما وُهبنا إياه، ليس ذلك وحسب، بل إننا ننحيه عنا بكل ثقة بسبب الحماقات التي ارتبطت بهذا المفهوم.

٢- عن فكرة كيف حدثت حركة عكسية في تطور الأديان: البراهمانية- الزرادشتية- اليهودية- البوذية- المسيحية- الإسلام، ولماذا حدث ذلك؟ لأن الوعي الديني أصبح في علاقة عكسية مع إجراءات التحسين العملية للحياة. لقد وصل الناس في زماننا إلى درجة من الحماقة جعلتهم يفترضون أن التطور يحدث في العالم المادي بلا بداية أو نهاية، زمنيًا ومكانيًا.

قرأت مجددًا خطاباتي إلى ألكسندرا أندريفنا.

١٣ مارس.

حالي الصحية أفضل. عملت مجددًا في خطابي إلى ياباني. الخطأ الذي ارتكبته هو أنني أملت الخطاب دون أن أمعن التفكير. راجعته وأنهيته بصعوبة.

راجعت دفترًا واحدًا (الجهد). ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. نمت. لا أزال مريضًا. سأمض للغداء.

The Light of Truth, Lahore, 1906. (٣٣٨)

فَوْتُ ثلاثة أيام. اليوم هو الرابع. الساعة الآن الرابعة من يوم ١٧ مارس. كنت مريضاً طوال الأيام الثلاثة الماضية. عملت على نحو سيئ في خطابي إلى ياباني، ومقدمتي لـ (لكل يوم) والدفتري السادس عشر. جاء ألكسندر ستاخوفيتش. طوال الوقت كنت في حالة مزاجية كئيبة. حمداً لله، استجمعت بالأمس شتات نفسي في علاقتي بأهم الأمور. هذه هي مادة العمل الذي ينتظرني، وأنا مثقل بها. قبضوا على مولوتشنيكوف. جاء عزيزي بيريفوزنيكوف. كتبت خطاباً لتشيرتكوف. عاودت الآن الكتابة في المقدمة. أملي مولوتشنيكوف. يبدو أن المقدمة أفضل، ولكن بشكل عام، كل هذا العمل في (لكل يوم) أصبح يثقلني. هناك نوع من الحذقة والدوجمائية في العمل. أشعر بالدناءة بشكل عام. قراءة خطابات لألكسندرا أندريفنا وقراءة أفكار ليسكوف بعثت في انطباعين قويين، وشعرت أنني أقرأ لنفس الشخص.

يبدو أن لدي الكثير من الأفكار:

١ - لو لم يعرف المرء شيئاً عن حياة الناس في عالمنا المسيحي، وقالوا له: يعيش القطاع الأكبر من هؤلاء الناس الذين نظموا لأنفسهم هذه الحياة، أي ٩٩٪ منهم أو ما يقرب من ذلك في عمل بدني متواصل وحاجة شديدة، أما بقيتهم، الـ ١٪ يعيشون في ترف وتبطل. فإن كان لهؤلاء الـ ١٪ دينهم وعلمهم وفنهم، فترى أي دين وعلم وفن لديهم؟ أعتقد أن الإجابة لا بد أن تكون واحدة: مشوه وفساد.

٢- كم يصعب على المرء أن يحب، أو حتى لا يكره إنساناً منفراً مفرط في الثقة في نفسه وغبي! صعب ولكن ما العمل؟ إن هذا هو عمل الإنسان الرئيس.

٣- وُهب الإنسان أفضل شيء، حيث لا يمكنه أن يتخيل ما هو أفضل من ذلك. وتجده يقول: ليس حسناً... هذا قليل! تُعطى امرأة قماشاً فتقول: أريد أسمك من ذلك. تعطيها خاتماً تقول لك: أريد المزيد. إن لم يوقظوك أيها الأحق، لظلمت نائماً ولم تكن لتعرف أو ترى شيئاً مما تعرفه وتراه الآن. إن عملك هو أن تستفيد قدر الإمكان مما وُهِبَ إياه، لكنك تقول: هذا ليس حسناً!

٤- إن أردت أن تفهم أي شيء مادي - مهما كان - عليك أن تعرف منشأه وسبب ظهوره وعلاقته ببقية الأشياء. بالنسبة لمنشأ كل غرض مادي وسبب ظهوره، هذا أمر محجوب عنا في غياهب لا نهائية الزمان. بالنسبة لعلاقة هذا الشيء المادي بغيره من المواد، هذا أيضاً أمر يتعذر اكتشافه، فكافة المواد تتحلل إلى أجزاء لا متناهية الصغر، وتنمو لتصل إلى أحجام عظيمة. إذن لا يمكننا أن نعرف أو نفهم منشأ المواد أو سبب ظهورها أو علاقتها ببعضها.

تعد فترة وجود جسدي البالغة سنواته ٨١ عاماً، بل وفترة وجود كوكبنا الأرض كله، حتى إن امتدت إلى مليارات السنين، محض لحظة لا متناهية الصغر وسط الزمان اللا نهائي. لذا لا يمكن معرفة أو فهم سبب وجودي والأرض وكل ما هو موجود في هذا العالم. كذلك فإن جسدي والأرض من حيث ماديتهما داخل إطار المكان، وأي مادة

أخرى، ليسوا بمثابة حبة رمل صغيرة وسط عالم لا نهائي وحسب، بل هي لا شيء. المذهل في الأمر ليس لا نهائية الزمان والمادة في المكان، بل لا نهائية حماقة البشر الذين يعتبرون الظواهر المادية هي أكثر ما يفهمونه، وأن الحياة يمكن تفسيرها تمامًا دون الحاجة إلى الاعتراف بوجود أي عامل روحي.

٥- الحياة بالنسبة للفلاح هي عمل قبل أي شيء آخر؛ عمل يمنحه فرصة مواصلة الحياة، ليست حياته وحسب، بل حياة الأسرة والآخرين. الحياة بالنسبة للمثقف^(٣٣٩) هي هضم المعارف أو الفنون التي يعتبرها أهم ما في عالمه، ويستغلها في العيش على نتاج عمل الفلاح. لا يمكن إذن للفلاح إلا أن يحوز فهمًا عاقلًا للحياة وقضاياها، كما لا يمكن للمثقف إلا أن يحوز فهمًا مجنونًا للحياة وقضاياها.

٦- الله الخالق، الإله براهما، الإله فيشنو، الإله شيفا، الإله جوبيتر، الإله المسيح... إلخ. كل هذا محض سخافات نجرؤ على رفضها، ولا يمكننا إلا أن نرفض هذه التصورات الحمقاء. لكننا لا نعتقد أننا كنا لنصل إلى مفهوم الله بمعنى الجوهر الروحي لكل شيء، هذا المفهوم العظيم والضروري بمفردنا يومًا ما لولا أنه انكشف للناس تدريجيًا بفضل الجهود الفكرية لأعظم حكماء العالم. هذه خطوة ضخمة خطتها الإنسانية، بينما نحن نتصور أننا قادرون على تدبر أمرنا من دون هذه المفهوم بما لدينا من إشعاع وطائرات وكهرباء. نعم، يمكن فعلًا تدبر أمرنا من دونه، ولكننا سنعيش كالحوانات لا البشر، كما هو حالنا الآن

(٣٣٩) لا يستخدم هنا كلمة المثقف بشكل عام، بل يشير إلى طبقة الإنجليزيتسيا تحديدًا.

في نيويورك ولندن وباريس حيث نعيش في بنايات مكونة من ثلاثين طابقًا.

١٩ مارس.

فَوْتُ يوم أمس. لا تزال حالتي الصحية سيئة، لكنني أعيش جيدًا حمدًا لله. لا أتذكر شيئًا مهمًا حدث بالأمس. انهمكت طوال الوقت في مراجعة المقدمة (مقدمة طريق الحياة) وفي الخطابات. أرسلت خطابي لياباني... إنه سيء. قرأت خطاب بوديانسكي. أجبت بالرفض شاعرًا بالضيق^(٣٤٠). ذهبت إلى بروكوفي^(٣٤١)، وكان بإمكانني التعامل بمزيد من الليونة. أفكر طوال الوقت في الناس وحكمهم، لا في الله وحكمه. قضيت فترة المساء في القراءة.

استيقظت اليوم مبكرًا، ونمت قليلًا. طقس فاتن. تمشيت. أصبت برشح وسعال واضطراب في المعدة. راجعت المقدمة مجددًا. قرأت خطابي لهندي، وراق لي تمامًا. أما خطابي لياباني فسيء جدًا. ولكن حسنًا أن هذا لم يعد يهمني. كتبت خطابًا لجوسيف. أجروا تفتيشًا عنده، ويبدو أنهم لم يجدوا شيئًا.

٢١ مارس (٢٠، ٢١).

شعرت بضعف شديد بالأمس: رشح وسعال وحمى، كما أن اضطراب المعدة مستمر. كان من الحسن أنني ظننت أن هذا قد يكون الموت دون أن أشعر بأن الأمر يثقلني. لم أخرج. كتبت خطابات

(٣٤٠) أرسل مقالة إلى تولستوي طالبًا منه أن يرشحها للنشر.

(٣٤١) فلاح عمل معلمًا قديمًا في مدرسة تولستوي وعلى علاقة ودية به.

وراجعت دفاتري. ساءت حالتي الصحية بالمساء.

اليوم أيضًا... كانت الحالة سيئة صباحًا، ثم تحسنت قليلًا. كتبت مجددًا بعض الخطابات المهمة. جاء إرنيفيلت (كاتب فنلندي). مسرحيته لا تروق لي كثيرًا.

الساعة الآن العاشرة. تحسنت حالتي قليلًا. ساشا مريضة ثانية، لكنها بخير. حالتي الروحية جيدة جدًا، كما أنني أنعم بذهن صافٍ. أريد أن أعبر عن الفكرة التي تراودني، لكنني لن أعبر عنها، وهذا حسن. تانيا شديدة اللطف، وهي عزيزة عليّ جدًا.

٢٢ مارس.

لا أزال حيًا، وتحسنت حالتي كثيرًا، لكن السعال لا يزال موجودًا، كما أن حالة معدتي لا تزال سيئة. خطابات تافهة. راجعت أحدها، كما راجعت بروفتي طباعة لدفترين. لا يروق لي هذا العمل. وصل إيفان إيفانوفيتش. نام الآن. سأمضي لتناول الغداء. سأدون فكرة ما.

٢٣ مارس.

حالتي الصحية بخير. خطابات. عملي في هذه الدفاتر ممل فعلاً. كتبت خطابًا عن الانتحار. لا يروق لي هو الآخر. أردت أن أكتب مسرحية لتيلياتينكي^(٣٤٢). سأمضي لتناول الغداء. وصل أحد عازفي الصنوج. إنه شديد اللطف.

(٣٤٢) أرادت مجموعة من شباب تيلياتينكي إقامة عرض مسرحي، فطلبوا من تولستوي عبر فلاديمير تشيرتكوف أن يكتب لهم مسرحية. بدأ تولستوي فعلاً في كتابة المسرحية لكنه لم يستطع إنهاؤها.

٢٤ مارس.

موسيقى الصنوج ليست مهمة. استيقظت اليوم في حالة جيدة، لكنني بشكل عام لا أشعر بقدر كبير من الرضى عن عملي. لا أشعر تحديدًا بالرضى عن منهجيته. سأحاول التغلب على ذلك. وصلني خطابات مهمة وأجبت عنها. عملت قليلًا في المقدمة. أريد أن أكتب مسرحية ديموتشكا (ابن تشيرتكوف) لكنني لا أشعر بالحاجة إلى ذلك. لن أكتبها... ليست ضرورية. وصلني خطاب مؤثر من مولوتشنيكوف يتضمن تفاصيل مريعة عن السجن. لم أستطع كتابة ما فكرت فيه.

٢٥ مارس.

تمشيت بعيدًا. التقيت بدونايف. أشعر بالحزن. الأفكار تجعلني مضطربًا. إما أن القوة تعوزني للتعبير عنها، وإما أنني لا أجد الشكل المناسب لكتابتها. قرأت مقالة قوية لكورولينكو^(٣٤٣) عن حكم الإعدام. تنزهت بالجواد. قضية أمسية كثيبة في لعب الورق. عليّ أن أتوقف. سأنام.

٢٦ مارس.

منذ فترة طويلة وأنا في حاجة لكتابة أفكار كثيرة. اليوم راودتني فكرتان أخريان شديدتا الأهمية:

١ - عن فكرة أن خلاص الإنسان غير ممكن إلا بامتناعه عن

(٣٤٣) مقالة للأديب الروسي فلاديمير كورولينكو بعنوان (حادث يومي: مذكرات صحفي عن حكم الإعدام). تحمس تولستوي للمقالة، وأرسل خطابًا لكورولينكو بخصوصها.

المشاركة في أعمال العنف. حتى الامتناع عن دفع الضرائب بمثابة أمر مستحيل، فهم سيأتون وينتزعونها بأنفسهم، ولكن يمكنك دائمًا ألا تشارك في أعمال العنف. هذه ليست فكرتي، بل فكرة بوليجين.

٢- فكرتي: كما تتألم في شبابك من شر ما يصيبك من مرض جسدي، وتتعطش لخير جسدك، يحدث لك في شيخوختك، كما أختبر الآن، أنك تتألم بسبب الشر العام، وتعطش للخير العام الذي يلحق بالجسد العام.

استغرقت أكثر من ساعة في التمشي. حسنًا. راجعت المقدمة. سأتناول الإفطار. وصلني خطاب مؤثر من كاهن عن المسيح. في المساء قرأت مقالة كورولينكو. رائعة حقًا. لم أستطع تمالك نفسي من الانفجار في البكاء. كتبت خطابًا إليه.

٢٧ مارس.

استيقظت مبكرًا، وراجعت خطابي لكورولينكو، وموضعين في المقدمة. تمشيت.

قرأت وكتبت خطابات. لم أستطع فعل المزيد. ضعف يملكني. لكن لم أستطع ألا أفعل شيئًا، وحالي الروحية بخير. نمت. الساعة الآن الخامسة. أريد أن أدون ما لا لم أدونه من أفكار في دفتر يومياتي. دَوَّنت فكرتين في دفتر أفكاري، لكنني أذكر أن كليهما بدتا لي مهمة. دَوَّنتهما باختصار، متيقنًا من أنني سأذكرهما. ها هما:

١- ما العالم؟

٢- يوحد الوعي الأجساد المنفصلة.

أتذكر الثانية، لكنني لا أستطيع تذكر الأولى.

١- ما الذي يربط بين الكعب والرئتين في جسد واحد؟ ليس القرب: إن غائطي أقرب إليّ من جلدي، لكنه ليس من جسدي، بينما الجلد والأذن والكعب والخلية هي جزء من جسدي. كل هذا مرتبط في وعيي وحسب. ألا يمكن إذن أن تكون العوالم مرتبطة بالوعي؟ ربما يكون هناك وعي للأرض والمريخ والشمس، وأجرام أخرى كثيرة ولا تتمثل لي صنوف الوعي السالفة في إطار متحد؛ لأن فهمي للعالم قائم على الزمان والمكان. كان لديّ المزيد عن تلك الفكرة لكنني نسيت.

٢- ما الـ...؟ نسيت.

٣- نسيت كافة التفاهات. وكيف يمكن للأمر أن يكون خلاف ذلك، بينما يستمر عملي الداخلي دون توقف؛ أقصد إدانة الذات. إنها الجهود المشغولة بها كافة قواي الروحية.

٤- الإيمان؟ ما الإيمان؟ الإيمان هو البنية الروحية التي تتأسس عليها حياة الإنسان بأكملها. الإيمان هو ما يمنحه مرتكزاً، وبالتالي إمكانية الحركة. هذا ما يتأسس عليه الكيان الجسدي. الحشرة تكتفي بشعرة، والنحلة بزهرة والطائرة بغصن والسنجاب بعقدة خشب، والدب بشجرة. كذلك هو أمر الإنسان مع الإيمان. أحدهم يكتفي بأيقونة، والآخر بأسرار الكنيسة، والثالث بنبي والرابع بإله شخصي، والخامس بـ... كل شيء يعتمد على وزن متطلبات قلبه وعقله.

٥- الأمر في العالم الروحي أكثر تعقيدًا منه في المادي.

٦- لا يُقاس مغزى الحياة بالزمن، بل بالعمق.

٧- المتعة للجسد، والخير للروح. نادرًا ما يتسق الخير والمتعة.

٢٨ مارس.

قضيت مساء الأمس في القراءة. لم أتناول شيئًا. نهضت اليوم في الثامنة. تمشيت وعدت وشعرت بضعف كبير. أجبث بكسل عن بعض الخطابات، ثم شوّشت المقدمة مجددًا. بدأت أكتب مجددًا عن الانتحار. تبدو المقالة لي مهمة. خرجت بالجواد، وعدت لتوي. سأنام. أشعر بالضعف ولكن بدرجة أقل. أيمن أن يبقى ما يختمر بداخلي، بل وحتى ما ينمو، متواريًا، لا يُعلن عنه؟ ربما يحدث هذا. حسنًا...

٣٠ مارس.

فوّتُ يومين. قضيت صباح الأمس في التنزه، والتقيت بستر اخوف، ثم بماساريك. كلاهما يروقان لي خاصة ماساريك. وصل ستاخوفيتش في يوم ٢٨. شعرت بالملل. إنه غريب عني. بالأمس حظيت مرتين بحديث جيد مع ماساريك. ذهبت إلى أوفسيانينكوفو. كتبت تصورًا للمسرحية الكوميديّة (مسرحية تيليّاتينكي). ربما أنجح في كتابتها. ماساريك أستاذ جامعي، وبرغم ذلك يؤمن بإله شخصي، وخلود الشخصية.

لا أزال أشعر بالضعف. تمشيت. التقيت بعيزي بوشا. لم أستطع فعل شيء عدا كتابة قليل من الخطابات. ذهبت إلى تيليّاتينكي بالجواد. لم أفعل شيئًا بالمساء. سأنام. إنها الثانية عشرة.

لا أزال أشعر طوال الوقت بالضعف الجسدي. لا أشعر بالملل أو بالسوء، لكن بالحزن، وهذا حسن. أرى بالتجربة كم يبعث العمل الداخلي فرحًا عظيمًا في صاحبه... ليس فرحًا، بل خير. للمرة الأولى شعرت اليوم بوضوح تام بنجاحي في التحرر من السعي صوب مديح الناس. جميعها كانت أمورًا ضئيلة: ألا أشعر بالارتباك من إدانة الناس لي على شربي الخمر أو لعبي الورق أو عيشي في ترف... إني أنظر الآن إلى الأمر وأشعر بحرية مفاجئة. أظن أنني غير مخطئ في ذلك.

حظيت اليوم بنوم جيد. سكبت ما بداخل الوعاء وكسرتة، وأنهكت بشدة أثناء تنظيف وترتيب المكان. إنه قريب (يقصد الموت)، وحسنٌ أنه قريب. لم يكن تشيرتكوف ليديني على ذلك؛ أقصد على لا مبالاتي، فأنا لا آسف أو أخشى الحياة أو الموت. جيد أن أخدم الله، خاصة لأنني أشعر بوضوح بأنني لن أرى نتائج خدمتي خارج نفسي، لكنني أعلم أن هناك نتائج خارجية ستتحقق إن أدركتها بداخلي.

تمشيت صباحًا. جاءني فلاح ثوري من قرية بانينو، وأبوه مثله. كلاهما جلس، وكلاهما يعرفني. إنهما ليسا في حاجة لي إلا من منطلق رؤيتهما لي كثوري. أعطيت الفلاح بعض الكتب. سلكت بسوء بعد أن وضحت له موقفي. على أي حال يبدو أنني لم أفعل ذلك من أجل نيل المديح. طلب مالًا، وشعرت بالضيق. بدأت بعدها أكتب في المسرحية، ولكن بلا جدوى. جاءني صحفي من فنلندا. استقبلته وتحدثت معه كثيرًا وبحرارة حديثًا جيدًا. ثم جلب لي بيلينسكي خطابًا من مولوتشنيكوف،

وانفجرت في البكاء وأنا أطلب خدمة من ريدزيفسكي الذي كان على وشك الرحيل^(٣٤٤). قرأت بعدها قليلاً ونمت. رحلت صوفيا إلى موسكو، ورحلت ساشا إلى تولا لحضور حفل موسيقي. سأمضي لتناول الغداء. عونك لأسلك بحيث لا أكون أنا موجوداً، بل الله العابر بي. عليّ تدوين فكرتين، لكن ليس لديّ وقت الآن.

١ إبريل.

وصل ديموتشكا بالأمس، وحكى لي رواية سيميونوف^(٣٤٥)... جيدة جداً. تناولت روايته، وانهمكت في قراءتها طوال فترة المساء. جيدة جداً. في المساء شعرت بضعف، ومنذ صباح اليوم أشعر بمزيد من المرض. ما يثقلني هو أنني غير قادر على فعل شيء. لذا من الجيد أنني أشعر النفور من نفسي جداً وبدناءتها. أفكار:

١- المادة والمكان، والزمان والحركة يفصلونني أنا وكل كائن حي عن الله الكلي، لذا يتصور المرء الله كياناً شخصياً، أي محدوداً بالمكان والزمان.

٢- في كل منا نوعان من الأنا: جسدية، وهي تتمثل في اتحاد الجسد بالوعي، وهي الحياة الجسدية، وأخرى تمثل الوعي، أي الحياة الروحية. عندما تتجلى الحياة الروحية للأطفال، تتجلى بكامل طهارتها، دون مشاركة العقل وإغواءاته، لذا تبدو لطيفة على نحو خاص.

(٣٤٤) طلب منه أن يطلب مساعدة أخيه م. ستاخوفيتش ليعين مولوتشنيكوف الذي سُجن ثانية لمحاولته التأثير على جنديين ليرفضا خدمتهما العسكرية.

(٣٤٥) سيرجي سيميونوف: فلاح وكاتب شعبي. قُدّر تولستوي قصصه للغاية.

الساعة الآن التاسعة. سأشرب القهوة وأعكف على العمل.

٣ إبريل.

فَوْتُ يومين. لا أتذكر ماذا فعلت في ١ إبريل. كل ما أعرفه هو أنني كنت شديد الضعف، ولم أعمل شيئًا. كنت كذلك بالأمس أيضًا. خطابات غير مهمة، وأجبت عنها وحسب. كذلك هو أمري اليوم. أنام كثيرًا، لكن ضعفي يزداد. الساعة الآن السادسة. استيقظت لتوي. وصلنتي خطابات كثيرة. أجبت عن بعضها. أردت منذ الصباح أن أكتب عن جنازتي، وعما يجب أن يُقرأ فيها. أشعر بالأسف لأنني لم أكتب ذلك. أشعر باقتراب الموت أكثر فأكثر. لا شك أن حياتي، وربما حياة الناس جميعًا أيضًا، تزداد روحانية بتقدم العمر. هذا ما يحدث أيضًا مع حياة الإنسانية جمعاء. في هذا يكمن جوهر ومعنى حياة الجميع وكل فرد على حدة. لذا فإن معنى حياتي ينحصر في روحنتها. بوعيك بذلك وتنفيذه، تدرك أنك تقوم بالعمل الذي كُلِّفَ به؛ أن تُروحن كيانك وحياتك، وتساعد بقدر ما تستطيع في روحنة الحياة العامة والسعي صوب الكمال.

كم شعرت بذلك بصورة أفضل وأوضح كثيرًا أثناء تنزهي! الآن أشعر بضعف لا يُقهر: أجفاني تلتصق ببعضها، وتتحرك بصعوبة بالغة.

٤ إبريل.

نهضت شاعرًا أنني أكثر حيوية. فكرت جيدًا في الصباح وأثناء تنزهي في الآتي تحديدًا:

١ - أمر من اثنين: إما أن تعيش داخل إطار الزمان والمكان،

مسترشدًا في نشاطك باعتبارات الظروف المادية والخارجية، وتخاف وتأمل، وتخطئ وتعاني دائمًا، وإما أن تعيش في الحاضر وحسب بالجواهر الروحي، مسترشدًا في نشاطك بروحك، دون أن تعرف خوفًا أو خيبة أملًا أو خطأ أو معاناة، حيث قانون الجواهر الروحي هو الحب. لا تسمح الحياة للمرء أن يعيش كاملاً بهذه الطريقة أو تلك. لا تكون الحياة حياة فعلاً إلا عندما يهزم الجواهر الروحي ما هو مادي. تلخص الحياة في هذا النصر.

تعثرت رغم أن الفكرة كانت جيدة في ذهني.

٢- يشبه حب الله والوعي به الانجذاب للأرض، وانجذاب الأرض لمركز جذب أكبر منها، وهكذا... حب القريب وحب الحيوان هو أيضًا انجذاب بين هدفين يحدث اعتمادًا على الجاذبية الشاملة. نحن نعرف الله تحديدًا كما نعرف الجاذبية. كما نعرف الجاذبية من قانونها، كذلك نعرف الله من قانونه، وقانونه هو الحب. قانون محبة الله إذن يشبه قانون الانجذاب صوب مركز جاذبية عام، بينما يشبه قانون الانجذاب بين الأجرام المنفصلة قانون الحب بين كائنين حيين. وكما أننا لا نستطيع أن نعرف مركز الجاذبية العام، ولا يمكننا حتى تصوره، كذلك لا يمكننا أن نعرف الله أو نتصوره. وكما أنه لا شك في وجود هذا المركز، لا شك أيضًا في وجود الله.

يبدو تصورنا الفج للجاذبية في صورة أسمى وأدنى: عندما تكون الأرض أكثر سموًا تجذب الجرم صوبها، وتنجذب للأسمى منها: الشمس، بينما تنجذب الشمس ذاتها صوب... وهكذا. كذلك هو الأمر

مع تصورنا عن الله. تتمثل أكثر تصوراتنا فجاجة عنه في صورة وثن، والأسمى منه المسيح وبوذا... ولكن هناك ما هو أسمى من ذلك، أي تصور الإله الشخصي. ولكن كافة هذه التصورات لا تكفي الإنسان، رغم أنها كمفهوم وحقيقة حتمية وضرورية.

٥ إبريل.

استيقظت شاعرًا بالحيوية. خرجت للقاء صوفيا. دَوَّنت على فراشي فكرة لا بأس بها. بعدها انهمكت في الخطابات. راجعت بروفات طباعة شهر أكتوبر (من كتاب: لكل يوم). راجعت (لكل يوم) كما راجعت الدفترين: التاسع عشر - العشرين، لكني لم أستطع أن أكتب في المسرحية الكوميدية. عملت أيضًا بالأمس. ساشا لا تزال مريضة. سأنام.

١ - كم يحسن أن يتذكر المرء ضالته! إنسان وسط ملايين البشر، حيوان وسط ملايين الحيوانات، وموطنه الأرض كحبة رمل مقارنة بالشعري اليمانية وغيرها. كذلك هي فترة حياته مقارنة بمليارات مليارات الأعوام. فكرة واحدة: أنت عامل، وقد دَوَّنت واجبك على صفحة عقلك وقلبك، وتم التعبير عنه بصورة أكثر وضوحًا وقابلية للفهم من بقية الكائنات التي تشبهك. المكافأة التي تنالها على تحقيقك لواجبك آنية وحقيقية. ولكن ما معنى هذا الواجب الذي عليك تنفيذه؟ لم نُوهب معرفة ذلك، ولا حاجة لذلك. تشعر أنك بخير، وماذا تريد أكثر من ذلك؟

٧ إبريل.

فَوْتُ مجدداً يوم أمس. استيقظت مبكراً. عدد قليل من الخطابات، وقد أحببت عنها. لا أريد أن أكتب شيئاً جديداً. أشعر أنني بخير (بالفرنسية). خرجت بالجواد بصحبة دوشان ومضينا بعيداً وسررت كثيراً. ربيع رائع بدرجة غير عادية! في كل مرة لا تكاد تصدق ذلك. مجدداً أقول إنه لا يمكن أن يكون هذا الجمال من لا شيء. جاء سيريوجا مساءً. لقد أصبح يروق لي. أنا سعيد. جاء ديموشكا بصحبة بولجاكوف وسيرجينكو الصبي. كتبت ردّاً على خطاب جرادوفسكي. أما اليوم: كتبت قليلاً. ساشا مستلقية. تنزهت في الغابات بالجواد بصحبة دوشان. راجعت دفاتري، ولم أصل بعد إلى تسمية لها. جاء فيلوسوف. ميت كما الجميع تقريباً. وصلني خطاب جيد من فلاح. جاءني فتاة مجنونة تقريباً. آه، نسيت أن أذكر أن بالأمس جاءني فلاحان؛ واحد من نيجيجورود، والآخر من يكاتيرينوسلاف. كلاهما جاءني عمداً، وآمل كلاهما أن ينالا صدقة.

أعيش لهدف واحد؛ أن أنفذ إرادته لا إرادتي. يا للحرية! بدأت أختبرها؛ فكيف إذن لا أشعر بالامتنان على ولادتي، وعلى الحياة والموت؟!

الساعة الآن العاشرة. أريد أن أعمل أيضاً في الدفاتر. بدأت اليوم فعلاً في الدفتر الخامس والعشرين.

٩ إبريل (٨، ٩).

لا أتذكر شيئًا عن الأمس. راجعت (أفكار عن الحياة)، وكتبت بعض الخطابات على نحو سيئ. لا أريد فعل شيء. خرجت بالجواد بصحبة دوشان. أشعر بالحزن، وبمشاعر غير طيبة كذلك.

اليوم نفس الشيء. ساءت حالة ساشا. أرسلوها إلى القرم^(٣٤٦).

أفكار:

١- أنت عامل لدى القيصر، بينما أنا عامل لدى الله.

٢- من أقسى ظروف حياتي هي عيشي وسط الترف. ينفقون كل شيء على رفاهيتي، مانحين إياي أغراضًا لست في حاجة إليها، ويستاءون إن أعدتها إليهم، وفي الآن ذاته يحيط بي المتسولون من كل جانب، ويتوجب عليّ أن أرفض إعطاءهم، ويستثير ذلك بداخلي مشاعر غير طيبة. إنني أكذب بخصوص سبب ضيقي... السبب هو أنني سيئ. هكذا هو الأمر. حسنًا جدًا. كنت طوال اليوم في حالة مزاجية سيئة، خاصة في الأوقات التي توجب عليها أن أكون فيها طيبًا. كل ما أذكره على أي حال هو أنني يجب أن أسعى لنيل استحسانه هو وحده وحسب.

١٠ إبريل.

لا أزال في نفس الحالة المزاجية السيئة. لا يمكنني حتى أن أفكر في كتابة أي عمل أصيل. راجعت أفكار عن الحياة. التقيت بنيكولايف. جلب إيفان إيفانوفيتش بروفة الطباعة. ساشا تستعد للرحيل. إنها حزينة.

(٣٤٦) نصح الأطباء بإرسالها إلى القرم بسبب مرض رئتيها.

تحدثت معها جيداً، وبكىنا بشدة. دَوَّنت الآتي وحسب:

١ - إن غضبت من الناس، فكر ربما تكون أنت السيئ. إن غضبت من الحيوانات، فمن المؤكد أنك أنت منبع السوء. إن غضبت من أشياء، اعلم أن المشكلة بأكملها بداخلك وأن عليك استجماع شتات نفسك.

٢ - حمداً لله تعودت على الصلاة عندما أكون بمفردي. لكني لا أزال غير قادر على التعود على الصلاة أثناء تعاملتي مع الناس، عندما أكون في أمس الحاجة إليها. سأحاول بكل قوتي أن أعوّد نفسي عند لقائي بأي شخص أن أقول لنفسي: «أعني يا سيدي لأعامله بمحبة أخوية». أرى ذلك بوضوح الآن.

٣ - يا لها من خطية عظيمة قد ارتكبتها بتسليم الملكية إلى أبنائي! لقد أضرت بالجميع، حتى البنات. أرى ذلك بوضوح الآن.

١١ إبريل.

لا أزال في الحال ذاته. لم أفعل شيئاً عدا الخطابات، وهي سيئة. أريد بشدة في العمل. تحدثت حسناً مع ساشا. فقد بولجاكوف الخطاب. كان جيداً جداً. أنا سعيد بأنني لا أبذل أي جهد كي لا أشعر بالأسف. سلكت بسوء مع الفلاحات المتسولات. لم أتذكر صلاتي. أفكار:

١ - شيطان الكبرياء شديد الخبث والدهاء، فعندما تبدأ في إدانة نفسك بكل إخلاص وترى كافة خطاياك، تجده حاضراً يوسوس لك قائلاً: «انظر كم أنت صالح، ولست مثل الجميع! أنت متواضع وتدين نفسك... حسناً تفعل!».

لقد عوّدونا على أن نفهم الدين بوصفه تصورًا محددًا لله وقانونه، لذا يبدو لنا أننا لا نشعر بالرضى إن اعترفنا بالله غير المفهوم، لكن الموجود بلا شك هو ومتطلباته المدونة في قلوبنا لا في الكتب، بينما ينحصر الدين الحقيقي في هذا الإله غير المفهوم، المدونة متطلباته في قلوبنا.

٣- عندما تتواصل مع إنسان، ينبغي أن تشعر بالبهجة والعرفان وحسب، بسبب إمكانية الوحدة.

٤- الوطنية غير ممكنة لأي إنسان يؤمن بشيء ما إيمانًا معقولًا.

٥- حياتنا مليئة بالمتناقضات؛ لأننا نعتقد ونشعر أن المخدرات والتبغ والخمر ضروريان لنا.

١٢ إبريل - الساعة الثانية صباحًا.

لا أزال غير قادر على العمل. وصلني خطاب ينبئني بموت بيتراجيتسكي^(٣٤٧). أمر واحد جيد؛ أشعر أنني أتقدم في ما يتعلق بلا مبالاتي بحكم الناس، وباحترامي للإنسان، أو كما أقول: أشعر بالامتنان لوجود إمكانية للتواصل مع كل إنسان. انشغلت في الصباح بالخطابات وراجعت خطاب الأمس. سأخرج بالجواد.

لم أتغذَّ. كآبة تعذبني إثر وعيي بدناءة حياتي وسط من يكدحون ليُخلَّصوا أنفسهم وأسرههم بالكاد من الموت جوعًا وبردًا. بالأمس كان هناك ١٥ فردًا يلتهمون الفطائر المحلاة، وخمسة أو ستة أفراد بصحبة

(٣٤٧) معلم شعبي سابق، كان على علاقة بتولستوي، وتأثر بأفكاره.

أسرهم، يهرعون هنا وهناك ليتمكنوا بالكاد من تناول الطعام وإيجاد العلف. الخزي يعذبني بفضاعة. عبّرت بالأمس بجوار حجر درس الحنطة، وبدا لي أنني أتعرض لتقد مريع. نعم، إنهم يعيشون في حاجة مريعة ومُعذّبة وحسد ومشاعر شريرة صوب الأثرياء، لكنهم لا يدركون كم تعذبني حياتي وتخزيني.

اليوم ١٣ إبريل. استيقظت في الخامسة، ولا أزال أفكر كيف أهرب وما العمل؟ ولا أعرف بعد. فكرت في الكتابة، ولكن من الدناءة أن أكتب وأبقى على حالي في الآن ذاته. أيجدر بي أن أتحدث معها؟ أأهرب؟ هل أغير الوضع تدريجيًّا؟ أظن أن الأمر الأخير هو الوحيد الذي يمكنني فعله، ولكن تظل الكآبة تكتنفني. ربما يكون حتى الأمر جيدًا. عونك! عونك يا مَنْ بداخلي وبداخل الجميع! عونك أيها الكائن الذي أتوسل إليه وأحبه. نعم... أحبك. أبكي الآن. أحبك بشدة.

١٤ إبريل.

كنت مكتئبًا بشدة بالأمس. ذهبت بالأمس إلى كورنوسينكوفا (فلاحة) وشينتياكوف (فلاح) ونسيت اسمه. لم أفعل شيئًا عدا خطاب تافه. تنزهت بالجواد. أشعر بالكآبة ولا أعرف ما العمل. رحلت ساشا. أحبها. سوف أتفقدّها، لا بسبب معاونتها لي في العمل، بل سأفقد روحها. جاء جولدنفايزر وزوجته ليودعاها. عزف. شعرت بالاستياء الشديد من فرط ضعفي.

سأت حالتني الجسدية ليلاً، وأثّرت قليلاً على حالتي الروحية. استيقظت في ساعة متأخرة. جاءت بوديانسكايا من أجل زوجها،

حيث حكموا عليه في قضية جمهورية نوفوروسيسك. كتبت لأولسوفيف^(٣٤٨). عاملت المتسولين جيداً. ذهبت إلى أوفسيانينكوفو. قرأت كتبي. لم أعد في حاجة إلى المزيد من الكتابة. يبدو أنني فعلت ما بوسعي في هذا الصدد، لكنني أشعر برغبة في الكتابة... رغبة رهيبية. راجعت مساءً أفكار عن الحياة. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام. حالتي المعنوية سيئة طوال الوقت. تماسك يا ليف نيكولايفيتش!

١٥ إبريل.

لا أزال حياً، ولكن ليس تماماً. استيقظت شاعراً بالحيوية. جلبة مجدداً. متسولون. عاملتهم جميعاً جيداً، متذكراً امتناني لفرحة التواصل مع إنسان.... جميعهم عدا امرأة سكيرة عاملتها بسوء ورفضت إعطاءها صدقة. خطابات واحد لشو^(٣٤٩)، والآخر عن جمعية السلام. ليس حسناً. بروفات طباعة. لم أكتب شيئاً. سولوماخين شديد اللطف. في المساء جاءني عامل سكك حديدية من سامارا. انتابني رعشة بسيطة الآن. كتبت لساشا.

١٦ إبريل.

لا أزال حياً. استيقظت في ساعة متأخرة. ذهبت إلى سوفوروف. حشد كبير من الناس. تعاملت مع ذلك العجوز بطريقة حسنة جداً. ما إن رأيته حتى راودني شعور بالحزن. تذكرت أن هذه فرصة سانحة أمامي

(٣٤٨) ليعينه في الدفاع عنه بعدما حُكم عليه بستة أعوام لنشاطه الثوري إبان ثورة ١٩٠٥.
(٣٤٩) أرسل برنارد شو لتولستوي مسرحيته: The Shewing-Up of Blanco Posnet، وبين في خطابه مدى ارتباط هذه المسرحية بمسرحية تولستوي (سلطان الظلام)

للوحدة؛ الأمر الذي يجب أن أكون ممتناً له. تحدثت معه، ولَبَّيت رغبته،
وشعرت بالسُرور. ثم جاء معلم من الجنوب. أشعر بقربه الشديد إليَّ.
راجعت أفكار عن الحياة، وأشعر بعدم رضى شديد عنها. خطابات غير
مهمة. أشعر بالخزي لشعوري بالضيق من استنتاجات مينشيكوف عني.
ذهبت إلى تيلياتينكي بالجواد بصحبة بولجاكوف. حظيت بحديث
جيد معه. قرأت في المساء مقتطفاً من التلمود. لا أزال في حالة معنوية
سيئة. ما أشعرنى بضيق أكثر من ضيقي من عدم طيبة مينشيكوف كان
السبب الذي وجهه إليَّ فلاح رفضت أن أعطيه خمسة كوبيكات.
أفكار:

- ١- لا أذكر أكان دوسيف أم طالباً من كيف هو الذي حاول إقناعي
بضرورة مفارقة حياة السادة التي أحيّاها -من وجهة نظرهم- لأنني لم
أعد قادراً على تناول الطعام الحلو وركوب الجياد... إلخ. جنون!
- ٢- كيف لا ينتحر المرء في ظل تحريف الإيمان المريع هذا
وحماقة العلم! من الإيمان إلى العلم: من نار إلى لهيب.
- ٣- يكون الإيمان جنونياً حينما تريد أن تؤمن بما هو قديم وتعيش
ما هو جديد.

صياغة غير واضحة، وأشعر بالملل لأوضحها. لا سبب يدعوني
لذلك. أنهكت... أنهكت من العيش. دوّنت أمراً آخر، لكنني لم أفسره
بعد، وليس ذلك ضرورياً.

١٧ إبريل.

بدا لي أنه من المستحيل أن يسوء الأمر عن ذلك. حالتي المزاجية اليوم أسوأ من جميع الأيام. أناضلها منذ الصباح. وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف، ومجلة الحزب التقدمي الصيني. انشغلت بها بشدة. لم أذهب إلى أي مكان بالجواد. راجعت دفاتري بعد الغداء. عليّ تغيير كل شيء. ليست لديّ أفكار.

١٩ إبريل.

بالأمس تحسنتُ حالتي قليلاً. راجعت صباحاً أفكار عن الحياة. لا بأس بها. ذهبت إلى أوفسيانينكوفو. راجعت مساءً بروفات الطباعة. حالتي اليوم أفضل كثيراً.

بالأمس جاءني زوار: جاسوس عمل سابقاً لدى الشرطة، وأطلق النار على الثوار، وينتظر أن أتعاطف معه! علاوة على ذلك أراد أن يتملّني بإهانة الكهنة. ضايقني كثيراً أن استحال عليّ الأمر؛ أقصد أنني لا أستطيع معاملة الجميع بإنسانية حقيقية، أي بحسب الله، بحب وعقلانية. استقبلت اليوم لتوي شابين، حاولا تعليمي وفضحي: طالبني الأول أن أناضل بالقنابل، والآخر سألني: لماذا نقلت حقوق أعمالني المنشورة قبل ١٨٨٠ إلى أسرتي؟ لم أستطع كذلك أن أعاملهما بتواضع ودون سخرية.

بالأمس دار حوار شيق عن الحب.

يعتبرون أن الحب الاستثنائي لشخص بعينه هو أسمى شيء،

ويُسمون الحب الحقيقي رياءً. عليّ أن أكتب في (أفكار عن الحياة) عن التأثير المُفسد للروايات، ومديح الحب الاستثنائي بشكل عام.

وصل صباح اليوم يابانيان؛ بدائيان منتشيان بالحضارة الأوروبية. من ناحية أخرى وصلني خطاب وكتاب من أحد الهنود «غاندي» يعبر فيهما عن تفهمه لكافة عيوب الحضارة الأوروبية، بل وحتى شرها.

تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. سأنام قبل الغداء.

١- تدين الآخرين ولا تعرفهم، بينما تعرف عن نفسك الكثير من الدناءات وتتناساها.

٢- الحركة تغير مسار الحياة ببطء، عن طريق خطوات الأجيال. على سبيل المثال لا يمكن أن تحدث الآن حركة إلا عندما تزول الحانات وطبقة الأثرياء بشكل عام الذين لا يشعرون بالخزي من وضعهم الآن، وطبقة الثوار والليبراليين الراضين عن أنفسهم، كما مات اثنان منهم اليوم.

ذهبنا مساءً لنسجل على الجرامافون. رقص وحشد من الناس. ودعنا اليابانيين. أنا أفضل حالاً. سأنام. ودّعت عزيزتي تانيا.

٢٠ إبريل.

لا أزال حيّاً أيضاً. لم أستيقظ مبكراً. تمشيت حتى أشجار التنوب الصغيرة. احتلها النمل. دوّنت شيئاً ما. التقيت بالعقيد ثانية، ولاحق مشاعره غير الطيبة تجاهي. راجعت بروفة طباعة دفترين: خطايا وإغواءات وخرافات - الكبرياء. لا بأس بهما. خرجت بالجواد بصحبة

بولجاكوف. خطابات غير مهمة. قرأت مساءً ما كتبه غاندي عن الحضارة. جيد جدًا. أفكار:

١- تمضي حركة التقدم ببطء، بمرور الأجيال. يتطلب التقدم خطوة واحدة فقط زوال جيل كامل. من الضروري الآن أن تزول الحانات، وطبقة الأثرياء بشكل عام التي لا يخجل أفرادها من ثرائهم، والثوار الذين لا يدفعهم شعورهم بتناقض الحياة مع الوعي، بل كبرياء اعتناقهم للثورة كمهنة. مسألة تربية الأطفال والأجيال القادمة في غاية الأهمية إذن.

٢- يفهم اليابانيون المسيحية على أنها أحد لوازم الحضارة. هل سيتمكنون إذن من تحييدها بحيث لا تدمر ما يؤمنون بأنه الحضارة، مثلما فعل أوروبيونا؟

٣- تعيش الغالبية العظمى من الناس حياة حيوانية وحسب، ويخضعون عن عى كامل للرأي العام في القضايا الإنسانية.

٤- كما أن البذرة تحمل في طياتها شجرة ضخمة لم تنم بعد، كذلك تنمو من الجهود الفكرية تغييرات في حياة الناس لم تظهر بعد.

٢١ إبريل.

استيقظت في ساعة متأخرة، وفي حالة معنوية شديدة السوء. جاءني فلاح بخصوص الأرض، وعاملته بسوء. ثم جاءت سيدة وبناتها. تحدثت معها بقدر ما استطعت. قرأت كتابًا شديد الأهمية عن

غاندي^(٣٥٠). يجب أن أكتب له. ثم جاء ميشا ورحل أندرييف^(٣٥١). شخصيته غير مثيرة، لكنه طيب ولطيف، وإن كان لا يتمتع بالجدية الكافية. أخبار سيئة عن ساشا^(٣٥٢). أريد أن أكتب لها الآن. بالمساء قرأت عن حادث الانتحار. ترك في المقال انطباعًا شديد القوة. سأنام. إنها الثانية عشرة. لم أدوّن شيئًا. وصلني خطاب من تشيرتكوف.

٢٢ إبريل.

تنزهت بمفردي، ورفضت أن يصطحبني أندرييف أو ذلك القادم من أرخانجيلسك. تحدثت بعدها مع أندرييف. ليست لديه علاقة جادة بالحياة، ويتعامل بسطحية إزاء هذه المسائل. خطابات. راجعت شهرين من (لكل يوم). راق لي الكتاب بشدة. خرجت لأتمشى. وصل جولدنفازير وزوجته. أناضلني طوال الوقت. كتبت خطابًا لساشا. سأنام قبل الغداء. وصلني خطاب مؤثر للغاية من ساشا. اضطربت بشدة بسبب الموسيقى. عزف على نحو رائع.

٢٣ إبريل.

عملت قليلًا. تمشيت مع جولدنفازير حتى مكان الهاتف. عزفا على نحو رائع بعد الغداء. اضطربت بشدة بسبب الموسيقى.

(٣٥٠) M. K. Gandhi. An Indian Patriot in South Africa» by Joseph J. Doe.

(٣٥١) قضى الكاتب الروسي: ليونيد أندرييف يومين في زيارة تولستوي بياسايا.

(٣٥٢) قال الأطباء: إن الدرن قد أصاب رئتيها.

٢٤ إبريل.

منذ الصباح أشعر بضعف وألم بالرأس. لم أفعل شيئًا تقريبًا، ولم أخرج. نعاس ووهن. خطاب من تشيرتكوف. تمكنوا من إقامة العرض المسرحي بطريقة ما في تيلياتينكي. لم أكتب شيئًا.

٢٥ إبريل.

أفضل قليلًا. تمشيت. خطابات. شربت قهوة وأفطرت. استعدت قواي بعض الشيء، لكنني قرابة المساء شعرت بالضعف والوهن ثانية. رغم ذلك حالتي الروحية جيدة، بل جيدة جدًا.

٢٦ إبريل.

أفضل كثيرًا، لكنني لم أعمل بعد. يبدو أن هذا ضروري. حسنًا إذن. دَوَّنت شيئًا ما. تمشيت مع أوليا والأطفال. واجم، لكنني لم أخطئ. في المساء انشغلت بالقراءة. وصل ديموتشكا وأليوشا سيرجينكو، وشعرت بروح آل تشيرتكوف وسعدت بذلك. سأنام. وصلني خطاب جيد من ساشا.

٢٧ إبريل.

استيقظت شاعرًا بحيوية شديدة. عملت جيدًا في المقدمة. أنهيت نسختها الأولى. تمشيت حتى كوزلوفكا ولم أُنْهَك. طقس فاتن. في المساء قرأت قصة سيميونوف وأعجبت بها، وفارقت سيرجينكو. كتبت لساشا. وصلني خطاب جيد عنها. سأنام. لن أدوّن أفكارًا الليلة.

٢٨ إبريل.

ساعات حالي الصحية. لم أفعل شيئاً صباحاً، ولا أريد. تمشيت حتى كوزلوفكا، ووجدتها تمطر، فعدت راكباً بصحبة بولجاكوف. راجعت المقدمة بعد الغداء. جاءني فينبرج من طشقند. كتبت بعض الخطابات. أشعر بالبهجة في روحي. أنشد الوحدة، وأشعر بالضيق مع الناس.

٢٩ إبريل.

لا أزال حيّاً لكني مريض. ساعات حالي ليلاً. نعاس ووهن. خطابات جيدة. بيليوسنين^(٣٥٣) يروق لي بشدة. سأنام. أفكار:

١ - نصلي بالكلمات، ولكننا لا نستطيع أن نتواصل معه بالكلمات، بل بالحب وحسب.

٢ - يوقظنا الوعي من نومنا. يتمثل الوعي في أمر واحد: مَنْ أنا؟ يوقظنا هذا الوعي من حياتنا الجسدية الزائفة. الروح هي الوعي. قد يبدو لنا الوعي قليلاً جداً. الحياة معقدة وملموسة، بينما الوعي ليس كبيراً، ولا يُلاحظ بسهولة. إنه صغير، ولا يُلاحظ بسهولة، ورغم ذلك هو كل شيء.

ما الوعي؟ الوعي هو أن أسأل نفسي: مَنْ أو ما أنا؟ أجيب: أنا هو أنا. لكنني أسأل نفسي: ما هذه الأنا الثانية؟ الإجابة واحدة وحسب: أقول مجدداً إنها أنا، ومهما سألت أقول أنا هو أنا. من الواضح أن الأنا خارج ناطق الزمان والمكان. لا وجود حقيقي لشيء سواها. يمكن أن ينتج

(٣٥٣) شاب مناصر لأفكار تولستوي. من سيبيريا. ترك إرثه وسافر سيراً صوب الجنوب، والتقى في طريقه بتولستوي.

كل شيء عن ظروف المكان والزمان، إلا الوعي. الوعي هو كل شيء. صياغة جيدة.

٣٠ إبريل.

استيقظت شاعرًا بمزيد من الحيوية. وصل دورنوفو مؤلف كتاب (مفاهيم تعاليم المسيح) وزوجته. هراء مفزع. ولكن هذا ليس سبب تعاملتي معه بسوء (بالفرنسية). لم أكن طيبًا معه. ثم جاء شبيرو. عملت بعدها في خطابي للأطفال. يبدو أنه ليس شديد السوء. ذهبت إلى تيلياتينكي. في المساء جاء ألكسندر بتروفيتش وكوتشيديكوف، والآخر مجنون تقريبًا بقوة القصور الذاتي والكهرباء والمغناطيسية. ثم جاء ثمانية من تيلياتينكي. تدبرت أمري مع كل ذلك جيدًا. ودّعت بليوسين ورفيقه. كتبت لساشا التي لم تصلني منها خطابات.

١ مايو.

أفكار:

١ - واحد من الأسباب الرئيسة للانتحار في العالم الأوروبي هو التعليم المسيحي الكنسي الزائف عن الجنة والنار، وفي الآن ذاته انغرس في رؤوسهم بقوة فكرة أن الحياة يجب أن تكون إما جنة وإما نارًا، إلى الحد الذي لم يعد بالإمكان فيه أن يحوزوا فهمًا عقلائيًا للحياة كما هي حقيقة؛ لا جنة ولا جحيم بل صراع... صراع لا يتوقف؛ لأن لا حياة إلا في الصراع. لست أقصد هنا صراع الكائنات بالمعنى الدارويني الذي هو صراع الكائنات والأفراد، بل هو صراع بين القوى الروحية

والجسدية التي تحدّها. الحياة صراع بين الروح والجسد. في ظل هذا الفهم للحياة يصبح الانتحار أمراً غير ممكن وغير ضروري، بل ويُعد ضرباً من الجنون. الخير في الحياة وحسب. إني أنشد الخير، فكيف أفارق الحياة إذن؟ إني أبحث عن فطر عيش الغراب، وهو موجود في الغابة وحسب، فكيف أغادر الغابة إن كنت أريده فعلاً؟

الساعة الآن الثامنة صباحاً. لم أنم ليلاً سوى لفترة قليلة لم تتجاوز تقريباً أربع ساعات. ضعف. صوفيا في الطريق. أرتدي ثيابي وها أنا خارج للتمشي.

حلّ المساء. وصلت صوفيا. رتبت أغراضي وخرجت لأتمشى وأنظر السيارات^(٣٥٤). التقيت بصبية يتحلون باللفظ فعلاً، وحوالي ٢٠ فرداً^(٣٥٥). تحدثت معهم حديثاً طيباً. ثم تحدثت عزيزي ديموتشكا جيداً هو الآخر. سأنام. لم أفعل شيئاً اليوم. أفسدت المقدمة. نَحَيْت عني خطابي للأطفال. إنه سيء.

٢ مايو- كوتشيتي^(٣٥٦).

استعدت للرحيل وغادرت في السابعة. شعرت بالكآبة بسبب فضول الناس. التقيت بعزيتي تانيا وميخائيل سيرجيفيتش (زوجها). ضللت طريقي في المتنزه مساءً. مرضت.

(٣٥٤) سباق سيارات من موسكو إلى أوريول، مرياسنبا.

(٣٥٥) مدرسون وطلبة.

(٣٥٦) سافر تولستوي بصحبة ماكوفيتسكي وبولجاكوف إلى ابنته تاتيانا بمقاطعة كوتشيتي وأقاموا هناك حتى ٢٠ مايو.

٣ مايو.

استيقظت واهنًا. لم أعمل شيئًا. تمشيت في المتنزه، منهمكًا في قراءة ماساريك. عمل ضعيف. راجعت المقدمة. فكرت في مسألة الانتحار وأعدت قراءة ما بدأت كتابته عنها. سيكون من الجيد أن أكتب عن ذلك. كتبت خطابًا لماساريك وساشا وصوفيا. سأنام. الساعة الآن الثانية عشرة.

٤ مايو.

تمشيت في الغابة قبل الغداء وابتهجت بالحياة وقواها الخفية. رأيت في نومي أحلامًا مدهشة من حيث مدى صحتها من الناحية النفسية. فكّرت في الكتابة عن الانتحار، ولكن ما إن جلست على طاولتي حتى تملك الضعف أفكاري ولم أشعر بالرغبة. راودني مجددًا شعور مُعذّب بالكآبة من ترف وبطالة حياة السادة. الجميع يعلمون عداي. يا للعذاب! يا للعذاب! عونك لأجد مخرجًا، إن لم يكن المخرج الرئيس قد ظهر بعد. رغم ذلك يجب أن أشعر بالامتنان لذلك. أفكار:

١ - كل ما يمكن أن يبهجنني كإنسان يعيش من أجل الروح هو أنني أصبحت أقل دناءة من الماضي، ولو قليلًا. لا أقول ذلك كمجرد قول يزين أفكارًا جميلة أو مجرد مقطع لفظي جميل، لكن هذه هي حالتي الداخلية فعلاً بكل إخلاص، بل بأقصى درجات الإخلاص. إنها فرحة وعيي بحدوث تقدم ضئيل، لكنها فرحة كبيرة.

٢ - حسنٌ أن تعيش لأجل القيام بهذا العمل الذي تعرفه قطعًا، لكنك لا ترى نتائجه حتمًا.

الساعة السادسة. سأتغدى. قرأت بالمساء وتنزهت.

٥ مايو.

نعاس ووهن ذهني مجددًا. لم أكتب شيئًا ولم أحاول. قرأت للكتاب الفرنسيين القدماء: لابويسيه ومونتاني ولاروشفوكو. تنزهت. أكثر ما أحتاجه هو الوعي باللا فعل. أهم شيء أن أعيش أمام وجه الله وحده، وبصحبه وبه. سأنام.

٦ مايو.

ليلة أمس وصلتني برقية من ساشا وأخرى من تشيرتكوف. سيأتي تشيرتكوف في السابع من يوليو، أي غدًا. مطر وبرودة، ومرض شديد... ضعف وحرقة بالمعدة وصداع. تمشيت. خطابات قليلة لكن جيدة. خطاب مؤثر من تشيرتكوف، وكذلك خطاب جيد من سيكسني (٣٥٧). عونك... عونك لأعيش قبل النهاية أمام وجهك أنت وحدك، لأعيش دائمًا معك وبك. حظيت بحديث جيد مع تانيا. لم أكتب شيئًا. أفكار: العادة هي تصرفات آلية لا واعية وهي أساس الحياة الحقيقية، أي الكمال الأخلاقي. تلخص الحياة في الجهود المبذولة لتحقيق الكمال. يمكن تصنيف ما حققه الإنسان داخل مجال العادات المتقدمة، وتُبدل جهود جديدة لنصل بالعادات إلى أن تتم بصورة لا واعية. دائمًا ما يكون الجهد سلبياً، ولا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك لأن معنى الحياة يتلخص في التحرر. يتم التحرر وينحصر عملك في عدم فعل كل ما من

(٣٥٧) فلاح كتب لتولستوي عن تأثير أفكاره الأخلاقية الدينية عليه وعلى أصدقائه.

شأنه أن يعيقه. لذا عمل الحياة هو الوعي بوجود الحياة وبمقاومة كل ما يعيقها. العمل الوحيد والرئيس في الحياة هو الجهد المبذول لتحويل ما تم القيام به إلى عادة. في غياب الجهد لا تعود هناك حياة إنسانية، بل حيوانية. الماديون على حق تمامًا حينما يختصرون الحياة الحيوانية في الصراع من أجل البقاء والعادة. ولكن إن تحدثنا عن الحياة الإنسانية، يلزم أن نوضح سمتها الرئيسة: الجهد. ما هو الجهد إذن من المنظور المادي؟

٧ مايو.

تحسنت حالتي اليوم. فرحة كبيرة بوصول تشيرتكوف. تنزهت مرتين. عملت جيدًا في المقدمة. سأدوّن فكرة ما لاحقًا. الساعة الآن الحادية عشرة. سأنام.

٨ مايو.

اليوم أفضل قليلًا. كتبت قليلًا عن الانتحار. ربما أنجح في كتابتها، لكنني لم أنجح بعد في المقدمة. يجب اختصارها. دوّنت فكرة، لكن الوقت قد تأخر. وصلني خطاب جيد من ساشا.

٩ مايو.

استيقظت في ساعة متأخرة مجددًا. سأكتب بضع كلمات وحسب. لديّ ما أدوّنه. تمشيت كثيرًا. أعدت العمل في المقدمة واختصرتها. ينجلي لي جنون الحياة أكثر فأكثر. وصلت صوفيا بصحبة أندريه. تعاملت بغلظة مع أندريه. لأول مرة أصرّح لصوفيا جزئيًا بما يكتبني. بعدها قبلتها في صمت لأخفّف من وقع كلماتي. إنها تفهم تمامًا هذه اللغة.

١٠ مايو - التاسعة مساءً.

استيقظت في حالة أفضل كثيرًا، برغم أنني لم أنم سوى قليلًا. أيقظتني الأفكار، ودوّنتها في الصباح الباكر. تنزهت بعدها متحاملاً على ضعفي الجسدي، ولكن الأفكار حيوية ومهمة وضرورية بالنسبة لي بلا شك. لديّ تصور واضح عن الطريقة التي يجب أن أكتب بها (لا مذنبين في هذا العالم) وعملاً آخر. حوار عام مجدداً مع تشير تكوف عن الخطاب الذي لم يعجبه، وسوء مع فعله جرادوفسكي^(٣٥٨).

بمرور الوقت يتضح لي أكثر فأكثر جنون الناس في عالمنا. حظيت بنزهة جيدة على الجواد بصحبة يجور حتى وصلنا إلى قرية إيزيفكوفو. ودّعت أندريوشا، وكلانا يعي عدم فهمنا المتبادل. يبدو أن الأمر نهائي. حالتي الروحية الآن جيدة، لكنها كانت غريبة صباحاً.

أفكار:

١ - كلما امتد بي العمر، قلّ فهمي للعالم المادي بل على العكس، أصبحت أكثر وعياً بأن فهمه مستحيل، ولا يمكنني سوى أن أعيه وحسب.

٢ - هناك وسيلة واحدة للخلاص من بلية حياتنا: الاعتراف الكامل بجنون حياتنا، وإنكارها كاملاً.

(٣٥٨) طلبوا من تولستوي أن يكتب خطاباً لمؤتمر عموم كتّاب روسيا، وكتب تولستوي الخطاب، لكنهم لم يقرأوا سوى جزء منه، بعكس إرادة تولستوي، الأمر الذي أدى إلى تشويه المعنى، وهذا ما ندد به تشير تكوف.

٣- العفة الكاملة هي المِثال المسيحي لزماننا. الاعتراف بالزواج كأمر مقدس أو حتى جيد هو إنكار لهذا المِثال. إن سمحنا بفعل تكريس ديني سيكون التكريس المسيحي أمراً واحداً لا غير: تكريس النفس كاملاً للعفة، وعدم سماح المرء لنفسه بالجنس مطلقاً، ويكون حينها نذر الزوجين أمراً لا يعتمد على الإخلاص لبعضهما وحسب، بل يكون نذراً واحداً لكليهما؛ نذراً بالعفة، ويتضمن ذلك بداخله إخلاص كل منهما للآخر.

يتساءل أحدهم: «ولكن كيف يستمر الجنس الإنساني؟» لا أعرف. أعرف أمراً واحداً وحسب: كما أن الإنسان ليس ملزماً بقانون الصراع الحيواني، بل على العكس يجب أن يُنكر الصراع بمِثال الحب، كذلك يتلاءم قانون الاقتران الجنسي بالعالم الحيواني، والإنسان ليس ملزماً به، بل ملزم بالعكس؛ بمِثال العفة. وماذا نستنتج من ذلك؟ لا أعرف، لكني أعرف يقيناً أنني باتباعي للمسعى الأسمى لكياني: الحب والعفة، لن أنال سوى كل ما هو جيّد.

٤- لا يمكن أن تتوقف حوادث الانتحار طالما أن الناس ليس لديهم ما يستندون إليه عندما يُواجهون بجهلهم بخصوص مَنْ هم ولماذا يعيشون، وطالما أنهم على ثقة كاملة بأن معرفة ذلك أمر مستحيل.

٥- مهم جداً: ما إن انغرس مفهوم الخلق في أذهان الناس حتى أصبحوا مطالبين بالإجابة عن سؤال: كيف حدث الخلق زمنياً؟ تشبه مسألة خلق العالم من منظور داروين، مسألة مصدر الشر وما يتعلق بها من خطية آدم ووراثة الخطية. كلاهما محض خرافة غبية. العالم لم يُخلق، بل

هناك وجود للأنا، ولا وجود للشر، بل هناك وجود للأنا مجددًا.

غني عن القول إن الناس ليس بإمكانهم إفساد حياة شخص آخر، وتحويلها من جيدة من حيث وجودها إلى سيئة. كل ما بإمكانهم فعله هو ما فعلوه حقًا؛ أن يفسدوا حياة الأجيال الحالية مؤقتًا، ولكنهم من ناحية أخرى جلبوا للحياة -عن غير قصد- ما يجعلها تتقدم سريعًا. إن ارتكبوا -ولا يزالون يرتكبون- أعظم شر بفسادهم الديني، سيجدون أنهم بما ابتكروه من اختراعات تضر الناس وتضر أجيالهم، يجلبون تلقائيًا للبشر ما يؤحدهم جميعًا. إنهم يفسدون الناس، لكنهم يفسدونهم جميعًا: هنودًا وصينيين وزنوجًا... يفسدون الجميع. لقد أفسد لاهوت العصور الوسطى وفساد روما شعوب بعينها؛ أي قطاع صغير من الإنسانية، أما الآن تُفسد الكهرباء والسكك الحديدية والبرق والصحافة الجميع. الأمر يصيب الجميع، ولا يمكن ألا يكون كذلك، والجميع يعانون بنفس الدرجة، ويشعرون كذلك بمدى حاجتهم إلى تغيير هذه الحياة، وبالأساس إلى تغيير فهمهم للحياة، أي الدين.

آلات... حسنًا، ولكن ماذا تنتج؟ برق وهواتف، ولكن ماذا تنقل؟ مدارس وجامعات وأكاديميات، ولكن ماذا تُعلم؟ اجتماعات، ولكن ماذا تناقش؟ كتب وصحف، ولكن لنشر أخبار عن ماذا تحديدًا؟ سكك حديدية، ولكن لنقل من وإلى أين؟ اجتماع ملايين الناس وخضوعهم لسلطة واحدة، ولكن لفعل ماذا؟ مستشفيات وأطباء وصيدليات كي تستمر الحياة، ولكن لماذا؟

يعاني الملايين جسديًا وروحياً لهدف واحد؛ أن يتمكن من استولوا على السلطة من ممارسة فسادهم دون أي عواقب. لأجل هذا وُجد الدين والعلم الزائفان، والمخدرات والمشروبات المسكرة والتعليم، وحينما لا يكفي كل ذلك يأتي دور العنف الفج والسجون وأحكام الإعدام.

أفيقوا... أفيقوا بحق الله، وإن لم يكن بحق الله، فبحق أنفسكم! فلتدركوا جنون حياتكم. فلتفارقوا تلك التفاهات للحظة واحدة؛ تلك التفاهات التي تشغلون بها أنفسكم وتبدو لكم شديدة الأهمية. فارقوا ملايينكم وسرقاتكم واستعدادكم للقتل وبرلماناكنم وعلومكم وكنائسكم. ابتعدوا عن كل ذلك للحظة واحدة وانظروا إلى حياتكم، وإلى أنفسكم وأرواحكم التي تعيش في هذا الجسد لمدة قصيرة غير محددة، ولتستفيقوا وتنظروا إلى أنفسكم والحياة المحيطة بكم، وحينها ستدركون كل جنونكم، وستشعرون بالهلع منه. فلتشعروا بالهلع ولتبحثوا عن الخلاص منه. ولكن ليس لديكم ما تبحثون عنه، فهو موجود بداخل كل منكم. استفيقوا وأدركوا مَنْ أنتم واسألوا أنفسكم عما أنتم في حاجة إليه فعلاً؟ ستجدون جميعاً إجابة واحدة تظهر أمامكم؛ إنه الإيمان الواحد الملائم لنا ولزماننا الإيمان بالله وبقانونه الذي انكشف لنا، لا... لم ينكشف لنا، بل هو كامن بداخلنا؛ قانون الحب، الحب الحقيقي، حب الأعداء الذي أقر به كافة المعلمين العظماء -وكيف لا يقرون به؟- وهو ما يُعبّر عنه بوضوح في الإيمان الذي نريد الاعتراف به، ونعتقد أننا نعتز به. استفيقوا ولو لبرهة قصيرة، وسيضح لكم أن هناك أمراً واحداً مهماً في الحياة... ليس أمراً خارجياً، بل هو بداخلنا

وهو ما نحن بحاجة إليه. فلتدركوا وحسب أنكم لستم في حاجة إلى شيء عدا تخليص أرواحكم، وأننا بذلك وحسب سننقذ العالم. آمين.

كل ذلك بسبب الخرافة الأكثر تدميرًا والأوسع انتشارًا بدرجة مريعة بين كل من يعيشون من دون إيمان؛ خرافة أن بإمكان الناس تنظيم حياتهم بشكل حسن، وحياة الآخرين كذلك على مستوى الأسرات والطبقات والشعوب. تعود درجة تدميرية هذه الخرافة إلى أن الإنسان يُبدّد قوة الروح التي وهبت له من أجل كمال نفسه كاملاً على تنظيم حياته، وعلاوة على ذلك تنظيم حياة الآخرين.

١١ مايو.

نعاس وضعف مجدداً. أتحرك بصعوبة وليست لديّ رغبة في كتابة شيء. لكن أثناء تنزهي دونت فكرة مهمة، وحمداً لله لم أرتكب شرّاً، وأشعر بسهولة ذلك. أعاد تشيرتكوف كتابة مقدمتي وراجعها كذلك. لا أريد أن أنشغل بذلك العمل. إن سمح الله سأكتب مقالي عن الجنون وقصة (لا مذنبين في هذا العالم). ذهبت بالجواد إلى مونجول. وصلني خطاب من ساشا. جاء آل أبريكوسوف. عليّ أن أنهض الآن وأجلب دفتر أفكاري من عند الفراش، ولكن القيام صعب. أفكار:

١ - خرافة الشر. لا وجود للشر. الحياة خير. الشر هو غياب الخير، وهو دلالة على الضلال والخطأ. ووجد الزمان حتى نستطيع أن نرى أخطاءنا ونصلحها، ونُسر بإصلاح أخطائنا، وهذه أعظم نعمة. إن لم نصلح أخطاءنا، ستُصلح رغماً عنا بالموت.

نعم... الحياة خير، ولا وجود للشر. هناك أخطاء نرتكبها وحسب: عامة وشخصية. بالزمن لم نوهب فرحة إصلاح أخطائنا وحسب، بل الاستفادة كذلك من ملء التجربة التي تختبرها الإنسانية.

١٢ مايو.

خرجت صباحًا لأتنزه، وفكرت جيدًا. بعد ذلك انتابني ضعف ولم أفعل شيئًا. قرأت وحسب (عن الدين)^(٣٥٩). عرفت أمرًا جديدًا عن الديانة الصينية، أثار أفكارًا بذهني. تنزهت بالجواد بصحبة بولجاكوف. أشعر بالكآبة في منزلي لعدة أسباب. وصلني خطاب قصير من ساشا. حديث مع تاجر وآخر مع شرطي ريفي. أفكار:

١ - كم يسهل على الأفراد والشعوب على السواء أن يستوعبوا ما يسمونها الحضارة... الحضارة الحقيقية! كل ما عليهم هو ارتياد الجامعة وتنظيف أقدامهم والاستفادة من خدمات الحائك ومصفف الشعر، والسفر للخارج واستعداد كل فرد لأن يكون أكثر الناس تحضرًا. بالنسبة للشعوب: المزيد من السكك الحديدية والأكاديميات والورش والفرقاطات والحصون والصحف والكتب والأحزاب والبرلمانات، واستعداد الشعب ليكون أكثر الشعوب تحضرًا. الناس إذن يتمسكون بالحضارة لا التنوير، على مستوى الأفراد والشعوب على السواء. الأمر الأول سهل، ولا تتطلب جهدًا، وتلقى القبول. أما الثاني، فعلى النقيض؛ يتطلب بذل الجهد، ولا يقتصر الأمر على أنه لا يلقى القبول وحسب، بل إنه يُحتقر دائمًا، ومكروه من الغالبية، وبالتالي يفضح ذلك زيف الحضارة.

(٣٥٩) ترجمة روسية لكتاب اللاهوت الألماني Otto Pfleiderer .

٢- نطلق كلمة شر على ما لا يروق لنا جسدياً: كلب شرير - جواد شرير - قلم شرير (لا يكتب) - طاولة شريرة بالنسبة لطفل يضربها بيده - إنسان شرير - إله شرير .

١٢ مايو.

أفكار:

١- تكفي الإشارة إلى أن معظم الناس ينتظرون فرصة العمل كإحسان يُقدّم إليهم ليتضح لنا مدى بشاعة حياتنا اللا أخلاقية ومدى حماقتها وخطورتها وفقرها.

٢- ما أصاب العلوم جميعاً أصاب الطب كذلك: أن تمضي بعيداً دون فحص. قليلون يعرفون تفاصيل دقيقة غير ضرورية، في ظل غياب المفاهيم الصحية المفيدة عن الشعب.

٣- مهما حاولت أن أعيش أمام وجه الله وحسب، أجدني غير قادر على ذلك. لن أقول إني أولي عناية لحكم الناس وإني أحبهم، لكنني بلا شك أشعر بهم كما أشعر بجسدي بدرجة يتعذر كبجها، وإن كان الأمر بصورة أضعف وبطريقة أخرى.

صحيح ذلك.

نمت طويلاً، ونهضت شاعراً بضعف شديد مثلما يحدث دائماً عندما أنام طويلاً. تنزهت وذهبت إلى المستشفى وانتظرت هناك في قاعة الاستقبال. أمر شيق. لم أكتب شيئاً مجدداً. حظيت بحديث جيد مع بعض المعلمين. وصل ابن زوج تانيا (من زوجته الأولى). لا بأس.

قضيت فترة المساء بسرور. تحدثت مع دوشان وبولجاكوف.

٤- أكثر ما يوضح خرافة الشر هو أن الموت يُعتبر شرًّا. بالنسبة لي أعرف جيدًا أنه ليس كذلك.

١٤ مايو.

ألمني جانبي. استيقظت شاعرًا بالحيوية. تنزهت كثيرًا. لم أدوّن شيئًا. قرأت بالمنزل أعمالاً لفيريسايف وسيميون. بعد الإفطار تمشيت حتى قرية جيليايوخ^(٣٦٠). قضيت وقتًا لطيفًا. وصل تشيرتكوف وتانيا. حظيت بحديث جيد مع الفلاحين ساد عليه المرح واللفظ. نمت بالمنزل.

١- كم يحسن أن يجيب المرء بإخلاص عن سؤال: «كيف حال صحتك؟» قائلًا: لا أعرف. الأمر لا يخصني! وصلني خطاب جيد من ساشا. سأنام، لكنني سأكتب فقط ردًّا على خطاب سيميونوف.

١٥ مايو.

شعرت بالضعف طوال اليوم. لم أعمل. لم أدوّن حتى شيئًا في دفثري. تحدثت طويلاً مع الفلاحين. جاء سيد ممل، أما الفلاحات فجميعهن تحلين باللفظ. أردت أن أدوّن فكرة غير مهمة، لكنني نسيتها. يطالبني تشيرتكوف وتانيا بأن أعطيتهما نص المسرحية الكوميدية، لكنني غير قادر على إكمالها... إنها سيئة.

(٣٦٠) مسافة أكبر من خمسة كيلومترات.

١٦ مايو.

ظللت مريضًا طوال اليوم: حرقه في المعدة وضعف. لم أفعل شيئًا، ولم أتناول شيئًا، ولم أخرج.

١٧ مايو.

تحسنت حالتي اليوم قليلًا. وصلني خطاب جيد من ساشا. تمشيت صباحًا قليلًا، وقرأت لريفيل^(٣٦١). كتاب شيق أثار أفكارًا بذهني. تغذيت في الردهة. في المساء جاء بعض الضيوف ولعبنا الورق. ملل. خطابات غير مهمة، تتطلب إجابات واهتمامًا. سأنام في الحادية عشرة.

١٨ مايو.

أشعر اليوم أنني بخير تمامًا، جسديًا وروحيًا على السواء. تمشيت. راجعت المسرحية لكنها سيئة. وصلني خطاب لطيف ومؤثر من أجريوموفا، وكتبت لها خطابًا طويلًا. نمت قبل الغداء. مساء معتاد. لا أزال أقرأ كتاب ريفيل، وفيه الكثير من الأمور الشيقة. ريفيل كاتب ساذج للغاية. إنه يعتبر أن أكثر دلالات عدم تنوير الشعب هي أن يعيش منكرًا للدولة والملكية. أفضت بي قراءتي للكتاب إلى العديد من الأفكار:

الحقيقة الدينية: هي الوعي بجوهر داخل المرء يمنح الحياة للجميع، والسعي صوب إرضاء متطلبات هذا الجوهر؛ تلك المتطلبات التي يدركها الناس جميعًا، والبعض منهم أكثر حساسية بهذا الوعي عن غيرهم. الأمر واحد في كل مكان: التعبير عن هذا الجوهر الأسمى يوحد

(٣٦١) لاهوتي بروتستانتي وأستاذ في تاريخ الدين بكونليج دي فرانس.

الناس، بينما يشوه مَنْ وَحَدَّتْهُمْ الشهوة فهم هذا الجوهر ومتطلباته. لذا يُعد اتحاد البعض أساسًا وسببًا للتراجع عن المتطلبات التي يعيها الإنسان.

حينها يظهر مجددًا تعبير واضح عن الجوهر الديني ومتطلباته، وتخضع له بعض المجموعات من الناس، ثم يتشوه ثانية، ويسوء الوضع، ويتطلب الأمر تعبيرًا آخر ساميًا وعامًا عن متطلبات الوعي الديني، ثم يخضع له عدد كبير من الناس، ويتشوه مجددًا... ولكن في كل مرة يزداد عدد مَنْ يعيشون حياة مشتركة، ويُحسِّنون حياتهم ماديًا أكثر فأكثر. هذا يعني أن أمرين يسيران بالتوازي بشكل دائم: يسمو فهم الحقيقة الدينية، ويزداد عدد مَنْ يقبلون هذه الحقيقة، ثم تُشوّه هذه الحقيقة من جهة، ومن جهة أخرى تزداد النجاحات المادية. يزداد عدد مَنْ يتحدون من البشر معًا، وكذلك يزداد التواصل بين الناس.

هكذا مضى الأمر حتى وصل إلى أقصى درجاته في زماننا هذا. نصف السكان -إن لم تكن النسبة أكبر من ذلك- على اتصال ببعضهم البعض، ويحدث ذلك في ظل نجاحات مادية هائلة، وفي الآن ذاته وصل تشوّه أسمى حقيقة دينية، مسيحية وإسلامية على السواء، إلى أقصى درجاته.

فكرت في كل ذلك على نحو أفضل، وإن شاء الله سأعبر عنه في ما بعد بصورة أوضح؛ لأن الصياغة هنا ليست كما يجب.

الفكرة الثانية التي أفضت إليها قراءة ريفيل:

٢- أشعر بحجم التأثير الجيد الذي تُحدثه دراسة الحياة في روعي؛

خاصة الحياة الروحية لكافة شعوب الأرض. وسط ملايين البشر الذي عاشوا، ويعيشون، أحياء أنا... أنا الكائن الضئيل البائس الدنيء، وأعي نفسي بقدر. جنون حقاً أن أظن أن أنائي المادية تحظى بهذه الأهمية وسط تلك المليارات والمليارات من البشر الذين عاشوا ويعيشون، وغالبيتهم أسمى مني عقلياً وروحياً. إن كنت شيئاً ما، فأمام الله ونفسي وحسب... أقصد أنائي الإلهية.

٣- كم من الصعب، وبالتالي حسن ومبهج أن يعيش المرء في استقلال كامل عن حكم الناس، ويعيش أمام حكم ضميره والله وحسب! أختبر ذلك أحياناً... كم هو حسن!

٤- الذاكرة؟ كم يخلط الناس بين الذاكرة والعقل! لا يرون أن الذاكرة تستبعد العقل ولا تتسق معه؛ العقل الأصيل الذي يحسم المسائل الرئيسة. كل منهم يحل محل الآخر.

١٩ مايو.

كان من الممكن أن يكون يومي الأخير في كوتشيتي رائعاً لولا طريقة حياة السادة هذه، المُرْتَبَة والرفيقة، والتي تبدو عادلة وصالحة ورغم ذلك هي في الحقيقة مريعة، تتضمن تناقضاً مفزعاً لا يتوقف عن تعذيبي. راجعت المسرحية وحسب. حالتي الصحية جيدة. يلتقطون لي بعض الصور. دَوَّنتُ أمراً ما، لكنني لن أنقله إلى دفثري هنا، فقد تأخر الوقت وأنهكت. نمت ليلاً حوالي ثلاث ساعات. كنت طوال اليوم شديد الحيوية.

نمت ثلاث ساعات مجددًا، بل وربما أقل، لكن ذهني صافٍ وأشعر بالحيوية. تنزهت سيرًا حتى ابتعدت. فكرت كثيرًا ليلاً ودوّنت فكرة ما. راجعت المسرحية. لا تزال سيئة. صليت ليلاً صلاتي الأخيرة المحببة: «عونك يا سيدي لأعيش بمعزل عن حكم الناس، وأعيش أمام وجهك أنت وحدك، معك وبك». أفكار:

١ - «عونك يا سيدي لأعيش مُنفذًا إرادتك أنت وحسب». ماذا يعني ذلك؟ أولاً: أنا شخصية قادرة على التفكير داخل حدود المكان والزمان وحسب، وأجدني تلقائيًا أتصور نفسي جوهرًا غير مرئي يمنح الحياة للجميع، وللشخصية كذلك. لا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك. ثانيًا: لا أريد شيئًا، أو أن أكثر ما أريده هو أن أتحد بهذا الجوهر. أريد أن أزيل كل ما يحول دون هذه الوحدة.

لم أنجح في التعبير عن الفكرة رغم أنني عندما فكرت فيها قلت لنفسي: يا لقوتها وجددتها!

٢ - يعتبر الفلاحون أن من الضروري أن يكذبوا، وعندما تتعادل الظروف يفضلون الكذب عن الحقيقة. يعود ذلك إلى أنهم قد تعودوا على ذلك؛ لأن الناس يكذبون دائمًا عندما يتحدثون معهم أو عنهم.

٣ - جوهر حياة كل شيء بداخلي. إنني أعرف ذلك ليس لأنني درست العالم، بل لأنني أشعر بالعالم كله، وأعيش به، لكنني أشعر وأعيش به، مدرّكًا محدوديتي بالزمان والمكان.

أشعر بوضوح تام بوجودي داخل حدود جسدي، أما شعوري بوجود أناس بصحبتني في ذات اللحظة والمكان أقل وضوحًا، وشعوري بأولئك الذين يفصلني عنهم المكان والزمان أقل وضوحًا، لكنني على أي حال أعرفهم، ليس ذلك وحسب، بل وأشعر بهم. يقل شعوري وضوحًا عن ذلك بالحيوانات، والأقل من ذلك هو شعوري بالجمادات. لكن الأمر لا يتوقف على أنني أعرف كل ذلك، بل إنني أشعر أيضًا بجوهر واحد يمنح الحياة للعالم كله.

٤- يصف أحد الأساتذة التابو بجدية شديدة، شاعرًا بالهلع من عدم تحضر تلك الجماعات الهمجية، بينما هو نفسه يعترف بتابو الملكية؛ الملكية المقدسة وملكية الأرض.

٥- الأمر كله يتلخص في الصعود إلى تلك البقعة التي يمكنك منها أن ترى نفسك.

٦- ما نسميه (الواقع) هو نوم يستمر طوال الحياة، نستيقظ منه تدريجيًا في الشيخوخة على واقع أكثر واقعية، ولا يكتمل استيقاظنا تمامًا إلا بالموت.

٧- يا لسمو هذه العادة الأخلاقية التي تتم في كافة أسر الفلاحين حينما يعطي البالغ كل ما كسبه من عمله لإعالة الشيوخ والصغار!

٢٢ مايو- ياسنايا بوليانا.

تمشيت وفكرت في الآتي:

١- مهمة جدًا: عندما تتواصل مع إنسان لا يجب أن تهتم كثيرًا بأن

تجعله يدرك أنك تشعر صوبه بالحب، بقدر ما تهتم بمعرفة ما إن كنت تشعر فعلاً بحب حقيقي تجاهه أم لا.

٢- الأمر برمته شديد البساطة: أخضع الغزاة والقتلة والسارقون العمال. في حوزتهم سلطة توزيع العمل، وبالتالي يختارون من مقهوريههم معاونين لهم في عمليات نهبهم، ويعطونهم حصة مما يُنهب، وذلك لنشر سلطتهم وحفظها ودعمها. ما كان يحدث ببساطة ووضوح في الماضي، يحدث الآن بطريقة زائفة متوارية. دائماً ما نجد وسط المقهورين أناساً لا يتورعون عن المشاركة في النهب، ويحدث كثيراً - خاصة الآن - أنهم لا يفهمون حتى ما يفعلونه، ويسعون إلى ما من شأنه أن يستعبد إخوانهم بهدف الربح. يحدث ذلك الآن بدءاً من الجلاد والجندي والدركي والسجان، وحتى المُشرّع والوزير وصاحب البنك وعضو البرلمان والأستاذ الجامعي والأسقف، ومن الواضح أن ذلك لا يمكنه أن ينتهي أبداً بطريقة أخرى غير الآتي:

- أن يفهموا أولاً طبيعة ذلك الخداع.

- أن يحدث تطور أخلاقي سامٍ يجعل الناس يتخلون عن المكاسب التي كانوا سينالونها، وذلك كي لا يشاركوا في استعباد أقربائهم وجلب المعاناة لهم.

٣- أ- يبحث عن الحقيقة ويجدها بنفسه. تقسيم:

- يبحث عن الحقيقة ويرضى بما وجدته.

- لا يرضى بما وجدته، ولا يتوقف عن البحث.

ب- يبحث عن الحقيقة، ولكن ليس بعقله وجهده، بل عبر بحث الآخرين وتتبع ما وصلوا إليه. تقسيم:

- يبقى على ما وصل إليه إلى الأبد.

- يُغيّره.

ج- لا يبحث عن الحقيقة، بل يتناول ما يتبادر إلى ذهنه أو ما يصادفه، ويظل متمسكًا به طالما لم يُعق حياته بشيء.

د- لا يبحث عن الحقيقة، ويتمسك بما يصادفه بدافع من الياقة وحسب. تقسيم:

- ديني.

- علمي.

هـ- لا يعترف بأي حقيقة. تقسيم:

- يعترف بذلك.

- لا يعترف بذلك.

فوّت يوم ٢١. لا أزال أشعر أنني بخير. عملت قليلًا. تنزهت بالجواد. اشتكت الفلاحات. أخبرت صوفيا بذلك. في المساء لقاء بأندرية وسيريوجا. فارقتهم سريعًا.

اليوم ٢٢ مايو. استيقظت مبكرًا. نقلت إلى دفترتي هنا ما دوّنه بولجاكوف عني. تمشيت حتى سياج الأشجار ثم ضللت طريقي ومضيت إلى مكان الهاتف. أنهكت بشدة. راجعت المسرحية. تحسنت حالتي قليلًا، لكنها لا تزال سيئة. عدد ضخّم من الزوار. يبدو أنني لم

أسلك بطريقة شديدة السوء، مُطبقاً قاعدة عدم الاهتمام برأي الآخر، بل بحالته الروحية. قبالة الغداء جاءني إيفان إيفانوفيتش ببروفة الطباعة، ثم جاء شخص رائع من مقاطعة تولا رفض أداء الخدمة العسكرية، وسُجن بسبب ذلك ثمانية أعوام ونصفاً. طلبت من بولجاكوف أن يكتب قصته. أعطيته عشرة روبلات. يُدعى فوكين.

دار بيني وبين صوفيا حوار سيئ. لم أكن جيداً. فعلتُ كل ما طلبته منها^(٣٦٢). الساعة الآن الحادية عشرة. سأنام.

٢٤ مايو.

لم أدوّن شيئاً يوم أمس، رغم كونه شيئاً. عملت في دفاتري (كتاب: طريق الحياة). ذهبت إلى إيفان إيفانوفيتش. أثناء الغداء جاء أندريه وميتاشا. في المساء جاءني شخص جاد وذكي، يستعد لرفض أداء خدمته العسكرية. ثم جاء بوليجين وجولدنفازير وأليوشا سيرجينكو، وسكيبيتروف ونيكولايف. ببساطة شعرت بالضييق. الحديث يعذبني، لا أتحدث إلا عند الضرورة.

استيقظت اليوم مبكراً؛ في السابعة. أفكار:

١ - يذهبون إلى شخص اكتسب سمعة رائعة، ولديه قدرة على التعبير عن أفكاره بوضوح... يذهبون إليه ولا يعطونه فرصة لقول كلمة واحدة، ويقولون له ما هو واضح تماماً بالفعل له، أو يخبرونه بأمور قد

(٣٦٢) سبب الجدل بينهما هو أن حارس أرضهما كان يمنع الفلاحات من العبور بالأرض للذهاب إلى عملهن، وكانت هذه شكوى الفلاحات لتولستوي.

أدرك حماقاتها منذ زمن طويل.

تمشيت طويلاً، وفكرت ونظرت من حولي وتشممت الأزهار وجمعت بعضها. حالتي الروحية جيدة جداً. أشعر كما لو أنني متحد بالله. تدمرت في المنزل من إيليا فاسيليفيتش. راجعت دفاتر الله وإنكار الذات والتواضع. المسرحية برمتها سيئة، سلّمتها لهم ليقرأوها. تنزهت في الغابات بالجواد بصحبة دوشان. في المساء جاء سكييتروف وأليوشا سيرجينكو وجولدنفايزر، وحظينا بحديث جيد في الشرفة. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

٢٥ مايو.

بصحة جيدة. تمشيت قليلاً. فكري يعمل بضعف. راجعت دفاتري بمثابة، ووجدت أن لا بأس بها. أرسلتها إلى إيفان إيفانوفيتش. كتبت خطاباً واحداً. وصلني خطاب من جوسيف وكتاب (المسيحية والدين التوحيدي). لا أريد التفكير. حمداً لله أشعر أنني شديد السوء. وصلني خطاب من ساشا. وصل سيريوجا. ليس لديّ ما أدوّنهُ، وهذه دلالة على ضعفِي الفكري الآن. آه تذكرت، جاءني صباحاً معلم شاب قد هدّد قبلاً بالانتحار. سلكت معه بشكل سيء.

٢٧ مايو.

فوتُ يوم أمس. استيقظت بالأمس مبكراً. أتذكر أنني سلكت بسوء مع المتسولين. عملت كثيراً في الدفاتر. أنهيت خمسة دفاتر نهائياً، وعملت في دفتريْن إضافيين. تنزهت قليلاً بالجواد بصحبة دوشان.

ساشا في الطريق. قرأت في المساء مقالة جيدة لفيبر (أستاذ تاريخ بجامعة موسكو) عن روما. أردت أن أكتب عن ذلك الجندي الذي قتل إنساناً^(٣٦٣). استيقظت في الصباح الباكر... لا، بل استيقظت ليلة أمس وكتبت عن شعور قوي وجديد جداً:

١- للمرة الأولى أشعر بهذه القوة بمدى عرضية هذا العالم. لماذا تعيش الآن التي تتسم بالوضوح والبساطة والعقلانية والصلاح في هذا العالم المتشابك المعقد المجنون الشرير؟ لماذا؟

٢- عن المحاكم: آه لو يفهم أولئك البائسون والأغبياء والأفطاز، الأشرار الراضون عن أنفسهم، ماذا يفعلون حينما يطلقون أحكامهم، مرتدين ثيابهم الرسمية، جالسين على طاولات مغطاة بمفارش خضراء، منخرطين في تكرار وشرح كلمات عبثية، باهتمام شديد؛ تلك الكلمات المكتوبة في كتب دنيئة تسيء للإنسانية! آه لو فهموا أن ما يسمونها (قوانين) هي بمثابة تهكم فج من القوانين الأبدية المدونة في قلوب الناس جميعاً! أناس أطلقوا النار على بعض الطيور -دون أي سوء نية- في مكان يُدعى «الكنيسة»، حُكِمَ عليهم بالأشغال الشاقة بتهمة تدنيس المقدسات، ولكن أولئك هم مَن يدنسون أقدس ما في هذا العالم دون توقف: يُعَلِّمُ القيصر ابنه البريء أن يقتل. هذا ما يفعله المدعوون مسيحيين. ولكن الأمر ليس كذلك عندما يهرب جندي لا يريد أداء خدمته العسكرية؛ لأنه لا يشعر بالحاجة إلى فعل ذلك. كم

(٣٦٣) إشارة إلى قصة حكاها له ابنه سيرجي عن جندي قتل أحد الثوريين، وعانى بعدها من عذاب ضمير هائل. نوى تولستوي أن يكتب قصة عن ذلك، لكنه لم يفعل.

أرغب وأشعر بضرورة الكتابة عن ذلك!

في يوم ٢٧ وصلت ساشا. بكى كلانا من شدة الفرح. إنها مبتهجة جداً. أخشى من ذلك. حالتي المزاجية سيئة، لكنني عملت بقدر استطاعتي. ها أنا ذاهب لتناول الإفطار.

خرجت بالجواد بصحبة بولجاكوف. نمت. خطاب من تشير تكوف عن أورلينييف (ممثل مسرحي). سأحاول الانتهاء من المسرحية. جاء كوليتشكا جي. كم هو لطيف! استمعت له بالمساء. ساشا بخير. سأنام الآن، إنها الحادية عشرة.

٢٩ مايو.

بالأمس نمت قليلاً. تمشيت وودّنت أفكاري. عملت في دفاتري. لا أشعر بالرضى الكامل عنها. خطابات قليلة. رحل بولجاكوف. مساء معتاد. عليّ أن أغالب شغوري غير الطيب صوب سيريوجا.

استيقظت اليوم أيضاً مبكراً في السادسة. شعرت بضعف شديد. حديث مع صوفيا، اضطربت إثره. خفت عليها، ولكن حمداً لله تدبرت الأمر. وصل ترويتسكوي (نحات روسي). شديد اللطف. عملت اليوم أيضاً بشكل لا بأس به. أنهيت دفاتري تماماً، وسلّمتها لإيفان إيفانوفيتش. تحدثت مساءً، لكنني ضبطت نفسي. فارقتهم في الساعة الحادية عشرة. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام. وصلني خطاب صغير من تانيا. أريد تدوين فكرة أخرى، لكنني لن أتمكن من ذلك.

المقدمة غير مناسبة تماماً. اليوم وأمس راجعت المسرحية قليلاً.

٣٠ مايو.

بعد نزهتي راجعت المسرحية والمقدمة. كلاهما سيئ. خرجت
بالجواد بصحبة تروبيتسكوي. إنه إنسان أصيل جدًا وذكي. يبدو أنني
ليس لديّ ما أدوّنه. في المساء حظيت بحوار شيق مع نيكولايف.
سأنام، إنها الثانية عشرة.

١ يونيو.

لم تكن حالتي المعنوية جيدة بالأمس. أظن أنني لم أرتكب فعلًا
سيئًا رغم وجود عدد كبير من الزوار. خطابات قليلة. أشعرتني ذلك
بالضيق... يا للخي! راجعت مجددًا المسرحية والمقدمة، ثم مجددًا
نزهة على الجواد بصحبة تروبيتسكوي في تيلياتينكي. حشد من الناس:
جي وزوسيا وستاخوفيتش. رحلوا في المساء.

نمت اليوم كثيرًا، ويبدو أنني راجعت بدرجة لا بأس بها. رافقني
تروبيتسكوي في نزهتي على الجواد، وساورني شك بسيط في تملقه
لي، وساءني ذلك. عدت لتوي وسأنام. هناك أمر جيد حدث صباحًا،
عليّ تدوينه. نسيت! إنها الحادية عشرة مساءً. سأنام. ساشا مبتهجة.
قرأت ما كتبوه عن تشيرنيشيفسكي^(٣٦٤). استفدت جدًا من إدراكي
لاختياله بالأحكام الفجة لأولئك الذين يفكرون بطريقة مختلفة عنه.
يرادوني شعور شديد الطيبة والطف صوب صوفيا؛ شعور جيد روحي
محب. حالتي الروحية جيدة بالرغم من تبطلتي.

(٣٦٤) مقالة عن الكاتب الروسي نيكولاي تشيرنيشيفسكي، تستند إلى خطابات لم تُنشر له سابقًا.

٣ يونيو (٢، ٣).

نمت كثيرًا في يوم ٢، وشعرت بالضعف. لكنني بشكل ما تمكنت من العمل مجددًا في نفس الأمرين اللذين أصبحت أشعر بالنفور منهما: المقدمة التي تتضمن عرضًا لإيماني وما أعيش به، وتلك المسرحية الكوميديّة الغبية التافهة. تقدم العمل قليلًا في كليهما. خرجت بالجواد بصحبة تروبيتسكوي، وسُررت جدًا بهذه النزهة، لكنني مللت منه ومن تملقه لي. غداء، وشعور غير طيب صوب سيريوجا، لم أناضله بما يكفي. ولكن راودني شعور طيب جدًا تجاه صوفيا. أعنها يا رب.

استيقظت اليوم مبكرًا، وعكفت على العمل على المقدمة والمسرحية، وبدأت في المراجعة دون أن أغيّر ثيابي. تمشيت. أنهكت بشدة. عملت مجددًا في العمليّن ثم دوّنت هذه الأفكار:

١- لم أعود نفسي بعد على العيش أمام وجهه وحده، دون التفكير في حكم الناس. لا أستطيع تعويد نفسي لأن الرغبة في إرضاء الناس تخالط بشدة متطلبات الروح في كثير من النواحي، وأحيانًا يمتزجا تمامًا حتى لا يعود بالإمكان فصلهما. كم أشعر بحاجة مريّة! كم يعتريك ضعف وقلق وريبة عندما تفكر في آراء الناس، ويا للحرية والهدوء والقدرة الكلية التي تتمتع بها حينما تعيش لنفسك وحسب أمام وجهه وحده!

تنزهت على الجواد بصحبة دوشان، وحظيت في المساء بحوار جيد مع نيكولايف. لا يزال نفس الشعور غير الطيب يراودني تجاه سيريوجا، لكنني أناضله.

٤ يونيو.

استيقظت مبكرًا. تعاملت على نحو جيد جدًا مع المتسولين. تنزهت. خطابات؛ واحد منها مهم عن وباء الكتابة^(٣٦٥). انشغلت بمسرحيتي الكوميديّة ثم نَحَّيتها عني بنفور. راجعت المقدمة بكُدّ. خرجت بعد العمل مُنهكًا، ووجدت عشر فلاحات في انتظاري، وتعاملت بشكل سيئ؛ لا أقصد معهن، بل مع عزيزي دوشان المنكر لذاته. وبَّخته. أصبح كل شيء منفّرًا.

تنزهت مع دوشان بالجواد، وكانت نزهة جيدة. عدت لأجد الحارس الشرکسي قد جلب بروكوفي (فلاح)^(٣٦٦). شعرت بضيق رهيب، وفكرت مباشرة في الرحيل.

٥ يونيو.

الساعة الآن الخامسة صباحًا.

جاءت عزيزتي الغالية تانيتشكا. بكيت بينما أتحدث معها. كنت دنيئًا في ذلك^(٣٦٧)، فهكذا يتعلق الأمر دائمًا بي... بمسرتي، لا بواجبي. بعد ذلك ذهبت إلى صوفيا وأخبرتها أن كل شيء بخير. لا يراودني تجاهها أي شعور غير طيب. عونك يا سيدي، أشكرك يا سيدي، لا على أنك أعتنتي، بل على أنني قادر أن أصفح بحسب إرادتك، وقادر

(٣٦٥) رد من تولستوي على خطاب لفلاح أرسل إليه قائلاً إنه يريد التحول إلى مهنة الكتابة.

(٣٦٦) من الواضح أن الحارس أمسك بالفلاح يمر عبر المرح الخاص بآل تولستوي.

(٣٦٧) ربما أخبرها برغبته في الرحيل.

على أن أحب وأبتهج بذلك. غداء. جاءت كلود التولستوية^(٣٦٨)، ثم جاء بولجاكوف. كالعادة راودني نفس الشعور تجاه سيريوجا، لكنني ضبطت نفسي. يا لثقتي المفرطة في الذات! أمر غير محتمل. كم يحرم الناس أنفسهم بهذه الثقة المفرطة من خيرهم الأعظم: الحب! أفكار:

١ - يقولون لإنسان: «عليك بالعمل»، فيقول: «لا أريد». إن قلت له: «على الجميع أن يعملوا» سيقول: «فلتدعوا هؤلاء الأغنياء الذين لا يفعلون شيئاً يعملون ويقدمون لنا مثلاً. فور أن يعملوا سأعمل أنا أيضاً. لن أعمل إلا حين يعملون».

٢ - نعم، علينا أن نتعلم الحب كما نتعلم العزف على الكمان. ولكن كيف نفعل ذلك تجاه شخص نشعر بالنفور التام منه ومن ثقته المفرطة في الذات؟ أريد أن أشعر بالاحتقار صوبه، ولكن هذا يخرق الحب. هل أتجنبه إذن؟ نعم، ولكن من الضروري أن أكون مستعداً للحب. يستلزم ذلك الآتي:

- فلتنظر بعناية لترى ما إن كان شعورك بالنفور ينطوي على أي أمر شخصي، كأن يكون قد جرح كبرياءك مثلاً أو ما شابه.

- لا تسمح لنفسك بالتفكير فيه بشكل غير طيب أو استرجاع أي فكرة غير طيبة تجاهه.

- استيقظت اليوم مبكراً، شاعراً بالضعف، ودوّنت ما سبق.
عونك... عونك يا سيدي!

(٣٦٨) أولجا كلود: امرأة فنلندية روسية مناصرة لآراء تولستوي.

كنت في حالة سيئة طوال اليوم. لم أعمل، وشعرت طوال اليوم بالشفقة على نفسي، وأردتهم أن يشفقوا عليّ، وأردت أن أبكي، وأدنت الجميع كطفل متقلب المزاج. لكنني تماسكت على أي حال. مرة واحدة لم أتماسك، حين قلت على الغداء إنني أنشد الموت. أردت ذلك بشدة ولم أستطع أن أمنع نفسي عن هذه الرغبة. في المساء عزف جولدنفايذر بشكل جيد، لكن برودتي لم تفارقني. خرجت بالجواد.

٦ يونيو.

أمر ثانية بنفس حالة الحزن والشفقة على نفسي. تمشيت حتى غابة زاسيك. التقيت بطفل صغير سألني ما إن كان بإمكانه المرور من هنا أم أن الحارس الشرکسي سوف يضربه. كم شعرت بالضيق! فكرت بطريقة جيدة جدًا، لكن الأفكار غير مترابطة وغير مرتبة. عملت في المقدمة، ولم أستطع العمل في المسرحية. وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف. بعد الإفطار جاءني بعض العمال من مدرسة بريتشيستينكي العمالية. تحدثت معهم حديثًا جيدًا جدًا. ثم جاءت ديما بصحبة البعض من تيليأتينكي. رقص ثم حوار جيد مجددًا مع الفلاحين. في المساء جاء جولدنفايذر. تحسنت أموري تجاه سيريوجا. استلقيت في وقت متأخر. أشعر بضيق شديد. أنا في حالة روحية غريبة نوعًا ما. كما لو أن شيئًا ما يساور ذهني. لا أزال في نفس الضعف. أشعر طوال الوقت بالشفقة على نفسي. هذا ليس حسنًا.

٧ يونيو.

نمت نومًا سيئًا، ولساعات قليلة جدًا. راجعت المقدمة. بعد

ذلك أخبرت صوفيا بأمر الشركسي، وبالتالي أصابتها مجددًا نوبة من الاضطراب والسخط. أشعر بكآبة شديدة. أرغب طوال الوقت في البكاء. ذهبت بالجواد إلى مكان الهاتف. التقيت بالفلاحة والدة القاتل^(٣٦٩). كتبت خطابًا إلى الصحف. في المساء جاء نيكولايف. جادلته ببلادة. جاء نيكيتين.

١٠ يونيو (٨، ٩، ١٠).

فَوْتُ يومين. مرضت وانتابني ضعف رهيب، خاصة في يوم ٨. ببساطة، قاربت الموت. لم أفعل شيئًا في يوم ٨ عدا بضعة خطابات تافهة. جاءتني فتاة تستند إلى دعامتين تطلب مني طلبات غير محددة كالعادة. ساءني مجيء الأطباء، خاصة نيكيتين، بإيمانه بخرافته هذه ورغبته في إقناع الآخرين بها. كتبت خطابًا سيئًا جدًا للصحف عن عدم إمكانية تقديم دعم مالي، لكنني لم أرسله. لا ضرورة لذلك. جاء أورلينيف. إنه مربع. لا شيء غير الكبرياء وأدنى النوازع الجسدية. ببساطة هو مربع. يقارنه تشيرتكوف بسييتين. قد يكون هناك تشابه فعلاً بينهما، من حيث وجود شعلة في كليهما، بل هي موجودة حتمًا، لكن ربما ليس بمقدوري أن أراها.

تحسنت حالتي في يوم ١٠، واستطعت أن أعاود العمل في المقدمة، وقرأت كثيرًا عن البابية، وشعور سيئ فاسد يراودني تجاه نفسي. لازمني هذا الشيطان. لا أستطيع صرفه عني. ولكن إن لم يسعني ذلك، فلأعلم أن هذا ليس أنا، بل شيطان. حسنًا ذلك. لم أذهب لأي مكان. شعرت

(٣٦٩) والدة فلاح متهم بقتل رفيقه.

بالبرد. استيقظت اليوم مبكرًا، لكنني نمت بشكل لا بأس به، وأشعر أنني أكثر حيوية جدًا. كنت سأقول إنني شعرت بأني في حالة صحية ممتازة لولا الصداع. الساعة الآن الثامنة صباحًا.

١٢ يونيو (١١، ١٢).

إنه اليوم الثالث الذي أراجع فيه المقدمة. لم يحدث شيء مهم يستحق ذكره. خرجت بالجواد بصحبة بولجاكوف، وكذلك فعلت بالأمس. مررت بوقت صعب مع الفتاتين. إنهما بئستان لكن تصعب مساعدهما جدًا، كما أنهما قد استهلكتا وقتًا طويلًا مني^(٣٧٠).

أُتخذ القرار بالذهاب إلى آل تشيرتكوف، وأعدت ساشا أمورهما، ثم غيّرت رأيها.

سافرت ساشا اليوم. أخشى عليها. وصلنا بيسر. الساعة الآن الثانية عشر «منتصف الليل» أكتب الآن عند آل تشيرتكوف. ساشا قريبة مني. لم أفعل شيئًا طوال اليوم. لديّ الكثير لأدوّنّه. نعم، ذهبت سيرًا إلى الفتاتين صباحًا، لكنني لم أتححر منهما، ثم ذهبت إلى نيكولايف لأكفّر عن خطيئي أثناء جدالي معه.

١٣ يونيو.

نمت جيدًا. في الصباح عملت مجددًا في المقدمة. تمشيت صباحًا وذهبت في منتصف اليوم سيرًا إلى ميشيرسكوي. سعدت للغاية بذلك.

(٣٧٠) فتاتان -منهما العرجاء السابق ذكرها- ذهبتا إلى تولستوي عبر طريق طويل لتسألاه عن كيف يجب أن تعيش حياة مثمرة ومسيحية، كما سألتاه عن رأيه في بعض الكتابات لهما قد جلبتاها معهما.

ساسا مريضة و المسكينة تشعر بالملل . مدهش حقًا في تلك الضواحي
الرفيعة المجاورة مدى ثراء مجالس الزيمستفو ودور الأيتام والعيادات،
ورغم ذلك يسود نفس الفقر. في المساء راجعت المقدمة مجددًا.
حالي الروحية جيدة. صلاة شكري تحديدًا لها أثر خاص عليّ؛ الشكر
من أجل الحياة وحسب. نعم، أشكرك على الحياة التي منحني إياها،
وكل خيرها، الروحي قطعًا، والذي لست قادرًا بعد على الاستفادة منه،
لكني أشكرك أيضًا على الخير الجسدي؛ على كل هذا الجمال. أشكرك
على الحب واللفظ وفرحة التواصل بالآخرين. فلتتذكر وحسب أنك
نلت نعمة لا تستحقها؛ نعمة أن تكون إنسانًا، وحينها سيصبح كل شيء
جيدًا ومبهجًا. الساعة الآن الثانية عشرة «منتصف الليل».

١٤ يونيو.

طلبت من تشير تكوف أن ينسخ بعض الأفكار مما كتبت:

١- يشير القلب إلى ما تحبه، وبالتالي إلى ما يجب أن تفكر فيه
وتدرسه.

٢- ليس الشر سوى انحراف عن القانون، وهو موت.

٣- لم نُهب أن نعرف ماذا سيحدث بعد الموت، لكن يمكننا أن
نعرف -ونحن نعرف فعلا- أنه خير.

٤- كم هو طبعي أن يغطي المتنورون أجسادهم كلها؛ خاصة
النساء، ولا يكشفون منها إلا ختم الروحانية؛ الوجه! تعرية الجسد الآن
هي دلالة على الانحدار. يجب أن يكون الأمر كذلك مع الرجال أيضًا.

٥- أنا في حالة صلاة قوية وحارة... أرغب دائماً في الصلاة. أحاول أن أصلي: عونك أن أكون معك، وأنفذ عملك، وأقهر كل ما هو شرير فيّ. كل شيء يمكنني أن أطلبه، مهما كانت أفكارى، خاطئ وغير ضروري، وأنا أعني أن كل ما يمكنني أن أطلبه قد وُهبَت إياه، ولديّ كل شيء. يمكنني أن أطلب أمراً واحداً: أن أشكر.

٦- لا يمكن أن تكون هناك وحدة حقيقية إلا بفهم أن هناك ديناً واحداً يمكنه أن يوحدنا؛ طريقة لفهم الحياة. لكن هذا الدين ليس على نمط ديانة الكنيسة أو البابية، بل هو السعي صوب ذلك الدين الواحد. ما يُعطلّ حدوث الوحدة هو الآتي:

١- عدم فهم ما يجب أن نهدف إليه.

٢- الأمر الرئيس: أن نظن أننا فهمنا ذلك، بافتراض أننا قد وجدنا هذا الدين فعلاً، وأنه الكاثوليكية أو البابية... إلخ. الدين الحقيقي هو في المقام الأول البحث عن الدين.

٨- التقيت بإستونيتس. يتمتع بشخصية عملية رزينة جميلة، وفهمت للمرة الأولى بوضوح معنى روسيا: إنها جماعة من الناس تتفوق أخلاقياً وعقلياً على جماعات أخرى، وتفخر بذلك الآن وتحاول بكل قوتها قمع هذه الجماعات. بغض النظر عن قدر الاشتمزاز الذي يثيره ذلك، لكن الأكثر إثارة للاشمزاز هو تبرير ذلك بتلك الوطنية المبجلة!

أبدأ الآن الكتابة في دفتر جديد عند آل تشيرتكوف. تمشيت في الغابات. عملت في المقدمة. ألقىت نظرة على دفترى القديم. سبعة أشهر كاملة وأنا مشغول بذلك وحسب. أيمكن أن يكون كل ذلك

مجرد هراء؟ خطابات غير مهمة. ذهبت سيرًا إلى مصحة المجانين بليوتشاني. رأيت هناك واحدًا منهم مثيرًا جدًّا للاهتمام. قال: «لم أسرق شيئًا. لقد أخذته وحسب». فقلت له: «سوف نعرف في العالم الآخر». فقال: «هناك عالم واحد». هذا الرجل أسمى جدًّا من كثيرين يوصفون بالعقلانية ويعتبرونهم أصحاباء. نمت. غداء. عملت مجددًا في المساء، ثم جاءني شخص تشيكي يسألني عن بعض مسائل التعليم، وحظينا بحوار جيد. خجلت فقط من تدوينه لما أقوله. سأنام.

١٥ يونيو.

خرجت لأتزره، ثم شعرت بالضعف، ولم أفعل شيئًا طوال اليوم تقريبًا: راجعت شهر ديسمبر (من كتاب: لكل يوم) وأجريت تغييرات بسيطة في المقدمة، ثم قرأت ملاحظاتي الخاصة بـ (مذكرات خادم). بمرور الوقت ازداد وعيًا بلا جدوى الكتابة بشكل عام، وخاصة كتابتي. لكن ليس بمقدوري الصمت.

أفكار:

١ - تعتمد التربية على التعليم الديني ونقل هذه المفاهيم الرئيسة للحياة للأطفال بأنسب وأبسط شكل ممكن، وما ينبع عن ذلك من فهم تسترشد به السلوكيات، التي تطورت بدورها عبر الإنسانية جمعاء. بدلًا من ذلك يغرسون في الأطفال ذلك التعليم الديني القديم تحديدًا؛ التعليم المُحرّف الذي لا يتفق مع التعاليم الأخرى ولا يؤمنون به هم أنفسهم. ينطبق ذلك على كافة التعاليم الدينية الكبرى: البراهمانية - اليهودية - البوذية - الطاوية - المسيحية - الإسلام. يا لها من جريمة بشعة!

٢- من المريع أن أقول ذلك، ولكن ما العمل إن كان الأمر هكذا فعلاً! أقصد تحديداً أنه مع كل هذه الرغبة التي لدي في العيش من أجل الروح وحسب؛ من أجل الله، تظل الشكوك تراودني تجاه الكثير والكثير من المسائل، وتظل عالقة. هناك خلاص واحد من ذلك: أن أفعل في اللحظة الحاضرة ما أعتبر أنه الأفضل أمام الله والروح، حتى دون أن أحسم هذه المسائل. إنها ضلالة هائلة ومضرة أن يظن المرء أن بإمكانه أن يحيا دون أن يرتكب خطأ أو خطية.

١٦ يونيو.

لم أستيقظ مبكراً، ويراودني الضعف ذاته. تنزهت، والتقيت بحشد لطيف من الناس. يحزنني شعور ساشا بالحزن. أثناء نزهتي اقترب مني شاب وقال لي إنه يبحث عن السعادة، وطلب مني أن أخبره عن طريقها. كما جاءني امرأة تخبرني عن أن زوجها مدمن للخمر. بالأمس كنت في حالة معنوية سيئة، ورأيت كل ما حولي من هذا المنظور (بالفرنسية). حسناً أن تكتشف في نفسك ما تراه في الآخرين عندما يكونون في حالة معنوية سيئة، وتفهمهم. الأمر ليس أن تسامحهم على ذلك، ولكن على الأقل لا تدينهم. لا أريد أن أكتب شيئاً. الأمر لا يقتصر على أن كل ما كتبته يبدو لي تافهاً، لكن سيئ أيضاً، وبالتالي ليست لدي رغبة في إنهائه. حسناً ذلك. كم يقترب الموت بيسر ودرجة غير ملحوظة! لا يسعني مجدداً سوى الشكر. في الساعة الثالثة ذهبت سيراً إلى ميشيرسكوي للقاء المجنون. أوصلني تشير تكوف بمركبته بعد ذلك. طفت جميع أجنحة المصححة. لم تنجل لي انطباعاتي بعد عن الزيارة، لذا لن أكتب

شيئاً الآن. عمومًا كانت انطباعاتي أقل مما توقعت. انشغلت قليلًا ببروفة طباعة دفتر (خطايا وإغواءات وخرافات). أود بشدة أن أتححر من هذا العمل. ساشا الآن أفضل حالًا. خطابات تافهة. قرأت لكوبرين. إنه موهوب حقًا. قصة (الحصبة) متنافرة بعض الشيء، لكن التشبيهات فيها واضحة وصادقة وبسيطة.

١٧ يونيو.

صباح اليوم أصبح ذهني أكثر صفاءً بدرجة. عملت في المقدمة ودفتر (خطايا). ذهبت مع تشيرتكوف إلى ترويتسكوي. حلمت حلمًا لطيفًا: كلاب تلعقني بلطف. مساء فارغ. سأنام، إنها الثانية عشرة الآن. حظيت بحديث جيد جدًا مع ساشا العزيزة. وصلني خطاب من صوفيا. يجب أن أكتب إليها. أريد أن أكتب الكثير، ورغم ذلك أشعر باللامبالاة تجاه إمكانية الكتابة.

١٨ يونيو.

نمت قليلًا، ولكن بالرغم من ذلك عملت أفضل بعض الشيء. راجعت ثلاثة دفاتر. أملت خطابًا سيئًا مُرسلًا إلى بلجراد، وراجعت خطابًا آخر، أملًا أن تكون هذه المراجعة هي الأخيرة للمقدمة. ذهبت بصحبة تشيرتكوف إلى ميشيرسكوي وقرية إيفينو حيث مصحة النساء (مصحة عقلية). التقيت بكاتب فلاح لطيف. النساء هنا مرحات، ولا تجد فارقًا واضحًا بين الواحدة والأخرى. ثم جاءتني دعوة من ترويتسكوي لحضور عرض أحد الأفلام. نوم، فغداء، ثم لعب شطرنج. كتبت لصوفيا. ليست لدي أفكار لأدونها. وصلني خطاب واحد جيد.

نمت طويلاً. أشعر بالتوقد. فكّرت في إجراء تغيير مهم في المقدمة، وأنهيت خطابي الموجّه لمؤتمر السلافيين. الساعة الآن الثانية. أفكار:

١ - الجنون الذي يملك عالمنا الآن مربع، ليس جنوناً فردياً، شخصياً، غير مترابط، غيباً، بل جنون عام منظم اجتماعي وذكي.

٢ - قال باسكال: «لو كانت الأحلام متسقة ومتعاقبة كالأحداث التي تحدث لنا إبان اليقظة، لما ميزنا بين النوم واليقظة». أما أنا أقول: لو كان القطاع الأكبر من جنون كل شخص يعود إلى الجنون العام، وكان جنون حياة البشر جميعاً هو جنون شخص واحد وحسب، لما ميزنا بين الحياة العاقلة والمجنونة.

٣ - إن فكّر الإنسان بتمعن في كل تصرف عليه أن يقوم به، لن يكون هناك مفر من التردد. ما يحسم الأمر هو استحالة عدم التصرف في اللحظة الحاضرة. هذا مبعث قيمة فكرة الاستعداد لاتخاذ هذا القرار أو ذاك.

ذهبت مع تشيرتكوف إلى ترويتسكوي (حيث المصححة). المكان رائع جداً من حيث النظافة والمساحة والراحة. وجدنا هذه الشخصيات:

١ - مُدانين بعقوبات مع وقف التنفيذ. وجدنا هناك واحداً من دعاة مصادرة الملكيات، وآخر مدافعاً عن العنف، وثالثاً من أصحاب الإيمان القديم، ورابعاً محكوماً عليه بالموت، وخامساً مداناً بعشرين عاماً من الأعمال الشاقة بسبب جريمة قتل، وسادساً قاتلاً لأبيه.

٢ - مضطربين عقلياً.

٣- مضطربين بدرجة أقل.

٤- ضعيفي العقل.

الأمر ذاته في قسم النساء. أكثر من تَركن فيَّ انطباعًا ثقیلاً من النساء هن المدانات بعقوبات مع وقف التنفيذ والمضطربات عقليًا.

وصلت إلينا بالمنزل أخبار عن السماح لتشيرتكوف بزيارة تيلياتينكي أثناء وصول أمه.

٢٠ يونيو.

استيقظت شاعرًا بالحيوية. راجعت خطابي لمؤتمر السلافيين والمقدمة. كتبت في (حكمة الأطفال). أريد أن أحاول عن وعي مناضلة صوفيا بصلاح وحب. يبدو ذلك ممكنًا من على بعد. سأحاول أن أنفِذ ذلك من قرب. حالتي الروحية جيدة جدًا. لم تعد صلاة شكري فاعلة. الآن أصلي صلاة الحب الكلي. لا أقصد صلاة من أجل حب مَنْ أتعامل معه الآن، بل لحب العالم أجمع. إنها تؤتي أثرًا. تترك أيضًا الصلاة المتعلقة بالبعد عن الاهتمام بحكم الناس وصلاة الشكر في آثارًا ملموسة ومبهجة. الساعة الآن الواحدة. أريد أيضًا أن أحاول الكتابة لباراش.

ذهبت إلى ميشيرسكوي لحضور الفيلم. ممل وشديد الغباء وغير متسق مع الهدف من عرضه. في المساء جاء زوار كثيرون، وجاء عزيزي بوتورلين.

٢١ يونيو.

عدت لتوي من نزهتي. أريد أن أُملي بعض الأمور على ساشا.

أفكار:

١ - وُهبنا أمرًا واحدًا: الخير الذي لا ينفصل عن الحب وكافة مسراته: السماء والأشجار والناس، وحتى نفسي. رغم ذلك نبحت عن خيرنا في كل شيء عدا الحب. البحث عنه في الثراء والسلطة والمجد، وكل ما يستبعد الحب لن يؤدي بنا إليه، وعلاوةً على ذلك سيحرمننا منه يقينًا.

أملت فحوى لقائي بالكسندر (فلاح) فور أن وعدني بألا يعاود شرب الخمر. ثم عملت كثيرًا في ما يتعلق ببروفات الطباعة. راجعت ثلاثة دفاتر... لا بأس بها. وصل سترخوف وخصي آخر^(٣٧١). تحدثت كثيرًا مع الخصي، أو بالأحرى استمعت له كثيرًا. لم أخرج لأتنزه. قرأت جهازًا مقالتي (عن الانتحار)، وراجعتها كذلك. غفوت قليلًا. ذهبنا إلى تروبتسكوي. هناك وجدنا ترفًا عظيمًا، كما وجدنا المصور السينمائي. ساشا مصابة بصداع. شعرت بالوحشة والملل. هذا التصوير دنيء وزائف.

٢٢ يونيو.

استيقظت مبكرًا. نمت قليلًا بعض الشيء. تُرى ماذا سيحدث، بداخلي وبخارجي على السواء؟ عونك يا رب. بالأمس جاء ألكسندر العزيز من أجل الدفاتر. أخبرني أنه حكى لأمه عن قرار امتناعه عن

(٣٧١) كان البعض يخصصون أنفسهم للتخلص تمامًا من الشهوة الجنسية، بفهم حرفي لآية منسوبة للمسيح في متى ١٩: ١٢.

الخمير، وأنها سعيدة وممتنة لذلك. لم أعمل تقريبًا. أنهيت دفاتري. غفوت. ذهبت بصحبة تشيرتكوف إلى ليو تشان. ذهبنا من هناك سيرًا إلى المصنع: إنه تجلي الجنون! التقيت بشخص فظ من أتباع الإيمان القديم. التقيت كذلك بأطباء من تروبتسكوي. وصل مولوتشنيكوف. في المساء قرأ ستراخوف مقالة حسنة عن مثال المسيحية. سأنام. وصلتنى برقية من ياسنايا^(٣٧٢)... أشعر بالكآبة.

٢٣ يونيو.

الساعة الآن السابعة صباحًا. ما إن ذهبت لفراشي بالأمس، ولم أكن قد نمت بعد، حتى وصلتنى برقية^(٣٧٣): «أتوسل إليك أن تأتي حاليًا». سأعود إليها، سعيدًا بقيامي بواجبي. عونك يا رب!

عدت إلى ياسنايا بوليانا، ووجدتها في حالة أسوأ مما توقعت: هيسستيريا وحالة سخط شديدة يصعب وصفها. تماسكت بدرجة لا بأس بها، لكنها لم تكن جيدة كفاية ولم أتعامل باللطف الكاف.

٢٤ يونيو- ياسنايا بوليانا.

عليّ أن أدوّن الكثير. استيقظت، ولم أنم سوى القليل. خرجت لأتنزه. جاءني صوفيا ليلاً. لا تستطيع النوم. جاءني أيضًا في الصباح لا تزال مضطربة، لكنها هدأت قليلًا.

(٣٧٢) فحوى البرقية: «صوفيا أندريفنا مضطربة عصبيًا بشدة، لا تنام، وتبكي باستمرار، ضربات قلبها غير منتظمة، وطلبت أن ترسل برقية لفاريا». ومن شهادة مرسل البرقية نعرف أن صوفيا هي التي أملت عليها عليه وطلبت أن يرسلها لتولستوي.
(٣٧٣) من صوفيا مجددًا.

١- خرجت لأتنزه قليلاً بعد أن عذبنني الحديث مع صوفيا. أمام المنزل أزهار وفتيات نظيفات حافيات أصحاباء. بدأن يتقاذفن التبن والتوت. مرح وهدوء وصحة. حسناً لو كتبت مشهدين عن ذلك^(٣٧٤). أعدت قراءة الخطابات. كتبت ردّاً على الخطاب الذي وصلني بخصوص شرب الخمر. لم يحدث شيء مهم بالمساء. هدوء.

٢٥ يونيو.

استيقظت مبكراً. كتبت عن الجنون وكتبت بضعة خطابات. فجأة وجدت صوفيا تعود لنفس الحالة الهستيرية المضطربة. شعرت بكآبة شديدة. ذهبنا معاً إلى أوفسيانينكوفو. هدأت هناك. صمتٌ، لكنني لم أستطع أن أكون طيباً ولطيفاً معها. في المساء جاء جولدنفائزر ونيكولايف وماريا ألكسندروفنا. كم ساءت حالتي الروحية! أمر ما يُشعرني بالخزي. سأنام، إنها الثانية عشرة.

٢٦ يونيو.

استيقظت مبكراً. تمشيت، وفقدت قبعتي. لم أفعل شيئاً بالمنزل سوى الخطابات وإعادة قراءة (عن الجنون)، ثم بدأت أكتب في ما لم أنهه. خرجت بالجواد. مطر. عدتُ إلى المنزل. صوفيا مضطربة مرة أخرى، وكلانا يعاني.

عونك يا سيدي! هكذا يجب أن تكون الصلاة أمام الله وحده -أن ينحصر الأمر في اللحظة الآنية وضرورة عدم الفعل - شكراً على التجربة.

(٣٧٤) يقصد عن المشهد خارج المنزل وداخل المنزل.

تحدثت بالأمس عن الرحيل إلى مكان ما. لم أنم ليلاً. أنهكت بشدة. خرجت لأتنزه، واستغرقت في التفكير في الأمر. أنا مُلزم بواجب أمام الله والناس، وعليّ أن أحققه في أيامي الأخيرة، أو ربما هي ساعاتي الأخيرة، وبالتالي عليّ أن أتسم بالصلابة. افعل ما يجب عليك فعله مهما حدث (بالفرنسية).

أقرأ في علم النفس. يا للבלادة، وكم يبدو في كثير من الأحيان غيباً! يريدون أن يوضحوا الوعي؛ فيتحدثون عن الذاتي والموضوعي، كما لو أن كلمة «ذاتي» ليست مجرد تسمية سيئة للوعي! أفكار:

١- كم هو مضحك ذلك الاعتقاد الذي يرى أن أكثر الأمور وضوحاً هي المادة، في حين أن المادة ليست إلا وسيلة -منقسمة في حد ذاتها- للتواصل مع الجوهر الروحي! هذا ما كتبه في البداية. ولكن يلزم أن أضيف الآن إلى ذلك: ليست المادة والحركة المصاحبة لها سوى وسيلة -منقسمة في حد ذاتها- للتواصل مع الجوهر الروحي.

٢- كما أن الخط الفاصل بين النوم واليقظة ليس حادثاً، كذلك ليس هناك ذلك الخط الفارق بين الحياة العاقلة والمجنونة. بدرجة أو بأخرى يعتمد اقتراب النوم من اليقظة، واقتراب الحياة المجنونة من العاقلة على يقظة الوعي، وبالتالي تظهر إمكانية بذل الجهد الأخلاقي.

٣- الإنسان الذي لا يعيش من أجل ذاته، بل من أجل تحقيق إرادة الله، تنتج عن أفعاله نتائج لا متناهية الأهمية لا يستطيع رصدها،

بالإضافة إلى ما يرصده بالفعل من نتائج أفعاله الصالحة. الأمر كذلك مع النحل حيث يجمع العسل لأسرته، وفي الآن ذاته يُخَصَّب تلك النباتات التي لا يتوقف الأمر على احتياجه لها، بل تحتاج إليها آلاف الأنواع الأخرى أيضًا.

٤- أقطف بعض الأزهار الفاتنة أثناء نزهتي ثم ألقها، فعددها كبير جدًا. كذلك هو الأمر مع زهور حياتنا الروحية الفاتنة. نحن لا نُقدِّرها لأنها كثيرة.

٥- ثلاث صلوات كل ساعة:

١- أريد أن أحيَا من أجلك أنت وحدك، وأمام وجهك.

٢- أريد أن أعيش بحب في اللحظة الآنية؛ في الحاضر.

٣- أشكرك على كل ما لا أستحقه.

فكرت في هذه الصلوات أثناء سيرتي في الغابة، وتهت وشعرت بالخوف. تذكرت الصلوات. نعم، لا أفكر الآن، في حضورك، إلا في أن أكون معك، مبتهِّجًا وممتنًا على أنني تهت. حينها شعرت أنني بخير.

٦- قال لي مجنون: «لم أسرقه، بل أخذته». هو محق. إن كلمة «سرقة» لا تنطبق إلا على مَنْ يستولي على شيء ينتمي للجميع مثل الأرض أو عمل شخص آخر.

٧- دائمًا يكون الجنون نتيجة للحياة غير العقلانية، وبالتالي غير الأخلاقية.

يبدو ذلك صحيحًا، ولكن عليَّ فحصه وتمعن التفكير فيه.

٨- المجانين أفضل دائماً من الأصحاء، وهم يصلون إلى أهدافهم. يعود ذلك إلى غياب أي حواجز أخلاقية تعترض طريقهم: ليس هناك خزي أو صدق أو ضمير أو حتى خوف.

٩- تعي الكائنات المنفصلة نفسها في حالة انفصال، بما يتمثل لها من جسد ومادة لا يمكن تصورهما خارج نطاق المكان والحركة والزمن. صياغة ليست واضحة كفاية.

٢٨ يونيو.

نمت قليلاً. صوفيا منذ الصباح في حالة مزاجية رائعة. طلبت مني ألا نرحل^(٣٧٥). لكن وصلني خطاب من تشيرتكوف. في الحقيقة كان الخطاب جيداً، لكنها دائماً ما تهتاج ضده. تحدثت معه ثم ذهبت إلى سينكا بدلاً من كوزلوفكا. صحت وركضت صوب المنزل^(٣٧٦). وصلنا بخير. لم تتوفر جواد، ولم نرسل برقية. انتظرنا ثلاث ساعات تقريباً. في نهاية الأمر وصلنا إلى سيريوجا. دارت بيننا وبين العمال أحاديث شيقة. وجدنا لدى سيريوجا حشداً ضخماً من الناس، وشعرت بالملل والضيق. ذهبت إلى الشماس^(٣٧٧) وتحدثت مع الفلاحات. كيف يمكننا أن نحيا ومن حولنا وسط هذه الحاجة المريعة الرهيبة؟!

١- كم من الغريب أن الناس يشعرون بالخزي من قذارتهم الجسدية

(٣٧٥) أرادت صوفيا أن تذهب إلى مقاطعة ابنها سيرجي لحضور عيد ميلاده وأن يصطحبها تولستوي. عندما أدركت أنه مرهق جداً بدلت رأيها، لكن تولستوي ذهب فعلاً.
(٣٧٦) ضل الطريق وصاح ليلحق بتشيرتكوف الذي أوصله حتى المنزل.
(٣٧٧) قارئ للصلوات والأسفار المقدسة بالكنيسة.

وجبنهم ووظائفهم المتدنية، لكنهم لا يشعرون بالخزي من غضبهم، ليس ذلك وحسب، بل يتهجون به ويزيدون من قدره، معتبرين إياه أمرًا جيدًا!

٣٠ يونيو- ياسنايا بوليانا.

وصلنا ياسنايا في يوم ٢٩. لم يحدث شيء مهم أثناء الطريق. ودّعت تانيا بسرور. كان انطباعي كله بشكل عام جيدًا جدًا. صوفيا أفضل حالًا الآن. بالنسبة لي، صحتي ليست في أفضل حال، ورغم ذلك لا أشكو من انخفاض حالتي المعنوية. ضعف وصداع. وصلتني في الصباح الترجمة الفرنسية لمقالتي (قانون العنف وقانون الحب) وبضعة خطابات جيدة. قرأت الخطابات باهتمام كبير، وأعترف أنني وافقتها. من المفيد أن أعيد قراءة ما كتبته حتى لا أعيد كتابة شيء. أمل ألا يكون هناك تكرار في (عن الجنون) وأرى أنها مقالة تستحق الكتابة، لكنني لا أعرف ما إن كان مُقدّرًا لي إنهاؤها أم لا، أقصد هل ستكون لديّ القوة على فعل ذلك أم لا. نمت نهارات عديدة، وأشعر طوال الوقت برغبة في النوم. جاءني ثلاثة متسولين، وجميعهم مثيرين للاهتمام. أولهم شخص بئس يُدعى ريبين، ومن الواضح أنه قد فقد صحته العقلية، لكنني لا أستطيع أن أنظر إليه بوصفه مجنونًا، وأرى فيه إنسانًا وأخًا، وأنا سعيد بأنني أشعر بذلك بصورة طبيعية.

ثم جاء عزيزي سوتكوفي، ومن الواضح أنه شعر بالخجل ليقاطعني. حظينا بحديث جيد؛ أقصد من ناحيتي، فلم يتكلم إلا قليلًا. ثم جاء تشيرتكوف. صوفيا مضطربة بشدة، لكنني أرى أنها سوف تتجاوز الأمر. أفكار:

بالإضافة إلى (قانون العنف وقانون الحب)، وصلني كتيب من الفرنسي بولاك بعنوان (سياسات المستقبل القريب). كانت قراءته مثيرة؛ لأنه من الواضح أنه متابع لآخر تطورات الفكر الفلسفي، ويكشف عن عدم وضوح مذهب وخطأ في الفهم. يكفي أن أقتبس عنه أن السمات الرئيسة الثلاث للحياة البشرية هي: إشباع حاسة الجمال (الفن) - إشباع متطلبات العقل (العلم) - وأخيرًا وعلى الهامش: الأخلاق. كلما قرأت ذلك، شعرت بضرورة أن أنهي (عن الجنون).

أفكار نهاية يونيو ١٩١٠:

تأسس خرافة الكنيسة على افتراض أن بإمكان أولئك الناس الذين اجتمعوا معًا وأسموا أنفسهم «كنيسة» أن يقرروا بالنيابة عن الناس جميعًا مرة واحدة - وإلى الأبد - كيف يجب أن يفهموا الله وقانونه.

خرافة العلم تشبه خرافة الكنيسة في افتراض أن تلك المعرفة التي اكتسبها عدد قليل من الناس، حرّروا أنفسهم من ضرورة العمل، هي أساس المعرفة التي يطلقون عليها علمًا، وأنها لازمة للناس جميعًا!

يُقال إنه يستحيل العيش دون بيع وشراء الخمر، والأكثر من ذلك يستحيل أن تغيب عن الأعياد وحفلات التعميد^(٣٧٨) والأفراح والمآتم. كما لو أنه لا يحسن التفكير والنقاش في أي بيع أو شراء إلا بتناول جرعة من الخمر فورًا! ولكن هذا أهون ما في الأمر! نأتي الآن إلى العطلة... تعني العطلة استراحة من العمل اليدوي ونيل قسط من الراحة، وتوفر

(٣٧٨) طقس كنسي يغطسون فيه الطفل في الماء ثلاث مرات، وبموجبه يصبح مسيحيًا.

فرصة للقاء الأقارب والأحباب والأصدقاء، والنقاشات والمرح. الأمر الرئيس هنا كذلك هو توفر فرصة للتفكير في الروح. بدلاً من التحدث والمرح مع الأصدقاء والأقارب، يشربون الخمر، وبدلاً من التفكير في الروح، يتعالى الكلام الفاحش ويكثر العراك والمشاحنات. هؤلاء هم المُعمَّدون (يقصد المسيحيين). ولد إنسان، وبالتالي يجب التفكير في أفضل طريقة لتربيته. إن أردنا أن ينعم بذلك علينا أن نُحسِّن من أنفسنا، ونقلع عما هو سيئ، ونُعوِّد أنفسنا على ما هو جيد، لكننا بدلاً من ذلك نخطر في شرب الخمر والسُّكر. الأسوأ من ذلك ما يحدث في حفلات الزفاف. يقترن شابان للعيش بحب ولإنجاب أطفال. يبدو إذن أنهما سيكشفان عن نموذج للحياة الصالحة. بدلاً من ذلك نجد الخمر مجدداً! الأغبي من كل ذلك ما يحدث في المآتم. مضى إنسان إلى المكان الذي أتى منه؛ من الله وإليه. يبدو إذن أنها أفضل فرصة للتفكير في الروح، بعد العودة من المقابر حيث واروا جثمان الأب أو الأم أو الشقيق الذي ذهب لتوّه إلى حيث نحن جميعاً ماضون، ولا مهرب منه. ماذا يحدث بدلاً من ذلك؟ خمر وكل ما يترتب على ذلك! نقول: «يستحيل ألا نفعل ما تعود أجدادنا على فعله منذ زمن طويل». لكن أجدادنا لم يفهموا أن هذا أمر سيئ، بينما نحن نفهم. نفهم ذلك وعلينا الإقلاع عنه. حاذر من الأمر عامّاً خلف عام، وانظر إلى الخلف وسترى أنك أولاً قد وفّرت ٣٠ أو ٥٠ روبلاً أو حتى مائة روبل كنت تنفقها على الخمر. الأمر الثاني هو أنك تجنبْت قول أو فعل الكثير من الكلمات الغبية الدنيئة والأفعال السيئة. الأمر الثالث ستجد التفاهم والحب قد سادا الأسرة، ورابعاً

والأهم أنك ستجد أنك قد أصبحت أفضل روحياً بقدر كبير.

تتنامى كراهية الشعب صوب قامعيهم ومَن في السلطة، لكنه يخدمهم. كيف ذلك؟ بالخضوع لإغواء الخداع الديني والعلم.

خرافة الشر: لا وجود للشر. الحياة خير. إن لم تجد خيراً، فاعلم أنك قد أخطأت. وُهبتَ الزمن لتصلح خطأك، لتتعم بأعظم خير؛ مسرة أن تصلح خطأك. لهذا فقط وُجد الزمن. إن لم تصلح خطأك، سيُصلح بمعزل عن إرادتك؛ بالموت. نعم، الحياة خير. لا وجود للشر! هناك أخطاء نرتكبها وحسب: أخطاء عامة وشخصية، وقد وُهبت مسرة إصلاحها عبر الزمن، فإصلاحها يجلب لنا أعظم مسرة.

لم يتقدم فهمنا الديني. الأرواحية^(٣٧٩) من جانب والفيتيشية^(٣٨٠) من جانب آخر. إن أراد المرء أن يفهم ذلك، عليه أن يفهم المتطلبات والعادات التي بداخله، ومتطلبات طبيعته الإنسانية: العقل والحب، وأن يفحص ما أصبحت بالنسبة له متطلبات معتادة لطبيعته. لا يجب أن تخضع متطلبات العقل والحب للعادة كما يحدث الآن، بل العكس؛ أن نفحص ما اعتدنا عليه بالعقل والحب. عليك حينها بأمر واحد: تخيل شخصاً متحرراً من العادة، أيّاً كان موقعه في مجتمعنا، سواء انتمى إلى الطبقة العاملة الفقيرة أو إلى الطبقة الثرية المدعوة عُليا. كيف سينظر هذا الشخص إلى العالم الذي نعيش فيه؛ ذلك العالم الذي لا يشعر ولا يفهم مدى بشاعة جنون الحياة التي يحياها؟

(٣٧٩) الإيمان بأن كل شيء في الطبيعة حي.

(٣٨٠) التوثين والتقدّيس الأعمى.

١ يوليو- ياسنايا بوليانا.

١- يدرك الجوهر الروحي -المنفصل في حد ذاته- انفصاله بما يبدو لنا جسديًا. إنه يدرك انفصاله بما تبدو لنا حركة. لا ينفصل الجسد عن المكان ولا الحركة عن الزمان.

٢- حلمت بأني أحدث سيريوجا قائلاً: «نعيش على بحثنا عن الخير. هناك خيرات جسدية: الصحة وشهوات الجسد والثراء والحب الجنسي والمجد والكرامة والسلطة. تتسم كل هذه الخيرات بالآتي: إنها خارج نطاق سلطاننا، ويمكن أن تزول عنا في أي لحظة بالموت، كما أنها لا يمكن أن تُعد خيراً للجميع. هناك نوع آخر من الخير: الخير الروحي، ويتمثل في حب الناس. يتسم هذا الخير بالآتي: داخل نطاق سلطاننا دائماً، ولا يمكن أن يزول بالموت، فبالإمكان أن تموت مُحباً. كما أن الأمر لا يقتصر أنه ممكن للجميع، بل إن الناس كلما عاشوا من أجله ازدادوا سروراً».

لم أحلم بقول هذا بدقة. في الحلم كان حديثي أقصر وأفضل. لكنني عندما أنهيت ذلك في الحلم قلت: «يستحيل إثبات خطأ ذلك». حينها صمتنا أنا وسيريوجا.

٤- من الغريب أن أقل ما نفهمه هو أفضل ما نعرفه، أو بتعبير آخر: ما نعرفه أفضل من أي شيء آخر، لا نفهمه تمامًا؛ أتحدث عن الروح، ويمكن أن نقول: عن الله.

٤ يوليو.

يريعني أن أقول إنني فوّتُ ثلاثة أيام، إن لم تكن أربعة. انشغلت أمس واليوم في مراجعة بروفات طباعة الدفاتر. لا أذكر ماذا فعلت أول أمس. يبدو أنني لم أفعل شيئاً، باستثناء بضعة خطابات غير مهمة. هدأتُ صوفيا تماماً. وصل ليوفا. بسط ضئيل والمقام ∞ (حاشية ٢٥٩). التقت بليزافيتا إيفانفونا تشيرتكوفا، فقد جاءت لزيارتنا. إنها شديدة اللطف. احترق منزل ماريا ألكسندروفنا. تظن أن ريبن البائس هو الفاعل. تحدثت معه. إنه مريض تماماً. بدا أحرق، لكنني أشعر بالإنسان الذي بداخله. جاء سوتكوفوي وكارتوشين. كما هو الحال معهم دائماً: هناك أمر غير مكتمل. الساعة الآن الرابعة مساءً. سأحاول ألا أفوّت كتابة يوميات أي يوم كما فعلت في هذه الأيام الأخيرة. أشعر بالضعف والسوء، وهذا حسن.

٥ يوليو.

أكتب الآن في الساعة الثانية عشرة. تمشيت صباحاً ولم أفعل شيئاً. لا أزال أشعر بالضعف. زرت تشيرتكوف. في المساء جاء بوليجين وكوليتشكا. أموري مع ليوفا أفضل قليلاً. اضطربت صوفيا ثانية بشدة، ودون أسباب. أقول: عونك يا سيدي، ويعينني. دوّنت فكرة: ما يمنحنا الحياة، وما ندركه بداخلنا محدوداً بالجسد، وبالتالي غير كامل، نسميه روحاً، وهو غير محدود وبالتالي كامل لذا نسميه: الله. الحياة هي السعي صوب الاتحاد بما انفصلت عنه؛ بالأرواح الأخرى وبالله وكماله.

٦ يوليو.

استيقظت مبكرًا. لا أزال مريضًا. ودّعت ماريا ألكسندروفنا. خرجت صوفيا للسباحة. تحدثت معها... لا بأس. لم أتمكن من العمل بسبب الضعف. ذهبت صوفيا إلى زفيجيتسيفا. كم هي بائسة! في المساء جاء سوتكوفوي. حظيت بحديث جيد معه. ليف (ابنه) بالنسبة لي أكثر من غريب. لم أدون أي أفكار. سأنام، إنها الثانية عشرة.

٧ يوليو.

لا أزال حيًا لكنه يوم سيئ. يعود سووّه إلى أنني لا أزال واهنًا ولا أعمل. لم أراجع حتى بروفات الطباعة. ذهبت بالجواد إلى تشيرتكوف. بعودتي إلى المنزل وجدت صوفيا مهتاجة^(٣٨١)، ولم أستطع تهدئتها بأي طريقة. في المساء انخرطت في القراءة. وصل جولدنفازير وتشيرتكوف في ساعة متأخرة. شرحت صوفيا موقفها له ولم تهدأ^(٣٨٢). ولكن في ساعة متأخرة تحدثت معها حديثًا جيدًا جدًا. لم أنم طوال الليل تقريبًا.

٨ يوليو.

أشعر أنني أكثر حيوية قليلًا، وفكرت جيدًا في ضرورة الصمت والقيام بعملية برسوخ. ذهبت بصحبة بولجاكوف إلى ماريا ألكسندروفنا. حالتها الروحية جيدة. ساشا مريضة وواجمة. الساعة الآن الخامسة. سأنام. مر الغداء بهدوء. انخرطت مساءً في القراءة. الأمور

(٣٨١) بسبب زيارته لتشيرتكوف

(٣٨٢) استدعت صوفيا تشيرتكوف، وتحدثت معه طويلًا على انفراد.

تزداد تحسناً. في المساء جاء جولدنفايزر وتشيرتكوف. حسناً. حديث مع سوتكوفوي. إنه يريد أن يؤمن بأنه من الممكن ألا يؤمن. سأنام، الساعة الآن الثانية عشرة. قصة ميل^(٣٨٣) (الراحة الأسبوعية) لطيفة.

٩ يوليو.

نمت طويلاً. عملت بسرور في مراجعة بروفات طباعة الدفاتر الخمسة الأولى. تنزهت بالجواد بصحبة ليف. ضبطت نفسي تجاهه. عدتُ مبلاً. اضطراب. بعد الغداء جاء نيكولايف وجولدنفايزر وتشيرتكوف. كآبة، لكنني متماسك^(٣٨٤).

١٠ يوليو.

استيقظت في الخامسة. نهضت لكنني شعرت بالضعف، فاستلقيت مجدداً. في التاسعة ذهبت إلى القرية سيراً. زرت كوبيلوف وأعطيته مالا. تعاملت ببساطة شديدة، وبطريقة لا بأس بها. مررت ناحية نيكولايف. دار مجدداً حوار عن العدالة. قلت له إن مفهوم العدالة مصطنع، وإن المسيحية ليست في حاجة إليه. يستحيل تحقيق ذلك في الواقع. إنها فكرة خيالية وليست لازمة إطلاقاً للمسيحية. كتبت في المنزل خطاباً طويلاً لعامل، ردّاً على اعتراضه على مقالتي (الوسيلة الوحيدة). خرجت بالجواد بصحبة تشيرتكوف. تحدث عن اللامقاومة بغرابة. نمت. استيقظت. وجدت دافيدوف وكوليتشكا وسولومون. قرأت مقالة سولومون الفارغة الطنانة عودة الابن الضال *Retour de l'enfant*

(٣٨٣) بيير ميل: كاتب فرنسي.

(٣٨٤) ربما يشير إلى تمسكه بالصمت إزاء حالات هياج صوفيا.

prodigue، كما قرأت قصة رائعة لميل. بعدها جاء سوتكوفوي وكراتوشين ليودعاني. كم أعزهما! أفكار:

١- يمكن للمرء أن يتوقف عن الإيمان بدين. علاوة على ذلك يمكن أن تتناقض ديانتان. الحقيقة أن ذلك يظهر في تجلياتها الخارجية أكثر مما يظهر في الوعي، لذا يمكن أن نجد في هذه الأديان ما هو متقلقل ومتناقض، بينما الوعي واحد وثابت.

الآن تحدثني ثانية عن تشيرتكوف. تجنبت الحوار بهدوء.

١١ يوليو.

١- فهمت للمرة الأولى بوضوح كامل أهمية التواضع للحياة والحرية والبهجة بها.

٢- أنا سيئ قد عاش حياة سيئة، ولم أستطع أن أدبر أموري في الحياة بشكل حسن. إن فهمت ذلك بوضوح، الأمر الذي يبدو لي أن الآخرين لا يفهمونه، سأقول إن هذا ليس شرًا، بل هي أخطاء في حياتي. لا يسعني إلا أن أقول ذلك، حتى إن كنت أدفع ثمن حياتي الشريفة، أقصد أن أقول إنها قد تفيد شخصًا ما.

٣- عندما يضربك أحد على خدك، فتحوّل له الآخر، لا تنتظر أن يفيق لحاله ويتوقف عن ضربك. عليك أن تستوعب مغزى فعلك. لا، لن يتوقف، بل سيفكر في نفسه قائلاً: «حسنٌ أنني ضربته. يبدو من تحمله للضرب في صمت أنه يشعر الآن بذنبه ومدى أفضليتي عليه». لكنني بغض النظر عن ذلك أعلم أنه من الأفضل لي وللآخرين على كل حال أن أكون

قادراً على فعل ذلك؛ أقصد أن أحوّل خدي الآخر. في هذا فرحة الكمال.
نفذ ذلك وحسب، ولن يسعك حينها إلا أن تكون ممتناً لما يبدو شراً.

١١ يوليو.

كانت ليلة مريعة. استمر الأمر حتى الرابعة صباحاً. كان ليف (ابنه)
أفزع ما في الأمر. أخذ يزجرني بعنف كما لو أنني صبي صغير، وأمرني
أن أخرج إلى الحديقة لألحق بصوفيا. في الصباح وصل سیرجي. لم
أعمل شيئاً عدا مراجعة دفتر (التبطل). تمشيت وتنزهت بالجواد. لا
يمكنني أن أرى ليف وأظل هادئاً. لا أزال سيئاً. هدأت صوفيا البائسة.
ألم قاسٍ وكثير. عونك يا سيدي أن أتحمل الأمر بحب. لا أزال أتحمّل
بشكل أو بآخر. جاء إيفان إيفانوفيتش، وتحدثنا معاً بخصوص العمل.
الساعة الآن الحادية عشرة. سأنام.

١٢ يوليو.

نفس الحال! حادث غريب. فيلينا استدعى تشيرتكوف بالخطأ،
وبالتالي أصاب الاضطراب صوفيا مجدداً^(٣٨٥). ولكن انقضى الأمر
بخير. البائسة تعاني بشدة، ولا أحتاج إلى بذل جهد لأشعر تجاهها
بالحب والشفقة. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. في المساء ودّعت
سالومون واستلقيت، ولم أنتظر قدوم آل سوخوتين. وصل تشيرتكوف
وأعطيته خطاباً.

(٣٨٥) أراد تولستوي أن يأتي جولدنفايزر إليه ليتنزه معاً بالحياد، فأرسل فيلينا السائس ليناديه،
ولكن فيلينا أخطأ واستدعى تشيرتكوف بدلاً منه.

١٣ يوليو.

جاء آل سوخوتين. راجعت دفترتي. خرجت بالجواد بصحبة ميخائيل سيرجيفيتش وجولدنفائزر. صوفيا لا تزال ضعيفة للغاية. لا تتناول طعامًا، لكنها متماسكة. أعِنْ كلينا يا الله! دوّنت بعض الأفكار في دفترتي.

١٤ يوليو.

ليلة كثيفة جدًا. بدأت منذ الصباح في كتابة خطاب لها، وكتبته فعلاً. ذهبت إليها^(٣٨٦). طلبت مني نفس ما وعدتها به فعلاً وما سأفعله. لا أعرف ما إن كنت قد فعلت الصواب أم لا، وما إن كنت شديد الضعف والإذعان أم لا، لكن لم يكن بوسعي فعل شيء آخر. ذهبنا لنُحضر دفاتر اليوميات. لا تزال في نفس الحالة المضطربة، لا تتناول طعامًا ولا تشرب شيئًا. راجعت الدفاتر، وأتممت ثلاثة منها. ثم ذهبت إلى روداكوفو. لم أستطع التعامل بطيبة ولطف مع ليف، وهو لا يفهم أو يشعر بشيء. أنت ساشا بدفاتر اليوميات. ذهبتُ إلى هناك مرتين لتجلبها. هدأت صوفيا وشكرتني. يبدو أنها بخير الآن. وصلني خطاب مؤثر من تشيرتكوف. سأنام. حالتي الصحية سيئة تمامًا وأشعر بالضعف، لكنني حالتي الروحية جيدة.

(٣٨٦) وافق تولستوي على ألا يعطي تشيرتكوف دفاتر يومياته لينسخ منها بعض المقاطع التي يراها مفيدة - كما فعل سابقاً -، ووافق على استرداد دفاتر اليوميات القديمة منه.

١٥ يوليو.

لا أزال حيًّا، ولكن كآبة تكتنفني. ساد الاضطراب في الصباح مجددًا بحجة أنني أتهرب من إعطائها مفتاح المكان الذي أحتفظ فيه باليوميات. قلت لها إنني لن أراجع عما وعدتها به. شعرتُ بكآبة مريعة. قبل أن يحدث ذلك كنت قد أنهيت مراجعة بروفة طباعة الدفاتر. تبقى جزء من أحدها وحسب. خرجت بالجواد بصحبة دوشان. في المساء جاءني أمريكي وتشيرتكوف وجولدنفايزر ونيكولايف. صوفيا هادئة، لكنني أشعر أن الأمر على المحك. كنت سأدوّن فكرة ما، ولكن فيما بعد.

١٦ يوليو.

لا أزال حيًّا، لكنني في حالة جسدية سيئة. أحاول الابتهاج بالروح. رحل عزيزي ميشا سوخوتين وكذلك رحلت تانيا. صوفيا مجددًا... نامت، لكن كل شيء مهدد. صليت حسنًا. فهمت خطيتي تجاه ليف: الأمر لا يتوقف على ضرورة ألا أسيء له، بل أن عليّ أن أحبه أيضًا. يالها من حماقة! أيعادل الواحد الآخر: الإساءة والحب؟ الحب ليس موجهًا لإيفان أو بيوتر، بل هو حب على أساس الحياة في الله وفي حضوره وبه. أريد أن أتحدث معه. الأمريكي هنا يكتب ويدوّن ما أظنه تافهًا. بعد عودتي من نزعتي التقيت به، ثم جاءني معلم من فياتكا وبصحبته زوجته. يكتب خلفي أيضًا! لكنه شديد اللطف. تحدثت معه. أنهيت بروفة الطباعة الأخيرة. أردت معاودة العمل في مقالتي (عن الجنون)، لكن قواي خائرة. عليّ الآن أن أنسخ بعض الأفكار التي دوّنتها:

١ - نعيش حياة جنونية، ونعرف في قرارة أرواحنا أننا نعيش بجنون، لكننا نواصلها بحكم العادة؛ نحياها بقوة القصور الذاتي، أو أننا لا نرغب ولا نستطيع أن نغيّرها.

٢ - كتبت اليوم ١٣ يوليو. عليّ الآتي:

أولاً: أن أتحرر من الشعور بالاستياء والبغض تجاه ليف.

ثانياً: أن أتحرر في الأساس من مشاعري بالأسف على نفسي.

كل ما عليّ فعله هو أن أشكر الله على مدى تساهل العقوبة التي أخضع لها جراء لكل الخطايا التي ارتكبتها إبان شبابي؛ خاصة خطية عدم الطهارة الجنسية مع فتاة طاهرة. من حيث ذلك أنت فاسد وشائن. ليس بوسعك إلا أن تكون ممتناً لمدى تساهل العقوبة. كم يسهل جداً تحمّل العقوبة حينما تعرف سببها! لن تشعر حينها بالثقل. تنزهنا أنا وبولجاكوف على متون الجياد حتى مضينا بعيداً. أنهكت. نوم وغداء ثم جولدنفايزر. تشيرتكوف. حالة مزاجية كئيبة. لا بأس بحالة صوفيا. عزف جولدنفايزر على نحو رائع. عاصفة رعدية.

١٧ يوليو.

نمت قليلاً. ودّعت تانيتشكا العزيزة. تمشيت. بعودتي لم أستطع أن أفعل شيئاً. قرأت بعض الخطابات وقرأت لباسكال^(٣٨٧). تحدثت مع ليف بالأمس، واليوم قال لي إني أنا المذنب. عليّ بالصمت، وسأحاول ألا تراودني مشاعر سيئة تجاهه. رحلتُ ساشا إلى تولا. الساعة الآن

(٣٨٧) الكتاب المقصود (أفكار)، وقرأه بالفرنسية.

الثانية عشرة. أشعر بضعف شديد، ولم أعمل شيئاً. قرأت لباسكال الفاتن. ثم ذهبت بالجواد إلى تشيرتكوف. مضى الأمر بخير إلى حد كبير. مساء وغداء مملان. جولدنفایزر. جلست بسرور مع ساشا.

١٨ يوليو.

لا أزال حيّاً، لكنني في حالة سيئة. أعاني من الضعف ذاته. لا أعمل شيئاً سوى الانشغال ببعض الخطابات التفاهة وقراءة باسكال. صوفيا مضطربة مجدداً. تقول إنني غير مخلص لها، لذا أخفي عنها يومياتي. ثم تأسف على أنها تعذبني. كراهيته لتشيرتكوف لا تُقهر. أشعر تجاه ليف بنفور لا يُقهر. سأقول له ما أعتقد بشأنه بأكبر قدر ممكن من اللطف. جاء أحد الكتاب من طبقة السادة، وكان حضوره ثقيل جداً. ذهبت إلى تيفينسكوي. أنهكت بشدة. في المساء جاء جولدنفایزر وتشيرتكوف، وبدت صوفيا على وشك فقدان شتات نفسها. سأنام.

١٩ يوليو.

نمت لفترة معقولة، لكنني أشعر بضعف شديد، وضربات قلبي غير منتظمة. كتبت مقالة سامة لمؤتمر السلام وبضعة خطابات. تحسنت حالة صوفيا منذ الصباح، ولكن قبالة المساء، ومع وصول الأطباء، ساءت حالتها مجدداً. ساشا ليست بخير جسدياً: سعال ورشح. لم أكتب شيئاً آخر. سأنام، إنها الثانية عشرة. ذهبت إلى أعزائي بأوفسيانينكوفو.

٢٠ يوليو.

سلكت على نحو شديد السوء. جلست على دكة صغيرة وسط

أشجار التنوب الصغيرة، وكتبت خطابًا لتشيرتكوف. أتى الأطباء. راجعت الإضافة التي كتبتها لخطابي إلى مؤتمر السلام. أشعر بكآبة شديدة. لم أظهر شيئًا، ولكن يسوءني عدم شعوري بالرضى. ذهبت بصحبة فيليا (السائس) بالجواد إلى غابة زاسيك. غفوت.

أفكار:

١- هناك صراع متقد بداخلي دون توقف تجاه ليف: هل أسامحه أم أرد عليه كلماته القاسية السامة؟ بدأت الآن أسمع بمزيد من الوضوح صوت الخير. أنا في حاجة إلى اختبار تلك الفرحة الكاملة التي اختبرها فرانسيس^(٣٨٨) بإدراكه أنه يستحق توبيخات البواب. نعم.. أحتاج إلى ذلك.

٢- كم يسهل أن تنقاد لغضبك بالفعل أو بالكلمة، وكم يصعب أن تسامح! ولكن يا للفرحة التي ستشعر بها إن تمكنت من ذلك! عليّ أن أسعى إلى ذلك.

٣- الإيمان بما يؤمنون به ليس سوى خرافة. يفضل الناس الإيمان الديني على الوعي؛ لأنه أصعب وأسهل، وكذلك اتباع العرف أصعب وأسهل، ويسهل جدًا على المرء أن يتبعه، ولكن الإيمان الديني في حد ذاته ليس صلبًا دائمًا، بل متقلقل، ولا يبعث أي حركة في الحياة الروحية. إنه ثابت دائمًا، يشير الرغبة في التواصل بالآخرين، ولا يمكن أن يكون الأمر خلاف ذلك؛ لأن الإيمان الديني يستند إلى الرأي العام، وكلما ازداد فصل الإيمان الديني للناس عن بعضهم، ازدادت صلابته.

(٣٨٨) راجع حاشية ٢٤٦ في الجزء الخامس من اليوميات.

إنه أمر دنيوي لتنظيم شؤون الحياة الجسدية. أما الوعي بالله فيتعلق بالروح، وهو شرط لا مفر منه لعيش حياة صالحة عاقلة. الإيمان الديني راسخ دائمًا، بينما الوعي متحرك. بالنسبة للمؤمنين تسير حركة الحياة في مجال ما هو جسدي، بينما تسير بالنسبة لأصحاب الوعي في مجال ما هو روحي.

٤- لا يمكنني في قرارة نفسي أن أسامح فيرا (ابنة أخيه) على انحدارها. أدركت الآن بوضوح مدى قسوة وظلم ذلك. كل ما يلزمني هو أن أستعيد إلى ذهني خطيئي الجنسية في الماضي وحسب. نعم، لا شيء أكثر من ذلك يدل بوضوح على أن الرجال، لا النساء، هم من يصنعون الرأي العام^(٣٨٩). يجب أن تكون المرأة أقل عرضة للإدانة من الرجل؛ لأنها تتحمل كافة ثقل عواقب خطيئتها، حيث تعاني من الحمل والخزي، بينما لا يتحمل الرجل شيئاً، وشعاره: «إن لم يمسكوا بك، فأنت لست لصاً». نجد المرأة الساقطة، أو من حملت بشكل غير شرعي، في وضع مخزٍ أمام المجتمع، ويمكن أن تنحدر مباشرة إلى طبقة المزدرين، بينما يظل الرجل طاهرًا ومحققًا طالما لم يمسكوا به. سيكون من الجيد لو وضّحت هذه الفكرة.

٢١ يوليو.

تسألني كيف يمكن أن نفهم هذه المقاطع الإنجيلية أو مقاطع الوحي أو الأسفار المقدسة التي نجد فيها تناقضات أو أجزاء غامضة، أو ببساطة غير معقولة. أجيب على هذا الارتباك الذي نواجهه بالآتي:

(٣٨٩) في الجزء الرابع من اليوميات صفحة ٩٠، قال: إن النساء هن من يشكلن الرأي العام.

يجب أن تستند قراءة الأناجيل، أو كل ما ندعوها كتابات مقدسة، إلى مناقشة محتواها بالطريقة التي نناقش بها محتوى كافة الكتب التي نجد فيها أثناء قراءتها ما هو متناقض وغير واضح أو غير معقول؛ أقصد أن نستبعد تلك المقاطع تمامًا ولا نبحث لها عن تفسير، ونولي كافة اهتمامنا لما يتفق مع الحس السليم وحسب، والأهم من ذلك لما يتفق مع ضمائرنا. بهذه الطريقة وحسب يمكن أن تكون قراءتنا لما ندعوها (كتابات مقدسة) مفيدة.

٢- العلم بمثابة تكية، أو بالأحرى مجال لتحقيق النجاح من قبل أكثر الناس بلادة ذهنية وأخلاقية. عندما يعمل أحدهم بحقل العلم، يمكن ألا يعي ما يفعله تحديدًا، منخرطًا في إحصاء الحشرات أو الكتب، مقتبسًا منها ما يلائم موضوع البحث، ويمكنه ألا يفكر مطلقًا، أو يخترع في هذا المجال الميت ما لا يحتاج إليه أي شخص، ويصوغ نظرية ما يكون متيقنًا تمامًا من أنه بذلك يفعل أهم شيء في الكون.

٣- نمط العالم- نمط الطموح- نمط الشره- نمط المؤمن المحافظ- نمط الساعي خلف المتعة- نمط السارق داخل الحدود المقبولة- السارق داخل الحدود غير المقبولة- نمط المستقيم ولكن بصورة مخادعة- نمط الكاتب المختال- نمط الاشتراكي الثوري- نمط الطروب والمرح- نمط المسيحي الكامل- نمط المناضل... لا نهاية لتلك الأنماط التي أشعر بها.

٢١ يوليو.

لا أزال أشعر بالضعف وكذلك بشعور غير طيب تجاه ليف. دوّنت

فكرة عن أنماط الشخصيات. عليّ أن أحاول. حظيت بنزهة جيدة بالجواد بصحبة بولجاكوف. غداء. قرأت في جريدة «رسول أوروبا». جاء جولدنفازر وتشيرتكوف. تعاود النوبة صوفيا مجدداً. كآبة. لكني لن أشكو أو أشفق على نفسي. سأنام. وصلني خطاب لطيف من تانيا عن فرنسيس (الأسيزي).

٢٢ يوليو.

نمت قليلاً جداً. لم أعمل شيئاً. غفوت حتى الإفطار. تنزهت بالجواد بصحبة جولدنفازر. كتبت في الغابة^(٣٩٠). حسناً. غضب واضطراب مجدداً بالمنزل. ازداد الأمر سوءاً على الغداء. تحملت الأمر ودعوتها للتمشي وهدأتها. جاء تشيرتكوف. كان الأمر متكلفاً ومؤلماً وكثيلاً. تجلد أيها القوزاقي! أقرأ للابروير^(٣٩١).

٢٣ يوليو.

كآبة ومرض شديداً، ولكن المرض يعد لا شيء مقارنة بحالتي الروحية. أفهم ما أريد قوله. أُصيبت معدتي بشيء ما، ولم يسعني أن أقاومهم في استدعاء الطبيب. تناولت مُلَيِّنًا، لكنه لم يؤتِ أثراً. راجعت خطاباً وظللت مستلقياً طوال اليوم. جاء ميشا وزوجته والأطفال، وجاءت أيضاً أولجا وليف والأطفال. عونك يا سيدي لأسلك كما أمرتني. لكن يبدو أنني بإذعاني لها أسيء إلى نفسي وإليها. أريد أن أجرب طريقة أخرى.

(٣٩٠) كتب وصيته التي قضى فيها بنقل كل ميراثه الأدبي إلى ابنته ألكسندرا أثناء حياته، وفي حالة مماته تنتقل إلى تاتيانا.

(٣٩١) جان دي لابروير: أديب وكاتب فرنسي.

٢٤ يوليو.

الأمر كما هو في ما يتعلق بصحتي وعلاقتي بصوفيا. ربما تحسنت
حالتي الصحية قليلاً، ولكن الأمر ازداد سوءاً فيما يتعلق بصوفيا.
مساء الأمس لم تتركني مع تشيرتكوف وحدنا، حتى لا نعطينا فرصة
التحدث على انفراد. تكرر الأمر اليوم. لكنني نهضت وسألته: أتوافقني
في ما كتبته لك؟ سمعت صوفيا ذلك فسألته: ماذا تقصد بذلك؟ قلت
لها إنني لا أريد أن أجيب. انصرفت في حالة غضب واضطراب. لا
أستطيع فعل شيء. أنا نفسي في حالة كآبة غير محتملة. لا أفعل شيئاً.
خطابات تافهة، وأقرأ مختلف أنواع التفاهات. سأنام، شاعراً بالمرض
والاضطراب.

٢٥ يوليو.

لم تنم صوفيا طوال الليل. قرّرت أن تسافر، وسافرت فعلاً إلى
تولا، حيث التقت هناك بأندريه، وعادت في حالة طيبة تماماً، لكنها
بدت منهكة بدرجة رهيبة. لا أزال مريضاً، لكنني أفضل حالاً. لم أعمل
ولم أحاول حتى. عبثاً تحدثت مع ليف. سأنام بهدوء؛ لأنني كلمته
بلطف حمداً لله. سيبقي عزيزي جولدنفائزر هنا.

٢٦ يوليو.

لا أزال حيّاً لكنني حزين، بالرغم من أن حالتي الصحية تحسنت
قليلاً. كتبت في مقالتي (عن الجنون). خطابات. لا يمكنني تعويد
نفسي على ضرورة الحذر الدائم. أكتب الآن بحذر. تنزهت بالجواد.

أشعر بكآبة شديدة في حضور أندريه وليف، بالرغم من أن علاقتي بكل منهما مختلفة. سأنام. أفكار:

١ - هناك قانون حب واحد إنساني وأبدى، أما خرافات العلم التي تدرس الوحوش، توصلت إلى قانون الصراع وطبقته على الحياة الإنسانية. يا له من جنون!

كتبت خطابًا قصيرًا لتشيرتكوف، ووصلني خطاب جيد منه. إنني أوافقه رأيًا.

٢٧ يوليو.

الحال ذاته. ولكن يبدو كما لو أنه السكون الذي يسبق العاصفة. جاء أندريه وسألني: هل سجّلت وصية جديدة؟ قلت له إنني لا أريد أن أجيبه. كآبة شديدة. لا أصدق أنهم لا يريدون شيئًا سوى المال. أمر مفرع! لكنه بالنسبة لي مفيد وحسب. سأنام. جاء سيريوجا.

وصلني خطاب من تانيا وميخائيل سيرجيفيتش يدعوني للذهاب إليهما. سأقرر غدًا.

١ - تاريخ العقاب هو تاريخ إيطاله المستمر. إيهيرينج (فيلسوف ألماني).

٢ - خلصنا من يد سارقين عرضيين يُعرفون بهذه التسمية، لنجد أنفسنا بين يدي سارقين دائمين منظمين يُعرفون باسم محسنين، لنجد أنفسنا بين يدي الحكومة.

٣ - يدرك الإنسان نفسه إلهاً، وهو محق في ذلك لأن الله بداخله.

يدرك نفسه وغداً، وهو محق في ذلك لأن هناك أوعاداً بداخله، لكنه يخطئ تمامًا عندما يظن الوعد الذي بداخله إلهًا.

٤- تقول امرأة عجوز: إن أبانا الملك السمائي قد خلق العالم والإنسان، ويقول العالم: إن الإنسان ظهر نتيجة صراع الأنواع على البقاء، وإن العالم هو الآخر نتيجة التطور. الفارق بين هذين المنظورين لصالح وجهة نظر العجوز حتمًا، فبالحديث عن خلق العالم من قبل ملك سماء، وخلق الإنسان أيضًا، تعترف بوضوح أن هناك أمرًا غير مفهوم ما يتعلق بروح الإنسان وأصل العالم؛ أمر غير مدرك، أما العالم يريد بملاحظاته التافهة والاستنتاجات المترتبة عليها أن يحجب ذلك الأمر الرئيس غير المفهوم وغير المدرك؛ الأمر الذي يجب الاعتراف به وفصله عن غيره من المفاهيم، حتى يكون ما هو مفهوم ومدرك كذلك فعلًا.

٥- نحن لا نعترف بقانون الحب الملائم للإنسان، والذي كشفه لنا أعظم حكماء العالم، والذي ندركه في قرارة أرواحنا؛ لأننا لا نراه في ظواهر العالم المادية، بل نرى فيها قانون الصراع الخاص بالحيوانات، وبالتالي نطبق هذا القانون على العالم الإنساني. يا لها من ضلالة مريعة وفجة! هذه هي الرؤية الخاصة بأكثر الناس تنويرًا في عالمنا!

٦- حسنًا أن تسأل نفسك: إن نحنأ أمر السعادة الشخصية جانبًا، أتوافق على أن يُدان ويُحتقر كل ما عمله وتعتبره عملاً إلهيًا وواجبك المكلف به؟ حسنًا أن تسأل نفسك ذلك وتجب بالإيجاب، ولكن للأسف لا نجد مثل هذا الموقف الذي لا يجد فيه الإنسان أثناء القيام بعمل الله أي تعاطف، ولن يمكننا أن نجاهه.

٢٨ يوليو.

بوشا في الطريق. أنا سعيد بذلك. طوال الوقت لا أفعل شيئاً. لا بأس بحالتي الروحية. جاء شاب لطيف يُدعى بوريسوف. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. أشعر بكآبة شديدة في حضور أبنائي. كتبت خطاباً قصيراً لتشيرتكوف. زوسيا سعيدة بموهبتها الفنية والأدبية. خطابات قليلة الأهمية. لعبت الورق بالمساء، وحظيت بحوار جيد مع نيكولايف. فكرت بشكل جيد في الطريقة التي يمكنني بها أن أفصل نفسي عن التفكير في المستقبل، وعن أمر آخر لا أتذكره الآن.

٢٩ يوليو - دفتر سري.

أبدأ كتابة يوميات جديدة، يوميات حقيقية لي وحدي. عليّ اليوم كتابة شيء واحد: إن كانت شكوك بعض أصدقائي صحيحة، فإنها تحاول الآن أن تحقق أهدافها بلطف. منذ عدة أيام وهي تُقبّل يدي، الأمر الذي لم تكن تفعله من قبل، ولا تقوم بتلك المشاهد الهستيرية اليائسة. عفوك يا رب ويا أيها الصالحون إن كنت مخطئاً! يمكنني أن أخطئ بسهولة تجاه الجانب الطيب والمحِب. يمكنني أن أحبها كلية وبصدق، الأمر الذي لا يمكنني فعله تجاه ليف. ببساطة أندريه واحد من أولئك الذين يصعب أن تتصور أن روح الله بداخلهم، ولكن عليّ أن أتذكر أنها موجودة بداخله. سأحاول ألا أغضب وأحافظ على موقعي القائم في الأساس على الصمت.

على المرء ألا يحرم ربما ملايين الناس مما تحتاجه أرواحهم. أكرر

«ربما». ولكن إن كانت هناك أقل احتمالية لأن يكون ما كتبته ضروريًا لأرواح الناس، يستحيل حرمانهم من هذا الطعام الروحي ليتمكن أندريه في المقابل من الشرب والانحلال ويتمكن ليف من تلطيخ نفسه (أثناء تعلم النحت)... عسى أن يعينهما الله! فلتقم بعملك ولا تدين.

اليوم كالأيام السالفة: مرضت، ولكن مقدار افتقاري إلى الطيبة أقل. أنا في انتظار ما سيحدث، وهذا أمر سيء. صوفيا هادئة تمامًا.

٣٠ يوليو.

تحسنت حالتي الصحية قليلًا، ونمت كثيرًا. وصلني خطابات مهمة جدًا. لم أفعل شيئًا عدا الخطابات. ذهبت إلى إيفان إيفانوفيتش وسلّمته بروفات الطباعة. غداء بالمنزل. بوشا مع الأطفال، كما جاء جولدنفازير. أشعر باغتراب شديد تجاه أبنائي. فكرت في ضرورة الصمت بشكل جيد. سأحاول. الآن، وقد ودّعت زوسيا، سأنام. حزنت صوفيا بسبب أننا لم ندّعها للعب الورق معنا. لم أرد. هكذا يجب أن أسلك.

٣٠ يوليو (د.س.).

جرني تشيرتكوف إلى ذلك الصراع، وهو صراع ثقيل الوطأة ومنفر بالنسبة لي^(٣٩٢). سأحاول أن أنهيه بحب، ويريعني قول كم أنا بعيد عن ذلك. ربما أكثر ما أحتاج إليه في وضعي الحالي هو ألا أفعل أو أقول شيئًا. أدركت اليوم بقوة أن كل ما أنا في حاجة إليه هو ألا أفسد موقعي،

(٣٩٢) بتشجيع تولستوي على كتابة وصية جديدة سرية.

وأدركت بوضوح أنني لست في حاجة لشيء على الإطلاق.

٣١ يوليو.

لا أزال واهنًا، خاصة ذهنيًا. لا أكتب شيئًا. هكذا أفضل. خطابات غير مهمة. تحدثت صوفيا جيدًا عما حدث بالأمس، معترفة بحساسيتها المفرطة. جيد جدًا. خرجت بالجواد بصحبة دوشان. أردت بعد الغداء أن أقرأ، ولكن وصل آل لاديجينسكي وتحدثنا كثيرًا، وتفوهت بكثير من التفاهات. وصلني خطاب من تشيرتكوف، وأجبت عنه ببضعة كلمات. كل شيء بخير. سأنام.

٣١ يوليو (د.س).

قضيت فترة المساء بتبطل. وصل الزوجان لاديجينسكي، وثرثرت كثيرًا. لم ننم صوفيا مجددًا، لكنها ليست غاضبة. في انتظار ما سيحدث. ١ أغسطس.

لا أزال حيًا، لكنني في حالة سيئة. أجبت عن الرسائل بشكل سيئ. وصلتني بروفات الطباعة من إيفان إيفاتنوفيتش، ووجدتها سيئة. ذهبت إلى أوفسيانينكوفو. وهن ذهني وقنوط. يمكنني أن أصمت الآن بدرجة حسنة. حالة ساشا الصحية تزداد ضعفًا مجددًا. سأدوّن في بعض الأفكار لاحقًا.

١ أغسطس (د.س).

نمت حسنًا، لكنني لا أزال أشعر بالملل والحزن والوهن، بالإضافة إلى وعي كثيب بنقص الحب من حولي وبدخلي. عونك يا سيدي!

عاود السعال ساشا. حكت صوفيا لبوشا نفس الأمور المعتادة. لا يزال كل ذلك بداخلها: غيرة من تشيرتكوف وخوف على الملكية. كآبة شديدة. لا يمكنني تحمل ليف (ابنه)، في الوقت الذي يرغب فيه في الإقامة هنا. إنها تجربة! خطابات بالصبح. كتبت بسوء وراجعت بروفة طباعة واحدة. سأنام وسط هذه الكآبة. حالتي سيئة.

٢ أغسطس.

لا أزال أشعر بكآبة في روحي، كما أشعر بذات الوهن. تمشيت كثيرًا صباحًا. خطابات قليلة. راجعت بروفات الطباعة بضعف. وصلني خطاب رائع من تانيا. المسكينة تعاني من أجلي. ذهبت لجلب بعض حبوب الجاودار. لحقت بي صوفيا لتؤكد من وجودي. كم تعاني! لا يمكنني ألا أشفق عليها مهما عذبتني. حظيت بحديث جيد مع بوشا مساءً. سأنام الآن.

٢ أغسطس (د.س).

فهمت خطئي تمامًا. كان عليّ أن أجمع كافة الورثة وأعلن وصيتي أمامهم جميعًا، لا سرًا. كتبت ذلك لتشيرتكوف. حزن جدًا. ذهبت إلى كولبنا. خرجت صوفيا لتراقبني كما أنها تفتش وسط أوراقني. سألتني لتوها عمن يجلب لي خطابات تشيرتكوف، وقالت: «أنت تخفي مراسلات حب سرية». قلت إنني لا أريد أن أتكلم، وغادرتها ولكن بلطف. لا يمكنني ألا أشفق على هذه المرأة التعيسة. كتبت خطابًا لجاليا.

٣ أغسطس.

لا أزال حيًا. أشعر بالكآبة. لكنني عملت على نحو أفضل في بروفات الطباعة. وجدت مقطعًا فائقًا لباسكال. لم أستطع مغالبة دموعي أثناء قراءته، مدرّكًا اتحادي الكامل بهذا الشخص الذي مات منذ مئات الأعوام. ما الأعاجيب التي يمكنك أن تمر بها أكثر من ذلك؟ ذهبت إلى كولبنا بصحبة جولدنفايزر. مشهد كئيب بالمساء، وقد اضطربت بشدة. لم أفعل شيئًا، لكنني شعرت بتيار جارف يسري في قلبي، حتى إن الأمر لم يقتصر على أنني جفلت منه، بل تألمت أيضًا.

٣ أغسطس (د.س).

نمت كسير القلب، واستيقظت في نفس الحال. لا أزال غير قادر على مغالبة شعوري. تمشيت تحت الأمطار. عملت بالمنزل. تنزهت بالجواد بصحبة جولدنفايزر. لسبب ما أشعر معه بالكآبة. وصلني خطاب من تشير تكوف. إنه حزين للغاية. لقد وافقت ثم قررت الانتظار ولم أفعل شيئًا. من الجيد جدًا أنني أشعر بمدى حقارتني. في المساء وصلتني ملاحظة جنونية من صوفيا تباليني أن أقرأها كاملة (٣٩٣). نظرت إليها سريعًا وأعدتها. جاءت وبدأت حديثها. أغلقت الباب ثم هربت وأرسلت دوشان إليها. كيف سينتهي ذلك؟ عليّ ألا أخطئ. سأنام.

(٣٩٣) اقتطعت صوفيا جزءًا من يوميات تولستوي ٢٩ نوفمبر ١٨٥١، تحدث فيها عن حبه للرجال، ورأت في ذلك سببًا لغيرتها، خاصة من تشير تكوف. (راجع الجزء الأول ص ٢٤١).

٤ أغسطس.

لم أعد أدون أفكاري. قضيت اليوم بحرص شديد. جاء الكثير من الزوار التافهين. يكتنفني ضعف جسدي، وحالتي الروحية ليست حسنة ولا صالحة.

٤ أغسطس (د.س).

لم يحدث اليوم ما يكئبني، لكنني أشعر بالكآبة. أنهيت بروفات الطباعة، لكنني لم أكتب شيئاً. عبثاً انفعلت على بعض الطلبة، ثم رحبت بأحد الطلبة وزوجته وأعطيتهما كتاباً. جلبة شديدة. تنزهت بالجواد مع دوشان ولاديجينسكي. بوشا راحل وكورولينكو في الطريق.

٥ أغسطس.

أفكار:

١ - العادة أمر عظيم. إنها تجعلنا نقوم بذلك الفعل الذي كان يتطلب منا في كل مرة سابقاً مجهوداً وصراعاً بين الجانب الحيواني والروحي، بشكل لم يعد يتطلب منا بذل جهد أو انتباه، وبالتالي يمكننا أن نوجههما صوب الفعل ذاته. إنها الجبر الذي يُدعم وضع الحجر فيمكننا وضع أحجار جديدة. ولكن نفس هذا الجانب الجيد للعادة يمكنه تحديداً أن يصبح سبباً للفجور، وذلك حينما يُحسم الصراع لصالح الجانب الحيواني، فتعود على وجود أناس يمكننا إعدامهم وغزوهم والاستيلاء على أراضيهم ونتعود على استغلال العاهرات.

٢ - كلما ازدادت درجة إنكار الذات، ازدادت صعوبة الالتزام

بالتواضع، والعكس صحيح.

٤- كتبت في ١ أغسطس: لكلمات المحتضر أهمية خاصة. لكننا نموت دائمًا، وكل ما في الأمر أن هذا يحدث بوضوح في الشيخوخة. فليتذكر الشيخ إذن أن كلماته يمكن أن تكون لها أهمية خاصة.

٥- «ارتمتي على ركبتيه وبكى وتلا صلواته طالبًا من الله أن يخلصه، لكنه شعر في قرارة روحه أن كل هذا محض هراء، وأن أحدًا لن يخلصه».

٦- يا للوقاحة والجنون المريعين، أو بالأحرى المدهشين اللذين لأولئك المبشرين الذين يريدون تنوير «الهمج» وجعلها متحضرة بتعليمها إيمان الكنيسة!

٧- ما نسماه «العالم» يتألف من قسمين: الوعي وهدف الوعي (ما نعيه). لو لم يكن هناك وعي، لما كان العالم، ولكن يستحيل القول بأنه لو لم يكن هناك عالم لما كان هناك وعي. هل هذا صحيح؟

٨- كثيرًا ما تقول إنه يستحيل أن تُحدث فلانًا عن أمور لا يمكنه أن يدركها، لكنك رغم هذا تفعل ذلك، وتبدد تمامًا حديثك ثم تغضب من عدم فهم هذا الشخص لما لا يمكنه فهمه.

٩- الحياة الأنانية بكاملها حياة غير عقلانية وحيوانية. هكذا هي حياة الأطفال والحيوانات، وهي حياة غير مثمرة، ولكن الحياة الأنانية بالكامل بالنسبة لإنسان بالغ يتمتع بالعقل تنطوي على حالة من التناقض؛ حالة من الجنون. هذا حال كثير من النساء اللاتي عشن منذ طفولتهن

حياة أنانية مشروعة، ثم عشن أنانية الحب الأسري الأناني، ثم الحب الزوجي الأناني، ثم الأمومي، ثم حُرمن بعد ذلك تلك الحياة الأسرية الخارجة عن نطاق الأنانية، فبلغ الأطفال وبدأوا يفكرون بأنفسهم، ولكن دون أي حب على الإطلاق، مثلما هو الأمر مع الحيوانات. هذا الوضع مربع حقًا ومنتشر جدًا.

١٠- تريد أن تخدم الآخرين، كعامل ينشد العمل. ولكن إن أردت أن يكون عملك مفيدًا، عليك أن تكتسب أداة، وبالإضافة إلى ذلك يجب أن تكون الأداة جيدة. ماذا عن سماتك وشخصيتك وعاداتك... أتعبر نفسك من خلال ما سبق أداة جيدة لخدمة الناس؟ عليك بخدمة الله لا الناس، وخدمته واضحة ومحددة. إنها تتمثل في أن تزيد الحب بداخلك. بزيادة الحب بداخلك لن يسعك سوى أن تخدم الناس، وسوف تفعل إذن ما هو ضروري لك وللناس ولله.

١١- ليس البائس مَنْ يؤلمونه، بل من يريد إيلاهم الآخرين.

١٢- الإنسان دائمًا في طور نمو، لذا يستحيل رفضه. لكن هناك أناس وصلت حالتهم إلى درجة غريبة وبعيدة إلى حد أن يستحيل التعامل معهم إلا كما تتعامل مع أطفال؛ تحبهم وتحترمهم وتحميهم، ولكن لا يمكنك أبدًا أن تقف معهم أبدًا على نفس المستوى، ولا يجب عليك أن تطالبهم بفهم ما لا يستطيعون فهمه. أمر واحد يجعل معاملتهم بهذه الطريقة صعبًا؛ بدلًا من فضول الأطفال وصدقهم، يتسمون باللامبالاة وإنكار ما لا يفهمونه، والأسوأ من ذلك ثقتهم المفرطة في أنفسهم.

أشعر بمزيد من الحيوية، لكنني لا أستطيع العمل بسبب الجلبة من

حولي. ليس من الضروري حتى أن أكتب. راجعت خطابي لكاهن. خطابات غير مهمة، ثم زيارة من أمريكي يجول العالم. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. صوفيا في حالة عصبية سيئة. جاء فوكين. شكي يتواصل^(٣٩٤). قداسه يريد أن يأتي^(٣٩٥). لا أعرف بما أرد. أنا مبتهج لأنني صليت صباحًا على نحو جيد، ووعي يكتنفني بحب الجميع. سأنام. ٥ أغسطس (د.س).

صارت أفكارى أضنى قليلًا. أمر مُخزٍ ومخجل وهزلي ومحزن أن أرفض لقائي بتشير تكوف^(٣٩٦). صباح الأمس بدت لي بائسة جدًّا، ولم تكشف عن أي ضغينة. يسهل عليَّ دائمًا أن أشفق عليها وأحبها عندما تعاني ولا تجلب معاناة للآخرين.

٦ أغسطس.

تمشيت وسط أشجار التنوب الصغيرة. قرأت وكتبت خطابات. فكرت في الكتابة عن الجنون، لكنني افتقرت إلى الرغبة. بينما كنت مستلقيًا خطرت على ذهني فكرة مهمة، ثم نسيتها. جاء كورولينكو. إنه شديد اللطف والذكاء، كما أنه متحدث جيد، ولكن في كل الأحوال يثقل عليَّ التحدث... يثقل عليَّ.

(٣٩٤) أخبره فوكين أن مجموعة من الشباب تنوي رفض أداء الخدمة العسكرية ويريدون زيارة تولستوي وتشير تكوف، لكن الأخير كان متشككًا في مدى الضرر الذي يمكن أن يلحق بتشير تكوف أمنياً بسبب تأثيره على الشباب مما قد يدفع بهم إلى نفية ثانية.

(٣٩٥) وصل تولستوي خطاب من سكرتير البراهمة الهندوس شري باراماهاसा، يخبره فيه برغبة الأخير (قداسه) في زيارة تولستوي.

(٣٩٦) ليرضي صوفيا.

٦ أغسطس (د.س).

أثناء استلقائي على الفراش اليوم، راودتني فكرة بدت لي مهمة. فكرت، وقلت إنني سأدونها لاحقًا لكنني نسيته، ولا يمكنني استرجاعها. التقيت صوفيا لتوي بينما أكتب هذه السطور. تسير بسرعة وتبدو مضطربة بدرجة مريعة. أشفقت عليها بشدة. قلت لهم بالمنزل أن عليهم أن يراقبوا خفية لينظروا إلى أين ذهبت. حكمت لي ساشا أنها تسير بلا هدف وأنها تراقبني. حينها قل شعوري بالأسف عليها، حيث أن هنا سرًا، ولم أعد قادرًا على مزيد من اللامبالاة، بمعنى حب ما هو غير طيب. أفكر في الرحيل وترك خطاب لها، وأخشى ذلك رغم أنني أظن أن هذا سيكون أفضل لها. قرأت لتوي بعض الخطابات وأقبلت على الكتابة عن الجنون ثم نحييت الأمر عني. أفترق إلى الرغبة والقوة. الساعة الآن الواحدة. أشعر بالكآبة من الاختباء الدائم والخوف عليها.

٧ أغسطس.

أنا في حالة كئيبة. حاولت أن أكتب في مقالتي (عن الجنون)، لكنني لم أستطع. دعوت كورولينكو ليطمشي معي صباحًا وتحدثنا وكانت نزهة جيدة. إنه ذكي، لكنه واقع تحت تأثير خرافة العلم. ثم تنزهت بالجواد. تبلل جسدي من فرط العرق. جففت نفسي عند آل سوخوتين. وجدت جولدنفايزر بالمنزل، وشعرت بالكآبة. أفكار لتنسخها ساشا:

١ - نادرًا ما ألتقي بإنسان لديه عيوب أكثر من عيوي: شهوانية - شره - بغض - كبرياء، والأسوأ من كل ذلك: حب الذات. شكرًا لله

على ذلك وعلى إدراكي لذلك. لقد رأيت، ولا أزال- في نفسي كافة دناءتي، وأنا أناضلها طوال الوقت. هذا ما يفسر نجاح كتاباتي.

٢- هذا المخدر قوى بشدة، يتعذر علاجه لأن الناس لا يرونه ولا يريدون رؤيته، وليس بمقدورهم حتى أن يروه، وهم كذلك لأنهم راضون تمامًا عن أنفسهم ووضعهم. «نحن في حالة تطور وتقدم. لدينا طائرات وغواصات، فماذا نريد أكثر من ذلك؟ ما إن يمر بعض الوقت حتى يصبح كل شيء رائعًا». في حقيقة الأمر لا يسع المرء ألا يعجب بأشخاص لا يفكرون في الطائرات وما إلى ذلك. لقد ظهروا لهدف ما. لقد ظهروا؛ لأن ٩٩٪ من العبيد يفعلون ما يأمرهم به ١٪ من الناس، والحقيقة أنهم يفعلون الأعاجيب. والناس يؤمنون أنهم في حاجة إلى هذه الأعاجيب، لذا لا يستطيعون ولا يريدون تغيير الحياة التي تنتج هذه الأعاجيب. من شأن هذه الأعاجيب أن تُدعّم حياة شريرة، والحياة الشريرة بدورها تنتج الأعاجيب. أيمن أن نُحسّن الحياة ونواصل حياتنا الشريرة؟ نحن في حاجة إلى أمر واحد: أن نضع المتطلبات الأخلاقية في المقام الأول، وما إن يحدث ذلك حتى سنجد الطائرات قد زالت تمامًا.

٣- كتب ماساريك: «لا يتعلق الأمر بغياب الدين، بل بحضور ديانة كاذبة غبية؛ إنها ديانة التقدم. لا إصلاح طالما هي مستمرة. الإيمان بالتطور. تصلني خطابات. الديانة الحقيقية هي خدمة ما لا نعرفه، لكننا نريد أن نخدم بحسب رغبتنا وطريقتنا، ويسوء الأمر لكننا نقول: سيمر كل ذلك: نحن في حاجة إلى التطور».

٤- يصعب تصور التحول الذي يمكن أن يطرأ على الحياة المادية لكافة البشر، لن أقول إذا عاشوا بحب، ولكن إن توقفوا وحسب عن عيش حياة بُغض حيوانية.

٥- إن تحدثنا عن الله الخالق بحسب مفهوم الإنسان، لن يسعنا سوى أن نتصور أنه مقصور بالمكان والزمان؛ هذا الإله الموجود -بحسب مفهومهم- داخل نطاق الزمان والمكان، أي موجود في كل مكان وأبدي. حسنًا جدًا.

٦- في البداية يبدو العيش أمام وجه الله وحده لا يتمتع بالصلابة الكافية، مصطنعًا قليلًا وغير طبيعي. لكن حاول أن تعيش كذلك وسترى كم هو يسير وصلب وطبيعي. هكذا هو الأمر.

ولكن لماذا وُهب الإنسان العائش داخل نطاق الزمن أن يُثبَّت نفسه في الحياة في الله؟

أليس الأمر ذاته عندما يعيش الناس أمام وجه الناس وحسب، مثلما هو الأمر مع الناشطين السياسيين والعلماء والفنانين؟ وبالرغم من لا جدوى كل هذه الأنشطة، ومن الشكوك التي تحيط بنتائجها، يُكرّس الناس أنفسهم لها كلية. فكيف لا تُكرّس إذن كل حياتك لنشاط الروح، المثمر والحر دائمًا، والذي تُكافأ عليه دائمًا؟

٧ أغسطس (٥.س).

حديث مع كورولينكو. إنسان ذكي وطيب، لكنه أسير تمامًا لخرافة العلم. العمل الذي في انتظاري واضح وسيكون من المؤسف

ألا أكتبه، ويبدو أنني أفترق إلى القوة اللازمة لذلك. يختلط عليّ كل شيء، وليس هناك تعاقب أو مثابرة في اتجاه بعينه. صوفيا أهدأ الآن، لكنها لا تزال تشعر بالضغينة والغضب صوب الجميع. قرأت ما كتبه كورساكوف عن البارانونيا. كما لو أنها هي التي كتبت ذلك! وجدت الكتاب مع ساشا، وهناك مقاطع تم تحديدها، ربما من قبل ساشا. يقول لي كورولينكو: «كم تبدو ألكسندرا لفوفنا (ساشا ابنة تولستوي) إنسانة رائعة!». تحتبس الدموع في حلقي من فرط التأثر ولا أستطيع التحدث. عندما استجمعت شتات نفسي قلت له: «ليس لدي الحق لأقول ذلك، فهي تحبني بشدة». يجيب: «أما أنا فلدي الحق».

لا أزال أشعر بالكآبة في حضور ليف، ولكن حمدًا لله لا تراودني تجاهه مشاعر شريرة.

٨ أغسطس.

استيقظت فور أن هرعت صوفيا الخارج، ولم تنم طوال الليل، وكانت في حالة مضطربة ومريضة تمامًا. تمشيت ثم بحثت عنها. لم أستطع كتابة شيء. تنزهت بالجواد بصحبة بولجاكوف. وصل صبية تيلياتينسكي^(٣٩٧)، ولكن غاب خمسة ممن كانوا قد وعدوا بالمجيء. كأن الأمر خدعة. حمدًا لله لا أشعر صوبهم سوى بالشفقة. كبدي لا يعمل جيدًا، وأنا في حالة جسدية كثيفة، لكنني بخير روحياً. حظيت بحديث جيد مع صوفيا. يجب أن أسافر إلى تانيا. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام.

(٣٩٧) المجموعة التي انتوت رفض أداء الخدمة العسكرية.

٨ أغسطس (٥.س).

استيقظت مبكرًا. الكثير جدًا من الأفكار، لكنها مبعثرة تمامًا. حسنًا، لا بأس. أصلي وأصلي: «عونك!» ولا يمكنني أبدًا ألا أرغب في الموت وأنتظر فرحته. انفصالي عن تشيرتكوف يزيدني شعورًا بالخزي أكثر فأكثر، ولكن من الواضح أنني أنا المذنب. الأمر ذاته مع صوفيا. تريد الآن أن يأتي تشيرتكوف. لم تنم مجددًا حتى الساعة صباحًا. لقد فقدت ذاكرتي تمامًا، والمدهش أن الأمر لا يقتصر على أنني لم أفقد شيئًا بذلك، بل ربحت الكثير جدًا في ما يتعلق بوضوح وقوة الوعي، بل أظن أن الأمر منهما يأتي على حساب الآخر.

٩ أغسطس.

أنا في حالة مزاجية كثيفة وخطيرة جدًا. مرة أخرى أجدني غير قادر على التفكير في أي عمل ذهني. تمشيت كثيرًا. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. وجدت هناك جمعًا لطيفًا. بعودتي للمنزل وجدت فيري (جاره) المريع. إنه مريع من حيث عدم إمكانية النفاذ إليه وبرجوازيته الساذجة. ثم جاء فينجير. لم أعامله والآخرين حسنًا. تشاجرت ساشا مجددًا مع صوفيا^(٣٩٨). تانيا آتية في الطريق. سأنام، إنها الثانية عشرة.

٩ أغسطس (٥.س).

يزداد تعاملتي مع الحياة جدية. اضطراب مجددًا. أحاديث مع صوفيا وساشا. الأخيرة حادة. ليف (ابنه) تجربة كبيرة وصعبة حقًا.

(٣٩٨) بسبب علاقة صوفيا العدائية تجاه تشيرتكوف.

١٠ أغسطس.

أشعر بضعف شديد. استيقظت مبكرًا. تمشيت بصعوبة. دوّنت فكرة جيدة. خطابات. حظيت بنزهة جيدة على الجواد بصحبة دوشان. سقطت صوفيا على الأرض. لم تنم الليل، لكنها هادئة. في المساء جاء بعض الجنود: ثلاثة يهود وناشط سياسي. تركوا فيّ انطباعًا غير مفيد، أو بالأحرى سيئًا.

١- كم يسهل أن تنشذ التوبة والاتضاع، وكم يصعب أن تطفئ في نفسك مشاعر البغضة والضغينة صوب مَنْ أساء إليك حينما يكون مفرط الثقة في نفسه، شديد الرضى عنها! أنا في حاجة إلى تعلم المغفرة لهؤلاء تحديدًا.

لأول مرة بالأمس، أثناء كتابتي خطاب لأحد الجنود، شعرت بمدى خطيئة هذا العمل المريع! (يقصد العسكرية).

٢- الحب هو أن يعي المرء نفسه تجليًا للكيان الكلي، وبوحدته به، وحبه لله والقريب.

٣- ما إن تشعر أنك متواضع، حتى تكف عن كونك متواضعًا.

١٠ أغسطس (د.س.).

لا أزال أشعر بالكآبة والمرض. حسنٌ أنني أشعر بذنبي. عونك يا أبي، يا جوهر الحياة والروح الكلية، ومصدر الحياة! أعني لأعيش تلك الأيام والساعات الأخيرة من حياتي أمام وجهك أنت وحدك، وألا أخدم سواك.

شعرت لأول مرة بالأمس بينما كنت أكتب خطابًا لجاليا بذنبي في كل شيء، وبرغبة طبيعية في طلب المغفرة. بينما كنت أفكر في ذلك الآن شعرت بفرح كامل. كم يشعر المرء بالبساطة واليسر حينما يتحرر من مديح الناس، وكم يُلطّف ذلك علاقته بالناس! ليت ذلك لا يكون خداعًا للنفس، وليته يستمر!

١١ أغسطس (د.س).

حالي الصحية تزداد سوءًا. صوفيا هادئة، لكنها لا تزال غريبة عني. خطابات. أجبت عن اثنين منها. أشعر بالكآبة في حضور الجميع. لا يسعني ألا أنشد الموت. خطاب طويل من تشيرتكوف يصف فيه كل ما حدث. شعرت بحزن وكآبة شديدين أثناء قراءتي للخطاب وتذكري لما يتضمنه. إنه محق تمامًا وأشعر أنني مذنب في حقه. لم يكن بوشا محققًا. سأكتب إلى كُلّ منهما، وها أنا أكتب.

١٢ أغسطس (١١، ١٢).

أتعجب كيف فوّت يوم أمس! وصلني بالأمس خطاب مهم جدًا. أجبت عنه اليوم. لم أكتب شيئًا أمس واليوم. أجبت عن الخطابات المهمة وحسب. لم أخرج اليوم. لا أزال أشعر بضعف شديد. الساعة الآن الثانية عشرة.

١- كم من الجيد أن تُعوّد نفسك عندما تكون بمفردك على ألا ترتكب تلك الأفعال التي لا ترتكبها عندما تكون وسط الناس: ألا تقتل ذبابة وألا تغضب على جواد... إلخ، وأن تفعل في حضور الناس تلك

الأفعال التي تعرف أنهم سيدينونك عليها، لكنك لا تعتبرها سيئة!
٢- الله في حد ذاته هو الجوهر الروحي الذي أعترف أنه أناي،
والذي أدركه في كل ما هو حي.
١٢ أغسطس (د.س).

بالأمس قررت أن أخبر تانيا بكل شيء^(٣٩٩). منذ صباح اليوم
يراودني شعور كئيب وغير طيب تجاهها، أقصد صوفيا. يجب أن أغفر
لها وأشفق عليها، لكني لا أزال غير قادر. أخبرت تانيا بالأمر. فرحت
بذلك ووافقتني. بحسب كلمات ساشا، تشير تكوف راضٍ تمامًا عن
خطابي. لم أخرج طوال اليوم. في المساء جاء جي وحكى لي بشكل
جيد عن سويسرا. صوفيا مضطربة للغاية، وهي في نفس الحال دائمًا.
مرضها واضح. أشعر بالأسف الشديد عليها. سأنام.
١٣ أغسطس.

تحسنت حالتي الصحية قليلًا. انهمر المطر وتمشيت في الشرفة
الخارجية. اقترب رجل لا يرتدي سوى قميص مبتل تمامًا. لم أطعمه،
وبشكل عام لم أعامله بأخوية. صافحته. يا له من برهان غبي! وصلتني
خطابات مهمة بعض الشيء، لكن بشكل عام ليست لديّ رغبة في
العمل. الأمر غير ضروري. حالتي الروحية جيدة. جاءني سيده سابقة
تعمل الآن مساعدة طبيب، ودار الحديث ذاته عن خدمة الناس والحب
الجسدي. أفكار:

(٣٩٩) يشير إلى وصيته الجديدة.

كم من الجيد أن نفصح زيف ذلك النوع من الحب ونكشف خرافته!

١٣ أغسطس (د.س).

كل شيء كما هو، وحالتها كثيبة وخطيرة. وصلني خطاب جيد من تشير تكوف. تانيتشكا لطيفة وحلوة.

١٤ أغسطس.

صوفيا في حالة سيئة جدًا منذ الصباح. تحسنت حالتي الصحية. وصلني خطاب من تشير تكوف، وأرسلت إليه خطابًا. تمشيت وسط أشجار التنوب الصغيرة، وتنزهت بالجواد بصحبة دوشان. في المساء جاء عزيزي خيرياكوف وجولدنفايزر وديموتشكا. صدام مع ساشا. جاءت هي بنفسها واعتذرت. كان الأمر شديد الصعوبة لكنني تماسكت. الساعة الآن الثانية عشرة. سأنام. سأذهب غدًا (إلى ابنته بكوتشيتي).

١٤ أغسطس (د.س).

الأمر يزداد سوءًا. لم تنم طوال الليل، وهبت من فراشها صباحًا وقالت: «مع مَنْ تتكلم؟»، ثم تحدثت عن أمر مريع: استشارة جنسية... أمر مريع قوله. حذفت ثلاث كلمات. الأمر مريع، ولكن حمدًا لله أنني قادر على أن أشفق عليها. سأحتمل. عونك يا رب! لقد عذبت الجميع، وبالأكثر نفسها. سوف تأتي معنا. يبدو أنها تطرد فاريا (فيوكرتوفا صديقة ساشا) وساشا حزينة. سأنام.

١٥ أغسطس - كوتشيتي.

استيقظت مريضًا. جاءت صوفيا معنا. اضطررت إلى الاستيقاظ

في السادسة. كان السفر صعبًا. وصلتني خطابات تافهة. سررت جدًا بالذهاب إلى تانيا. سأنام الآن وأنا في حالة كئيبة، جسديًا وروحياً على السواء. قرأت كتاب فيودور ستراخوف (البحث عن الحقيقة)، ووجدته جيدًا جدًا.

١ - يا للغرابة: أحب نفسي، ولا أحد يحبني!

٢ - بدلاً من أن يتعلم الناس العيش بمحبة، يتعلمون الطيران! يطيرون بشكل شديد السوء، لكنهم يتوقفون عن تعلم الحياة بحب من أجل أن يتعلموا الطيران! يماثل ذلك أن يتوقف طائر عن الطيران ليتعلم الركض أو ركوب دراجة!

١٥ أغسطس (د.س).

في طريقي إلى كوتشيتي قلت في نفسي: لو بدأت مجددًا هذه القلائل والمتطلبات سوف أرحل بعيدًا مع ساشا. قلت ذلك، وهذا ما فكرت فيه. لكنني لا أعتقد الآن أنني سأفعل ذلك. وصلنا بسلام، ولكنني أخذت دفترًا من ساشا مساءً، فرأيتني وسألت: «ما هذا؟»، قلت: «يومياتي... ساشا تنسخ منها».

١٦ أغسطس.

لا أزال في حالة ضعف ذهني. قرأت كتاب ستراخوف (البحث عن الحقيقة) بسرور كبير، وكتبت له خطابًا. خرجت مرتين لأتنزه. عاود المطر السقوط. انتهى النقاش مع صوفيا بخير حمدًا لله. تانيا شديدة اللطف. عدد هائل من الزوار وترف شديد. سأنام.

١٦ أغسطس. (د. س)

لم تنم حتى صباح اليوم مجددًا. أرسلت إليّ ملاحظة مفادها أن ساشا تنسخ من يومياتي اتهاماتي ضدها لتعطيها لتشيرتكوف. حاولت قبل الغداء أن أهدئها، بعد أن قلت الحقيقة المتعلقة بأن ساشا تنسخ من الدفتر مجرد أفكار منفصلة، وليست انطباعاتي عن الحياة. إنها تريد أن يهدئها أحد ويشفق عليها. الساعة الآن الرابعة، وشيء ما سيحدث. لا يمكنني العمل. يبدو أنه غير ضروري. لا بأس بحالتي الروحية.

١٧ أغسطس.

نمت جيدًا. تنزهت. دوّنت فكرة، لكنها لم تكن جيدة. عدت إلى المنزل في حالة من الوهن الذهني. لا أريد أن أكتب شيئًا. حسنًا ذلك. نعاس وضعف. وصل أندريه يكوفليفيتش من طائفة الخصيان^(٤٠٠). تنزهت ثانية وصليت بحرارة شديدة. نمت. تغديت وحلّ المساء. إنه اليوم الأول الذي تبدو فيه صوفيا هادئة، لكنها اضطربت قليلًا قبالة المساء. لعبت الورق، ولم أفعل شيئًا.

١٧ أغسطس (د. س).

يوم جيد. صوفيا بخير تمامًا. من الجيد أيضًا أنني شعرت بالحزن، وقد عبّر ذلك عن نفسه في صورة صلاة ووعي.

(٤٠٠) طائفة سرية انتشرت في الإمبراطورية الروسية، اشتهر رجالها بخصاء أنفسهم، ونساؤهم باستئصال الثدي وفقًا لتعاليمهم الرافضة للشهوة الجنسية.

١٨ أغسطس.

لا أزال أعاني من الوهن الذهني. لم أفعل شيئاً. حزنت صوفيا عندما عرفت خبر السماح لتشير تكوف بالعيش في تيلياتينكي^(٤٠١). خطابات غير مهمة. حالي الروحية جيدة بالرغم من شعوري بالحزن. هذا سيئ. وصل سيريوجا وديمتري أولسوفيف. حضرت عرضاً بالمدرسة، وكان جيداً جداً. تنزهت بالجواد.

١٨ أغسطس (د.س).

عندما عرفت صوفيا أنهم قد سمحوا لتشير تكوف بالإقامة في تيلياتينكي عادت لحالتها المرضية. قالت: «سوف أقتله!». طلبت منها ألا تتكلم وصمتُ. ويبدو أن ذلك أسدى نفعا. شيء ما سيحدث. عونك يا رب لأكون معك وأنفذ إرادتك. ما سيحدث بعد ذلك ليس من شأني. لا أصل إلى تلك الحالة كثيرا، بل أحيانا. كم هي جميلة تلك الحالة!

١٩ أغسطس.

في نفس الحال مجدداً. ضعف وغياب الطاقة اللازمة للعمل. خطابات تافهة. تحدثت مع صوفيا، وعبثاً وافقت على عدم رسم بورترية لي. من غير الضروري أن أقدم تنازلات. لا أريد الآن أن أكتب. سأنام، إنها الثانية عشرة.

(٤٠١) لأن هذا من شأنه أن يجعله قريبا من تولستوي بياسنايا.

١٩ أغسطس (د.س).

منذ الصباح وصوفيا تتوسل إليَّ أن أعدها بما وعدتها به سابقًا من عدم التقاط أي صور. عبثًا وافقت. وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف. إنه محق في حديثه عن الطرق التي لها أفضل تأثير على المرضى.

٢٠ أغسطس.

لا أزال حيًّا، بل أكثر مما توقعت. فكري أكثر حيوية بعض الشيء. راجعت المقدمة صباحًا. خطابات تافهة للغاية. صوفيا لا تزال مضطربة وتثير الأسف. تنزهت بالجواد بصحبة ديوميدوف. إنه طيب. سأنام. معدتي لا تزال لا تعمل جيدًا.

٢٠ أغسطس (د.س).

حظيت بحديث جيد مع الحارس، ولكن أمر سيئ أنني حكيت له عن وضعي. تنزهت بالجواد، وعذبني مرأى مملكة السادة هذه التي أعيش فيها، حتى إنني أفكر في الهروب والاختباء. أثناء تذكري لزواجي فكّرت اليوم أنه كان أمرًا قاتلًا. لم أشعر حتى أبدًا أنني عاشق، لكنني لم أستطع ألا أتزوج.

٢١ أغسطس.

اليوم أنا أكثر حيوية من الأمس. أجريت بعض التغييرات في المقدمة مجددًا. راجعت بروفة طباعة دفتر: التواضع، ووجدته جيدًا. لم أتزعه على جوادي، بل ذهبت سيرًا إلى قرية فيسيلوي، وتحدثت هناك مع امرأة عجوز. في المساء لعبت الورق. أشعر بالخزي.

٢١ أغسطس (د.س).

استيقظت في ساعة متأخرة. أشعر أنني أكثر حيوية. صوفيا لا تزال كما هي. حكْتُ لتانيا كيف أنها لم تنم طوال الليل بسبب أنها رأت صورة تشيرتكوف. الوضع خطير. أود أن أتكلم... أن أتكلم، أي أن أكتب.

٢٢ أغسطس.

أشعر أنني أفضل حالًا جدًّا. لا أزال غير راغب في العمل، بالإضافة إلى ذلك أنا مشغول بمراجعة بروفات طباعة الدفاتر. راجعتها كلها عدا دفتر واحد (بعد الموت). دوَّنت ساشا الأمر بشكل جيد^(٤٠٢). مساء اليوم جاء بعض الفلاحين، وكان انطباعي عنهم كئيبيًا وسيئًا، خاصة تجاه أحدهم: فلاح غني محافظ، ومتحدث مفرط الثقة في نفسه. صوفيا هادئة. لعبت الورق بالمساء. سأنام.

٢٢ أغسطس. (د.س)

خطاب عظيم الغباء من روسوليمو^(٤٠٣) بشأن حالة صوفيا، وآخر جيد جدًّا من (ب). أسلك على نحو جيد.

٢٣ أغسطس.

تنزهت وفكرت بحيوية. كتبت قصة رمزية للأطفال وأخرى عن

(٤٠٢) دوَّنت حكاية أ. ي جريجوريف الذي زارهم في كوتشيتي عن بحثه عن الحقيقة وكيف قضى ٣٦ عامًا في منفى بسبيرييا.

(٤٠٣) اختصاصي أمراض عصبية، وقد أخبرهم ألا يقلقوا وأن يكتفوا بأن يجعلوها تمشي وتسبح!

موضوع (نفس القدر للجميع) بنفس الشخصيات. وضعت خطة للقصّة. تمشيت في الحديقة. أنهيت الدفاتر. لعبت الورق بالمساء. سأنام. صوفيا هادئة.

٢٤ أغسطس.

لا أزال أشعر بأني في حالة طيبة صحياً. في الصباح قرأت في كتاب (البابية) بالفرنسية، ووجدته شيقاً جداً وجديداً بالنسبة لي. ثم انشغلت بالخطابات، وكان عليّ أن أكتب قصة الأطفال. حكّت لي تانيتشكا القصة بشكل جيد. لماذا ليست لديّ رغبة في الكتابة؟ يجب أن أكتب. ذهبت بمفردي إلى ألكسندروفكا. في المساء أنهيت كتاب (البابية). سأنام. صوفيا بحالة جيدة. ليتها لا تضطرب ولا تتسلط عليها الشكوك! أفكار:

١ - أتمشى في الحديقة وأفكر في حالة أطفال آل سوخوتين وكم خطوة يستغرقها الدوران حول الحديقة وما إن كنت سأشرب القهوة عند وصولي أم لا.... إلخ. من الواضح لي أن الحياة ليست سيري وحركتي الجسدية وأفكاري. ما الحياة إذن؟ لا أعرف لذلك سوى إجابة واحدة: الحياة هي تحرير الجوهر الروحي من قيود الجسد الذي يحده. لذا من الواضح أن هذه الظروف التي نعتبرها كوارث وبلايا ونقول إنها ليست الحياة، كما فكرت وقلت سابقاً عن وضعي، هي وحدها الحياة، أو على الأقل هي إمكانية الحياة. هذه المواقف التي نسُمها بلايا، والتي يبدأ فيها صراع الروح مع الجسد، هي وحدها التي تتيح إمكانية عيش حياة حقيقية، أو عيش الحياة نفسها، وذلك إن اتسم صراعنا بالوعي وانتصرنا

فيه، أي إن انتصرت الروح على الجسد.

٢- تمنحني الحياة المؤقتة داخل حدود المكان إمكانية أن أدرك لا زمينتي وروحانيتي، أي أن أدرك عدم اعتمادي على المكان والزمان.

٣- لو لم تكن هناك حركة داخل نطاق الزمان، ومادة داخل نطاق المكان، لما استطعت أن أعي لا ماديتي ولا زمينتي، ولما كان هناك وعي من الأساس.

٤- وحده الوعي بأناي غير الجسدية وغير المتغيرة يمنحني إمكانية فهم الجسد والحركة والزمان والمكان. وحدها حركة المادة في الزمان والمكان تعطيني القدرة على إدراك نفسي. الواحد يحدد الآخر.

٥- حتى تحسم أمرك بخصوص ما أو من يتوجب عليك الإيمان به أم لا، عليك بالرجوع إلى عقلك وحسب.

٦- ليس العالم الخارجي سوى مادة متحركة، وقد تطلّب ذلك ضرورة انفصال كل ما هو مادي، وهذا الانفصال قد طرأ عليّ قبل أي شيء آخر، فأنا منفصل عن العالم برمته. تتحدد العلاقة بين ما هو مادي وفقاً للمكان، بينما تتحدد علاقة حركة الأغراض المنفصلة وفقاً للزمان.

صياغة سيئة وغير واضحة.

٧- أمر سيئ حينما لا يخزى الأغنياء ولا يُحسد الفقراء.

٨- (نفس القدر للجميع) عنوان خطة الشخصيات.

٩- يمكنني أن أدرك رغبتني في تناول الطعام أو الغضب، ولكن ما أنا في حاجة لإدراكه: من ذا الذي يدرك؟

١٠- في الماضي كانت الحكومة تتمكن من خداع الناس بمعاونة إحدى الكنائس لتسلط عليهم، والآن تُعد الحكومة العلم تدريجيًا لذلك الدور أيضًا، وهو في تمام الاستعداد والتحمس للقيام بهذه المهمة.

١١- يحاول الإكليروس، عن وعي وعن لا وعي على السواء، تحقيق مصالحهم بالحول دون خروج الشعب من ضباب الخرافة والجهل اللذين أغرقوا الشعب فيهما.

٢٣، ٢٤ أغسطس (د.س).

أستعيد قواي تدريجيًا. صوفيا بائسة، معانتها لا تتوقف، وأشعر بعجزتي عن مساعدتها. أشعر أيضًا بخطية التعلق الاستثنائي ببناتي.

٢٥ أغسطس.

أكتب قبل الغداء. لا جديد. أردت التفكير في حكاية الأطفال، ولكن بلا جدوى. وصلني خطاب واحد جيد من فلاديمير. دار حوار كئيب مع بناتي. كتبت خطابًا لتشير تكوف. يقولون إنه مريض.

٢٥ أغسطس (د.س).

تكتب فارفارا ميخايلوفنا عن الشائعات الدائرة في منزل زفيجنتسوف^(٤٠٤). ساشا غاضبة جدًا بسبب ذلك. حمدًا لله لا أبالي بالأمر، لكن ذلك يسيء شعوري صوبها (يقصد صوفيا). لا حاجة لذلك. آه لو أتكمن من أكون لطيفًا معها وحازمًا في الآن ذاته!

(٤٠٤) شائعات أطلقتها صوفيا في الأساس عن علاقة شاذة بين تولستوي وتشير تكوف، ونشرتها زفيجنتسوف بسبب كرهها لتشير تكوف.

٢٦ أغسطس.

حالي الروحية جيدة. لم أستطع كتابة حكاية الأطفال. وصلتي خطابات وبروفات طباعة. قرأت المجلة الفيديّة^(٤٠٥)، واشتملت على عرض جيد جدًا للفيديا وجمعية^(٤٠٦) *Areia Samai*. ذهبت إلى قرية تروخانيتوفو. يثقل عليّ الترف بشدة، حيث أرى مملكة السادة مقترنة بفقر مربع. سأنام... لقد تأخر الوقت.

٢٦ أغسطس (د.س).

تحدثت صوفيا بحدّة مع تانيا ليلاً. الأمل ميؤوس منها تمامًا معها، فتفكيرها غير مترابط تمامًا. سعدت بتمكّني من الصمت إزاء شكاويها. حمدًا لله لا يراودني أدنى شعور شرير صوبها.

٢٧ أغسطس.

لا أزال غير قادر على العمل. انشغلت طوال اليوم بتشيبورين، وهو عامل قد سافر إلى إنجلترا وأمريكا واليابان. قرأت مخطوطة كتابه، ووجدت أنه مكتوب بطريقة شديدة السوء، وتحدثت معه.

٢٧ أغسطس (د.س).

إنها بائسة ومكتئبة بدرجة مريّة. مساء اليوم ظلت تتحدث عن الصور، ومن الواضح أنها تتحدث من منظورها المريض. حاولت تجنبها وخرجت.

(٤٠٥) نسبة إلى الفيديا، من الكتب المقدسة الهندية.

(٤٠٦) جمعية تهدف إلى مقاومة النفوذ الإنجليزي في الهند.

٢٨ أغسطس.

لا أزال حيًّا وبصحة جيدة. تمشيت بصحبة أحد المعلمين وحدثته جيدًا. ثم جلب الصبية التفاح. راجعت بالمنزل دفتر (الحقيقة)، كما وصلتنى خطابات قليلة الأهمية. تمشيت وصولًا إلى تريخانيتوفو، وكانت حالي المعنوية جيدة جدًا. جلب الصبية التفاح ثانية. ودّعت تشيبورين. لم أستطع ضبط نفسي بالمساء، وعبرّت عن رأيي لصوفيا فبدأت أحتاجها. وصلني خطاب من ليف، وكان شديد السوء. عونك يا سيدي!

٢٨ أغسطس (د.س.).

الأمر يزداد صعوبة مع صوفيا. لا حب لديها، بل مطالبة بالحب تقارب الكراهية، وتتحول فعلاً إلى كراهية. نعم، الأنانية ضرب من الجنون. أطفالها هم مَنْ أنقذوها؛ أقصد ذلك الحب الحيواني، لكنه ينطوي في كل الأحوال على نوع من إنكار الذات. وعندما انتهى ذلك (يقصد بنمو الأبناء) لم يتبقَّ لها سوى تلك الأنانية المريعة. الأنانية حالة غير طبيعية تمامًا، ضرب من الجنون. تحدثت لتوي مع ساشا وميخائيل سيرجيفيتش ودوشان. إنهم لا يعترفون بمرضها. إنهم مخطئون.

٢٩ أغسطس.

يوم فارغ مجددًا. تمشيات وخطابات. أفكر جيدًا، لكنني غير قادر على التركيز. اهتمجت صوفيا بشدة، وتمشّت في الحديقة، ولم تعد إلا في الواحدة. أرادت أن تبدأ الأمر مجددًا، وشعرت بكآبة شديدة، لكنني

تماسكت حتى هدأت. قرّرت أن ترحل اليوم. بفضل ساشا قرّرت أن ترحل معها. كان الوداع مؤثراً جداً، فقد ودّعت الجميع. أحبها وأشفق عليها جداً جداً. وصلتني خطابات جيدة. سأنام. كتبت لها خطاباً صغيراً.

٣٠ أغسطس.

أشعر بالحزن في غيابها، كما أنني خائف عليها. أفتقر إلى السكون. تمشيت في الطرقات. أردت أن أعمل وحسب. وصل مافوج^(٤٠٧). إنه أستاذ جامعي شديد الحيوية، لكنه مناصر لسلطة الدولة وغير متدين. نموذج كلاسيكي للأستاذ الصالح. خطاب من تشيرتكوف. يرسل إليّ مقالات بالإنجليزية. لم أقرأ شيئاً منها. في المساء لعب ورق. رأسي تؤلمني. برقية من ساشا. وصلاً بخير حمداً لله. سأنام. في الصباح فكرت في العمل في مقالي (عن الجنون) وأن أكتب عن عدم التدين. حسنٌ ذلك!

٢٩، ٣٠ أغسطس (د.س).

صباح الأمس كان مريعاً، دون أي أسباب. خرجتُ إلى الحديقة واستلقت هناك، ثم هدأت. تحدثنا بصورة جيدة. في أثناء انصرافها طلبت مني أن أسامحها بصورة مؤثرة. مرضتُ اليوم. ماذا سوف يحدث؟

(٤٠٧) جيمس مافوج: أستاذ اقتصاد سياسي بجامعة تورنتو بكندا. دَعَمَ الدوخوريين عند انتقالهم إلى كندا.

١ سبتمبر.

لم أدوّن يوميات الأمس. تمشيت صباحًا كالمعتاد وفكرت في فكرة جديدة بالاهتمام ودوّنتها. خطابات قليلة الأهمية. ثم ذهبنا إلى ماتيفيف. ما ترك فيّ انطباعًا شديد القوة هو ذلك التناقض البادي من وجود أناس يستحقون الاحترام، أقوياء وعاقليين وكادحين تحت السلطان الكامل لأناس متبطلين منحلين في نفس درجة التطور الدنيا التي للحيوانات تقريبًا. أُنْهَكَت منهم. إنهم جميعًا على حافة الجنون. غداء. شعور بالإنهاك ثم لعب ورق. دَوّنت أفكارًا كثيرة، لكنني سأنقل هنا الآن فكرة واحدة وحسب:

أناس وُهبوا عقلاً ووعياً بالجواهر الإلهي الذي يوحدهم، وبدلاً من أن يطوروا هذا الجوهر الذي بداخلهم يريدون أن يتحركوا أسرع من الجياد والغزلان ويطيروا كالطيور، وبالتالي يخنقون بداخلهم ما وُهبوا إياه لخيرهم، ويحاولون أن يطوروا بداخلهم ما لم يوهبوا إياه، وما لا يحتاجون إليه من الأساس. أمر مذهل حقًا!

استيقظت اليوم مبكرًا، وحظيت بنزهة جيدة، وكتبت صلاة للأطفال. راجعت مراسلاتي مع أنشينا^(٤٠٨)، وربما أعكف على العمل الآن.

عملت قليلًا. بعد الغداء كتبت خطابًا لصوفيا وبيريوكوف. وصل آل مامونتوف. جنون الأغنياء أكثر وقاحة. لعبت معهم الورق حتى

(٤٠٨) معلم شعبي، وقد تبادلا الرسائل بخصوص التعليم.

الحادية عشرة، وشعرت بالخزي. أريد أن أتوقف عن كافة الألعاب. سأنام، فأنا منهك.

٢ سبتمبر.

نمت قليلًا، واستيقظت مبكرًا، وتمشيت كثيرًا، وأنهدمت بشدة. كتبت جيدًا - على ما أظن - عن ثبات الأنا الروحية في الزمن. وصلت المنزل منهكًا، وقرأت كتاب بوشينو الذي يصف فيه المنفى وكتبت إليه. أريد التوقف عن لعب الورق، فهو أمر مخزٍ. لم أعكف على العمل. الساعة الآن الثانية. سأتنزه على بالجواد. هذا أمر عليّ أن أفارقه هو الآخر. أفكار:

١ - في البداية تبدو الأنا لك كأنها تتحرك مع العالم كله، ولكن كلما عشت اتضح لك أن ما يتحرك ليس أنك، فالأنا الحقيقية ثابتة، وهي خارج نطاق الزمن، والعالم كله يتحرك أمام هذه الأنا، جنبًا إلى جنب مع الجسد الذي يصيبه الصلع وتتساقط أسنانه ويضعف، وتحرر الأنا من خداع الحياة داخل نطاق الزمن.

٢ - كلما أدرك الإنسان روحانيته، ازداد إدراكه لخداع الحركة التي تبدو له داخل نطاق الزمن.

لا أتذكر ماذا فعلت بالمساء.

٢ سبتمبر (د.س).

كتبت خطابًا قلبيًا لصوفيا. وصلني اليوم خطاب سيئ جدًا منها. لا تزال خاضعة لذات الشكوك والضعف. كان من الممكن أن تبدو

شكوكها هزلية لو لم تكن مريعة بهذا القدر، كما أن مطالبتها إِيَّايَ بالحب تعذبني. هناك مقطع بتاريخ اليوم في (دورة قراءات) لشوبنهاور: «محاولة إكراه المرء على الحب تستثير الكراهية بداخله...».

٣ سبتمبر.

تمشيت صباح الأس، لكنني لم أصل حتى أوبرازتسوفكا (قرية قريبة من كوتشيتي). عدتُ وبدأتُ أكتب برغبة لم أشعر بها منذ فترة طويلة. ذهبت بالجواد إلى فلاح بتريخانيتوفو قد مات جواده. ترك شيخ أكبر مني انطباعاً قوياً فيّ، كانوا يدرسون الحنطة في أرضه. جاءت ساشا. الكآبة تعذبني بالمنزل. تماسك يا ليف نيكولايفيتش. سأحاول. لم أُرِد أن ألعب الورق مساءً، لكنني جلست مع الآخرين.

٤ سبتمبر.

نمت قليلاً، واستيقظت مبكراً، وذهبت إلى تريخانيتوفو وأوبرازتسوفكا. فقر مربع! منعت دموعي بصعوبة. خطابات، واحد منها يقرعني بشدة. تمشيت في الحديقة. نمت. سأمضي الآن لتناول الغداء. أفكار:

١- مفهوم الخطية وارتكاب أفعال والكف عن أخرى، بدافع الخوف من الخطية لا من أجل ربح شيء أو نيل مديح الناس، هو شرط ضروري لعيش حياة إنسانية حقيقية عقلانية صالحة. أولئك الذين يحيون في غياب مفهوم الخطية، ودون ضبط للنفس، يحيون حياة حيوانية. هكذا يعيش أولئك المدعوون متنورين.

٢- أن تحيا حياتك دون فهم مغزاها، أي من دون دين، هو الجنون عينه. عندما يصبح الجنون حالة عامة ويصيب العدد الأكبر من الناس، يتجلى بوقاحة ويصل إلى أقصى حدود الثقة المفرطة في النفس. لذا يعتبرون الأسوياء مجانين، ويحبسونهم أو يعدمونهم.

٣- كما أن كل ما هو مادي يسعى صوب الوحدة بفعل قانون الجاذبية، كذلك يسعى كل ما هو روحي صوب الوحدة بفعل قانون الحب.

٤- سأموت، وتتوقف روحي عن العيش في جسدي، لكن أناي الحقيقية ستعيش وستواصل العيش في كائنات أخرى فهمتني وتفهمني. يُقال: «لكن هذه لن تكون روحك». أجيبهم: «حسنٌ إن الذي سيعيش بعدي لن يخالطه كياني الشخصي بشيء. الكيان الشخصي هو ما يعوق اتحاد روحي بالكيان الكلي. بعد الموت ستظل روحي ولكن لن يظل كياني الشخصي».

استيقظت مبكرًا، وتمشيت بحيوية في الحديقة، وفكرت وكتبت كثيرًا وبطريقة حسنة. أريد أن أدون المزيد من الأفكار الآن:

١- يقول الماديون بشكل مباشر: إنهم قد توصلوا إلى قوانين عامة بتجاربهم وأبحاثهم العلمية، وإنه قد تبقت أمامهم ظاهرة واحدة غير مهمة لم يتوصلوا بعد إلى تفسير لها بطرقهم القائمة على التجربة: الظاهرة النفسية. «ولكن لن يمر وقت طويل حتى يفسروها هي الأخرى» (بالفرنسية).

حماقة مذهلة أو بالأحرى هو جنون، وإن استخدمنا لغة مجاملة سنقول:

إنه ابتعاد عن جادة الصواب! لذا أسئلة من قبيل: علام تتأسس الحياة؟ ومم تتألف الحياة بأكملها؟ وما الذي يجب أن يكون أساسًا لكل دراسة؟ تُترك الآن من قبل الأساتذة على أمل أنهم سيتمكنون من استيضاحها في غضون أيام من قبل أساتذة برلين أو هامبورج. مدهش فعلاً!

٢- آه لو أتذكر دائماً أنني عندما أقف أمام إنسان ما، فإني أكون واقفاً أمام الله ذاته، أمام أسمى تجلٍّ له يمكنني إدراكه!

٤ سبتمبر (د.س).

وصلت ساشا ومعها أخبار سيئة. الأمور كما هي، وصوفيا تكتب قائلة إنها قادمة. إنها تحرق الصور وتقيم الصلوات بالمنزل^(٤٠٩). عندما أكون بمفردي أهيئ نفسي لأن أكون حازماً معها وأظن أنني سأقدر على ذلك، وما إن أراها حتى أضعف. سأحاول أن أتذكر أنها مريضة. شعرت اليوم بالكآبة، وأردت الموت، ولا أزال أريده.

٥ سبتمبر.

لم أستيقظ اليوم باكراً. تنزهت في الحديقة. دَوَّنت فكرة أظن أن لا بأس بها عن الحركة والمكان والزمان. ثم حاولت مواصلة العمل، لكنني عملت قليلاً ولم ينجح الأمر. وسط هذا الطقس المريع والأمطار ذهبت إلى أندريه ياكوفليفيتش. اصطحبني حتى المنزل. وصلت صوفيا. إنها مهتاجة بشدة، لكنها لا تعاملني بعدائية. ثم وصلت صوفيا ستاخوفيتش. سأنام، إنها الحادية عشرة.

(٤٠٩) جلبت كاهناً يصلي في المنزل، ورش ماء مقدساً في غرفة تولستوي وبقيّة الغرف.

٦ سبتمبر - كوتشيتي.

استيقظت مريضاً. من المحتمل أنها غرغرينا بسبب الشيخوخة. سعدت بأن الأمر لم يقتصر على أنني لم أشعر بالانزعاج من ذلك، بل إنني سررت أيضاً بشعوري باقتراب الموت. بالإضافة إلى ذلك ثمة شعور بالضعف وغياب الشهية. وصلني خبر جميل من إقليم الترانسفال عن مستوطنة يقطنها الداعون إلى اللا مقاومة^(٤١٠). لم أتناول شيئاً. حل المساء، وجاء المصور السينمائي. سأحاول أن أذهب لأرى ما التقطه. تحدثت مع صوفيا. الأمور على ما يرام. أفكار:

١- جوهر الوعي أمر غير مُدرك ولا يُقهر، إنه ما نسميه الروح. الوعي محبوس داخل جزء معين من المادة؛ أقصد جسداً، وعن طريق علاقاتنا الخارجية بالأجسام الأخرى عبر أعضائنا، يمكنه أن يدرك العالم المحيط. هذا هو جوهر الحياة الإنسانية.

٨ سبتمبر (٧، ٨).

تحسنتُ حالتي الصحية بالأمس، باستثناء ألم قدمي. ما تقرره السماء سيكون، بل إنه كائن فعلاً، وكل ما في الأمر أنني لم أوهب معرفته بعد.

لم أفعل شيئاً عدا كتابة خطاب لهندي^(٤١١)، وآخر لروسي عن

(٤١٠) يشير إلى المستوطنة التي أسسها غاندي في جنوب أفريقيا، وعاش فيها أعواماً طويلة، وهو من أرسل إلى تولستوي الخبر.
(٤١١) رد على خطاب غاندي.

اللامقاومة. صوفيا تزداد هياجًا. أشعر بالكآبة، لكنني متماسك. لم أستطع بعد أن أصل إلى مرحلة أن أفعل ما يجب عليّ فعله بهدوء. أخشى وصول خطاب تشيرتكوف^(٤١٢). في يوم ٧ وصل الزوجان اللطيفان أبريكوسوف، كما جاء المصور، واليوم رحلوا جميعًا إلى نوفوسيل باستثناء ميخائيل سيرجيفيتش وزوسيا. سرت تحت ضوء الشمس. أرادت صوفيا قطعًا أن يصورها درانكوف معي. يبدو أنني لن أعمل، لكنني هادئ. لم أكتب شيئًا. تمشيت في الحديقة ودوّنت فكرة ما. وصلني خطاب من تشيرتكوف وكذلك وصل صوفيا خطاب منه. قبل ذلك دار حوار كئيب بخصوص رحيلي^(٤١٣)، وتمسكت بحريتي. سأرحل حينما أريد. حزين جدًّا، وربما ذلك بسبب سوئي. سأنام.

٨ سبتمبر (د.س).

وصلت صوفيا. تحدثت كثيرًا. في البداية لم يكن الأمر صعبًا، ولكن منذ أمس بدأت التلميحات والبحث عن أعذار للاتهامات. أشعر بكآبة شديدة. صباح اليوم هُرعَت إليّ لتخبرني عن دناءة تتعلق بزوسيا. متماسك وسأظل كذلك بقدر استطاعتي، وسأشفق عليها وأحبها. عونك يا رب!

٩ سبتمبر.

لا أزال حيًّا لكنني في حالة سيئة. من الصباح بدأت نوبة الغضب والمرض. أنا أيضًا مريض وضعيف. تحدثتُ معها من قرارة روحي،

(٤١٢) أخبر تشيرتكوف تولستوي أنه سيرسل خطابًا إلى صوفيا.

(٤١٣) أرادت صوفيا أن يعود تولستوي إلى ياسنايا، لكنه رفض.

ولكن من الواضح أنها لم تقبل شيئاً. تمشيت قليلاً في الحديقة مرتين. لعبت الورق بالمساء. أشعر بالوحشة والسوء، وأحياناً بشعور غريب بشيء جديد. أما الآن وقد تأخر الوقت سأنام منهكاً.

١٠ سبتمبر.

استيقظت مبكراً. نمت قليلاً، لكنني استيقظت شاعراً بمزيد من الحيوية عن الأمس. صوفيا لا تزال مهتاجة. أشعر بكآبة شديدة. تنزهت قليلاً بالجواد بصحبة دوشان. وصلني خطاب جيد من فلاح عن الإيمان. أجبته عن خطابه. وصلني كذلك خطاب جيد جداً من إيطالي يعيش في روما بشأن رؤيتي للعالم. إنه اليوم الثاني الذي لا تتناول فيه صوفيا شيئاً. سيتناولون الغداء الآن. سأذهب لأطلب منها أن تتناول الغداء معنا. مشاهد مريعة طوال المساء من قبلها.

١٠ سبتمبر (د.س).

ظلت طوال الأمس في حالة هستيرية، ولم تتناول شيئاً. كانت بائسة للغاية، لكنها لا تقنع بأي أفكار أو حجج. قلت شيئاً ما، وحمداً لله فعلت ذلك دون أدنى شعور شرير، ولكنها أساءت فهمه كعادتها. أنا نفسي كنت في حالة سيئة بالأمس: واجم وواهن. وصلها خطاب من تشيرتكوف وأجابته عنه. خطاب من جولدنفایزر يتضمن مقتطفاً من يوميات فيكوريثوفا وقد هلعت منها حقاً.

لم تتناول شيئاً اليوم أيضاً. خرجت وبدأت التأنيبات، ومنها ما يتعلق بساشا أيضاً بخصوص ضرورة ذهابها للقرم. ظننت صباحاً أنني

لن أتحمّل وأن من الضروري أن أرحل عنها. لا حياة بجوارها... عذاب وحسب. الأمر كما قلت لها: «إنّ بليتي هي أنني غير قادر على ألاّ أبالي».

١١ سبتمبر.

نمت نومًا سيئًا. ضربات قلبي ضعيفة. لا يمكنني فعل شيء. تمشيت في الحديقة مرتين. دوشان مدهش حقًا من حيث كراهيته لليهود، وفي الآن ذاته اعترافه بالحب كأساس للحياة. سأمضي لتناول الغداء الآن. أشعر بالكآبة وصعوبة الأمر عليّ.

١١ سبتمبر (د.س).

قُبالة المساء بدأتُ مشاهد الهروب إلى الحديقة والدموع والصرخات، إلى حدّ أنني عندما خرجت إثرها إلى الحديقة صرخت قائلة: «هذا وحش... هذا قاتل... لا أستطيع رؤيته»، وركضت واستأجرت عربة وتحركت سريعًا. استمر الأمر هكذا طوال المساء. عندما فقدت أعصابي وأخبرتها بحقيقة سلوكها (بالفرنسية)، استعادت صحتها فجأةً، وهكذا هو الأمر اليوم. التحدث معها مستحيل فهي لا ترى نفسها ملزمة بأي واجبات أو منطق أو حقيقة نقل الحديث بأمانة، سواء منها أو إليها. قاربت على الهروب بشدة. ساءت حالتي الصحية.

١٢ سبتمبر.

رحلت صوفيا باكية. حاولتُ أن تستدرجني للحديث، لكنني انسحبت. لم تصطحب أحدًا معها. أنْهكت جدًّا جدًّا. انشغلت بالقراءة مساءً. أنا قَلِقٌ عليها.

١٢ سبتمبر (د.س).

رحلت صوفيا بعد مشاهد مريعة (عادت لياسنايا)، وحالتي تهدأ تدريجيًا.

١٣ سبتمبر.

قلبي واهن. تمشيت، ولم أفعل شيئًا آخر تقريبًا. فكرت في جروت. يستحيل أن أكتب ما أفكر فيه. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. رياح باردة. وصلني خطاب جيد من جوسيف، وآخر غبي من أدادوروف، وأجبت عن الأخير. سأنام. أنا مُنهك. كل شيء يؤول إلى الخير (بالإيطالية).

١٤ سبتمبر.

لا أزال حيًا، بل وأنا م طويلاً أيضًا. لم أكتب شيئًا عدا خطاب إلى جروت، لكنه خطاب ضعيف. ذهبت إلى جوليتسينا بصحبة ميخائيل سيرجيفيتش. أحتاج بشدة إلى كتابة بعض الأفكار، لكن الوقت قد تأخر. سأنام.

١ - فلتتذكر أن ما يهم في علاقتك بصوفيا ليس رضاك من عدمه، بل الالتزام بالحب في هذه الظروف الصعبة التي تضعك فيها.

٢ - نذير الساعة دائمًا. هذا يعني أن الوقت ليس إلا إطارًا ندرك من خلاله، وأنا نود دائمًا أن نتحرر من هذا الإطار الذي يُقيّدنا.

١- في البداية يبدو كأن العالم يتحرك داخل إطار الزمن، وأنت تمضي معه، ولكن كلما طال بك العيش وازدادت حياتك روحانية يتضح لك أن العالم يتحرك لكنك ثابت. أحياناً تدرك ذلك بوضوح، وفي أحيان أخرى تسقط أسيراً لضلالة أنك تتحرك داخل إطار الزمن. عندما تفهم ثباتك واستقلاليته عن الزمن، تفهم أن الأمر لا يقتصر على أن العالم يتحرك وأنت ثابت، لكن جسدك هو الآخر يتحرك مع العالم؛ تشيب وتتساقط أسنانك وتضعف وتمرض، ولكن كل هذا يصيب جسدك وحسب، وأنت لست بجسدك. أنت هو أنت دائماً، سواء بلغت الثامنة أو الثانية والثمانين. كلما أدركت ذلك، انتقلت الحياة من تلقاء نفسها خارج نفسك؛ إلى أرواح الآخرين. لكن ليس هذا هو الأمر الوحيد الذي يقنعك بثباتك واستقلاليته عن الزمن. هناك وعي أصلب بأنني واحد دائماً بمعزل عن الزمن، وأنا واحد سواء كنت هنا أو هناك؛ إنه الوعي بوحدتي بالكيان الكلي، بالله.

حسناً... الأنا ثابتة، لكنها تتحرر، أي أن هناك عملية تحرر تجري دون توقف داخل إطار الزمن. نعم، إن عملية نزع الحُجُب التي تشكل أساس تحرُّرك تحدث داخل الزمن، لكن الأنا ثابتة في كل الأحوال. يتحرر الوعي داخل إطار الزمن: كان هناك المزيد وأصبح الآن أقل، أو كان هناك القليل وأصبح هناك المزيد، لكن الوعي نفسه في كل الأحوال واحد. إنه وحده الموجود.

٢- هل يمكنني إن احتفظت بذاكرتي أن أوجّه جزءاً كبيراً من

انتباهي الروحي إلى الوعي بنفسي وفحصها؟

٣- يتأسس الكبرياء والرغبة في نيل مديح الناس على إمكانية الانتقال بالفكر إلى مشاعر الآخرين. إن عاش الإنسان حياة جسدية أنانية وحسب، سيستخدم هذه الإمكانية لأجل نفسه مجددًا، فيتمكن من تخمين حقيقة مشاعر وأفكار الآخرين، ويستدعي بداخلهم مديحًا وحبًا له. أما الإنسان الذي يحيا حياة روحية، لا تستحث هذه الإمكانية بداخله سوى الشفقة على الآخرين ومعرفة الطريقة المثلى التي يمكنه بها أن يخدمهم، ويستثير الحب بداخلهم. حمدًا لله أنني أختبر ذلك الآن.

٤- لم أختبر أبدًا من قبل، ولو بأقل نسبة ممكنة، هذا الشعور بالشفقة الذي يصل حد الألم وذرف الدموع الذي أختبره الآن عندما أحاول أن أعيش ولو بأقل درجة ممكنة من أجل الروح وحسب، من أجل الله.

٥- اليوم ٥ سبتمبر^(٤١٤). فهمت بوضوح معنى المادة والمكان والحركة (الزمن). المكان هو قياس المادة، والزمان قياس الحركة. إن قلت إن المادة صلبة، فهذا لا يعني سوى أن هناك ما هو أقل صلابة منها: الحديد أصلب من الحجر، والحجر من الخشب، والخشب من الطين، والطين من الماء، والماء من الهواء، والهواء من الأثير، والأثير أصلب من ماذا؟ كل هذه مقاييس لدرجة الصلابة أمام درجة صلابة تُقدَّر بصفر أعرفها بداخلي. الأمر ذاته مع المكان. الشعري اليمانية أبعد إلينا من

(٤١٤) سجل الفكرة في دفتر أفكاره يوم ٥ سبتمبر، لكنه نسخها في دفتر اليوميات يوم ١٥.

الشمس، والشمس من القمر، والقمر من سيبريا، وسيبريا من موسكو... وهكذا حتى يصل الأمر إلى يدي وجسدي وحتى مسافة تُقدَّر بصفر أعرفها بداخلي. كذلك هو الأمر مع الحركة (الزمن). هناك حفريات جيولوجية قبل النباتات، والنباتات قبل الحيوانات، والحيوانات قبل الإنسان، والمصريون قبل اليهود، واليهود قبل اليونانيين... وهكذا حتى نصل إلى درجة صفر زمنيًا، وكذلك هو الأمر مع الحركة داخل نطاق الزمن والتي أدركها بداخلي. لذا لا وجود حقيقي إلا لما هو غير جسدي وغير مكاني وغير متحرك، أي غير زمني، وهذا هو ما أعيه بداخلي.

صغت الفكرة بطريقة سيئة، لكنها حسنة.

٦- الأمومة ليست أسمى مهمة بالنسبة للمرأة.

٧- أغبى الناس هو الذي يعتقد أنه يفهم كل شيء. هذا نمط خاص من الناس.

٨- إنها نفس الدرجة من الغباء أن نفكر ونقول إن العالم قد نشأ عن طريق التطور، أو إن الله خلقه في ستة أيام، ولكن على أي حال القول الأول أغبى. الموقف الوحيد الذكي حيال ذلك هو قول الآتي: لا أعرف ولا يمكنني أن أعرف، ولست في حاجة من الأساس لمعرفة ذلك.

٩- بدلًا من أن يشعر أولئك الذين لا يعملون بالامتنان لمن يعملون بدلًا منهم، نجد أن من يعملون هم الذين يشعرون بالامتنان صوب من يُجبرونهم على العمل. ما هذا الجنون؟!

١٠- لا يمكنني التعود بعد على التعامل مع حديثها بوصفه هذيانًا. هذا منيع بليتي.

التحدث معها مستحيل؛ وذلك لأنها لا ترى ضرورة للالتزام بالمنطق أو الحقيقة أو ما قالته سابقاً أو بالضمير... هذا مربع!

١١- بغض النظر عن حبها لي الذي لا أثر له بتاتاً، هي ليست في حاجة إلى حبي لها، بل هي في حاجة لأمر واحد: أن يظن الناس أنني أحبها. هذا أمر مربع حقاً.

١٢- هناك أمر واحد وحيد نعرفه يقيناً، إنه الأمر الوحيد الذي نعرفه تلقائياً ويقيناً قبل معرفتنا لأي شيء آخر: إنها «الأنا» الخاصة بنا، روحنا، أي هذه القوة غير الجسدية المرتبطة بجسدنا. لذا يستند كل تعريف ممكن في هذه الحياة، بل والمعرفة برمتها، إلى هذه المعرفة الواحدة المشتركة بين الناس جميعاً.

١٣- لا يحمل التقدم أدنى معنى سواء للفرد أو للإنسانية جمعاء؛ وذلك لأن ما هو غير نهائي يجري داخل نطاق الزمن. التقدم داخل نطاق الزمن هو شرط ضروري لإمكانية إدراك الخير والكمال.

١٧ سبتمبر.

فَوْتُ يومين ١٦، ١٧. صباح الأمس راجعت قليلاً خطابي إلى جروت، ولم أفعل شيئاً محدداً بعدها عدا قراءة خطاب شديد الكآبة وصلني من ياسنايا. وصلني ستون خطاباً، وغالبيتها تافهة. انشغلت ثانية بمراجعتي لخطاب جروت. إنه يتحسن. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. وصلني خطاب من تشيرتكوف يتضمن ترجمته لخطابي إلى غاندي. وصلني خطاب من السيدة مايو (كاتبة إنجليزية). كل شيء

بخير. لديّ بعض الأفكار لأدوّنها. سأقوم بذلك غدًا.

١٦، ١٧ سبتمبر (د.س).

خطابات مريعة من ياسنايا. الكتيب في الأمر أن وسط خطاباتها المجنونة هناك تلميح لفكرة إعلان أنني مجنون، وبالتالي لا تصبح وصيتي فاعلة، بالإضافة إلى كل تلك الحكايات المعتادة عني واعترافها بكرهيتها لي. وصلني خطاب من تشيرتكوف يؤكد على نصيحة الجميع لي بالبقاء ثابتًا على قراري. أود العودة إلى ياسنايا في يوم ٢٢.

٢٠ سبتمبر.

لم أدوّن شيئًا في يوم ١٨ أو يوم ١٩. في يوم ١٨ راجعت خطابي إلى جروت وبعض الخطابات الأخرى. مرضت معدتي. تمشيت قليلًا. قرأت بالمساء كتابًا شيقًا (البحث عن الله) (ألكسندر بانكراتوف).

ظللت مريضًا في يوم ١٩. لم أقرب من خطابي إلى جروت، لكنني فكرت فيه بجدية. تمشيت صباحًا. قرأت قصة مهمة لكودرين عن فترة عقوبته التي أداها بسبب رفضه أداء الخدمة العسكرية. كان من الممكن أن يكون كتاب كوبتشينسكي (لعنة الحرب) جيدًا جدًا لولا المبالغة. قرأت في كتاب (البحث عن الله). وصلتني برقية من ياسنايا تستفسر عن حالتي الصحية وموعد عودتي.

استيقظت اليوم معافى تقريبًا. تمشيت وقرأت. الساعة الآن الحادية عشرة. لا أرغب في الكتابة، ولن أعكف على العمل. لم أفعل شيئًا. قرأت، وتكرر الأمر بالمساء. نمت في ساعة متأخرة.

٢١ سبتمبر.

نمت قليلاً، وأشعر كما لو أنني متوتر. تنزهت. أريد أن أكتب.
راجعت خطابي إلى جروت. ذهبت إلى فيرا بافلوفنا بصحبة تانيا
وميخائيل سيرجيفيتش، ولم أفعل شيئاً آخر.

٢٢ سبتمبر.

نمت قليلاً ولا أزال متوتراً. قبل أن أغيرّ ثيابي راجعت خطابي إلى
جروت على نحو جيد جداً. دوّنت بعض التفاهات:

١ - لا يوجد مكان يمكننا أن نرى فيه بوضوح مدى خطية حياة
الأثرياء مثل القرية والضيعات. عرجت على الأعراء آل أبريكوسوف.
ندمت على أنني لم أعرج على مدرسة جوربوف. جاءني هو والأطفال.
عندما عدت إلى المنزل، وجدت صوفيا في حالة غضب شديدة: لوم
ودموع. صمتُّ.

٢٢ سبتمبر - صباحاً (د.س).

ذاهب إلى ياسنايا، وهلع يتملكني من مجرد التفكير في أنها
تنتظرني. فلتفعل ما يتوجب عليك فعله وحسب. عليّ التزام الصمت،
وأن أتذكر أن الله بداخلها.

٢٣ سبتمبر.

خرجت صوفيا منذ صباح اليوم إلى مكان ما، ثم عادت باكية.
شعرتُ بكآبة شديدة. وصلتني كومة من الخطابات، وبعضها مهم.

ساشا غاضبة لكنها ليست محقة^(٤١٥). تغديت، ثم قرأت كتاب ماكس مولر عن الفلسفة الهندية. كم هو كتاب تافه! ضيَّعت دفتري الصغير. جاء نيكولايف وبصحبه الصبية الأعزاء. سأنام، إنها الثانية عشرة. أتجنب قراءة الطالع بالورق، وأريد تجنب اللعب بشكل عام. الحياة في الحاضر وحسب.

٢٤ سبتمبر.

ذهبت سيرًا إلى نيكولايف وإلى رجال كالوجا الذين كانوا يعملون في صنع الأحذية الملبدة. وصلني كتيبي: النسخة الألمانية من مقالتي عن العلم، ومن خطابي إلى هندي ومن مقالتي عن الحق، وقد أرسلها شमित. شमित ثرثار علمي. مود مشغول أيضًا بوعظي. تنزهت بالجواد بصحبة بولجاكوف. التقيت بعزيتي ماريا ألكسندروفنا. لم تكن صوفيا ودودة، ولكن الأمر انقضى قبالة المساء. إنها مريضة، وأنا أشفق عليها حقًا.

راجعت قليلًا قصة (لا مذنبين في هذا العالم). ربما أستمِر فيها. أفكار:

١ - إنها المرة الأولى التي أفهم فيها بوضوح مغزى الحياة في الحاضر كاملاً: أن تتجنب كل ما تفعله أو تفكر فيه حينما تضع في اعتبارك المستقبل: قراءة الطالع بالورق - الاهتمام بالانطباع الذي تتركه

(٤١٥) غضبت بسبب موافقة تولستوي على تصويره مع صوفيا بمناسبة ذكرى زواجهما، وتراجعته عن منع صوفيا عن تغيير الصور المعلقة في غرفه. كانت تنتزع صور تشير تكوف وألكسندرا وتضع صورهما معًا.

أفعالي في الآخرين، والأهم من ذلك أن بإمكانني، بل ويتوجب عليّ، أن أكون بخير؛ لأن العمل الداخلي هو أمر داخل نطاق سلطاني. اختبرت ذلك عدة مرات، وتكللت كافة المرات بالنجاح.

٢ - المعرفة تختلف عن العلم. المعرفة هي الكل، أما العلم جزء. كذلك هو الفارق بين الدين والكنيسة.

٢٤ سبتمبر (٥.٥.س).

فقدت دفتر يومياتي الصغير. سأكتب في هذا الدفتر. كانت بداية اليوم هادئة. ولكن أثناء الإفطار بدأ الحديث عن كتاب (حكمة الأطفال)، وعن أن تشيرتكوف قد أخذ مني الكثير من الدفاتر والكتابات. قالت: ماذا سوف يفعل بها بعد موتك؟ طلبت منها بحدة بعض الشيء أن تتركني لحالي. بدت الأمور بخير، ولكن بعد الغداء بدأت التقريرات بخصوص أنني صرخت فيها، وأنه كان عليّ أن أشفق عليها. صمتُ. اختلْتُ بنفسها، والساعة الآن الحادية عشرة وإلى الآن لم تفارق غرفتها، وأشعر بالكآبة. وصلني خطاب من تشيرتكوف يتضمن تقريرات واتهامات. إنهما يمزقاني. أفكر أحياناً في ضرورة أن أرحل عن الجميع. يبدو أنها نامت وهدأت. استلقيت بعد الثانية عشرة.

٢٥ سبتمبر.

استيقظت وكتبت خطاباً. تنزهت. كتبت أثناء نزهي خطاباً آخر لمالينوفسكي عن عقوبة الإعدام. وصلتنى بروفات الطباعة التي أرسلها إيفان إيفانوفيتش وراجعتها. لست راضياً عنها. لم أنهيها. التقاط صور

مزعج مجدداً. حظيت بنزهة جيدة على الجواد بصحبة بولجاكوف،
وبحديث جيد مع ساشا. استغرقت طوال المساء في قراءة كتاب
مالينوفسكي، ووجدت فيه مواضيع كثيرة جيدة ومادة ضرورية. سأنام،
إنها الثانية عشرة.

٢٥ سبتمبر (د.س).

استيقظت مبكراً. كتبت خطاباً لتشيرتكوف. آمل أن يستقبله كما
أود. أرتدي ثيابي الآن. نعم، إن أمري كله مع الله، ويجب أن يكون معه
وحده. طلبتُ مني مجدداً أن أقف وأتصور بجانبها كزوجين متحابين.
وافقت، وطوال الوقت أشعر بالخزي. غضبتُ ساشا بدرجة مريعة.
مرضتُ. ناديتها مساءً وقلتُ لها: «لستُ في حاجة إلى عونك في الكتابة
بالاختزال، بل إلى حُبك». وتحسن حالنا، وقبَلنا بعضنا، وبكىنا.

٢٦ سبتمبر.

نمت نوماً سيئاً، وقد راودتني أحلام مزعجة. بعد أن استيقظت
أعدتُ الصور إلى مكانها الأول وتمشيت. بدأت كتابة خطابي إلى
الشباب التشيكيين، وواصلت العمل في مراجعة بروفة دفتر (الروح).
أشعر الآن بمزيد من الرضى عن الدفتر ولو بدرجة طفيفة. جاء الطالب
تشيبوتارييف. عليه أداء خدمته العسكرية، وهو نفسه لا يعرف كيف
يجب أن يتصرف. إنسان مخلص، وقد أعجبت به. تنزهت بالجواد
بصحبة دوشان. بعودتي وجدت صوفيا في حالة اضطراب. أحرقتُ
صورة تشيرتكوف. كنت على وشك التحدث، لكنني صمتُ، فالفهم
مستحيل من جانبها. في المساء جاء خيرياكوف ونيكولايف. أنهكت

بشدة. حاولت صوفيا مجددًا أن تتحدث معي، لكنني تمسكت بالصمت. قلتُ قبل الغداء وحسب أنها أعادت ترتيب الصور في غرفتي وأحرقْتُ صورة صديقي، وأنه يبدو أنني أنا المذنب في كل ذلك. في نهاية اليوم عادت ساشا وفارفارا ميخايلوفنا^(٤١٦) بدعوة من ماريا ألكسندروفنا. التقتهما صوفيا لقاءً عاصفًا إلى حد أن قررت ساشا الرحيل.

٢٦ سبتمبر (د.س).

مشاهد هysterية مجددًا بسبب أنني أعدت تعليق الصور كما كانت. بدأت أقول إنني غير قادر على الحياة بهذه الطريقة. فهمتني. قال لي دوشان: إنها أطلقت طفلة من مسدس أطفال لكي تخيفني. لم أَخَفْ ولم أخرج إليها. الأمر هكذا أفضل حقًا، لكنه صعب جدًا جدًا. عونك يا سيدي!

٢٧ سبتمبر.

اصطحبت ساشا منذ الصباح. رحلتُ نهائيًا إلى تيلياتينكي^(٤١٧). تنزهت وكتبت إضافة إلى خطابي إلى جروت. واصلتني كتب وخطابات، ولم أفعل شيئًا. ذهبت إلى تولا بالجواد. حالتي الصحية أفضل. متماسك. دوّنت فكرة ما. جاء خيرياكوف. أرسلت الدفاتر إلى جوربونوف وخطاب أنيشينا إلى الصحف^(٤١٨).

(٤١٦) فارفارا هي صديقة ألكسندرا (ساشا) ابنة تولستوي، وقد عاونت ساشا في نسخ يوميات تولستوي.

(٤١٧) بسبب توتر علاقتها بأمرها، بسبب إساءات صوفيا لتولستوي.

(٤١٨) معلم أرسل إلى تولستوي يوضح له كيف يمكن استخدام كتبه (لكل يوم) و(أفكار الحكماء) في المدارس.

٢٧ سبتمبر (د.س).

كم يبدو ذلك التناقض الذي أعيش فيه هزليًا، فهي تلهمني أهم وأعظم الأفكار وأعبر عنها -أقول هذا دون التظاهر بأي تواضع زائف- وفي الآن ذاته أنخرط في حالات مزاجية أنثوية متقلبة أكرّس لها جل وقتي! فيما يتعلق بمسألة الكمال الأخلاقي أشعر أنني صبي صغي وتلميذ سيئ غير مثابر. بالأمس اندلع مشهد مريع مع عودة ساشا. صرخت في وجه ماريا ألكسندروفنا. رحلت ساشا اليوم إلى تيلياتينكي، وهدأت صوفيا كما لو أن شيئًا لم يحدث. أرنتي مسدس الفلين وأطلقت على نفسها وسقطت على الأرض. اليوم جاءت إثري، وربما كانت تبغني. بائسة لكن الأمر صعب. عونك يا سيدي!

٢٨ سبتمبر.

لا أزال حيًا، لكن حالتي الصحية سيئة، وأشعر بالضعف. مرت بي ساشا. لم أفعل شيئًا تقريبًا، ولم أعكف على العمل، باستثناء عدد قليل من الخطابات. ذهبت إلى ماريا ألكسندروفنا. وجدت هناك نيكولايف. في طريق العودة، وما إن فارقت القرية، حتى التقيت بتشيرتكوف بروتوفيتسيف. تحدثنا ثم افترقنا. كان من الواضح أنه سعد جدًا بلقائي، وأنا كذلك. استغرقت مساءً في قراءة كتاب لكاتب من قلب الشعب منافس لجوركي^(٤١٩)، وقرأت كذلك كتابًا شيقًا *Antoine le Guerisseur*. يتضمن الكتاب رؤية دينية صادقة للعالم، لكن تم التعبير

(٤١٩) يشير إلى الكاتب الروسي ميخائيل سيفاتشيف.

عنها بصورة سيئة. نسيت أن أذكر أن ضابطاً مريعاً جاءني. ظننت أنه مُثقل بوضعه العسكري، لكن اتضح أنه ليس كذلك. ضعف ومزاح ثم حديث عن علم وظائف الأعضاء والخلايا الوراثية. لم أتحمّل ذلك وقلت له: قبل كل شيء لا بد من التوقف عن حمل السلاح والقتل. لقد لطخت أوراقاً كثيرة بقلمى، ومن يحتاج إلى معرفة رأيي، سيجد كل ما يمكنني أن أقوله في كتاباتي، ثم ألقيت عليه التحية وانصرفت.

٢٨ سبتمبر (٥.س).

أشعر بكآبة شديدة من هذه المطالبات بالحب والثرثرة والاعتراضات الدائمة. أعرف... أعرف أنه من الممكن أن أحب الجميع رغم كل شيء، لكنني رغم ذلك غير قادر... أنا سيئ.

٢٩ سبتمبر.

استيقظت مبكراً. صقيع وشمس. لا أزال ضعيفاً. تنزهت. عدت لتوي. جاءت ساشا راكضة. لم تنم صوفيا، ونهضت في الثامنة في حالة هياج عصبي شديد. عليّ التحلّي بمزيد من الحذر. بينما أتنزه الآن للمرة الثانية أمسكت بنفسى مرتين أشعر بعدم الرضى لعدم تمسكي برغبتى، وأيضاً بسبب الطبعة الجديدة من أعمالى التي سوف يبيعونها بمئات الآلاف من الروبلات^(٤٢٠)، لكنني عدت إلى جادة الصواب في المرتين بفكرة أن ما يهم هو أن أكون طاهراً أمام الله وحسب. حين تفعل ذلك تدرك بهجة الحياة. أفكار:

(٤٢٠) طبعة جديدة من أعمال تولستوى الكاملة أعدتها صوفيا في ٢٢ جزءاً.

١- إن كان هناك إله، فهو الذي بداخلي وبداخل كل حي أيضًا. يقولون: «لا وجود للمادة». لا، إنها موجودة، لكنها كذلك حينما لا يكون الله موجودًا وغير حي. لكن الله حي وهو يعيش بداخلي وبداخل الجميع.

يجب أن أتذكر أن روحي ليست شيئًا إلهيًا ما كما يقولون، بل هي الله ذاته. ما إن أدرك أنني أنا الله، حتى لا يعود هناك شر ولا موت، ولا شيء عدا الفرحة.

٢- أنا الآن في حالة معنوية منخفضة: كل شيء يبدو سيئًا ويعذبني، وليس كما أردته. لكن ما إن أتذكر أن حياتي تنحصر في التحرر مما يحجبني، حتى يزول كل شيء. كل ما كان يعذبني يصبح لي محض تفاهات لا تستحق الالتفات إليها، وأجد أمام باصري الإجابة عن سؤال: ممّ تتألف الحياة؟ وما الذي يضيف عليها البهجة؟ كل ما عليك فعله هو أن تتماسك، وبدلاً من الحزن ستجد الهدوء يغمر كيائك، وما كان يعذبك سيصبح وسيلة لتحسين نفسك. عملية التحسين السالفة متاحة دومًا، وهي تمنحك دائمًا أفضل مسرة بالحياة.

٣- كم يبعث الأدب المعاصر سمًا ذهنيًا مريعًا في الناس، خاصة في شباب العامة! أولًا: يحشون رؤوسهم بهذه الثروة التافهة الغامضة المتسمة بثقة مفرطة في الذات لهؤلاء الكتّاب الذين يكتبون بهدف أن تتسم كتاباتهم بالمعاصرة. الضرر الرئيس لهذه الثروة هو أنها تتألف من إشارات واقتباسات لمختلف أنواع الكتّاب، الأحداث والأقدم على السواء. يقتبسون من أفلاطون وهيجل وداروين اقتباسات ليس

لمقتبسيها أنفسهم أدنى فهم لها، ويُلحقون بها اقتباسات لشخص مثل جوركي أو أندرييف أو أرتسيباشيف وأشخاص غيرهم ، دون أن تكون لديهم أي فكرة عنهم أيضًا. ثانيًا: يعود ضرر هذه الثروة إلى أنهم يملؤون بها الرؤوس فلا يعود بها مكان للتعرف على الكتاب الذين صمدوا أمام اختبار الزمن لعقود أو مئات أو آلاف الأعوام.

مرت ساشا بي. قالت صوفيا إنها مستعدة للتصالح مع فاريا، ثم تأثرت حينما شكرتني على معاملتي إياها بلطف. أود بشدة أن أفكر في إمكانية أن أغلبها بالخير. حظيت بنزهة جيدة جدًا بالجواد بصحبة بولجاكوف وصولًا إلى غابة زاسيك بالقرب من مياسويدوف. لم أعمل شيئًا، ولا حاجة لفعل ذلك. انشغلت ببعض الخطابات التافهة وحسب، وفي المساء قرأت بعض الحكم، وكذلك كتابًا رائعًا لعامل بلجيكي بلغت سنونه ٦٥ عامًا، جاهل تقريبًا، لديه دائرة من المؤمنين به، ويعظهم بتعليم عميق وصحيح جدًا عن ألوهية الروح، وعن ألا حاجة لنا للإيمان بالله، بل علينا أن نؤمن بأننا الله. يتلخص تعليمه كله في هذا الإيمان ومحبة الأعداء التي يراها المحبة الوحيدة الحقيقية. يُلحق بذلك مواضع كثيرة لا طائل منها وغير واضحة تقترب بالأسطورة التوراتية عن آدم وحواء والحية، مفسرًا إياها بطريقة رمزية، ولكن أساس تعليمه عميق وسليم جدًا. سأنام.

٢٩ سبتمبر (٥.س).

ساشا ترغب في العيش خارج المنزل لفترة. أخشى عليها. صوفيا أفضل حالًا. أحيانًا يكتنفني خزي زائف من ضعفي، وأحيانًا أبتهج به،

كما هو الحال اليوم. اكتشفت اليوم للمرة الأولى إمكانية أن أغلبها
بالخير والحب... ليتني أفعل ذلك!

٣٠ سبتمبر.

أشعر أنني في حالة بالغة السوء والضعف. لم أفعل شيئاً عدا
الخطابات، وهذا سيئ. حظيت بنزهة جيدة بالجواد بصحبة دوشان.
في المساء قرأت سيرة حياتي ووجدتها شيقة^(٤٢١)، لكنها تتسم بالغلو.
جاءت ساشا. صوفيا هادئة. أفكار:

١- أظن أنني كتبت ذلك سابقاً، لكنه أشعر به اليوم على نحو خاص:
حياتنا أنفاس الله. يمكنني أن أقول مُضِلًّا إنني أنا هو أنا، وإن الله كيان
مفارق، أو ألا وجود له، ويمكنني كذلك أن أفهم أنني أنا هو، وحينها
سيصبح كل شيء يسيراً، وسأشعر بالسرور والحرية.

٢- تقول صوفيا أنها لا تفهم معنى أن يحب المرء عدوّه، وأن هناك
نوعاً من الخيلاء في ذلك. هي وكثيرون لا يفهمون ذلك، ويعود ذلك
في الأساس إلى اعتقادهم أن هذا الولع والانجذاب الذي يختبرونه
صوب أناس معينين هو الحب.

٣٠ سبتمبر (د.س).

الأمر كما هو اليوم. تتحدث كثيراً، ولا تسمع. مررت اليوم
بلحظات كثيفة من فرط ضعفي، واختبرت أموراً سيئة وكثيفة لا مكان
لها ولا يمكن لها أن توجد في ظل حياة حقيقية.

(٤٢١) كتبها الكاتب والمترجم الإنجليزي أيلمر مود الذي ترجم أعمال تولستوي إلى الإنجليزية.

١ أكتوبر.

لا أزال أشعر بالوهن. وصلتني من تشيرتكوف خطابات ليتوفسكايا ومقالته^(٤٢٢). قرأت كل ذلك. عمله عن الروح مهم وجيد. خطابات قليلة وغير مهمة. كتبت قليلاً عن الاشتراكية لأجل التشيكيين. قالت صوفيا إنها التقت بآل تشيرتكوف. قلت إنه لا يوجد ما يُقال، وإن عليها ببساطة أن تتوقف عن التحاقق وأن تسلك بطريقة طبيعية. خرجت بالجواد بصحبة بولجاكوف. قضيت المساء بصحبة جولدنفايزر، وقرأت كذلك لموباسان قصة (الأسرة) ووجدتها فائنة. ساعد ساشا تنسخ أفكاره عن المادة والخير.

١ أكتوبر (د.س).

يراودني شعور كئيب غير طيب تجاهها لا أستطيع مغالته عندما تبدأ ثرثرتها اللا نهائية بلا معنى أو هدف. يسعدني أن كافة من لديهم تجربة دينية حقيقية يشتركون في الأمر ذاته.

٢ أكتوبر.

استيقظت شاعرًا بالمرض. تمشيت. رياح شمالية مزعجة. لم أدوّن شيئاً، لكنني فكرت بدرجة جيدة وواضحة جداً ليلًا عن كم سيكون رائعاً لو صوّرت فنياً مدى ابتذال حياة الطبقات الغنية والبيروقراطية وحياة

(٤٢٢) مساعدة طبيب، كتبت عدة خطابات لتشيرتكوف تنتقد فيها بعض أفعال التولستويين، وكان تشيرتكوف يقدرها جداً، فأرسل خطاباتهما إلى تولستوي، وأرسل كذلك مخطوطة مقالته (التفكير الحر)، والتي لم يتمها.

العمال الفلاحين^(٤٢٣)، وأن أضع بين الفريقين ولو شخصًا واحدًا حيًّا روحياً فعلاً. يمكن أن يكون رجلاً أو امرأة. كم سيكون ذلك جيداً! كم يجذبني ذلك! كم يمكن أن يكون ذلك عملاً عظيماً! أفكر في ذلك تحديداً دون أدنى تفكير في العواقب التي لا بد لها من الارتباط بأي عمل حقيقي حتى لو كان عملي. كم يمكن أن يكون ذلك حسناً! قراءتي لقصة موباسان بالأمس جعلتني أرغب في تصوير دناءة تلك الحياة التي أعرفها، ثم خطرت على ذهني ليلاً فكرة أن أضع وسط تلك الحياة الدنيئة إنساناً حيًّا بالروح. كم يبدو هذا حسناً! ربما أنجح فيه. شعرتُ فجأة بالرغبة في النوم بعد الإفطار. نمت ساعة. ثم حظيت بحديث جيد مع بافل إيفانوفيتش وجولدنفائزر. حان الآن موعد الغداء. جاءت ساشا. عبثاً شعرت بالكآبة... كل شيء سيتحسن. المهم ألا يُفسد المرء نفسه. سأحاول أن أعيش من أجل الروح وحسب، فأنا أشعر بمدى بُعدي عن ذلك! ساءت حالة صوفيا الصحية. سيريوجا في طريقه إلى هنا، وتانيا ستصل ليلاً. أفكار:

١ - حياتنا أنفاس الله، وكذلك حياة العالم بأكملها. أنا وهو واحد. ما إن تفهم ذلك، حتى تصبح إلهاً.

٢ - التفسير المادي للحياة هو العاقبة الكاملة للجهل، كفكرة اختراع آلات أبدية الحركة. أتلقى خطابات من الفلاحين بخصوص ذلك. إن فكرة «الآلة أبدية الحركة» (بالفرنسية) هي نتيجة الجهل بالميكانيكا. كذلك تفسير الحياة المادي هو نتيجة الجهل بالحكمة.

(٤٢٣) فلاحون لا يمتلكون أراضي ويعملون في أراضي غيرهم.

«كل ما عليك هو أن تعرف كيفية التشحيم، وسواء فعلت ذلك بالقار أو بالبترول، ستتحرك الآلة».

٣- نحن أنفاس الله وهو مصدر الخير. الخير هو سمته الرئيسة. نفهمه في صورة الخير. نسعى صوب الخير، وحياتنا كلها تتمحور حول هذا السعي، لذا - شئنا أم أبينا- حياتنا كلها في السعي صوب الله.

إن سعينا صوب خير أنفسنا، بمعنى أنا الجسدية، لن نجد هذا الخير. بدلاً من ذلك سنجد حزناً وشرّاً، لكنّ أخطاءنا بمختلف عواقبها تؤدي إلى خير الآخرين من الأجيال القادمة. وهكذا فإن حياة الناس جميعاً هي سعي دائم إلى الخير، ووصول دائم أيضاً له، ولكن في ظل حياة زائفة وحسب يتحقق ذلك الخير للجميع عداك، أما في ظل حياة حقيقية يتحقق خيرك أنت أيضاً. إن بحثنا عن الله سنجد الخير. إن بحثنا عن الخير الحقيقي سنجد الله. ليس الحب سوى سعي صوب الخير. الخير هو أساس كل شيء، لذا إن قلنا إن الله خير، سيكون ذلك أصح من قولنا إن الله محبة.

٢ أكتوبر (د.س).

في الصباح كانت كلمتها الأولى استفساراً عن حالي الصحية، ثم إدانة وأحاديث لا تنتهي، ومقاطعة دائمة لي. أنا سيء! لا أستطيع مغالبة مشاعري السيئة والشريرة. شعرت اليوم بوضوح شديد بحاجتي إلى كتابة عمل إبداعي، وأرى استحالة أن أُكرّس نفسي لها، وذلك بسببها، وبسبب مشاعري الملحة تجاهها وصراعي الداخلي. يقيناً هذا الصراع والانتصار فيه أهم من إمكانية إنتاج أي أعمال بداعية.

٣ أكتوبر.

لم أنه ما بدأت كتابته مساء أمس. حظيت بحديث جيد مع سيريوجا وبيريوكوف عن مرض صوفيا. ثم عزف جولدنفائزر عزفاً رائعاً وتحدثنا معه. لم ألحق وصول تانيا برغم أنني نمت في ساعة متأخرة. في هذه الليلة حدث أمر غريب؛ تواترت عليّ أحلام بذيئة بكثافة. استيقظت مبكراً وتنزهت وسط طقس جيد، ووصلت ساشا. مضت أموري معها بخير. لا أريد أن أكتب. أفكار:

- ١- قلت لنفسني أكثر من مرة: عند لقاءك بأي شخص أو تواصلك معه عليك أن تتذكر أن الكائن أمامك هو تجلٌ للجوهر الروحي الأسمى، وبالتالي عليك أن تتعامل معه بما يتسق مع ذلك. أتذكر؟ يعني ذلك أن تدرك نفسك؛ تستدعي الله الكائن بداخلك. إن استدعيته، لن تعود أنت من تتعامل معه، بل الله الذي بداخلك، وسيصبح كل شيء على ما يرام.
- ٢- تستثير الموسيقى -مثل أي فن آخر- الرغبة في أن يتشارك الجميع بقدر الإمكان في المتعة التي يختبرها الفنان، بل ربما هي تفعل ذلك أكثر من أي فن آخر. لا شيء يمكنه أن يوضح المغزى الحقيقي للفن بدرجة أقوى من ذلك؛ أن ينتقل مركز شعورك إلى الآخرين؛ فتشعر من خلالهم.

٣- «فينوس دي ميلو»^(٤٢٤) هو مثال جمال الجسد الأنثوي». كل هذا وراء... شهوة مُقنَّعة لما نطلق عليه (الفن). صياغة سيئة.

(٤٢٤) من أشهر التماثيل الكلاسيكية القديمة المنحوتة من الرخام.

٥ أكتوبر.

مرضت بشدة منذ يومين ٣ أكتوبر، إغماء وضعف. بدأ ذلك يوم ٣ قرابة غفوة قبل الغداء. نتج عن ذلك أمر جيد، ألا وهو تصالح صوفيا مع ساشا وفارفارا ميخيلوفنا. لكن تشير تكوف لا يزال بعيداً عني. أشعر بأسف شديد عليه وعلى جاليا لأن الأمر مؤلم بشدة بالنسبة لها. وصلتني خطابات قليلة وأجبت عنها. ظللت على فراشي بالأمس طوال اليوم ولم أنهض.

٥ أكتوبر (د.س).

في يوم ٣، بعد غفوة ما قبل الغداء، فقدت وعيي. غيَّروا لي ثيابي وأرقدوني على الفراش وأعطوني حقنة شرجية. قلت شيئاً ما، لكنني لا أتذكر. استيقظت واستعدت وعيي ربما في الحادية عشرة. صداع وضعف. استلقيت طوال الأمس على فراشي محمومًا، شاعرًا بصداع، ولم أتناول شيئاً في هذا الضعف. استمر الأمر كذلك في المساء. الساعة الآن السابعة صباحًا، ولا أزال أشعر بصداع وألم في الكبد والساقين. ضعيف، لكنني أفضل حالًا. المهم في مرضي هو أنه صالح بين ساشا وصوفيا. ساشا بحالة جيدة. وصلت فاريا. سوف نرى. أناضل شعوري غير الطيب صوبها (صوفيا)، ولا يمكنني نسيان هذه الشهور الثلاثة التي عذَّبتني فيها، أنا وكافة الأقرباء مني، لكنني سوف أغلب شعوري. لم أنم ليلاً، ولن أقول إنني كنت أفكر، لكن الأفكار كانت تجول في ذهني.

٦ أكتوبر.

استيقظت شاعرًا بمزيد من الحيوية، وتنزهت شاعرًا أني لست شديد الضعف. دَوَّنت بعض الأفكار. ستعيد ساشا كتابتها. سأنقلها الآن:

١ - أثناء نزعتي شعرت بوضوح وقوة شديدين بحياة العجول والأغنام والمناجر^(٤٢٥) والأشجار. كل منها مفطور على القيام بعمله، يُطلق سراحه صيفًا فيركض وتتناثر بذور شجر التنوب، وتتحول البلوطة إلى شجرة بلوط كبيرة، وتستمر في النمو، وتمضي مئات الأعوام، وتنبت منها أشجار جديدة، وكذلك هو الأمر مع الأغنام والمناجر والبشر. حدث ذلك عبر عدد لا نهائي من الأعوام، وسيستمر كذلك. يحدث في أفريقيا والهند وأستراليا وفي كل بقعة من الكوكب. وهناك آلاف، بل ملايين الكواكب. كم تبدو الأحاديث عن عظمة أي شيء إنساني أو حتى إنسان ما مضحكة عندما تدرك ذلك بوضوح! صحيح أن الإنسان هو أسمى تلك الكائنات التي نعرفها، ولكن كما أن هناك عددًا لا نهائيًا من الكائنات الأدنى منه والتي نعرفها جزئيًا، لا بد أن هناك عددًا لا نهائيًا أيضًا من كائنات أسمى منه لا نعرفها؛ وذلك لأن ليس باستطاعتنا أن نعرفها. عندما تجد إنسانًا في مثل هذا الوضع يتحدث عن عظمة أمر ما بداخله لا يسعك سوى أن تضحك. الأمر الوحيد الذي يمكن أن تنتظره إذن من إنسان في مثل هذا الوضع هو ألا

(٤٢٥) جمع الخُلْد، وهو حيوان من القواضم يشبه الفأر يعيش تحت الأرض.

يرتكب حماقة ما... نعم، هذا وحسب.

٢- بخصوص أن حياتنا هي أنفاس الله وأنه هو الخير: نحن نسعى إلى الخير، أي أننا - شئنا أم أبينا - نسعى إلى الله. إن سعينا إلى خير كياننا الشخصي، لن نجده، لكننا سنعمل دون قصد على تحقيق خير الآخرين. يحدث ذلك عبر الصراع والتقدم التقني والعملية والضلالات الدينية. أما أن وعينا أننا الله، ساعين صوب خير الجميع: الحب، سنحقق خيرنا. إن سعينا إلى الله سنجد خيرًا، وإن سعينا إلى الخير الحقيقي سنجد الله. نعم، إن الحب هو نتيجة للخير. الخير هو الأصل، لا الحب. لذا إن قلنا إن الله خير، سيكون ذلك أصح من قولنا إن الله محبة.

٣- يدرك الإنسان حياته كشيء موجود دائمًا، وكان موجودًا دائمًا. بل ليس من الصحيح أن نقول «دائمًا»؛ لأنها تشير إلى مفهوم زمني، بل نقول: شيء موجود وحسب، ولا وجود لشيء سواها. خرج جسدي من رحم أمي، لكنني كيان مختلف تمامًا... أنا موجود.

٤- اللوم الأكثر شيوعًا الذي يُوجَّه لِمَن يُعبرُّون عن قناعاتهم، هو أنهم لا يعيشون بما يتسق معها، وبالتالي يُقال إن قناعاتهم غير صحيحة. إن فكرت بجدية في الأمر ستدرك أن الأمر على النقيض تمامًا. هل يمكن لإنسان ذكي يُعرب عن قناعات لا تتفق معها حياته ألا يرى هذا التناقض؟ إن أعرب عن قناعات لا تتفق مع حياته، فهذا لا يكشف إلَّا عن أنه مخلص إلى درجة أنه لا يسعه إلَّا أن يكشف ضعفه، وأنه لا يفعل ما يفعله معظم الناس حين يكتفون معتقداتهم مع ضعفاتهم.

١- الدين هو تحديد علاقتك بالعالم، وما يترتب على ذلك من استرشاد في كافة أفعالك. عادة ما يؤسس الناس لعلاقتهم بجوهر كل شيء: الله، وينسبون إليه سماتهم هم أنفسهم كالعقاب والثواب والرغبة في أن يوقرك الآخرون والحب الذي هو في الحقيقة سمة إنسانية فقط، ناهيك عن تلك الأساطير الحمقاء التي يصفون فيها الله كإنسان. ينسون أن بإمكاننا أن نعرف، أو بالأحرى لا يسعنا إلا أن نعرف جوهر كل شيء، ولكن ليس بوسعنا أن نتوصل إلى أي مفهوم بخصوص ذلك الجوهر. إننا نختلق إلهنا الإنساني هذا ونتعامل معه بصورة حميمية وفقًا لسماتنا التي أسبغناها عليه. تُمثّل هذه الحميمية والاستخفاف بالله أقصى تحريف لتصور الناس الديني، ويعمل القطاع الغالب منه على حرمان الناس من أي استرشاد ديني لتصرفاتهم. إن أردنا مثل هذه الديانة، يجدر بنا أن ندع الله لحاله، وألاً ننسب إليه كل ما اخترعناه من نعيم وجحيم وغضب ورغبة في التكفير عن الخطايا وكل تلك الحماقات... ليس ذلك وحسب، بل علينا أيضًا ألا نعزو إليه أي إرادات أو رغبات أو حتى حب. فلندعه لحاله، ويكون فهمنا له هو فهمنا لأمر يتعذر بلوغه تمامًا، ونؤسس ديانتنا وعلاقتنا بالعالم على أساس سمات العقل والحب التي نحوزها. مثل هذه الديانة ستكون ديانة الحقيقة والحب، مثل كافة الديانات بمعناها الحقيقي منذ زمن البراهمة وحتى المسيح، بل إنها ستزداد دقة ووضوحًا وإلزامًا.

٢- يا له من تجديف رهيب يصدر عن كل إنسان يفهم الله -بقدر

استطاعته وبقدر ما يتوجب عليه- ويعترف بأن يسوع اليهودي هو وحده
الله!

لم أرغب في فعل شيء في يوم ٦، ولم أستطع العمل. خطابات
قليلة الأهمية. كآبة تكتنف روحي. على أي حال تنزهت بالجواد. جاء
الكثيرون بالمساء: سترأخوف وابنته وبوليجين وبولانجي. يُزيدني
الحديث كآبة ووحشة.

نمت قليلاً. لا أزال واهناً. تنزهت وكتبت عن التعامل مع الله
بحميمية واستخفاف، ونسختُ ساشا ما كتبت. لم أفعل شيئاً عدا كتابة
بضعة خطابات. ذهبت تانيا إلى تشيرتكوف^(٤٢٦). إنه يريد أن يصل في
الثامنة، أي الآن. سأذكر أن عليّ دائماً أن أعيش من أجل نفسي الحقيقية
أمام وجه الله. مصدر البلاء أنني أتذكر ذلك عندما أكون بمفردي، لكني
عندما أتعامل مع آخرين أنسى. قرأت لشوبنهاور. عليّ أن أحدث
تشيرتكوف عن ذلك. هذا كل شيء حتى الثامنة.

جاء تشيرتكوف. إنه شديد البساطة والوضوح. تحدثنا كثيراً
عن كل شيء عدا علاقتنا التي تعقدت. الأمر هكذا أفضل. رحل في
العاشرة. انتابت صوفيا حالة هستيرية مجدداً، وشعرتُ بالكآبة.

٧ أكتوبر (د.س).

بالأمس كنت ضعيفاً وواجمًا. بدا كل شيء كثيفاً ومزعجاً.
خطاب من تشيرتكوف. يعتبر ذلك بلا جدوى. إنها تحاول، وقد دعت

(٤٢٦) لتدعوه لزيارة تولستوي بموافقة صوفيا.

للقدوم. ذهبتُ تانيا اليوم إلى منزل تشير تكوف. جاليا غاضبة بشدة. قرر تشير تكوف أن يأتي في الثامنة. الآن الثامنة إلا عشر دقائق. طلبت صوفيا مني ألا أُقبله. كم أشعر بالنفور! أُصيبت بحالة هيسيرية.

قلت لها اليوم كل ما اعتبره ضروريًا. عارضتني، وغضبتُ، وكان ذلك سيئًا. ولكن ربما ينتج عن ذلك شيء. الحقيقة أن الأمر كله يتلخص في ألا أسلك بسوء، أما بالنسبة لها فحالتها أغلب الوقت - وليست دائمًا - مثيرة للشفقة. سأنام. قضيت اليوم على نحو أفضل.

٨ أكتوبر.

استيقظت مبكرًا وخرجت للقاء الجياد التي جاءت لتقلّ عزيزتي تانيتشكا. ودّعتها. كما ودّعتها كذلك ساشا وفارفارا ميخايلوفنا، وعدتُ للمنزل. راجعت مقالتي عن الاشتراكية. مقالة تافهة. ثم قرأت لنيكولايف^(٤٢٧). في البداية راق لي بشدة، لكن بعد ذلك قلّ إعجابي قليلًا، خاصة مع وصولي لخلاصة الجزء الأول. هناك بعض العيوب فيه ومواضع غير دقيقة وأخرى ممطوطة. جاءت صوفيا، وقلت لها كل ما أردت قوله، لكنني لم أستطع أن أتحدّث بالهدوء، وثرّت بشدة. تنزهت بعدها بالجواد بصحبة دوشان. نمت ثم تغديت. في المساء عاودت قراءة نيكولايف وخلاصة الجزء الأول الذي لم يَرُق لي. الساعة الآن الحادية عشرة، سأنام.

(٤٢٧) كتاب بعنوان (مفهوم الله كأساس كامل للحياة) للفيلسوف الروسي المهاجر ب. ب. نيكولايف.

٩ أكتوبر.

تحسنت حالتني الصحية. تمشيت وفكرت على نحو جيد صباحاً
في الآتي تحديداً:

١- الجسد؟ لماذا الجسد؟ لماذا المكان والزمان والسببية؟ ولكن
سؤال «لماذا؟» هو في حد ذاته سؤال عن السبب. أما سر الإجابة عن
سؤال «لماذا الجسد؟» يظل مستغلماً على الأفهام.

٢- لا يجب أن يكون السؤال «لماذا أعيش؟»، بل «ما العمل؟».
لن أنسخ المزيد من الأفكار. لم أكتب شيئاً عدا خطاب تافه. حالتني
الروحية جيدة بسبب أنها دينية جداً. قرأت في كتاب نيكولايف، وازداد
الحال سوءاً. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. كتبت خطاباً صغيراً
لجاليا. مر المساء بهدوء. قرأت مقالة عن الاشتراكية والسجون في
جريدة (الثروة الروسية). سأنام.

٩ أكتوبر (د.س).

إنها هادئة، لكنها تخطط طريقة لتحدث عن نفسها. قرأت عن
الهيستيريا. الجميع مذنبون عداها. لم أذهب إلى منزل تشيرتكوف ولن
أذهب. الهدوء أهم شيء لي الآن. أنا في حالة مزاجية صارمة وجادة.

١٠ أكتوبر.

استيقظت في ساعة متأخرة، في التاسعة. نذير سيء، لكنني رغم ذلك
قضيت اليوم جيداً. أبدأ في التعود على العمل على نفسي واستدعاء
قاضي الأعلى والاستماع إلى قراره، حتى بخصوص ما قد تبدو لي أتفه

الأمور الحياتية. استطعت بالكاد قراءة الخطابات ودورة قراءات و(لكل يوم)، ثم راجعت بروفة طباعة الدفاتر الثلاثة عن الروح^(٤٢٨). تروق لي هذه الأعمال. تمشيت حتى موعد الغداء. جاءت صوفيا إيلوشينا (زوجة ابنه إيليا) وابنتها. جاء بولانجي ثم ناجيفين. حظينا بحديث جيد. إنه قريب إليّ. سأنام. أفكار:

١- يقتصر عملنا هنا على السلوك كأداة تقوم بعمل السيد الذي لا أدركه، وأن أحفظ نفسي في خير حال، فإن كنت محرثاً، أبقى نفسي حاداً، وإن كنت مصباحاً، لا يعوقني شيء عن الإضاءة. لم نوهب أن نعرف إلى أي شيء ستؤدي حياتنا، ولسنا في حاجة إلى معرفة ذلك.

٢- مفهوم الله في حد ذاته، حتى في أكثر صوره فظافة، يبدو بعيداً، ولا يقدم لنا تصوراً عقلائياً عن ماهيته، ورغم ذلك مفيد جداً للحياة؛ لأنه مهما كانت درجة فظاظته، ينقل الوعي إلى مجال تتضح فيه وظيفة الإنسان، وبالتالي تتضح له كافة خطوات ابتعاده عنه المتمثلة في خطاياه وأخطائه.

٣- عندما يصل الثوار إلى تولي زمام السلطة، سيسلكون لا محالة كما سلك كافة من تولوا السلطة؛ أقصد سيرتكون أفعال عنف؛ الشيء الذي في غيابه لا يمكن أن تكون ثمة سلطة من الأساس. مقولة لخوسيه إنجنيروس (طبيب وفيلسوف أرجنتيني)

١٠ أكتوبر (د.س).

هدوء، ولكن الأجواء غير طبيعية وغريبة. لا سلام.

(٤٢٨) ثلاثة فصول من كتاب (طريق الحياة).

١١ أكتوبر.

تطير الأيام مني دون عمل. استيقظت في ساعة متأخرة. تنزهت. وجدت صوفيا مضطربة مجددًا وغاضبة بسبب لقاءاتي السرية بتشيرتكوف. آسف عليها بشدة، إنها مريضة. لم أفعل شيئًا عدا كتابة بضعة خطابات ومراجعة المقدمة. حظيت بنزهة جيدة بالجواد بصحبة دوشان. تحدثت مع ناجيفين بعد الغداء. أفكار:

١ - يشكل حبنا للأطفال والأصدقاء والإخوة نموذجًا للحب الذي يجب أن نُوجِّهه للجميع.

٢ - على المرء أن يكون كالمصباح: منغلقًا بالنسبة للتأثيرات الخارجية كالرياح والحشرات، وبالتالي طاهرًا، شفافًا، حارًا، ومتوهجًا. أزداد تذكرًا أثناء تعاملتي مع الناس لأناي الحقيقية، وما تتطلبه مني أمام وجه الله وحسب، لا أمام الناس.

١١ أكتوبر (د.س).

منذ الصباح وهي تُحدِّثني عن أنني التقيت بتشيرتكوف بالأمس سرًّا. لم تنم طوال الليل، ولكن حمدًا لله أناضل نفسي. تماسكت جيدًا وصمتُ. كل ما لا يحدث تُفسِّره بجنونها على محمل عكسي. لا بأس!

١٢ أكتوبر.

استيقظت متأخرًا. حديث كئيب مع صوفيا. التزمت الصمت أغلب الوقت. انشغلت بالعمل في مراجعة (عن الاشتراكية). ذهبت بصحبة

بولجاكوف إلى لقاء ساشا. بعد الغداء قرأت لدوستوفسكي (٤٢٩). وصف جيد بالرغم من تلك الدعابات المطوّلة غير المضحكة والمزعجة. الحوارات غير واقعية وغير طبيعية تمامًا. في المساء أحاديث كثيفة مجددًا من جانب صوفيا. صمتٌ. سأنام.

١٢ أكتوبر (د.س).

حوار منذ الصباح مجددًا ونفس المشهد الهستيرى. أحدهم أخبرها عن وصيتي بتسليم دفاتر اليوميات لتشيرتكوف. صمتٌ. يوم فارغ لم أستطع العمل فيه. في المساء دار نفس الحديث. تلميحات واستجابات.

١٣ أكتوبر.

لا أزال أفترق إلى الحيوية ذهنيًا، لكنني حي روحيًا. راجعت (عن الاشتراكية) مجددًا. لا تزال تافهة، لكنني بدأت العمل فيها. سوف أزداد ضبطًا واقتصادًا في الكتابة. لم يتبقَّ لك الكثير من الوقت لتضيعه في التفاهات. ربما لا تزال أمامي فرصة لأكتب شيئًا ملائمًا.

صوفيا مضطربة بشدة وتعاني. ربما يظن المرء أن ما تحتّم عليها فعله كان بسيطًا؛ أن تقضي أعوام شيخوختها في وفاق وحب مع زوجها، ولا تتدخل في شؤونه وحياته. ولكن الأمر ليس كذلك: إنها تريد -والله يعلم ما تريد- أن تعذب نفسها. إنه مرض دون شك، ويستحيل ألا آسف عليها.

(٤٢٩) المجلد الأول من (الإخوة كارامازوف).

١٣ أكتوبر (د.س).

يبدو أنها وجدت دفتر يومياتي الصغير واستولت عليه. إنها تعرف أن هناك وصية ما بترك شيء ما لشخص ما لها علاقة بأعمالي. كم تتعذب بسبب قيمة هذه الأعمال المالية! إنها تخشى أن أتدخل في الطبعة التي تُعدّها لأعمالي. البائسة تخشى كل شيء!

١٤ أكتوبر.

الأمر كما هو، لكنني شديد الضعف جسديًا اليوم. هناك خطاب على الطاولة من صوفيا يتضمن اتهامات ودعوة للتخلي عن شيء ما^(٤٣٠). عندما جاءت، طلبتُ منها أن تتركني لحالي. تركتني فعلاً. شعرت بانقباض شديد وبأن نبضات قلبي تجاوزت ٩٠. راجعت (عن الاشتراكية) مجدداً. عمل تافه. قبل أن أغادر ذهبت إلى صوفيا وقلت لها أنني أنصحها أن تتركني لحالي ولا تتدخل في شؤوني. يا للكآبة! تنزهت بالجواد. وجدت بالمنزل زوجة لاديجينسكي. لقد نسيتهاماً.

١٤ أكتوبر (د.س).

خطاب يقرعني بشأن ورقة ما عن الأملاك، كما لو أن الأمر كله ينحصر أساساً في المسألة المالية! هكذا الأمر أفضل وأوضح، لكنها عندما تبالغ في التحدث عن حبها لي وتركع على ركبتيها وتقبلُ يدي، أشعر بكآبة شديدة. لم أستطع أن أعلن بعد بحسم عن نيتي الذهاب إلى منزل تشيرتكوف.

(٤٣٠) وصلت صوفيا تحذيرات من أن تولستوي -بعون من تشيرتكوف- يُعد وصية جديدة سيتنازل فيها عن كافة حقوقه الأدبية.

١٥ أكتوبر.

استيقظت مبكرًا. فكرت في المكان والمادة، وسأكتب الفكرة فيما بعد. تنزهت. وصلتني خطابات وبروفة دفتر (الشهوة الجنسية). لا يروق لي هذا الدفتر. وصل ستاخوفيتش ودولجوروكوف وبصحبه شخص آخر، وجوربونوف وسيريوجا. صوفيا الآن أهدأ. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. أردت أن أذهب إلى منزل تشيرتكوف، لكني غيرت رأيي. انقضى المساء وسط أحاديث ليست شديدة الملل. سأنام.

١٥ أكتوبر (د.س.).

حدث تصادم مع ساشا وهي مهتاجة بشكل عام، لكن بدرجة محدودة.

١٦ أكتوبر.

لست في تمام الصحة، أشعر بالوهن. تمشيت. لم أفكر في شيء. خطابات. بدأت أراجع (عن الاشتراكية)، لكنني شعرت بالضعف سريعًا فتوقفت. أثناء الإفطار قلت إنني سأذهب إلى منزل تشيرتكوف. مشهد عاصف. تركت المنزل راكضة وذهبت إلى تيلياتينكي. امتطيت الجواد وأرسلت دوشان إليها ليخبرها أنني لن أذهب إلى تشيرتكوف، لكنه لم يجدها. عدت، ولم تكن قد عادت بعد. في النهاية وجدوها في السابعة. جاءت وجلست بثيابها ساكنة، ولم تتناول شيئًا. شرحت لتوها مساءً موقفها بصورة سيئة. في ساعة متأخرة طلبت مني أن أسامحها، واعترفت أنها تعذبني، ووعدتني ألا تستمر في ذلك. هل ستفعل ذلك حقًا؟

١٦ أكتوبر (د.س).

حُسم الأمر اليوم. أردت الرحيل لتانيا، لكنني متردد. حالة هيسيرية شريرة. الأمر كله يتلخص في أنها هي مَنْ اقترحت عليّ أن أذهب إلى تشيرتكوف. طلبتُ مني ذلك، وعندما قلت لها اليوم أني سأذهب إليه اهتاجت. الأمر صعب جدًا جدًا. عونك يا رب! قلت إنني لن أعدها بشيء، لكنني سأبذل قصارى جهدي كي لا أحزنها. سأتمكن بالكاد من الرحيل غدًا. عليّ فعل ذلك. نعم، إنها تجربة، وعملي هو ألا أفعل أمرًا شريرًا. عونك يا رب!

١٧ أكتوبر.

استيقظت في الثامنة، وتمشيت حتى غابة تشيبيج بضعف شديد. فكرت جيدًا في الموت، وكتبت إلى تشيرتكوف عن ذلك. جاءني صوفيا وعاملتي برقة وطيبة، لكنها اضطربت بشدة وتحدثت كثيرًا. لم أفعل شيئًا عدا الخطابات. لا يمكنني العمل والكتابة، ولكن حمدًا لله يمكنني أن أعمل على نفسي. لا أزال أتقدم. قرأت لشري شانكار (فيلسوف ديني هندي). ليس جيدًا. قرأت يوميات ساشا. جيدة وبسيطة وحقيقية. سأنام، أشعر بالضعف. لا أنفر من اقتراب الموت.

١٧ أكتوبر (د.س).

أشعر بالضعف. صوفيا أفضل حالًا. تبدو نادمة، ولكن الأمر مبالغ فيه بفعل الحالة الهيسيرية. تُقبّل يديّ. إنها منفعة للغاية، تحدث دون توقف. أشعر أنني بخير أخلاقيًا. أتذكر مَنْ أنا. قرأت لشري شانكار.

فكرته الميتافيزيقية الرئيسة عن جوهر الحياة جيدة، أما بقية تعاليمه مشوشة تمامًا، أسوأ من تعاليمي.

١٨ أكتوبر.

ضعف مستمر. طقس سيئ. حمدًا لله أشعر باستعدادي للموت دون رغبة فيه. تنزهت قليلًا. ترك في متسولان انطباعًا كئيبًا ولا يمكنني تدبر أمري معهما. لم أفعل شيئًا فظًا، لكنني أشعر بالذنب والكآبة. حسنًا، هذا مفيد. تمشيت في الحديقة. فكرت قليلًا. نمت واستيقظت شاعرًا بضعف شديد. قرأت لدوستوفسكي، وتعجبت مما وجدته من إهمال وتصنع واختلاق. قرأت لنيكولايف (مفهوم الله). الفصول الثلاثة الأولى من الجزء الأول جيدة جدًا جدًا. أستعد الآن للذهاب إلى الفراش. لم أتغد، وحالتي جيدة جدًا.

١٨ أكتوبر (د.س.).

لا تزال علاقتنا كئيبة، والخوف والغربة سائدان. لم يحدث شيء اليوم. مع بداية المساء تحدثت عن الإيمان. إنها ببساطة لا تفهم ما هو الإيمان.

١٩ أكتوبر.

جاءتني صوفيا ليلاً قائلة: «هناك مؤامرة أخرى ضدي». «عن أي مؤامرة تتحدثين؟». «لقد أعطيت يومياتك لتشير تكوف. إنها ليست هنا». «اليوميات مع ساشا». شعرت بكآبة شديدة، ولم أستطع النوم لفترة طويلة؛ لأنني لم أستطع أن أستحث بداخلي شعورًا طيبًا تجاهها.

ألم بالكبد. وصلت مولوستفوفاً. تمشيت بصعوبة وسط أشجار التنوب الصغيرة. أفكار:

١ - لا يتضمن تصور عالم المادة في إطار الزمان والمكان في حد ذاته أي شيء ذي وجود حقيقي، بل هو مجرد تصور. الأمر كذلك لأن هذا التصور ينطوي في ذاته على تناقض داخلي. لا يمكن فهم المادة إلا داخل حدود المكان، بينما المكان لا نهائي، أي لا حدود له. كل شيء يجب أن يكون محدوداً بطريقة ما ليكون شيئاً فعلاً، وما يحده يجب أن يحده شيء آخر: الأرض محدودة بالغلاف الجوي، وجزئيات الهواء بالغازات، والغاز بغازات أخرى رقيقة... إلخ. الأمر كذلك مع الزمن. يتحدد الزمن بامتداد الظواهر، بينما الزمان في حد ذاته لا نهائي، وبالتالي لا معنى لارتباط أي شيء بالزمن من حيث علاقته باللا نهائية. حياة الكائنات المجهرية أقصر من حياة الإنسان، وحياة الإنسان أقصر من حياة الكواكب، وحياة الكواكب أقصر من... إلخ. هكذا نتوصل إلى أن كافة القياسات الزمنية نسبية، وهي في حد ذاتها ∞ / x ، وبالتالي جميعها متعادلة أيّاً كانت قيمة x .

٢ - العيش أمام وجه الله لا يعني العيش أمام وجه أي إله في السماء، بل أن تستحث الله الذي بداخلك وتعيش أمام وجهه.

٣ - تستحث الخدمة العسكرية الشعور بالوطنية، والأخيرة تُبرّر دناءات الأولى. تستحث الوطنية شعوراً بالحاجة إلى الخدمة العسكرية، والأخيرة تُدعم الأولى.

٤ - يمكنك أن تدرك الله بداخلك. عندما تفعل ذلك، ستدركه

كذلك في الكائنات الأخرى، وبشكل خاص في البشر. عندما تدركه في نفسك وفي الكائنات الأخرى، ستدركه هو في حد ذاته.

لم أفعل شيئاً مجدداً عدا الخطابات. حالتي الصحية سيئة. اقترب التغيير (يقصد الموت). ليتني أعيش المدة المتبقية أمامي بصورة أفضل! قالت صوفيا إنها تأسف على ما فعلته بالأمس. أدليت بملاحظة لها، وقلت إنه إن كانت هناك كراهية صوب شخص واحد، لا يمكن للحب الحقيقي أن يوجد. حوار مع مولوستوفا، أو بالأحرى استماع لها. أنهيت قراءة المجلد الأول من الإخوة كارامازوف. هناك مواضع كثيرة جيدة فيه، لكنه غير مصقول. أفضل أجزاءه المفتش العظيم ووداع زوسيم. سأنام، إنها الثانية عشرة.

١٩ أكتوبر (د.س.).

حديث كتيب جداً ليلاً. تعاملت مع الأمر بسوء. تحدثت ساشا عن بيع حقوق النشر مقابل مليون^(٤٣١). سئري. ربما تتحسن الأمور. ليتني أتمكن من السلوك أمام القاضي الأعلى وأنال موافقته!

٢٠ أكتوبر.

لا أزال حيّاً، بل وأفضل قليلاً. لكنني لم أفعل شيئاً مهماً على أي حال. راجعت (عن الاشتراكية). انطباع كتيب بسبب المتسولين. مضيت بعيداً بالجواد بصحبة دوشان. وصل ميخائيل نوفيكوف،

(٤٣١) تفاوضت صوفيا على بيع حقوق نشر أعمال تولستوي الكاملة لإحدى دور النشر مقابل مليون روبل.

وتحدثت كثيرًا معه. فلاح جاد وذكي. ودَّعت مولوستفوفًا في الصباح.
كل شيء هادئ.

٢٠ أكتوبر (د.س).

لم يحدث شيء سيئ لأدونه. سأكتب أمرًا واحدًا: كم تسعدني
ساشا الغالية وتعاملني بلطف!

٢١ أكتوبر.

تمشيت دون تفكير. وصلتني خطابات كثيرة وأجبت عنها. حاولت
أن أواصل (عن الاشتراكية) وقررت أن أنحيها عني. بدايتها سيئة، ولا
ضرورة منها. ستكون محض تكرار. جاءني بعض ممن استدعوه
لأداء الخدمة العسكرية من يسينكي. تحدثت معهم. يا للمسافة بيننا!
لا نفهم بعضنا. تمشيت في الحديقة. غداء. في المساء جاءني دوناييف.
تحدث كثيرًا. أنهكت. أنشد الوحدة بشدة. كنت سأدوّن شيئًا ثم نسيت.
في حالة كحالي الآن يكون من الجيد، بل من الجيد جدًّا، أن تشعر
بالازدراء صوب نفسك. أموري بخير مع صوفيا.

٢١ أكتوبر (د.س).

أنا مُثقل بشدة تحت وطأة تجربتي. أتذكر كلمات نوفيكوف:
«عندما استخدمت سوطي، كان الأمر أفضل»، وكلمات إيفان: «من
عادتنا أن نستخدم العنان»، ولا أشعر بالرضى عن نفسي. فكرت ليلاً
في الرحيل. تحدثت ساشا طويلاً معها، بينما أكتف بصعوبة شعوري غير
الطيب صوبها.

٢٢ أكتوبر.

لا أزال متوقفاً عن العمل. وصلني خطاب جيد من تشيرتكوف. لم أتنزه بالجواد، بل تمشيت. تحدثت مع بعض مُنظّفي المراحيض. لم أدوّن شيئاً. في الخطاب الموجه إلى دوسيف^(٤٣٢) كثير من الحقيقة، لكنها ليست كاملة. فلديّ ضعفاتي أنا أيضاً. ليست لديّ رغبة حتى في كتابة اليوميات. كتاب نيكولايف رائع.

٢٢ أكتوبر (د.س.).

لا شيء عدائي من جانبها، لكنني مُثقل من ذلك التصنّع من كلينا. وصلني خطاب من تشيرتكوف وخطاب إلى دوسيف يتضمن بياناً^(٤٣٣). كل شيء بخير تماماً، لكنني منزعج من إفشاء سرية يومياتي. تحدث دوناييف جيداً. يريني ما حكاها لي عما قالته له ولماريا نيكولايفنا^(٤٣٤).

٢٢ أكتوبر.

الخطاب الموجه لدوسيف بالنسبة لي بمثابة برنامج لا أزال بعيداً عن تنفيذه. أحاديثي مع نوفيكوف^(٤٣٥) وحدها تكشف لي ذلك. لا بد أن حالة كبدي مسؤولة بدرجة عن ذلك.

١ - لم أعد أذكر شيئاً تقريباً؛ نسيت الماضي كله وكافة كتاباتي

(٤٣٢) دوسيف من أتباع تولستوي ببلغاريا، وقد وجّه تشيرتكوف خطاباً إليه يصحح فيه ما ظنه دوسيف عن أن تولستوي عبد لصوفيا لزوجته.

(٤٣٣) تصريح إلى الصحافة بأن حقوق نشر أعمال تولستوي ليست للبيع.

(٤٣٤) ذكر دوناييف في يومياته أنه اقتنع بعد حديثه مع صوفيا أنها مجنونة تماماً.

(٤٣٥) أخبره تولستوي بنيتة الرحيل في الشتاء، وسأله أن يجد له كوخاً في قريته.

وكل ما أودى بي إلى هذا الوعي الذي أعيش في كنفه الآن. لم أستطع التفكير في هذه الحالة التي أعيش فيها الآن؛ أقصد أن أفكر في أناي الروحية ومتطلباتها في كل دقيقة. أختبر هذه الحالة الآن دون جهد. لقد أصبحت عادة. بعد تنزهي عرجت على سيميون (طاهٍ) لأطمئن على صحته، وشعرت بالرضى عن نفسي كفلس نحاسي صغير، ثم مررت بالكسي (بواب من ياسنايا). لم يُجبني تقريبًا عن حالته الصحية. لاحظت الأمر الآن وأدنت نفسي. يبهجني ذلك. لم يكن لهذا أن يحدث إن عشت في الماضي، حتى إن أدركته وتذكرته. لم يكن بإمكانني أن أعيش غالب الوقت حياة لا زمنية في الحاضر كما أعيش الآن. كيف لا أبتهج إذن بفقداني للذاكرة؟ كل ما حققته في الماضي -حتى عملي الداخلي بالكتابة- أعيش به الآن وأستفيد منه، لكني لا أتذكره. مدهش! في نفس الوقت أعتقد أن هذا التغيير المبهج يلحق بكافة الشيوخ: تتركز الحياة بأكملها في الحاضر. كم يحسن هذا!

وصل عزيزي بولجاكوف. قرأ خلاصة بيانه^(٤٣٦) والكبرياء تكتنفه. وصلني خطاب طيب من كاهن، وأجبت عليه. تقدمت قليلًا في مقالتي (عن الاشتراكية) حيث عاودت العمل عليها. تنزهت بالجواد. استغرقت المساء بأكمله في قراءة تلك الكتيبات الرخيصة^(٤٣٧)، وقد رتبها نوعيًا. كتبت صباحًا خطابًا صغيرًا لجاليا. أرسل لي جوسيف خطابه عن دوستويفسكي، يتضمن نفس شعوري صوبه.

(٤٣٦) بيان استقالته من جامعة موسكو.

(٤٣٧) كتيبات رخيصة للفلاحين.

٢٣ أكتوبر (د.س).

لا يزال ذلك التصنع من طرفنا يُثقلني بشدة. أحاول أن أسلك بطبيعية، لكنني غير قادر. لا أتوقف عن التفكير في نوفيكونوف. عندما امتطيت جوادي جاءت صوفيا مسرعة إثري لتؤكد أنني لست ذاهباً إلى تشيرتكوف. يخزني أن أعترف بغبائي حتى في يومياتي. بدأت أمارس تمريناتي منذ الأمس. الشيخ الأحقق يتصابي، وأوقعت خزانة الثياب عليّ، وأنهكت نفسي بلا سبب. أمامكم شيخ أحقق بلغ ٨٢ عاماً!

٢٤ أكتوبر.

وصلني اليوم خطابان: واحد يستخدم مقالة ميريجكونوفسكي ليهاجمني، وآخر من ألماني خارج روسيا يهاجمني أيضاً. ألمني ذلك. فكرت لتوي بارتباك: ما ضرورة أن يهاجمك الناس ويدينوك على مساعيك الصالحة؟ أدركت لتوي أن الأمر ليس مُبرراً وحسب، بل إنه حتمي وضروري ومفيد. إن لم يحدث ذلك سيُخلّق المرء في غُلاه ويختال، وسيستبدل بتحقيق عمل روجه إرضاء الناس. ما إن تُحرره كراهية الناس واحتقارهم له غير المستحق من ذلك، حتى يتحول إلى أساس الحياة الوحيد والراسخ: تنفيذ إرادة ضميره التي هي إرادة الله.

قرأت الخطابات، وأجبت عليها، ولم أفعل شيئاً آخر. جعلت من نفسي أضحوكة. بدأت أؤدي تمرينات غير مناسبة لسني وأوقعت خزانة الثياب عليّ. يا للحماقة! أشعر بالضعف، لكنني أتذكر نفسي، وأنا ممتن لذلك. عملت قليلاً في (عن الاشتراكية). حسناً حكى لي جاستيف عن

سوتايف والقوزاق. من الضروري للشعب أن يحظى بمرشد في المجال الديني، وقائد في المجال الدنيوي.

١ - تصورت بقوة شديدة قصة كاهن يحاول أن يُحوّل شخصًا ذا قناعات دينية حرة، وكيف يحوّل الآخر الأول. موضوع جيد. تنزهت بالجواد بصحبة بولجاكوف. مساء كئيب.

٢٤ أكتوبر (د.س).

ساشا منفعة بشدة؛ لأنها تشاجرت مع تانيا، وأنا كذلك. أشعر بكآبة شديدة: نفس التوتر والتصنع.

٢٥ أكتوبر.

استيقظت مبكرًا جدًا، لكنني لم أفعل شيئًا على أي حال. ذهبت إلى المدرسة ثم إلى بروكوفي وتحدثت مع ابنه الذي طلبوه لأداء الخدمة العسكرية. إنه جيد ولطيف وقد وعدني ألا يشرب خمرًا. ثم عملت قليلًا في (عن الاشتراكية). ذهبت بالجواد إلى المدرسة بصحبة ألميدينجين، ثم بعيدًا بصحبة دوشان. في المساء قرأت لمونتاني. وصل سيريوجا. وجدته لطيفًا. صوفيا لا تزال مضطربة.

٢٥ أكتوبر (د.س).

لا يزال الشعور الكئيب ذاته يكتنفني. شكوك وتجسس عليّ ورغبة خاطئة من جانبي في أن تمنحني عذرًا للرحيل. كم أنا سيئ! أفكر في الرحيل وفي وضعها، وأشعر بالأسف وعدم القدرة على الرحيل. طلبت مني خطابًا كتبته لجاليا.

٢٦ أكتوبر.

رأيت حلمًا: أظن أنه كان عن علاقة حب بين جروشينكا وستراخوف^(٤٣٨). موضوع مدهش! كتبت خطابًا لتشيرتكوف. دَوَّنت فكرة لمقالتي (عن الاشتراكية). كتبت لتشوكوفسكي عن عقوبة الإعدام. ذهبت بصحبة دوشان إلى ماريا ألكسندروفنا. وصل أندريه. أشعر بكآبة شديدة في منزل المجانين هذا الذي أقطنه. سأنام.

٢٦ أكتوبر (د.س).

تعذبني هذه الحياة بشدة. لا توافقني ماريا ألكسندروفنا على الرحيل، وضميري أيضًا. سأحتملها... سأحتملها لا بتغيير الظرف الخارجي، بل بالعمل الداخلي على نفسي. عونك يا سيدي!

٢٧ أكتوبر.

استيقظت مبكرًا جدًا. راودتني أحلام سيئة طوال الليل. حظيت بتمشية جيدة. وصلتني خطابات. كتبت قليلًا في خطابي لـ (ن)^(٤٣٩) وفي (عن الاشتراكية)، لكنني أفتقر إلى الطاقة الذهنية اللازمة. تنزهت بالجواد بصحبة دوشان. غداء. قرأت خطابًا رائعًا أرسله أوكراني إلى تشيرتكوف. راجعت ما كتبته لتشوكوفسكي. لم أدوّن شيئًا. تبدو حالتي سيئة لكنها في الحقيقة جيدة. يزداد عبء علاقاتنا سوءًا.

(٤٣٨) جروشينكا إحدى بطلات الإخوة كارامازوف، ونيكولاي ستراخوف صديقه الناقد والفيلسوف

(٤٣٩) يقصد صوفيا. خطاب وداعي يعلن فيه رحيله النهائي.

٢٧ أكتوبر (د.س).

حلمت طوال ليلة ٢٥ أكتوبر بصراعي الكئيب معها. أستيقظ وأغفو ثانية ويراودني الحلم ذاته. حكّت لي ساشا عما قالته صوفيا لفارفاراً ميخايلوفنا. أشعر بالأسف عليها، وفي الآن ذاته بنفور لا يُقاوم منها. لم يحدث شيء مهم في يوم ٢٦ سوى تنامي شعوري بالخزي والحاجة إلى فعل شيء.

٢٨ أكتوبر - دير أوبتينا.

نمت من الحادية عشرة ونصف حتى الثالثة. استيقظت على أصوات فتح الباب والأقدام كما حدث في الليالي الماضية. لم أكن أنظر قبلاً إلى الباب، أما اليوم نظرت ورأيت نوراً واضحاً في المكتب وسمعت خشخشة. إنها صوفيا تبحث عن شيء ما وربما تقرأ (يقصد يومياته). عشية ذلك اليوم طلبت مني، بل طالبتني ألا أغلق الباب، وفتحت أبوابها بحيث يتسنى لها أن تسمع أدنى حركة أقوم بها. حرصت على مراقبة حركاتي وكلماتي نهاراً وليلاً لأكون تحت سيطرتها تماماً. أستمع مجدداً إلى خطواتها وكيف تفتح الباب بحرص، وها هي تمر. لا أعرف السبب، ولكن ذلك أثار فيّ شعوراً لا يقاوم بالاشمئزاز والسخط. أردت أن أنام ولم أستطع. ذرعت الغرفة جيئةً وذهوباً لساعة تقريباً، ثم أشعلت الشمعة وجلست. يفتح الباب وتأتيني صوفيا وتسألني عن صحتي، قائلة إنها اندهشت عندما لاحظت الضوء في غرفتي. يتزايد اشمئزازي وسخطي. أشعر بالاختناق وأقيس نبضي وأجده ٩٧. لا أستطيع النوم، وفجأةً أتخذ قراراً نهائياً بالرحيل. أكتب إليها خطاباً وأجهز أغراضِي الضرورية وحسب. أوقظ

دوشان ثم ساشا، ويساعداني في تجهيز أغراضي. أرتجف خوفاً من أن تسمع الصوت وتأتيني ويبدأ المشهد الهستيرى، ولن يكون بإمكانى بعدها أن أرحل ببساطة. ننهي من تجهيز كل شيء في السادسة. أذهب إلى الإسطنبول وأخبرهم أن يجهزوا الجياد. يُنهي دوشان وساشا وفاريا تجهيز المتاع. الظلام حالك، حتى إنى أبذل جهداً كبيراً وأضل طريقي إلى المرحاض الخارجي. أعلق وسط الأجمة وأجرح نفسي وأصطدم ببعض الأشجار وأسقط وأفقد قبعتي ولا أجدها، وأخرج من المكان بصعوبة. أذهب إلى المنزل وأتناول قبة أخرى، وأذهب إلى الإسطنبول في ضوء المصباح. تأتيني ساشا وبصحبتها دوشان وفاريا. أرتعش من تصور أن تطاردني (يقصد صوفياً)، لكننا ننجح في الرحيل^(٤٤٠). ننتظر ساعة في محطة شيوكينو، أخشى ظهورها في أي دقيقة. لكن ها نحن نجلس في العربة ويتحرك القطار، ويزول خوفي ويتصاعد شعوري بالأسف عليها، ولكن لا يراودني شك في ضرورة ما فعلت. ربما أكون مخطئاً، أبرر نفسي، ولكن يبدو أنى أنقذت نفسي، لا أقصد ليف تولستوي، بل أنقذت شيئاً يظهر أحياناً بداخلي. وصلنا أوبتينا. أنا بصحة جيدة رغم أنى لم أتم أو أتناول شيئاً تقريباً. رحلنا من جورباتشوف في الدرجة الثالثة، وسط حشود من الشعب العامل، وكانت رحلة مفيدة وجيدة جداً رغم أنى كنت شديد الضعف لاستفيد منها. الساعة الآن الثامنة، ونحن في دير أوبتينا.

٢٨ أكتوبر (د.س).

أنا في دير أوبتينا. حدثت في يوم ٢٧، ٢٨ تلك الدفعة التي أجبرتني

(٤٤٠) هو ودوشان فقط.

على التحرك. أرسلت إلى ساشا خطابًا وبرقية.

٢٩ أكتوبر، دير أوبتينا - شاماردينو.

نمت نومًا مزعجًا، وفي الصباح جاء أليوشا سيرجينكو. لم أفهم سبب قدومه والتقيته بفرح، ولكن الأخبار التي جلبها لي كانت مريعة. قرأت صوفيا خطابي، فصرخت، وألقت بنفسها في البركة. لحقت بها ساشا وكذلك فانيا (خادم) وأخرجاهما. وصل أندريه. خمنوا مكاني وطلبت صوفيا من أندريه أن يجдени بأي ثمن. حلّ المساء، وأنا الآن في انتظار أندريه. وصلني خطاب من ساشا. تنصحنى بألا يصيبنى القنوط. راسلت طبيبًا نفسيًا (لأجل صوفيا) وهي في انتظار وصول سيريوجا وتانيا. شعرت بكآبة شديدة طوال اليوم، وبضعف جسدي. تنزهت، وأنهيت بالأمس مقالتي عن عقوبة الإعدام. سافرت إلى شاماردينو، وتركت في ماشينكا^(٤٤١) وليزانكا العزيزة (ابنتها) أكثر الانطباعات عزاءً وفرحة. كلتاهما تتفهم موقفى وتتعاطف معى. فى الطريق ظللت أفكر فى مخرج من هذا الوضع، وفيها، ولم أجد، ولكن بالتأكيد سوف يكون هناك مخرج، شئنا أم أبينا، ولن يكون ذات المخرج الذى تنبأنا به. نعم، عليّ أن أفكر فى أمر واحد؛ ألا أخطئ، وليحدث ما يحدث، هذا ليس من شأنى. وجدت نسخة من (دورة قراءات) عند ماشينكا، وأثناء قراءتي ليوم ٢٨ ذهلت حينما وجدت إجابة على وضعى هذا: التجربة ضرورية ومفيدة لى. سأنام الآن. عونك يا سيدى! وصلنى خطاب جيد من تشير تكوف.

(٤٤١) سكنت شقيقته ماشينكا ديرًا هناك منذ ١٨٨٩.

٢٩ أكتوبر (د.س).

وصل سيرجينكو. الأمر كما هو بل وربما أسوأ. ليتني فقط لا أخطئ! لا أحمل ضغينة بداخلي، على الأقل الآن.

٣٠ أكتوبر - شاماردينو.

لا أزال حيًا، ولكن ليس تمامًا، أشعر بضعف ونعاس شديدين، وهذه دلالة سيئة. قرأت شيئًا ما من سلسلة نوفوسيلوف الفلسفية. ما كُتِبَ عن الاشتراكية شيق جدًا. للأسف ضاعت مني مقالاتي عن الاشتراكية (تركها في ياسنايا). لا، الأمر غير مؤسف. وصلتُ ساشا، وابتهجتُ بشدة، ولكنني كنت كثيرًا في الآن ذاته. خطابات من أبنائي. خطاب سيرجي جيد؛ عملي وقصير وطيب. ذهبت صباحًا لاستئجار كوخ في شاماردينو. أنهكتُ بشدة. كتبت خطابًا إلى صوفيا.

٣١ أكتوبر - أستايفوفو.

جميعهم في شاماردينو. خشيت أنا وساشا أن يلحقوا بي فرحلنا (هو ودوشان). لحقتُ بنا ساشا في كوزيلسك، وركب ثلاثتنا القطار. كنا بخير، ولكن في الخامسة بدأت أرتجف، ووصلت حرارتي إلى أربعين، فتوقفنا في أستايفوفو. منحنا مدير المحطة العزيز غرفتين رائعتين.

٣١ أكتوبر (د.س).

أملت ذلك على ساشا. الله هو الكيان الكلي غير المحدود الذي يدرك الإنسان نفسه جزءًا محدودًا منه. لا وجود حقيقي سوى لله.

الإنسان هو تجلي الله في المادة والزمان والمكان. كلما اتحد تجلي الله في الإنسان (حياته) بتجليات (حيوات) الكائنات الأخرى، ازداد وجوده الحقيقي. يحدث هذا الاتحاد بالحب. الله ليس هو الحب، ولكن كلما ازداد الحب، ازداد تجلي الله في الإنسان، وبالتالي ازداد وجوده الحقيقي.

أستابوفو ٣١ أكتوبر. الساعة الواحدة صباحًا: إن أردنا بمفهوم الله أن نستوضح ظواهر الحياة، لن نجد أمانًا أي شيء محكمًا وصلبًا. هذا مجرد مفهوم محايد لا يؤدي إلى أي استنتاج. نحن لا نعرف الله إلا بالوعي، بتجليه في داخلنا. كافة النتائج التي تترتب على هذا الوعي، والإرشاد الذي نناله في الحياة بناءً على ذلك، يرضي الإنسان دائمًا من ناحية إدراك الله نفسه والاسترشاد الذي يناله.

٣ نوفمبر - أستايفو.

كانت ليلة صعبة. ظللت محمومًا ليومين، وصل تشيرتكوف في يوم ٢، ويقولون إن صوفيا جاءت أيضًا في نفس اليوم. وصل سيريوجا ليلاً وأثر فيَّ بشدة. اليوم ٣ نوفمبر، جاء نيكيتين وتانيا، ثم جولدنفازير وإيفان إيفانوفيتش. هذه خطتي: افعل ما يتوجب عليك وليحدث ما يحدث (بالفرنسية).

سيؤول كل هذا لخير الآخرين وخيري في الأساس.

ملحوظة: تُوفي تولستوي ٧ نوفمبر ١٩١٠.

